

خطب الشيخ محمد الغزالي

في شؤون الدين والحياة

مراجعة
الدكتور محمد عاصم

اعداد
وطب عبد الحميد قطب

المجلد الأول

دار الأحياء



دار الأينية
للطبوع والنشر والتوزيع
٨ شارع حسن حجازى - القاهرة
هاتف : ٧٩٥١٧٤٨ - ٧٩٤٤٧٤٨ - فاكس : ٧٩٤٦٠٣١
ص. ب. : ١٧٠ القاهرة - الرمز البريدى : ١١٥١١

تقديم

بقلم الدكتور عبد الصبور شاهين

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ،
وبعد :

فقد طلب إلى أخى الكريم الأستاذ حسن عاشور أن
أكتب كلمة أقدم بها هذا الكتاب إلى القراء ، فكان ذلك
تفضلاً منه وكرماً ، وحين ذكر لى أن هذه أيضاً هي رغبة
الأستاذ الشيخ الغزالي عدت ذلك شرفاً تضيفه على هذه
الدعوة الكريمة ، فما أكتبه هنا هو شرف لى قبل أن يكون
تقدماً للكتاب .

والحق أن كتاباً يوضع على غلافه اسم الأستاذ
الغزالي لا يحتاج إلى تقديم ، فحسبه في تقديرى أن يتوج
بهذا العلم الخفاق ، وقد قرأت الدنيا له عشرات الكتب في
الإسلام ودعوته ، وتلقت عنه ما لم تتلق عن أحد من
معاصريه ، حتى إن عصرنا هذا يمكن أن يطلق عليه في
مجال الدعوة : عصر الأستاذ الغزالي .

غير أنى قد أجد القراء بحاجة إلى أن يعرفوا قدر
المنبر الذى يقرأون صوته في هذا الكتاب ، من خلال
رؤية لخطر المنبر في حياة الأمة ، وفي تاريخها .

ذلك أن أمتنا المسلمة هي ابنة المنبر منذ كانت ،
صاغها يوم كان يرتقيه محمد صلى الله عليه وسلم ، لقد
كان منبراً وحيداً ، ومع ذلك استطاع أن يربى جيلاً من
البشر ، حملوا الرسالة إلى الآفاق ، وأقاموا الدين
والدولة معاً ، فكان أثر المنبر الواحد أعظم من تأثير مئات

الآلاف من المنابر ، ومئات الجامعات ، وآلاف المدارس والمعاهد التي تمتلئ بها حوصلة عالمنا الإسلامي الآن ، فهذه المنابر كلها ليست من ذاك المنبر بسبب !!

ولو أننا سبرنا غور هذه المأساة فسنجد أنه راجع إلى تعدد نوعيات المنابر الحديثة ، وتفرق دعائها .

لقد كان المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً ، يصدع بأمر واحد ، ويخاطب أمة واحدة كما أراد الله ، وحين ذرَّ قرن الفتنة وأنشأ بعض المنافقين منبراً آخر في طرف المدينة اعتبره القرآن مسجداً ضارراً ، فقال : « والذين اتخذوا مسجداً ضارراً وكفراً وتفرقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل » وأمر الله بهدمه وإزالته ، ووصف دعائه بأنهم ظالمون : « لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم ، إلا أن تقطع قلوبهم » وبقيت للمنبر المحمدي مهابة ما بقيت له وحدته ، لقد بقي مصدر إشعاع وهداية لجماهير الأمة المعتصمة بحبل الله .

أما الآن فقد تفرق المسلمون شيعاً ، واتخذت كل شعبة لنفسها منبراً تمارس من فوقه فنون الدجل والشعوذة ، ومهمة تمزيق الأمة الواحدة إلى أشلاء ممزعة ، بعدد مزرع الأهواء ، لقد اختلفت رسالة المنبر على أصحابها ، وتناقض ما يدعون إليه .

وليس من الممكن إصلاح حال أمتنا إلا بالعودة إلى المنبر الواحد الذي يستخدم لغة واحدة ، ويصدر عن فكر واحد ، هو الفكر المحمدي ، إن صح التعبير ، وحينئذ تسقط كل منابر الضرار ، منابر الريبة والتفريق .

وأمر آخر يشق علينا أن نذكره في هذا الصدد ، لقد فقد المنبر في أرجاء كثيرة من العالم الإسلامي فعاليته حين أصيب بالجمود ، وتحول ارتقاؤه إلى حرفة يتوسل بها إلى الارتزاق ، فحلت اللقمة فيه محل الفكرة ، ولم يعد الخطيب يبحث عن جديد يتزود به ، بل حسبه أن يقرأ

على الناس كلمات دون معنى ، وخطباً دون مضمون ،
حتى ليقدر المصلون به وهو يسمع عليهم ما يحفظون
من كثرة ما لاكه على أسماعهم .

وهذه - ولا شك - حال تدعو إلى معالجة عاجلة ،
ونظر بصير ، وقد تقدم الزمن بالمجتمعات ، وليس
بمعقول أن يكون خطيب المنبر هو نموذج المتعلم الأمي
في مجتمع المثقفين المعاصر ، فيصير المنبر علامة على
التخلف العقلي ، وأضحوكة تقترن بالرتاء ، يضحك عليها
الصغار ، ويبكى عليها الكبار !!.

وللمنبر في المرحلة القادمة آفاق رحبة ، يجب أن
ينفتح عليها .

فهو أولاً : طريق لتغيير واقع المسلمين وتحويلهم
إلى مؤمنين « ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم » ، وتلكم هي
مشكلة الإسلام المعاصر .

وهو ثانياً : توجه إلى مشكلات الأقليات في
المجتمعات غير الإسلامية ، ولا مفر من أن يمد المنبر
الإسلامي يده إلى هؤلاء التعساء الذين وضعتهم الظروف
موضع البلاء ، ومن القصور الشائن ألا يتناول المنبر
أحوال الأقليات المسلمة ، فيبدوا وكأنه (أطرش في الزفة) .

وهو ثالثاً : عمل دائم من أجل تبليغ دعوة الله إلى
الدنيا ، إلى عالم غير المسلمين ، وقد فتح الله على
الإسلام قلوباً كثيرة في الغرب الأوربي والأمريكي ، وهم
بحاجة إلى دعاة يحسنون استخدام المنبر لغة وفكراً ،
ويرتقون بالإسلام على درجاته صعوداً ، حين يقدمون
حقائقه بلسان غير عربي مبين .

والداعية في كل هذه الأحوال مطالب بأن يكون
كشكول معارف ، قادراً على قراءة كل ما يتصل بدعوته ،

ومجتمعه ، ومهمته ، وتمثل هذا كاملاً في عقله ووعيه ،
وتقديم حصيلته إلى جمهوره بلغة سهلة ، ومنهج
واضح ، وتوجيه سليم ، ومزج حكيم بين الجديد
والقديم .

إن الكتاب الذي تقدمه دار الاعتصام اليوم نموذج
رائع من النماذج المعلمة ، التي تتميز بأمرين :

أولهما : أن موضوعات الخطب متنوعة وعصرية ،
تتصل بقضايانا الحيوية ، وتعالج مختلف المشكلات التي
تحرك بها وجدان أستاذ مصلح ، ذي تجربة عميقة في
تناول قضايا المجتمع الإسلامي المعاصر .

وثانيهما : أن القارئ يعيش في قراءة الكتاب شكلاً
من أشكال المسرح اللغوي ، فالمنبر قائم في كل عبارة
من عباراته ، والموقف المتوتر نابض بالحياة في تدفق
الحديث ، وفي تتابع المشاهد ، وفي تلاحق الجمل
وسرعتها . وهي ميزة لا تتوفر إلا في هذا الأسلوب
المرتجل النابع من قلب قائله .

ومن وراء ذلك كله إيمان راسخ ، وعلم واسع ،
وثقافة شاملة ، وتجربة فذة ، ووجدان مشغول بشئون
الإسلام وشجونه ، وحياة عمرت بمواقف النضال ،
وملاحم الدعوة .

إن هذه الخطب هي خير ما يقرأه الإنسان المسلم في
عصرنا ، لأنها تلتصق بأحواله ، وتعالج قضايا الحياة من
حواله بمنطق إسلامي ، وهي بعيدة تماماً عن تعقيدات
الفكر المؤلف ، واللغة المنظومة .

وإذا كانت وسائل الإعلام الحديثة كالإذاعة
والتلفزيون قد أثرت في جماهير المشاهدين ، حتى
حوّلتهم إلى تعاطي ألوان الثقافة المنطوقة ، وصرفتهم
عن التماس الثقافة المؤلفة المكتوبة ؛ فإن نشر هذا
النوع من الخطب المنطوقة يدعم مسيرة الكتاب ، حين

يمزج بين المستويين ، فيخيل المنطوق مكتوباً ، بكل ما
يحمّله النطق من حرارة ، وما تطلبه الكتابة من افتتان .
أما مادة الكتاب فلست أرى ضرورة أن أتحدث عنها ،
وهي تتحدث عن نفسها بأفصح لسان ، وأروع بيان ، ثم
وهي تشي بما يكمن وراءها من خلفية ثقافية غنية ، تقوم
على الثبوت ، والتنوع ، والتعمق ، ثم وهي تهز من
وجدان القارئ الذي امتلأت نفسه بحب المؤلف ،
الصادق الشجاع ، شيخ الدعاة إلى الله بحق ، ولا نركى
على الله أحداً .

إننى أسأل الله عز وجل أن يمد فى عمر أستاذنا
الغزالي ، وأن يمتعته بالصحة ، وأن يبقى له هذا اللسان
المعبر ، والصوت الندى ، الناطق باليقين .

كما أشكر لدار الاعتصام همتها فى إعداد هذه
الخطب ، وما اقترن بها من تعليقات أثرت العمل الجليل ،
وجعلته خير زاد للدعاة والأئمة ، والواعظين .

د- عبد الصبور شاهين

قصة هذا الكتاب

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. أما بعد ...
فإنني واحد من عشرات الألوف المؤلفة التي تعشق من أعماق قلوبها الداعية
الإسلامي الكبير « الشيخ محمد الغزالي » حفظه الله ورعاه .. وأشهد أن حيي لهذا
العالم الكبير ، والداعية الشهير أكثر من حيي لنفسى .. فهو من القلة النادرة التي تربي
على علمها وفضلها أكثر من جيل .. لا في مصر وحدها .. ولكن في كثير من البلدان
العربية والإسلامية .. وكيف لا وهو الذي تربي في أحضان الدعوة ، ورضع من
لبانها ، وتلمذ على جهابذة العلم ، وأساتذة الفكر ، وأساطين الدعوة .. وعلى رأسهم
الإمام الشهيد حسن البنا ..

قيل لأحد الفلاسفة : نراك تحب معلمك أكثر من أيك !!
فقال : إن أرى سبب حياتي القانية .. ومعلمي سبب حياتي الباقية !! .

هذا في المعلم العادي .. فكيف إذا كان المعلم هو الداعية العملاق الشيخ محمد
الغزالي !!؟

وهذا النوع من الدعاة يشبه الماء في ربه للظمان ، وتطهيره للأبدان ، وتثيته
للأقدام .. إنه كالغيث .. أينما وقع نفع .. إنه كالشمس .. إذا غربت في جهة طلعت
في جهة أخرى فلا تزال طالعة أبداً !!

إن العلامة محمد الغزالي واحد من أبرز الدعاة الذين يبهون الناس ، ويرفعون
الالتباس ، ويفكرون بحزم ، ويعملون بعزم ، ولا ينفكون حتى ينالوا كل
ما يقصدون !!! .

إن الشيخ محمد الغزالي - مد الله في عمره - ينطلق في دعوته على أساس أن
الإسلام قضية ناجحة تحتاج فقط إلى محام مخلص ، وعالم واع ، وداعية فاهم ..
وهو - ولا أزكيه على الله - من كبار المحامين المخلصين الذين تباروا في الساحة دفاعاً
عن أصالة هذا الدين العظيم .. وهو من أبرز العلماء الواعين الذين عرضوا قضيتهم
بحرارة وجراحة ويقين .. وهو على رأس الدعاة الفاهمين الذين يستميلون النفوس
الطيبة ، ويروضون العناصر المستعصية ، ويستعرضون الأدلة والبراهين سهلةً طيعةً ،
وهو فوق ذلك يدفع بنفسه دفعاً إلى ساحات الجهاد بالكلمة فينطق بها صريحة فصيحة
من مخارجها الصحيحة ، لا يتردد ولا يتلعثم ، ولا يتقاعس ولا يتخاذل .. ولكن
يقترحم المعارك وهو يحمل نفساً خاشعة تأنس للحق وتهش له ، وتستعلي على الباطل
وتعرض عنه ، وترى في ذلك كرامتها وعظمتها .

إن الذي خلق الحقيقة علقماً لم يُخل من أهل الحقيقة جيلاً

وإذا كانت الدعوة إلى الله تتطلب الدعاة الخبراء الأمناء مصداق قوله تعالى :
﴿ الرحمن فاسأل به خبيراً ﴾ (الفرقان : ٥٩)

أى استعلم عنه من خبير به ، عالم بدقائقه فاتبعه ، ثم اقتد به .. إذا كانت الدعوة في حاجة إلى هؤلاء الخبراء فإن شيخنا الغزالي من أبرز هؤلاء الخبراء الذين يحسنون عرضها ، ويميزون أصدقاءها من أعدائها ..

إن مؤلفات صاحب الخطب التي أربت على الأربعين كتاباً تشكل في مجموعها جانباً مهماً من المكتبة الإسلامية التي يمكن اعتبارها سجلاً لتاريخ الدعوة الفكرى إلى حد بعيد ، ونראساً يهتدى به الدعاة في ظلمات الفكر المعوج ، ومتاهات الفلسفات المعقدة ..

يقول الكاتب الإسلامي السوري الأستاذ عمر عبيد حسنة مدير تحرير مجلة الأمة القطرية :

« كانت كتابات الشيخ الغزالي تحمل عاطفة الأم على وليدها المريض الذي تخشى أن يفترسه المرض ، وبصيرة الطبيب الذي يقدم العلاج .. وقد يكون العلاج جراحة عضوية إن احتاج الأمر إلى ذلك .. وكانت كتبه وكتاباته تواجه التحديات الداخلية والخارجية على حد سواء .. وحين نعرض لمؤلفات الغزالي التي رافقت خطوات الدعوة الإسلامية الأولى في العصر الحديث ، والتي جاءت تسدد طريقها ، وتبصر بأعدائها وتحلدها من المزالق التي ترسم لها في الوقت الذي كانت تصطرع فيه الأفكار والمبادئ لإيجاد البدائل الثقافية للإسلام ، وتكريس فصل الدين عن الدولة نجد الشيخ الغزالي في الحندق الأول حيث أدرك الثغرات التي يمكن أن يتسلل منها أعداء الإسلام من خلال واقع اجتماعى ليس له من الإسلام سوى الاسم .. لذا نرى أنه من أوائل من كتب عن « الإسلام والأوضاع الاقتصادية » ، « الإسلام والمناهج الاشتراكية » وكان كتابه « الإسلام المقترى عليه بين الرأسماليين والشيوعيين » أول صيحة في التميز الإسلامى ، كما أنه من أوائل من تنبه إلى الأخطار والأمراض التي يُخلّفها الاستبداد السياسى .. وكتب في العقيدة وهي رأس الأمر كله .. وكتابه « عقيدة المسلم » من الكتب المبكرة في هذا المجال .. وكتب في السلوك الإسلامى ، فقدم الكثير في مجال المناصحة للدعوة الإسلامية نفسها .. وهي تمثل وجهة نظره في مشكلات الدعوة والأمراض التي أصيبت بها »^(١) .

(١) انظر مقدمة كتاب « مشكلات في طريق الحياة الإسلامية » للشيخ الغزالي .

وقصة هذا الكتاب « خطب الشيخ محمد الغزالي » ترجع إلى عام ١٩٨٠ عندما أعلنت نقبة المحامين بالقاهرة عن محاضرة بعنوان « مسئولية الحاكم في الإسلام » يشارك فيها فضيلة الشيخ محمد الغزالي . وكنت قد تعرفت على فضيلته من خلال كتابه « مع الله » الذي كان مقرراً علينا في السنة الأولى بكلية أصول الدين بالقاهرة . وكان ذلك أيضاً في عام ١٩٨٠ . وكنت بعد قراءتي للكتاب معجباً أيماء إعجاب بفضيلة الشيخ ، ووددت لو رأيته واستمعت إليه .. وكانت فرصة عظيمة أن تعلن نقابة المحامين عن محاضرة يشارك فيها الشيخ محمد الغزالي ، فأسرعت إلى هناك يحدوني الشوق وجلست أترقب طلعتته وتراءت لي صورته بكل هيته ووقاره وتواضعه . كما ظهر لي وجهه الباسم المشرق المضيء . وصوته الهاديء النابض بالثقة والإيمان وكأنما هو بقية من السلف الصالح . لقد بهرتني حديثه بما فيه من دقة النظرة ، وخبرة الحاذق ، ودراية العارف بكنوز دينا ، كما شدني تناوله للموضوع من روايا محددة نحو هدف واضح يصل إليه بسهولة أخادة وهو يسوق الجمل القصيرة التي تشبه القصايا المنطقية بأسلوب يجمع بين العمق والرشاقة وهما يساهبان إلى العقل والقلب معاً !! ورأيتني أردد في نفسي قوله عز وجل ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ (البقرة ٢٦٩)

ومنذ ذلك اليوم وأنا حريص على لقائه من خلال كتبه ومقالاته . ومن خلال خطبه ومحاضراته التي أصبحت متعتي الخاصة أسعى إليها طالباً لها ، باحثاً عنها . وقد توافرت لي عدد لا بأس به منها .. وإن كنت لا أفتأ أطلب المزيد . وذات يوم حدثني نفسي : لو كانت هذه الثروة العلمية العظيمة في يد غيبي لأحببت أن تكون في يدي . فلم لا أحب لغيري ما أحب لنفسي . والنبي صلوات الله وسلامه عليه يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »^(١) . إذن فلا أكن مؤمناً . وقد يكون هناك من هو أوعى ها مني . ولأكن في ذلك مُبلّغاً . ففي الحديث الشريف : « نصر الله امرأً سمع مقالتي فلبّها فربّ حاسن فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »^(٢) . ولما ألبّيت بفكرتي إلى شيوخ وأستادى العالم العامل الفقيه فضيلة الشيخ أحمد عيسى عاشور حفظه الله استحسن الفكرة ، وتمس

(١) رواه البخاري في الإيمان باب « من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١٠/١) ، ومسلم في الإيمان باب « لتدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (٤٩/١) ، وأساني في الإيمان « علاقة الإيمان » (١١٥/٨) ، وأحمد (٢٧٨ ٣)

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة باب « من بلغ علماً » (٨٤/١) ، والحاكم في العلم (٨٧، ١) ، والبخاري معناه في العلم باب « رب مبلغ أوعى من سامع » (٢٦/١)

لها فقلت لمضيفته إني أراها من موافقات لقدر العظمة أن تكون يا شيخى جامعاً
لأحاديث الثلاثة التي ألقاها الإمام الشهيد حسن البنا رضى الله عنه والتي تلقاها الناس
بقبول حسن وأن يكون تلميذاً جامعاً لأحاديث الإمام محمد الغزالي حفظه الله
التي تلقاها الناس أيضاً بقبول حسن وعندها عقدت العزم على تفريغ «الأشرطة
المسجلة» التي أصبحت أمانة في عنقي أحاف عليها الصياح والتنف ومضت فترة
من الزمن لم أبحر فيها ما وعدت بإيجاره نظراً لاشتغالي بإعداد رسالة الماجستير فلما
علم أستاذى الفاضل الدكتور محمد عاشور بالأمر طلب إلي أن أفرغ للفكرة وأن
أكتب عليها وهو يردد «هذا عمل عظيم، وإيجار كبير، وكفى يسعى أن يكون بين
أيدي الناس وهو أيضاً عمل صالح تلقى الله عز وجل به» ثم قدم لي المساعدات
القيمة، والنصائح العلمية التي كانت وراء إخراج هذا العمل العظيم في صورته المشرفة
والمرصية ثم كان اختتام المسك على يد الأستاذ الفاضل المخاهد المجتهد الأستاذ حسن
عاشور الذى ألبس الكتاب حُلته الراهية التي تليق بمكانته فجزاهم الله تعالى خيراً
وما هذه أول بركات آل عاشور وبذلك أصبحت هذه المجموعة من الخطب حديقة
دلت ألوان متعددة، وروائع مختلفة آملين أن تصبح من المراجع المهمة، والوثائق
الاعتمدة التي يفيد منها المؤرخون في كثير من قصايا العصر التي تشعل عقول المعنيين
بشئون الإسلام والمسلمين خلال الفترة التاريخية التي عاصرت هذه الخطب، والتي
يمكن أن يتعرفوا من خلالها على المعنى ورد الفعل، وعلى المشكلات وحلولها، والعلل
ودوائها ﴿ولا يشك مثل خير﴾ (وسط ١٤)

أما هذه الخطب التي اشتمل عليها هذا الجزء فإننا نسأل الله لعل القدير أن يجعل
فيها انفع، وأن يصع لها القبول، وأن يوفق كل من انفع بشيء منها فيترجه إلى الله
عز وجل وهو خير مسئول وأكرم مأمول أن تثيب قائلها بأحرل الثواب
وأحسنه، وأن يسأله في أحبه، وأن يبارك في حياته، وأن يجعله مفتاحاً للحير،
مغلقاً للشر، وأن يهدي به الصال، ويُقَوِّم به المعوج كما لا أنسى نفسي من مثل
هذه لدعوات وأنا أتعلق بهذا العالم المتمكن الذى أفادت منه أجيال تحتل الصدارة الآن
في ربوع العالم العربى والإسلامى تسير سيره، وتنهج نهجه، ومن سار على الدرب
وصل

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه لعقير إلى الله عز وجل

قطب عبد الحميد قطب

لقاهرة السرب الأحمر

في يوم الأربعاء ٨ رمضان ١٤٠٧ هـ

موافق ٦ مايو ١٩٨٧ م

الشيخ محمد الغزالي بقلمه

والدى رحمه الله كان يحب شيخ الإسلام أبا حامد الغزالي ، وكان عاشقاً للتصوف يحترم رجاله ويختار من مسالكهم ما يشاء ، لأنه كان حافظاً للقرآن جيد الفهم لنصوصه ويروى أن لاصدقاء الأسرة أن تسمي « محمد الغزالي » جاءت عقب رؤية مامية وبإيجاء من أبي حامد (رضى الله عنه) ، وأيا ما كان الأمر فإن التسمية اقترنت بشخصي ولكها لم تؤثر في تفكيرى فأنا أستمع من تراث أبي حامد الغزالي صاحب « تهافت الفلاسفة » كما أستمع من تراث خصمه ابن رشد صاحب « تهافت التهافت » وإذا كان الغزالي يحمل دماغ فيلسوف وابن تيمية يحمل رأس فقيه فإسبى أعتبر نصي تلميذاً لمدرسة الفلسفة والفقه معاً

ولدت سنة ١٣٣٦ هـ الموافق سنة ١٩١٧ م وشأت في بيئة متدينة بين إحوة سعة وكنت أكبرهم ووالدى كان تاجراً صالحاً وهو الذى وجهنى إلى حفظ القرآن بل إن من فضله على أن باع ما يملك لكى يذهب إلى أو يذهب معى إلى أقرب مدينة يقع فيها معهد أرهري حيث هاجر من قريته « بكلا العنب » محافظة البحيرة إلى الإسكندرية كى انتسب إلى الأهرام وعمرى عشر سنوات .

وطولتى كات عادية ليس فيها شيء مثير وإن كان يمرها حب القراءة فقد كنت أقرأ كل شيء ولم يكن هناك علم معين يغلب على . بل كنت أقرأ وأنا أتحرك ، وأقرأ وأنا أتناول الطعام .

أهمية القراءة :

وللقراءة أهمية خاصة لكل من يدعو إلى الله بل هى الخلفية القوية التى يجب أن تكون وراء تفكير الفقيه والداعية ، وضخالة القراءة أو نضوب الثقافة تهمة خطيرة للمتحدثين فى شؤون الدين وإذا صحت قزبل الثقة منهم

إن القراءة ، أى الثقافة هى الشيء الوحيد الذى يعطى فكرة صحيحة عن العالم وأوضاعه وشؤونه ، وهى التى تضع حدوداً صحيحة لشتى الماهيم ، وكثيراً ما يكون قصور الفقهاء والدعاة راجعاً إلى فقرهم الثقافى

والفقر الفقار للعالم الديني أشد في خطورته من فقر الدم عند المريض
وضعاف الأجسام .. ولا بد للداعية إلى الله أن يقرأ في كل شيء ، يقرأ
كتب الإيمان ويقرأ الإخاد ، يقرأ في كتب السيرة ، كما يقرأ في الفلسفة
وباختصار يقرأ كل مازع الفكر البشري المتفاوتة ليعرف الحياة والمؤثرات في
جوانبها المتعددة

تأثرت بالشيخ عبد العظيم الزرقاني الذي كان مدرسا بكلية أصول
الدين وهو صاحب كتاب « ماهر العرفان في علوم القرآن » وكان عالماً
يجمع بين العلم والأدب وعباراته في كتابه المذكور تدل على أنه راسخ القدم
في البيان وحسن الدياجة ونقاء العرض .

وفي معهد الإسكندرية الديني تأثرت بالشيخ إبراهيم العرناوي والشيخ
عبد العزيز بلال وكانا يشتعلان بالتربية النفسية ولهما درجة عالية في
العبادة والتقوى ، وكانا يمرجان الدرس برقابة الله وطلب الآخرة وعدم
الفتنة سبل الإجازات العلمية لأن للألقاب العلمية طيباً ربما ذهب معه
الإخلاص المنشود في الدين .

وقد تأثرت أيضاً بالشيخ محمود شلتوت الذي أصبح فيما بعد
شيخاً ، للأزهر ، إذ كان مدرساً للتفسير ، وله قدره ملحوظة في هذا المجال
إن جانب رسوخ قدمه في مجال الفقه وعلوم الشريعة إجمالاً ، وقد كان رحمه
الله شخصية عالية بارزة يتصف حولها الكثيرون .

أما تأثري الأكبر فقد كان بالإمام الشهيد حسن البنا وكان عالماً بالدين
كأفقه ما يكون علماء العقيدة والشريعة وكان خطيباً متدفقاً ينساب
الكلام منه أصولاً لا فضولاً وحقائق لا خيالات وكان حسن البنا يدرك
المرحلة الزهية التي يمر بها الإسلام بعدما سقطت خلافته وذهبت دولته
ونجح المستعمرون شرقاً وغرباً في انتهاب تركته ، فكان الرجل يعارض
هذا الطوفان المدمر عن طريق تكوين الجماعات التي تعتر بديها وتشبث
بالحق مهما واجهت من متاعب أو عوائق أو ويلات .

حسن البنا كان صديقاً لكل من يلقي من أهل الإيمان ، فعمرك
بشاشته عندما تراه ومشمرك كأبك أصبح صديقاً أثيراً لديه وكان يرض
برفته على اللغو فما تمر ثابة ولا أقول دقيقة إلا وهو يخدم الإسلام بكلمة
أو توجيه أو عمل نافع أو دعاية لطيفة تربط بين القلوب

وذاكرة حسن البنا كانت حديدية وكأنها شريط مسجل يستوعب

الأسماء والمعاني ، فلو التقيت به وناقشت معه إحدى القضايا ، أو ذكرت له اسم إخوانك مثلاً ثم لقيته بعد ذلك يضع سين لبادرِكَ بالسؤال عن إخوانك وماقشك في القضية التي طرحتها عليه منذ سنين واسترجع معك الحديث وكأنه تم بالأمس القريب .

والحق أن الرجل كان يجب عن إخلاص لا عن تكلف وربما عائق عاملاً يلبس بدلة الشغل الملوثة بشحوم الآلات وسوائلها . فلما يحجزه شيء من ذلك عن ترجمة حبه وحسن البنا له عبقریات موعة يحتاج الكلام فيها إلى كتاب منفرد .

مدرستي الخاصة :

المدرسة التي أعتبر نفسي رائداً فيها أو ممهداً لها تقوم على الاستفادة التامة من جميع الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفقهية في التاريخ الإسلامي . كما ترى الاستفادة من كشوف الفلسفة الإنسانية في علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتاريخ ومزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب والسنة .

إن الرؤية الصحيحة لأحكام الشريعة أو الحكم الصائب الذي ينبغي تقريره لا يتم إلا مع رحابة الألق ووجود خلفية عظيمة من المعرفة القديمة والحديثة على السواء وربما كان أسلافنا القدامى قد رزقوا من سلامة الفطرة وحدة الذكاء ما يجعلهم قادرين على حسن الفهم والحكم ، ولكن في هذا العصر لا نصل إلى مستواهم إلا بعد دراسات مضاعفة كما يستعين صاحب النظر القصير بالمنظير المقربة حتى يعرف ما يقرأ أو حتى يدرك من بعيد ما لا يستطيع رؤيته بالعين المجردة .

تجاري في الدعوة :

تخرجت من الأزهر سنة ١٣٦٠ هجرية الموافق سنة (١٩٤١ م) ومنذ ذلك الوقت وأنا أصمل في خدمة الإسلام دعوة وتدریساً

وفي رأي أن الدعوة إلى الله ، في هذا العصر غيرهم في العصور الماضية .. قديماً كانوا يدركون حظاً من النجاح بمعرفة محدودة وتقوى ظاهرة .

أما في هذا العصر فإن أعداء الإسلام قد تضاعف نشاطهم ونمت

أحقادهم وكثرت العقبات التي وضعوها في طريق الدعاة ، واستطاعوا استغلال الصق الحضرى لوقف الزحف الإسلامى فى أقطار كثيرة ، بل ولعلمهم استغلوا ثراءهم وقدرتهم فى فتنة طوائف من المسلمين فى أفريقيا وآسيا وأوربا ولذلك لا يكفى أن تعمل أجهزة الدعوة الإسلامية بل لابد وأن تكون من ورائها خدمات شتى اجتماعية وصحية وتعليمية وثقافية ... إلخ.

شروط الداعية :

والدعوة إلى الله لا يصلح لها بداهة أى شخص إن الداعية المسلم فى عصرنا هذا يجب أن يكون ذا ثروة طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية ، بمعنى أن يكون عارفاً للكتاب والسنة والفقه الإسلامى والحضارة الإسلامية . وفى الوقت نفسه يجب أن يكون ملماً بالتاريخ الإنسانى وعلوم الكون والحياة والثقافات الإنسانية المعاصرة التى تتصل بشتى المذاهب والفلسفات

ويجب على من يدعو إلى الله أن يتجرد لرسالته التى يؤدبها فتكون شغله الشاغل وعليه أن يعامل الناس بقلب مفتوح فلا يكون أنسياً ولا حاقداً ولا تحركه النزوات العابرة ولا يتحصر داخل تفكيره الخاص فهو يخاطب الآخرين وينبى أن يلمس الأعذار للمخطئين وألا يتربص بهم بل يأخذ بأيديهم إذا تعثروا .

ويحتاج الداعية المسلم فى هذا العصر إلى بصر بأساليب أعداء الإسلام على اختلاف منازعهم سواء كانوا ملحدين يتكرون الألوهية أو كتابيين يتكرون الإسلام .

وقد لاحظت أن هناك أصنافاً من الناس فى ميدان الدعوة تسوء إلى الإسلام أشد الإساءة ، منهم الذى يشتغل بالتحريم المستمر فلا تسمع منه إلا أن الدين يرفض كذا وكذا دون أن يكلف نفسه أى عناء لتقديم البديل الذى يحتاج إليه الناس .. وكأن مهمته اعتراض السائقين فى الطريق ليقفوا مكانهم دون أن يوجههم إلى طريق آخر أرشد وأصوب .

وهناك دعاة يعيشون فى الماضى البعيد وكأن الإسلام دين قارىخى وليس حاضراً ومستقبلاً ، والغريب أنك قد تراه يتحامل على المعتزلة والجهمية مثلاً وهو محق فى ذلك ولكنه ينسى أن الخصومات التى توجه الإسلام قد تغيرت وحلت حقائق وعتاوين أخرى

وهناك دعاة آخرون لا يفرقون بين الشكل والموضوع أو بين الأصل والفرع ، أو بين الجزء والكل فهم يستمعون في الإنكار بأي شكل من الأشكال ويبددون قواهم كلها في محاربة هذا الشكل ، أما الموضوع فهم لا يدرون ماذا يصنعون إزاءه وهؤلاء عقلية لا تتأسك فيها صور الأشياء بنسب مضبوطة ولذلك قد يهجمون شرقاً على عدو موهوم ويتركون غرباً عدواً ظاهراً بل ربما حاربوا في غير عدو .

وهؤلاء وأولئك عبء على الدعوة الإسلامية يجب إصلاحهم كما يجب إصلاح الذين يدخلون ميدان الدعوة بنية العمل لأنفسهم لا لمبادئهم فإن العمل الذي يستهدف القيم الإسلامية غير العمل الذي يدور حول المآرب الشخصية .

تبين لي بعد أربعين سنة من العمل في الدعوة الإسلامية أن أخطر ما يواجه العمل الإسلامي هو التدين الفاسد أي استناد النفس إلى قوة غيبية وهي تعمل للخرافات والأوهام ، أو هي تعمل للأغراض والمآرب .

الدين مثلاً يقظة عقلية وهؤلاء يعانون تنويعاً عقلياً متصلاً والدين قلب سليم وهؤلاء استولت على قلوبهم علل رديئة ..

والأمر في كشف التدين الفاسد يحتاج إلى تفاصيل للتعامل مع الآفات النفسية والعقلية التي تسبب هذا البلاء ، وقد خصص أبو حامد الغزالي جزءاً ضخماً من كتابه (الإحياء) في علاج هذه الآفات والتحذير منها كما وضع ابن الجوزي كتاب « تليس إبليس » للكشف عن صور التدين الفاسد وإبعاد العامة والخاصة عنه .

وقد ألفت بعض كتبي وأنا مستغرق في محاربة هذا الجانب من التدين المعلوم سواء كان رسمياً أو شعبياً مثل كتاب (تأملات في الدين والحياة) وكتاب (ليس من الإسلام) وكتاب (ركائز الإيمان بين العقل والقلب) وأخيراً كتابي (الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الخامس عشر) .

والحقيقة أن التدين الفاسد سر المحرف كثير من العقلاء لأنهم ينظرون إلى الدين من خلال مسائل بعض رجاله وآثارهم في الحياة العامة ، والواقع أن بعض المتدينين كانوا في القديم والحديث بلاء على الدين .

بدأت الكتابة منذ الشباب الباكر وكانت هواية عندي ورجبة أجد راحة في تحقيقها ولم أتوجه إلى الكتابة الدينية إلا بعد أن اشتغلت بالدعوة

الإسلامية . وقد سلكت في الكتابة الدينية مهجاً يجمع بين العلم والأدب مع عرض الثقافة الإسلامية عرضاً ممزوجاً بقضايا العصر الحاضر ، ويمكن القول أن هناك عدة محاور أساسية دارت حولها كتيبي الخمسة والثلاثون التي وصفتها في الأربعين عاماً الماضية : « الإيمان والعقل والقلب » و « الإسلام والطاقات المعطلة » .

تفسير جديد للقرآن الكريم :

وأحب أوقات الكتابة إلى بعد صلاة الفجر .. عند هذا الوقت أشعر باجتماع فكري ويقظة أعصاب وقدرتي على إفراغ ما في نفسي فرق الصفحات ويغلب أن تكون الكتابة الأولى هي الأخيرة ، وقلما أمحو منها أو أزيد عليها إلا القليل بل قلما أعود إلى قراءة كتاب أصدرته إلا إذا كانت هناك حاجة ملحة في ذلك ، كماقشة له أو حوار حوله .

وأتمنى أن أكتب التفسير الموضوعي للقرآن الكريم لكل سورة من القرآن وحدة متأسكة تشدها خيوط خفية تجعل أولها تمهيداً لآخرها وآخرها تصديقاً لأولها وتدور السورة كلها على محور ثابت وأتمنى وضع كتاب جامع في ذلك .

* * *

الخطبة الناجحة

المسجد قلب المجتمع الإسلامى ، وملقى المؤمنين بالعدو والآصال
لأداء حقوق الله ، واستلهاهم الرشد ، واستملاذ العون منه جل شأنه .

وهو مصدر طاقة عاطفية وفكرية بعيدة المدى خصوصاً أيام الجمع
عندما تنصت جماهير المصلين فى سكية وخشوع « للإمام » وهو يشرح
لهم تعاليم الإسلام ويبين لهم حدود الله ، ويفقههم على ما فى الكتاب والسنة
من عطاء وآداب .

إن خطبة الجمعة من شعائر الإسلام الكبرى ، ومعانيها تنساب إلى
النفوس فى لحظات انعطاف إلى الله وتقبل لوصاياه .

ومن ثم كان موضوعها جليل الأثر كبير الخطر .. .

والإمام الذى يدرس موضوعه ، ويجيد عرضه ، يقوم بصيب ضخم
فى تثقيف الأمة ، وترشيد نهضتها ، ودعم كيانها المادى والأدى ، ووصل
غدها المأمول بماضيتها المجيد ..

لما كنا نريد الوصول لمستوى الخطابة فى المسجد إلى مكائده اللائقة به ،
ونريد جعل المبر مرآة لما حوى الإسلام من معرفة صالحة وتربية واعية ،
فقد أثنت هذه التوجيهات الموجزة لما ينبغى أن يتوافر فى خطبة الجمعة من
زاد روحى وثقافى منظم :

١ - يحسن أن يكون لخطبة الجمعة موضوع واحد غير متشعب
الأطراف ولا متعدد القضايا ، فإن الخطيب الذى يحوض فى أحاديث كثيرة
يشتت الأدهان وينتقل بالسامعين فى أودية تتحللها فجوات نفسية وفكرية
بعيدة ، ومهما كانت عبارته بليغة ، ومهما كان مسترسلاً متدفقاً فإنه لن
يسجح فى تكوين صورة عقلية واضحة الملامح لتعاليم الإسلام .

والوضوح أساس لا بد منه فى التربية ، والتعميم والغموض لا يتهيان

بشيء طائل ، وخطبة الجمعة ليست درساً نظرياً بقدر ما هي حقيقة شرح وتعرض .

٢ - عناصر الخطبة يجب أن يسم أحدها إلى الآخر في تسلسل منطقي مقبول كما تسم درجة السمع إلى ما بعدها دون عناء بحيث إذا انتهى الخطيب من إلقاء كلمته كان السامعون قد وصلوا معه إلى النتيجة التي يريد بلوغها ، وعليه أن يتقن من الصوص والآثار ما يمهد طريقه إلى هذه العاية .

٣ - ولما كانت الخطبة الدينية تسع من المعاني الإسلامية المستمدة من « الكتاب والسنة » وآثار السلف الصالح فإن لحمتها وسداها يجب أن يكونا من الحقائق المقبولة ، وفي آيات القرآن الكريم ، ومعالم السنة المطهرة متسع يعنى في الوعظ والإرشاد ، ولذلك لا يليق ابته أن تتضمن الخطبة الأحبار الواهية بآله الموضوعه .

وإذا كان العلماء قد تجوروا في الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال فقد اشترطوا لذلك : ألا تخالف قواعد الإسلام الكلية ولا أصوله العامة ، وفي الأحاديث الصحيحة والخسة مجال رحب للخطيب الفقيه ، وفي سيرة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والأئمة المتبوعين ما يغنى عن الأساطير والأوهام .

٤ - لا يجوز أن تتعرض الخطبة للأمور الخلافية ، ولا أن تكون تعصباً لوجهة نظر إسلامية محدودة . فإن اسجد يجمع ولا يفرق ، ويلم شمل الأمة بشعب الإيمان التي يتقن عندها الكل دون حوض في المائل التي تتفاوت تقديرها ، وما أكثر العرائم والفضائل التي تصح موضوعاً لنصائح جديدة وخطب موفقة .

وقد شقى المسلمون بالفرقة ألباماً طويلة وجدير بهم أن يجدوا في المساجد ما يوحد الصفوف ، ويطفى الخصومات .

٥ - بين الخطبة والأحداث العابرة ، والملابسات المحيطة ، والجمامير السامعة ، علاقة لا يمكن تجاهلها ومما يزرى بالخطيب ويضيع موعظته أن يكون في واد ، والناس والزمان والمكان في واد آخر .

والأمر ما نزل القرآن مجمعا على ثلاث وعشرين سنة ، فقد تجاوب مع الأحداث وأصاب مواقع التوجيه إصابة رائعة .

ولما كان القرآن شفاء للعزل الاجتماعية الشائعة فإن الخطيب يجب عليه أن يشخص الداء الذي يواحهه وأن يتعرف على حقيقته بدقة ، فيد، عرفه واستبان أعراضه وأخطاره رجع إلى الكتاب والسنة فقل الدواء إلى موضع المرض ، وذلك يحتاج إلى بصيرة وحذق فإن لواعظ القاصر قد يحىء بدواء غير مناسب فلا يوفق في علاج ، وربما أخطأ ابتداء في تحديد العلة فحالت خطته لغواً وإن كانت تتضمن مختلف النصوص الصحيحة .

٦ هـك طائفة من الأحاديث سوق الأحرية الكبيرة على الأعمال الصغيرة .. وقد قرر العلماء المحققون أن هذه الأحاديث ليست على ما يفهم منها لأول وهنة .. وأن ما فيها من أحرية صحيحة إنما هو لأهل الشرف في العادة وأهل الصدق في الإقبال على الله وليس ذلك للأعمال الصغيرة التي اقترت بها ومن هنا لا يجوز للخطيب أن يضمن خطبته هذه الأحاديث سرداً مجرداً فيحدث فوضى في ميدان التكليف الشرعية وبكسر إذا قضى طرف يذكر هذه الأحاديث ذكرها مع شروحها الصحيحة .

٧ - تقوم التربية الدينية على بيان الجوانب الخلقية والاجتماعية في الإسلام وشرح ما يقترن بالخير والشر من معان حسنة أو سيئة ، ومن عواقب حميدة أو ذميمة ، ولا بأس من التعرّيج على الأجزاء الأحرورية وعرض ما أعده الله في الآخرة للأبرار والعفار بيد أن الإسهاب والتفصيل في ذكر الأجرية المعينة لا يروم له ويكتفى بالإلماح إلى ما جاء في القرآن والسنة عن ذلك دون تطويل وتعمق .

٨ من الخير أن تتضمن خطة الجمعة أحياناً شيئاً من أمجاد المسلمين الأولين الثقافية والسياسية وتنويعها بالحضارة البانعة التي أقامها الإسلام في العالم مع الإشارة إلى أن يبايع هذه الحضارة تفجرت من الحركة العقلية التي أحدثها القرآن الكريم واليقظة الإنسانية التي صعبها الرسول ﷺ ويكون الغرض من هذه الخطب - على اختلاف موضوعاتها - أن ترجع إلى المسلمين ثقتهم بأنفسهم ورسالتهم العالمية .

٩ - معروف أن هناك فلسفات أجنبية ونزعات إلحادية تسربت إلى الأمة الإسلامية في كبوتها التاريخية الماضية وطبعي أن تتعرض الخطبة لدود هذه المفاصد النفسية عن أبناء الأمة ، ووظيفة الخطبة في الإسلام عمدت أن تتجنب الأحاد والرد والجدال السيء . ولكن تعرض الحقائق الإيجابية في الإسلام بقوة وترد على الشبهات دون عناية بذكر مصدرها لأن المهم هو حماية التراث الروحي والعلمي .. وليس المهم تحريج الآخرين وإحقاق الهزائم .

١٠ - قبل أن يواجه الخطيب الجمهور ينبغي أن تكون في ذهنه صورة بينة لما يريد أن يقوله ، بل يجب أن يرجع نفسه قبل الكلام ليطمئن اطمئناناً إلى صحة القضايا التي سوف يعرضها وإلى سلامة آثارها النفسية والاجتماعية .

وعليه أن يتثبت من الأدلة والشواهد التي يسوقها في معرض الحديث فإن كان قرآناً حمطه جيداً وإن كان سنة رواها بدقة ، وإن كان أثراً أدبياً أو خبراً تاريخياً فإن توفيقه يكون بحسب مطابقته أو اقترابه من الأصل المنقول عنه .

إن التحضير المتقن دلالة احترام المرء لنفسه ولسامعيه وقد تفجأ الإنسان مواقف يرتجل فيها ما يلقي به الناس ويصور ما بنفسه .
والواقع أن القدرة على الارتجال نجىء بعد أوقات طويلة من الدربة على التحضير الجيد وعلى تكوين حصيلة علمية مواتية لكل موقف .

ومع ذلك فإن المهارة في الارتجال لا تعنى عن حسن اتحضير للعالم الذي يريد أداء واجبه بأمانة وصدق والذي يقدر إصابات الناس له واحتفاءهم بما يقول .

١١ - الإيجاز أعون على تثبيت الحقائق ، وجمع المشاعر والأفكار حول ما يراد بثه من تعاليم .

فإن الكلام الكثير ينسى بعضه بعضاً ، وقد تضيع أهم أهدافه في رحام الإطناب والإضافة .

ألا ترى الأرض نحتاج إلى قدر محدد من لذور كيما تثبت ، فإذا كثرت
النبات بها تخللها الفلاح باجشاث الرائد حتى يعطى البقية فرصة النماء
والإثمار .

كذلك النفس البشرية لا تركو فيها المعاني إلا إذا أمكن تحديدها
وتقديمها ، أما مع كثرة الكلام وبعثرة الحقائق فإن السامع يتحول إلى إناء
معلق تسيل من حوله الكلمات مهما بلغت نفاستها .

وللإطباب الممل أسباب معروفة منها سوء التحصير فإن الخطيب الذى
يلقى أساس بالجزاف من الأحكام والتوجيهات لا يدري بالضبط أين بلغ قوله
وهل وصل إلى حد الإقناع أم لا فيحمله ذلك على التكرار والإطالة .
وما يزداد من الجمهور إلا بعداً ..

وقد تنشأ الإطالة عن سوء التقدير لوقت والمواقف فيظن الخطيب أن
بحسبه أن يقول ما عنده وعلى الناس أن يصتوا طوعاً أو كرهاً وهذا
خطأ .

ومما يحكى في قيمة الإيجار أن أحد الرؤساء طلب منه إلقاء خطبة في
بضع دقائق فقال : « أمهلونى أسوعاً » فقبل له : يريد لها في ربع ساعة
قال : « أستطيع بعد يومين » قبل له . فإذا طلبها في ساعة ؟ قال :
« فأنا مستعد الآن » .

إن الإيجار يتطلب الموارنة والاحتيار والمحو والإثبات ، أما الكلام
المرسل فالجهد العقلى فيه أقل والحقيقة أن خمس دقائق تستوعب علماً كثيراً
وعشر دقائق وخمس عشرة دقيقة تستوعب خطبة أو محاضرة جيدة .

محمد الزالى

إلى المسجد

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

١٩٧٢ / ٢ / ٢٣

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والعمدة المسداة والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فإننا نلاحظ أن أسبى ﷺ أول ما هاجر إلى المدينة كان شغله الأول أن يبني لمسجد ، وأن يَصُفَّ المؤمنين فيه ، وأن يلتقى بهم من عيش الفجر إلى العشاء ، وأن يقرأ القرآن عليهم في صوات الحهر ، وأن يجعل له جند مَحْضِينَ للرجال ومصعاً للأبطال .

والحقيقة أن المسجد هو روح المجتمع الإسلامى الأول ، وأن الرجال الذين يُرْتَوون فيه هم الذين يبنون الهضات ، ويصعدون الحصارات ، ويكونون أرقى المجتمعات .

إن المصنع نوعان : مصنع للسبع أو للأسلحة ، والمسجد مصنع للرجال ، وكل أمة ليست لديها مصانع للرجال فإن الأسلحة مهما تكاثرت فى أيديها لا تُعْنى عنها لا قليلاً ولا كثيراً .

كان المسلمون فى مكة يُصلون ، والصلاة شرعت أول الأمر مثنى

مشى ، ثم أصبحت على النحو الذى يؤديه الآن خمس صلوات ، منها ثلاث صلوات رباعية وواحدة ثلاثية وواحدة ثنائية بعد ليلة الإسراء .

كان المسمون فى مكة يصدون ، ولكن لم يكن فى مكة أذان لأنه فرض على الحق أن يكون حميص الصوت ، صغيف البرات ، ولم تكن هناك صلوات جامعة فى مسجد يقيم المسمون فيه شعائرهم ، لأنه محرم على الحق أن يحتشد الناس باسمه ، وأن يلتقوا تحت رايته .

فكان أول ما اهتم به النبى عليه الصلاة والسلام أن أقام المسجد فى المدينة ، لماذا ؟ لأن الناس الطيبين يوم يكونون فرادى كل منهم منطوي على نفسه بعيد عن أحبه فإهم لا ينحسرون فى مقاومة الباطل المتجمع والضلال المحشد ، لا يستطيع الحق الممرع الصفوف المرقى القوى أن يواجه باطلا متماسكاً متحداً ، وقد اتحد الضلال على المسمين الأوائل ، فلم يكن بُد من صب المجتمع الإسلامى فى المدينة على أن يكون صفوفاً متراسة وجماعة تلتقى فى الصباح والأصيل باسم الله ، تُأدى باسمه وتركع له وتسجد ، فيكون من هذا التجمع الشيء الكثير .

إن المساجد منذ نشأت كانت مصانع لرجال ، وقد لاحظنا أنه يوم هجم الاستعمار العالمى على بلاد الإسلام ، واستطاع أن يحتل فلسطين لاحظنا أنه فى الوقت الذى يحج فيه عسكرياً فى عروة ، كان مستميتاً من الناحية الثقافية والاجتماعية أن يسحب الإسلام من ميدان المقاومة ، وأن يجعل العرب المحروين المهزومين لا يلتقون فى المساجد لقاءً نافعاً ، ولا يتجمعون فى ديار الناس تجمعاً حراً ، لأنه لى يحج فى بلوغ أهدافه ، لابد أن يجمع الدين من أن يكون فى حبة المقاومة ، وذلك ما حدث . فإن المساجد أصبحت صوراً ، وأصبح الكلام الذى يُلقى فيها ميتاً ، واستنات أجراء الاستعمار فى شتى الميادين أن يرفصوا أى تجمع للإسلام فى بلاده ، وبدلك استطاع اليهود أن يصربوا دون أن يُصربوا ، وأن يظلموا وهم آمنون من العقوبة ، وأن يتبجحوا وهم يدركون أن الثأر منهم والإعداد لهم ما دام بعيداً عن الإسلام فلا قيمة له

بدأ المسجد يُكوّن الرجال ، لم يكن المسجد الذى أقامه النبى عليه

الصلاة والسلام فحماً أو مرحرفاً ، كان مسجداً في سائه سداً ، مفروشا بالرميل ، مسقوفاً بسعف النخيل ، أعمدته جدوع الحل ، ولكن هذا المسجد المبسط هو لدى بني الرحال ، وخرَّج الأبطال !!! لماذا ؟ .

أولاً : لأن استماع الناس إلى صوت سيهم عليه الصلاة والسلام وهو يقرأ القرآن يربهم به ، ويتعهدهم هداياته ، ويجمعهم على أصواته خمس مرات كل يوم شحنهم بقوة روحية وأدبية وحماسية جعلت المسبب عندما اصطدم بالأنظمة الطائفة في ديار الناس كأي كان رلرالا صدعها أو بُركاناً حرقها !! .

ما تماسك الباطل أمام الإسلام لأن المسلمين كانوا يقاتلون ، وكأما كانت أقدار الله في صفوفهم ، وحركات التحول الحاصلة في التاريخ إلى جنبهم !! .

يقول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، وهو يتحدث عن صلاة الرسول ﷺ في المسجد :

وهيا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصخر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
يبيتُ يُجاني جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضجع^(١)

وعبد الله الذي قال هذه الأبيات هو الذي يرد على من شيعوه بالسلامة وهو ذاهب إلى القتال استكثر أن يقال له تعود إلينا بالسلامة فقال :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبد^(٢)
أو طعنة يهذي حران مجهرة بحربة تنفذ الأحشاء والكبد
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي^(٣) يا أرشد الله من غار وقد رُشدا^(٤)

في هذا المسجد تكون الأبطال صباحاً ومساء .

(١) رواه البخاري في التيجد : ٢ / ٦٨ ، ٦٩ .

(٢) ذات فرع : يعني ذات سمة ، والزبد هارعة الدم

(٣) الجدث : القبر ، وفي السيرة أرشده الله

(٤) انظر أسد الغابة ٢٣٧/٣ . طبعة الشعب

تُبثُّ الصلاة في نواحيها الفردية وفي نواحيها الاجتماعية ، فوجدت
نفسى مأخوذاً أمام بعض المرويات .

يروى البخارى في صحيحه عن محمد بن حبيب بن مطعم عن أبيه رضى
الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه
الآية : ﴿ أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ - أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوقِنُونَ - أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴾ .
كاد قلبى أن يطير^(١) !! .

الصوت الخاشع في المحراب الخليل يرتل الوحي المبارك يناجى به
رب العالمين وتنساب أصداؤه في أفعدة الخاشعين حلقه ، فإذا هى تجعل
القلوب تكاد تطير قلت : أنظر في سورة الطور ، فوجدت نفسى وأنا أقرأ
السورة أمام نصفيها الأول وهو يتحدث عن الرسالة ، وعن القيامة ، وعن
الجزاء ، ثم وجدت نفسى أمام نصفيها الأخير وقد تضمن خمسة عشر
استفهاماً ، أو كلمة « أَمْ » وهى تعنى تحريك المعنى بحيث يضرب الإنسان
عمماً قبله ويستفهم بما بعده ، هذا وضع الكلمة البلاغى في اللغة العربية .
وجدت النصف الأخير للسورة تضمن خمسة عشر « أَمْ » وراءها
هذه الجملة . تبدأ من قوله تعالى : ﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ
وَلَا مَجْنُونٍ - أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾^(٢) .

يقولون : شاعر يحيا قليلا ، ثم يصوبه الموت ويذهب في خير كان :
﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَزِعِينَ ﴾^(٣) ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ
بِهَذَا أَمْ هُمُ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾^(٤) ؟ .

أهذا تفكير عقلى أم هو الطعنان ؟ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ
فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ - أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ

(١) أخرجه البخارى في تفسير القرآن ، سورة الطور ١٧٥/٦ وابن ماجه في الإقامة - باب
القراءة في صلاة المغرب ١ / ٢٧٢ والآيات من سورة الطور ٣٥ - ٢٧ .

(٢) سورة الطور الايتان ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) سورة الطور الآية : ٣١ .

(٤) سورة الطور الآية : ٣٢ .

الخالقون. أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون. أم عندهم خرائن ربك أم هم المصيطرون. أم هم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين. أم له البناات ولكم البنون. أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون. أم عندهم الغيب فهم يكتبون. أم يريدون كيداً فالدين كفروا هم المكيدون أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون (١).

نُحِيلُ إِلَى أن كلمة « أم » هاء وحرة للصمير الوثني الميت تحركه ، صوت يلسع العقل الحامد ليعثه على التفكير ويجعله يتحرك ويعرف ربه .

خمس عشرة كلمة « أم » بعد كل « أم » حملة يحتاج شرحها إلى شيء من انتطويل وهو يخرج بنا عن حطيس الآ ، لكن نذكرت الآن كيف كان الناس وراء نبهم ﷺ يستمعون إلى هذا الوحي المبارك وهو يصقل العقل وينظم الفكر ، ويجمع العزم ، ويحشد الهمم ، ويكون مسلمين مصفوحين كأهم ببيان مرصوص يستمعون وينرون ويتعلمون ويتزكون هذه الصلوات .

كان مما لاحظته وأنا أتابع الصلاة والقرآن في المسجد أن النبي عليه الصلاة والسلام كان في أحيان كثيرة يصلي فجر الجمعة سورة السجدة والإنسان (٢) ، ولعل هذا هو الذي جعل الشافعية يستنحيون أو يعبرون من لسن أن يصلي الإنسان فجر الجمعة بالسورتين ، وإن كان الأحاف والمالكية يرون غير هذا ويكرهون أن يواظب الإنسان على نوع معين من القراءة ، لأن ذلك قد يوهم العامة أن الصلاة ما تصح إلا بهذا النوع من القراءة ، وهذا غير صحيح .

قال العلماء وهم يعلنون لم كان النبي عليه الصلاة والسلام يصلي الفجر يوم الجمعة بهاتين السورتين ؟

فقالوا : لأن كلتا السورتين تحدثت عن بدء خلق ، وعن أعمال الناس ، وعن درجاتهم في الآخرة ، فكأن النبي عليه الصلاة والسلام وهو

(١) سورة الطور الآيات من : ٢٢ ٤٣

(٢) من أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة أم ترين وهل أتى على الإنسان » متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الجمعة . باب ما يقرأ في صلاة الجمعة ٢١٤ / ١ ومسلم في كتاب الجمعة . باب ما يقرأ في الجمعة ٢ / ٥٩٩ .

يقرأ يريد من الناس أن يعرفوا هذه الحقائق لنسوا عنها سواكهم ويصححوا بها بياتهم ووجهاتهم ، ورجعت إلى كل سورة مهما وجدت حقيقة أن كل سورة تحدثت عن بدء الخلق ، فمثلاً في سورة السجدة ، بدأت السورة بأن الله هو الخالق للكون : ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ربي ولا شفيع أفلاتتذكرون ﴾ (١)

وبعد الإشارة إلى خلق الكون إشارة إلى خلق الحياة ، وتمهيد الأرض للإنسان ، وإصفاء مواهب معينة لهذا الإنسان كي يعرف ربه ويؤدي حقه ، قال تعالى ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل سله من سلاله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾ (٢)

ثم بين أن الناس لابد من أن يحموا من على ظهر الأرض ، لابد أن يموتوا ، لن يخلد أحد ، لكن هذا الاحتفاء مؤقت ، لكن المقابر زوارة ، ريادة يقى الناس فيها حياً ، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبداً ، بيد أن المشركين لا يصدقون هذا ﴿ وقالوا أءذا صلنا في الأرض أءذا نفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون ﴾ (٣)

وأحياناً يكون الإنسان عرواً وحواً ولكن يظن في ائرد به ، لأن الحواً كالواصحاً ينعى أن يعرفه العقلاء ، فهم يحتاجون قل الرد به إلى شيء من التقرير والتوييح ، وهذا ما حدث ، ففى سورة السجدة يتساءل اساس : ﴿ أءذا صلنا في الأرض أءذا نفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون ﴾ (٤)

إذا كنت تستعرب أن تعود حياً بعد أن تموت فلم لا تنظر إلى الأرض التى تعيش عليها ؟ ﴿ أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به ررعاً تأكل منه أعامهم وأنفسهم أفلا يصرون ﴾ (٥)

(١) سورة السجدة الآية ٤

(٢) سورة السجدة الآيات من ٧ ٩

(٣) سورة السجدة الآية ١٠

(٤) سورة السجدة الآية ٢٧

إنك تأكل وترمي بفضلاتك وتأخذها « محارى القاهرة » إلى « مررعة الخيل الأصغر » ثم تعود إليها الفضلات المرعجة هواكه ناصرة اللون حميله لرائحه ، مليئة بالسكر ، مبيئة بالعذاء !!! ألا تفكر ما الذى أجرى هذا التحول على الفضلات العفنة وأحاطها كدلك ؟ .

إن الذى يصنع هذا كل يوم ، هو الذى يستطيع أن يرد إليك الحياة بعد الموت !! فإذا أبيت إلا الحهود والخبوت ، فتسمع قوله تعالى ﴿ أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات أفلا يسمعون ﴾ (١) .

والسورة تتساءل : ﴿ أفمى كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستويون ﴾ (٢) هذه سورة السجدة ، وأحد أب سورة الإنسان تحدث فى نفس المعنى ولكن بأسلوب آخر ، وهما سدو ما فى القرآن من بلاعة ، وما فيه من إعجاز .

سورة الإنسان يبت أن الله خلق الإنسان من نطفة أمشاج ، أى مختلطة فيها حصائص كثيرة . قال تعالى : ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ (٣)

ها « سميعاً بصيراً » فى سورة السجدة ﴿ وحمل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾ (٤) .

ها فى سورة الإنسان بين بإيصاح أكثر ، فهناك بين أن الخاخذين لعملة الله كثيرون ، وهما يعرض المعنى بأسلوب آخر فيقول :

﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ (٥) بيد أن سورة الإنسان لا تذكر أهل النار إلا فى آية واحدة تقرر عقوبتهم فيقول حل شأنه . ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً ﴾ (٦) على

(١) سورة السجدة الآية ٢٦

(٢) سورة السجدة الآية ١٨

(٣) سورة الإنسان الآية ٢

(٤) سورة السجدة الآية ٩

(٥) سورة الإنسان الآية ٣

(٦) سورة الإنسان الآية : ٤

عكس سورة السجدة التي تحدثت عن المحرمين حديثاً طويلاً : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون ناكسوا رؤسهم عند ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾^(١) .

ها في سورة الإنسان كان الحديث أطول عن أهل الجنة ، وعن النعيم الذي يرحون فيه ، وعن الخير الذي يُسرُّ لهم .

﴿ وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً . عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم رهم شرباً طهوراً . إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴾^(٢) .

وكما استبعد الناس في سورة السجدة البعث وألفوا الحياة وعبدوها تجد السورة هنا تقول في الكافرين ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة وينذرون وراءهم يوماً ثقيلاً . نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً ﴾^(٣)

وكلتا السورتين تحدثت عن الاحتبار الإلهي ، فإذا قال الله تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾^(٤) .

فمعنى الآية أن الله كان قادراً على أن يخلق الناس ملائكة : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾^(٥) أو يخلقهم جمادات لا تعقل ، أو حيوانات غير مُكفمة ، ولكه خلق الإنسان على هذا النحو ليحتربه وليبتليه فيشكر أو يكفر .

﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً . إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾^(٦) .

كان المسجد يوم بُني في العصر الأول مدرسة يُقرأ فيها القرآن على هذا النحو الذي يُزكى ويُرى .

(١) سورة السجدة الآية ١٢

(٢) سورة الإنسان آيات من ٢٠ ٢٢

(٣) سورة الإنسان آيات من ٢٧ ٢٨

(٤) سورة السجدة الآية ١٣

(٥) سورة التحريم الآية ٦

(٦) سورة الإنسان الآيتان : ٣، ٢

وللصلاة ناحية نفسية، ينبغي أن يحرص عليها وأن يستوعبها ، فإنه ما من أحد إلا وكل ذرة من بدنه أثر نعمة الله عليه الذي يطعمه من جوع .

ومن حق المنعم أن تقول له بين الحين والحين : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾^(١) .

ومن حق من يتركك تحطىء دون أن يعجل عليك بالعقاب أن تعرف له صفته الواسعة الخلية ، صفة الرحمة ، وأن تذكره باسميه الحسنين : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾^(٢) .

ثم تعلم أنك عائد إليه : ﴿ مالك يوم الدين ﴾^(٣) ، ثم تعااهده على أن تكون عبداً له ، تابعاً له ، مستعياً به ، مسجهاً إليه . ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾^(٤) .

ثم لتعلم أنك مهما أوتيت من ذكاء ، ومهما حرصت عليه من مصلحتك فإنت أفقر الخلق إلى هداية الله ، فإذا لم يهك ولم يهد قلبك فإنك ضائع ، فاضرع إليه أن يهب لك هذا الخير المعوى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾^(٥) .

إن الصلاة مناجاة لله على هذا النحو ، وأثرها الأول أن تعلم الناس الإخلاص لله ، والإخلاص في معرفة الآخرين ومعاملتهم ، لأن الذي يُدرب نفسه على المناجاة الخاشعة والعمل الصالح خمس مرات كل يوم ينبغي أن يكون نقياً لا يعرف النفاق ولا المداهة ولا العش ولا سوء العمل ولا سوء الخلق .

إن الصلاة من الناحية النفسية تكوين روحى راقى يزكى الناس ويضبط

(١) سورة الفاتحة الآية ٢

(٢) سورة الفاتحة الآية ٣

(٣) سورة الفاتحة الآية ٤

(٤) سورة الفاتحة الآية ٥

(٥) سورة الفاتحة الآيتان : ٦، ٧

شهواتهم ، ولأمر ما قال الله في المجتمعات المسخرقة ، في المجتمعات الرائعة ، في المجتمعات التي ليس لها هدف ، في المجتمعات التائهة في هذه الدنيا - قال : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴾ (١) .

فكأن اتباع الشهوات أثر يحيى بعد ترك الصلوات ، ولذلك فإن أمتنا يجب أن تعرف هذه الحقيقة وهي تواحه قدره وتنسى مستقبلها . أما من الناحية الاجتماعية ، فالمأخوذ على المسلمين أن نزعات الأنانية في تصرفهم جعلتهم آحاداً لا رباط بينهم ، بينما كانت الصلاة في تنظيم الإسلام بناء للمجتمع على صفوف ، وعلى حركات لا شذوذ فيها .

قرأت فيما صح عن النبي ﷺ قوله : « أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل الله صورته صورة حمار » (٢) ١١٩٩ .

لأول عهدي بالعلم قلت ما هذا الحديث ؟

إنه حديث قاس ، ما هذا التهديد الشنيع ؟

فلما تلوّث الناس واختبرت الجماعات عرفت أن الشخص الذي يأتي أن يكون مرباً مع الجماعة ، ليس بأيدي إخوانه ، الشخص الذي يأتي إلا أن يكون فوضوياً يرفع ويخفض وحده دون ارتباط بنظام عام ، هذا شخص أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان ، وكثير من المسلمين فقد روح التجمع ، إن روح التجمع تعني حركات عامة ، أما أغلب الناس فصوته من دماغه ، وحركاته من غرائزه ، وانفعالاته من شعوره الخاص .

وبذلك لا يمكن أن يقوم مجتمع مع هذه الموضي ، إن لبلاد الوثنية

(١) سورة مريم الآية : ٥٩ .

(٢) أخرجه البخاري في الأدان - باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام عن أبي هريرة رضي الله عنه ١٧٩١ مسم في الصلاة باب النهي عن سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما ٢٨/٢ والترمذي في الجمعة - باب ما جاء من التشديد في الذي يرفع رأسه قبل الإمام . تحفة الأحودي ٣ / ١٨٦ واللباق في الإمامة ٢ / ٧٥ وأبو داود في الصلاة - باب التشديد فيمن يرفع قبل الإمام أو يصع قبله . عون المعبود ٢ / ٣٣٠ ، وابن ماجه في الإقامة - باب النهي أن يسبق الإمام بالركوع والسجود ١ / ٣٠٨ وأحمد ٢ / ٤٢٥ ، ٥٠٤ .

نظمت ركوب السيارات العامة فيها صفوفاً ، ولقد رأيت في أرق الأم
رئيس وزراء انكلترا وهو واقف وترتيبه الرابع في أحد الصفوف ينتظر
سيارة عامة ثقله ، كما ثقل سائر الناس !! فكان الطعم الدقيق شاملاً -
أقول في نفسي : ما مصدر هذا النظام ؟ .

إذا كانت الأمة تُصَف خمس مرات ، وتسمع من نبيها عليه الصلاة
والسلام : « سَوُّوا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة » (١) .
« أقيموا صفوفكم وتراصوا إني أراكم من وراء ظهري » (٢) .
« أقيموا الصفوف ، فإنما تُصَفون بصفوف الملائكة ، وحادوا بين
الساكن ، وسُدُّوا الخلل ، وليسوا في أيدي إخوانكم ، ولا تدروا فرجات
للشيطان ، ومن وصل صفاً وصله الله ، ومن قطع صفاً قطعه الله عز وجل » (٣) .
وقال لرجل صلى وحده خلف الصف : « زادك الله حرصاً
ولا تعد » (٤) .

وقد رفض عليه السلام أن يدخل المسجد من كانت له رائحة كريهة (٥) .
وسقطت صلاة الجماعة باتفاق الفقهاء عمن كان مريضاً بجمه تصدر منه
رائحة كريهة لماذا ؟ لأن الإسلام يريد أن يتجمع الناس في جو بقى ليس فيه
ما يثير الاشتئار أو الصيق ، واستحب للمؤمنين أن يدخلوا المساجد في
ثياب نظيفة وإن وجدوا شيئاً من الطيب أو الزينة فليفعلوا (٦) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان - باب إقامة نصف من تمام الصلاة ١٨٤/١ ، ١٨٥
ومسلم في كتاب الصلاة - باب تسوية الصفوف ٣٠/٢ وأبو داود في كتاب الصلاة - باب تسوية
الصفوف . عون المعبود ٣٦٧/٢ وابن ماجه في إقامة الصلاة - باب إقامة الصفوف ٢٨٩/١ وأحمد
١٧٧ / ٣ كلهم يروونه عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان - باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف
١٨٤ / ١ والنسائي في الإمامة ٩١ / ٢

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة - باب تسوية الصفوف - عون المعبود ٣٦٦، ٣٦٥/٢
وأحمد ٢٦٠/٣ وأخرج بعضه النسائي في الإقامة - باب من وصل صفاً ٩٣/٢ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الأذان . باب إذا ركع دون الصف ١ / ١٩٨ وأبو داود في كتاب
الصلاة - باب الرجل يركع دون الصف ، عون المعبود ٢ / ٣٧٨ والنسائي في الإمامة . الركوع
دون الصف ٢ / ٩١

(٥) في الحديث : « من أكل من هذه الشجرة - يعني الثوم - فلا يقرب مسجداً » أخرجه
البخاري في كتاب الأذان باب ما جاء في الثوم النسيء والبصل والكراث ١ / ٢١٦ ، ومسلم في
كتاب المساجد باب من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها ٢ / ٧٩ .

(٦) عن أبي سعيد قال : أشهد على رسول الله ﷺ قال : الغسل يوم الجمعة واجب على كل
معتلم وأن يستن وأن يمس طيباً إن وجد ... « متفق عليه » . رواه البخاري في كتاب الجمعة . باب
الطيب للجمعة ٢ / ٣ ومسلم في كتاب الجمعة ، باب الطيب والسواك يوم الجمعة ٣ / ٤ .

هكذا بدأ المسجد يؤدي دوره في المجتمع الإسلامي ، كان أول ما اهتم
النبي عليه الصلاة والسلام به أن يبني المسجد وشارك هو في البناء ، وعندما
كان الصحابة من المهاجرين والأنصار يُعنون وهم يبنون :
اللهم لا خير إلا خير الأخرى فاعفر بالأنصار والمهاجرة (١)

كان عليه الصلاة والسلام يردد الكلمات الأخيرة من مقاطع هذا الشعر
الغنائي الخفيف كي يشارك بعاطفته ويبدع وبلسانه مع الذين يبنون المسجد .
كان بناء المسجد كما قلت لكم مصعاً للرحا ، ولا قيمة لأمة
لا تؤدي مصانع الرجال فيها واحبها .

إن المساجد هانت رسالة ، وهانت مطهراً وجوهراً ، إن الاستعمار
العالمي استطاع أن يُكوّن شعوباً وأجيالاً صلتها بالمساجد متوترة ، بينما رأينا
أن أهل الأديان الأخرى تشبثوا بعقائدهم ولو كانت باطنة ، وعباداتهم ولو
كانت شاردة .

إن الإسلام ينادي الناس من عقولهم ، إنه لا يشدهم من حواسهم ،
بل يشدهم من عقولهم ، فالسواء إلى الصلاة عندما كلمات مفصلة
واضحة : « الله أكبر ، الله أكبر » ، كأنها بين الحين والحين ساعة الرمن
تدق لتذكر الناس بأن كل شيء بعد الله نافع ، وأن كل شيء غيره صغير ،
وأن على الناس أن يستجيبوا لسداء ، وأن يُهرعوا إلى المساجد كي يذكروا
الله ، وكان ذلك من الفجر إلى العشاء .

إنني أنظر إلى المجتمعات الإسلامية الآن فأحد أن الصداوات تحقّت ،
وأن ناساً كثيرين يُصلون فرادى ، وأن المجتمعات الإسلامية بدر فيها القادة
المؤمنون الذين يعرضون الكتاب والسنة عرضاً سيمياً ، فسعر عنتا ، فما
م تعد المساجد مصانع لرجال ، فحق لن نستطيع أن نقاوم العدوان .

لنعرف هذه الرسالة ، ولنعرف لِمَ كان أول عمل قام به النبي عليه
الصلاة والسلام بناء المسجد ؟ .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب هل نبش قبور مشركي الجاهلية ونُخذ مكائنها

مساجد ١ / ١١٧ ومسلم في المساجد باب ابتناء مسجد النبي ﷺ ٢ / ٦٥ وأبو داود ٢ / ١٢٤

والنسائي ٢ / ٤٠ وابن ماجه ١ / ٢٤٥ وأحمد ١ / ١١٨ .

الخطبة الثانية

الحمد لله ... الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
ويعلم ما تفعلون. ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من
فضله والكافرون لهم عذاب شديد (١).
وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول
الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

أيها الإخوة . ييسا في المسجد الآن أحد الرجال الذين فقدوا أبناءهم في
الطائرة « الليبية » المسكوبة . أحمل الله عرأه ، وثبت بالإيمان قلبه ، وأقدره
على مواجهة ما يواجهه من آلام المقد .

وأنا أعرف بعض علماء الأرهر من « ليبيا » اندس قتلوا في الطائرة
المفقودة .

والحقيقة أن الخير ملأى غماً ، لا لأنى أشعر بأن ناساً ماتوا ، والموت نفسه
مصيبة ، لكن هو ان الأمة الإسلامية على نفسها ، وعلى الآخرين ، ولعة الله
على من أوصل أمتنا إلى هذا الترك فجعلها تضرب ولا تضرب ، وجعلها
تُجار عليها ولا تستطيع أن تثبت وجودها ولا أن ترفع رأسها .

إن الذين قتلوا لعلهم ذهبوا إلى الله شهداء ، ولعلهم وحدوا عمده من
حسن الجزاء ما يُزهدهم في دنياها التي نعيش فيها

وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول : « ما يُصيب المسلم من نصب
ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أدى ولا عم حتى الشوكة يشاكها
إلا كفر الله بها من خطاياها » (٢) .

(١) سورة النورى الآيات ٢٥، ٢٦

(٢) متفق عليه عن أنى سعيد الخدرى وأنى هريرة . . أخرجه البخارى في كتاب الطب باب ما
جاء في كفارة المرض ٧ / ٢ ومسلم في كتاب البر باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن

٨ / ١٦ وأحمد : ٢ / ٣٠٣ ، ٣ / ٤٨ .

فهذا المصير المتعب الفاجع كفارة لخطايا ، ورفعة للدرجات إن شاء الله .

لكن يبقى أن اليهود وصمهم الله في كتابه فقال فيهم . ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ (١) .

اليهود شعب جرار ، مصاص للدم ، مستكبر في أردية الدل التي كان يرتديها قديماً ، فما تمزق هذه الأردية وواتت هذا الشعب فرص لكي يبين عن وجهه ، ويكشف عن طبيعته ، كشف عن طبيعة ذئب ، لكن أذكر قول العقاد رحمه الله :

أنصفت مظلوماً فأنصف ظالماً في ذلة المظلوم عذر الظالم

إن العرب ينبغي أن يعودوا إلى أنفسهم ، لقد مرت بهم قوارع توظف الأيام مهما كان عطيظهم مرتفعاً ، ومهما كانت عيوبهم عميقة ، لكن العرب كالمافقين قديماً ، يقول الله فيهم : ﴿ أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴾ (٢) .

إنا لا نستفح بالآلام ولا بالمصائب ، إنا مادما بعيدين عن الإسلام ، ولا أقصد بالكلمة المدبول القريب لها إني أقصد ما دام الإسلام بعيداً عن المعركة ، بعيداً عن تصفيف المجتمع في المساجد والمعاهد ، بعيداً عن ضبط التقاليد وجعلها في سياح من الشرف والحق ، ما دام الإسلام مبعداً عن التشريع والتشقيف ، وما دامت الأمة تقاتل على نحو فردي فهيئات النصر .

النصر إنما يجيء يوم يكون الإسلام صيحتنا وجهتنا ، ورباطنا وسياحنا ، ويوم يتعلم الجيش كله أن الصلاة من الفجر إلى العشاء فريضة فيصلي ، وأن الصيام فريضة فيصوم ، وهكذا .

لقد أمكن ستخراج فتوى صالة بإبطال « رمضان » سنة ١٩٦٨ لهجيش ! لماذا ؟ قيل كلام غير صحيح ، وكانت الفتوى غير صحيحة ، وكانت الدولة صاعطة على نهر من العلماء يدكرون الدنيا أو الناس ولا يدكرون الله رب الناس !!

(١) سورة البقرة الآية ٧٤

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٦

وما بقيت أمورنا بين منقلب يحرق على الدنيا ، ومُحب للدنيا يسوق
الآخرين إليها ، فس تصلح أمورنا .

إسا بحاجة إلى عود حاسم إلى الإسلام لقد مرت عدة سين انتشرت
فيها الشيوعية والإلحاد ، وتبحرت معاني الوطنية بل حتى روابط القومية
الحيوانية ، ووجدنا شباباً يبحث عن الحس ، يبحث عن الإباحية ، وجدنا
عشرات الأوف يقال هم : احتشدوا لرؤية « كرة » وملايين يُطلب إليهم
أن ينظروا إلى الشاشة لرؤية « كرة » !! .

أمة صبيع الدس وجهها على هذا النحو الشائن تُدد جهودها في التسلية
واللهو !! أين الرحوة ؟ أين الإحساس بالألم ؟ أين الاستعداد للمعركة ؟ .

إن ذلك لا يكون بالكلام الأحمق ، إنما يكون بعمل حقيقي يسوق
النشاب إلى دين الله ويميع هذا الرحس الذي ظل ينتشر بيننا في السنوات
الأخيرة ، حتى ملأ القلوب الفارعة بالإلحاد والصياح ، وشتت القوى ،
وجعل اليهود وهم كلاب الأرض يبالون منا على هذا النحو الشائن !!

« اللهم أصلح لنا دينا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دينانا الذي
فيه معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في
كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٣) .

أقم الصلاة

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي .

(٢) سورة الحشر الآية : ١٠ .

(٣) سورة النحل الآية : ٩٠ .

سِيَّاحَةٌ تَارِيخِيَّةٌ

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراج المير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فإن الله جل شأنه ذكر بلدنا هذا - مصر - في مواطن كثيرة من كتابه العزيز ، وهذا يشير إلى أن بلدنا هذا - مصر - قديم التاريخ موصول الحصار ، تعتبر المدينة التي نبتت على شاطئه من أعرق المدينيات على ظهر الأرض ، ويبدو أن الحياة الرثيبة في هذا الوادى ، وأن الاستقرار الذى يصنع جوه وأحواله عموماً أعاد على تكوين حصاره في بلدنا هذا .. حضرة نعللت في تاريخ الإنسانية وتركت أثراً واضحاً بصح على ما حولها ، وأفاد الآخرون منه إفادة غير منكورة .

وكانت الحصار المصرية على الإجمال حصاراً متديدة ، يظهر أن تربة هذا الوادى لا يصلح فيها الإلحاد ولا يتشبث بها إلا الإيمان .

كان الناس في أودية كثيرة من قارات الأرض يحشون عن لقمة الخبز ، وجهدهم أن يصلوا إليها ، فإذا وصلوا إليها استراحوا واطمأنوا ، أما المصريون القدماء ، فكان جهدهم كيف يعبدون ربهم ، كيف يرضونه

جهدهم ، كيف يُؤمّنون لقاءه يوم يلقونه ، كيف يمهّدون للدّار الآخرة بالعمل الصّالح في هذه الدّنيا !! .

ومع أن حصاره المصريّين الأقدمين احتلّظ لإيمان فيها بين توحيد وتعدد ، فيها على الإجمال كما قلت لكم كانت حصاره متديّنة ، وكان الشّرك فيها إن حدث فاستحابة للرأى السائد يومئذ في الديار ، وهو رأى يرفضه الإسلام بداهة .

هذا الرأى أساسه أن الاتّصال بالله الواحد صعب وأنه لا بد من وسطاء يمهّدون له أو يوصلون إليه ، وبداهة رفض الإسلام هذا المعنى لأنه أعطى كل امرئ الحق إذا عبد الله أن يقف بين يدي ربه يقول له : ﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم ﴾ (١) ، وإذا أذنب أن يقف أمام ربه نادماً مستعبراً بقوله : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (٢) .

لكن أجيالاً ضلت طريقها لم تحس الصلة بالله ، وكان المصريون الأقدمون عموماً أهل توحيد حياً ، وأهل تعدد حياً آخر ، وإن كان التوحيد قد غلب عليهم في فترات كثيرة من حياتهم وتاريخهم ، ثم وقع شيء لا بد أن يذكر ، فقد هجم الرومان على مصر ، وكان الرومان يومئذ وثنيين واحتلوا هذا البلد قرابة ستة قرون !!

كانت مدة طويلة كليل الشتاء البارد المظلم ، وكان محجى الرومان إلى مصر في موجة من موجات المد التي تجعل بعض الأجاس يستغل خصائصه ، ويمتطي قواه كي يستعيد عيره ويستخلص لنفسه حيره ، ويجعل من نفسه سيداً ، ومن الناس عبيداً !! .

كان الرومان لما دخلوا مصر على هذا النحو ، ووقعت أمور بدكرها . في أثناء احتلال الرومان لمصر ظهرت المسيحية ، وقيل إن عيسى ابن مريم وأمه جاءا إلى بلدنا هذا ، فارين من بطش الرومان ، ومن ضغط حكامهم .

(١) سورة الفاتحة الآيات ٢، ٣

(٢) سورة الأعراف الآية : ٢٣ .

أو من عسف الحاكم هناك ومن صعطه ، ورحع بعد أن عمى عوده ، وأخذ يؤدي دعوته في فلسطين .

لكن المصريين كانوا قد اعتنقوا النصرانية ، ولما اعتنق المصريون النصرانية صاق الرومان بهم ، وعصبوا منهم ؛ لأن الرومان عباد أصنام ؛ لأن الوثنية الرومانية كانت تصغ الحكم صبغة شديدة ، حاول الرومان أن يردوا المصريين عن المسيحية التي اعتنقوها ولكن المصريين أبوا وتشبثوا بديهم الذي احتاروه لأنفسهم .

وبدأ عصر من العسف والصعيا والمذابح حتى قيل إنه ما من قرية في مصر أو مدينة إلا سفك فيها الدم وكثر فيها القتل ١١ .

أبى المصريون أن يتركوا الديانة النصرانية التي احتاروها لأنفسهم ، وبدأ هذا العصر الذي يسمى « عصر الشهداء » بدأ التاريخ المسيحي في مصر ، وهو تاريخ يشرف أهله ؛ لأن أهله قاوموا عبادة الأصنام ، ودفنوا ثمر المقاومة من دمهم وأبوا إباء شديداً أن يتحولوا عن التوحيد وعن الكتاب السماوي الذي جاءهم ، ثم شاء الله بعد ذلك أن يدخل الرومان المسيحية ١٢ .

ولكن الرومان لما دخلوا المسيحية دخلوها على نحو غريب ، حتى قال بعض المصريين : لا يُدرى أتُنصر الرومان أم تروُمَت النصرانية ١٣ .

أياً ما كان الأمر فقد تحول الرومان إلى النصرانية واعتبرت الديانة الرسمية لهم ، لكن المذهب أو الفهم الذي استقر الرومان عليه كان فهماً آخر غير الفهم الذي استقر عند المصريين .

وحدث نزاع نظري تحول إلى جدل مر ، وإلى أخذ ورد طويلين ، ثم رأى الرومان وعلى رأسهم هرقل أن يفرص المذهب الروماني ومذهب الكنيسة الكاثوليكية على المصريين ١٤ .

وها قاوم المصريون الرومان وبدأوا عصراً يشبه العصر الأول ، عصر الاصطهاد والاستشهاد ، إلا أن هذا العصر الجديد لم يطل ، فقد شاء الله أن يخرج من قلب جزيرة العرب مد إسلامي عريض انتشر في أنحاء العالم

انتشار السنّا بعد ليل معتكر ، انتشار الرحمة بعد عصر ملء بالقسوة والمرارة !! .

ونال المصريين شيء من هذه الرحمة ، فإذا عمرو بن العاص يقرع أبواب البلاد وهي في حال منكرة من الاضطهاد والفوضى !! .

كان بطريرك الأقباط محبوساً ، وكان أخوه قد قتل بعد أن عذب بالنار ، وكان رجلاً بديناً فتفاطر دمه على النار ، ثم رمى به في أمواج البحر الأبيض فمات غرقاً !! .

لما دخل عمرو بن العاص عرض ديه عرضاً عادياً !!

الناس لا تفهم كيف عرض عمرو الإسلام ؟

إن الإسلام لا يعرض في مجالس مناظرة ، وهو في مجالس المناظرة قادر على أن يقهر الخصم ، وأن يعلن الدليل ، ولكن الإسلام عرض نفسه حكماً عادلاً ومجتمعاً فاضلاً ، وبموسى تبع من صفاتها وعفتها أن قال الرافعي فيها : « ربما خافت البنت على نفسها من أبيها ، ولكنها لا تخاف على نفسها من الفاتح العربي المسلم » !! .

دخل الإسلام مصر حرية عقل وضمير ، وتورن مجتمع لا تطغى فيه طبقة على أخرى . دخل الإسلام مصر ، وأمام المسلمين قول نبيهم ﷺ لهم : « إله لا قُدُسَتْ أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير مُتَعَتِّج » (١) .

دخل الإسلام مصر فكان أول ما محاه التعصب الديني ، وقال للأقباط : كنائسكم لكم تعبدون الله بها على رأيكم وفهمكم لا يجبركم أحد على رأى أو على مذهب ، أو على معتقد ، وأطلق سراح البطريرك المحبوس حتى قيل : وأعان الأقباط في بناء بعض الكنائس !! .

والعجيب أن عمرو بن العاص رضى الله عنه الذى دخل مصر فبى هذا المسجد - مسجد عمرو بن العاص - للركع السجود ، والذى أقام حكماً ذوب فيه الفوارق بين الأجناس والألوان ، عندما أخذت ابه نشوة

(١) رواه ابن ماجه في الصدقات .. باب لصاحب الحق سلطان يستد صحيح ٢ / ٨١٠ .

ومعى . متع . أى من هو أن يصيه أذى يلقاه أو يرعجه .

من شتات النصر ، أو بروة من بروات العرب ، أو قوة من قوى الجاهلية
فأساء إلى أحد الأقباط ، وكان القبطى ماكرأ لبيأ ، فذهب إلى الرجل الذى
أرسل عمرأ ، ذهب إلى عمر نفسه وشكى له 11

فجاء عمر صاحب محمد ﷺ وتلميذه ، جاء بالقبطى المظلوم
وبابن عمرو بن العاص ابن الحاكم وقال لعمرو :

متى استعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟!

ثم قل للقبطى :خذ حقلك من ابن الأكرمين 11

ثم قال فى فترة من فترات العصب لله : « لو شئت أدريت اسوط على
صلعة عمرو بن العاص 11 .

هذا حكم النوة ، هذا حكم الإسلام 11 .

كان الإسلام يومئذ عقيدة تعرض نفسها ، على أى شىء نعتد ؟
على صماء حقائقها ، على بضارة عقائدها وعزارة فضائنها ، ووفرة
المثل الرفيعة التى تدعو إليها .

والرجل يوم يكون صاحب ثروة طائلة من المصدق والشرف والرحمة
والوفاء والعفة فإنه يطمئن إلى أن ثروته هذه ستوطفى له الأكتاف ، وتفتح
له القلوب ، وتضىء له لنواصى .

ولذلك ما فكر الإسلام فى بلد دخه أن يقيد الحريات ، لم يقيدها ؟
والحرية عونه الأول على عرس الإيمان وتصحيح المعتقد ، ما فكر الإسلام
يوماً أن يقيم حكماً استثنائياً ، ولم يقيمه ؟ والعدالة هدفه ، وهو يعلم أن الله
عز وجل إنما ينصر أو يهزم بمقدار قوة الصلة به أو ضعف هذه الصلة .

طل المسلمون الذين جاءوا إلى مصر وهم أربعة آلاف مع عمرو
لحقهم عدد قليل بعد ذلك من الدس بعد أن قوصوا الحكم الرومانى ، ظلوا
على هذا البحر قلة ، ولكن المصريين أخذوا يغفلون البصر فى الدين
الجديد ، وفى المبادئ التى قام عليها ، وبدأوا يدخلون فيه ، وظل المصريون
يدخلون فى الإسلام خلال القرن الأول ، وخلال القرن الثانى ، ولم يتحول

الإسلام في مصر إلى كثرة في السكان إلا في القرن الثالث تقريباً !! ،
والأساس هو ما قست لكم : دين لا يعرف قط إلا محاطة العقل الحر ،
وإيقاظ الضمير النائم ، وما يعتمد في نشر مبادئه على عصا أو على إكراه
يخطيء المسلمون في مصر الآن خطئين :

الخطأ الأول : أن عدداً منهم لا أدري أهو عدد كبير أم صغير ؟ ،
يقول بشيء من العباء : إنا عرب ، يقصد بذلك أنه نسل الفاتحين ، هذا
كذب ، هذا كذب !! ولعل مركب النقص هو الذي يدفع إلى هذا
الرغم !! فحق في الحقيقة أساء المصريين الذين أسلموا !! ربما كان هناك
عدد من أساء العرب الذين وفدوا ، لكن هذا العدد قليل !! أما الكثرة
الكبرى من المصريين فهم أبناء المصريين الذين دخلوا في الإسلام .

وعندما يقول المصريون إنهم أساء الفاتحين يعطون غيرهم حجة مكتوبة
أنهم أبناء مصر وأن غيرهم وافد وطارىء ، وهذا غير صحيح !! يجب أن
نعرف الحقائق فإن أكثرنا غافل .

أريد أن أقول لكم : إن شيخ الأزهر العباسي المهدي كان أبوه قطياً !!
ويوجد بين أئمة المساجد الآن وبين مفتشى المساجد وبين علماء الأزهر
رجال آباؤهم أو أحدادهم من الأقباط !! .

فالقول بأن المصريين أساء الفاتحين غلط فاحش ما ينعي أن يقال ، هذا
خطأ يرتكب !! .

الخطأ الثاني : الذي يرتكبه المسلمون أنهم يسمّون بحىء عمرو بن
العاص إلى مصر : الفتح العربي لمصر !! .

كان هذا التعبير سليماً يوم كانت كلمة فتح تعني شيئاً آخر غير
المفهوم الذي عرف به الآن في العالم ، فكلمة الفتح الآن تساوى العزو ،
والحقيقة أن الوصف الدقيق لمحيء العرب إلى مصر هو تحرير العرب
للمصريين !! .

الجيش الذي انطلق من المدينة عبأه أساء محمد ﷺ في عقيدته ،
وحملوه راية التوحيد ، لم يطلق كي يكره على إيمان ، وإنما انطلق كي يحرر

شعوباً مستعبدة أو كما قال أحد القادة الحاشية كسرى تقولون : لم جثم ؟
« حثنا لئلا نخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد » !! لم يحىء
مستعد الخلق ، والدين لله ، هذا ما يسعى أن يعرف ، وهذا أريد أن أشرح
هذا المعنى ، وألقى الضوء عليه :

توجد الآن في أفريقيا شعوب ترسفت في قيود الهوان مسروقة تحت
الشمس !! توجد شعوب تتربص تحت ضربات الأقوياء الذين ألهبوا الجلود
بسياطهم ، وكمموا الأفواه حتى لا تصيح من الألم !! .

توجد الآن في جنوب أفريقيا وفي روديسيا ، وفي مستعمرات البرتغال
الثلاث في وسط أفريقيا وغيرها ، وتوجد تحت راية حكومات مستقلة
للأسف ، توحد جماهير كثيفة تصرع إلى الله أن يرسل إليها من يفتك
الأعلان عنها ، ومن يكسر أبواب السجون التي قبعت وراءها فهي
لا تعرف في قيودها وسجونها إلا الهوان والبأساء والضراء !!

لو أن جيشاً ذهب إلى المدونين في جنوب أفريقيا ليسقط الحكم
القائم ، ويقيم حكم مساواة ورشد ، لو أن جيشاً ذهب إلى مستعمرات
المستعبدات تحت الحكم الكاثوليكي البرتغالي وأسقط الراية التي هالك ،
وأقام راية أخرى تعطي المدونين من الزنوج ، والمظلومين من المسلمين
الحقوق العادية للبشر العاديين ، أيسمى هذا عرواً ؟ أيسمى هذا فتحاً
استعماريّاً ؟ أيسمى هذا افتياتاً على الأمم !!؟ .

إن العرب لما خرجوا من جزيرةهم إلى مصر أو الشام لم يخرجوا
مستعمرين أو طلاب دنيا ، لماذا ؟ لأن طلب الدنيا في دينهم جريمة !! .

رجل قال لرسول الله ﷺ : « إني أقف المواقف أريد وجه الله وأحب
أن يُرى موطنى » ؟ فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت هذه
الآية : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة
ربه أحداً ﴾ (١) .

اعتبر الرباء شركاً ، اعتبر القتال طلباً للدنيا جريمة .

(١) رواه ابن أبي حاتم — تفسير ابن كثير ١٠٨ / ٣ والآية ١١٠ من سورة الكهف .

وقال في تعريف الجهاد : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (١) .

هذا هو الإسلام ، فالذين جاءوا إلى مصر أو ذهبوا إلى سوريا ، ما جاءوا وما ذهبوا كي يقال : إليهم فتحوا أو إليهم عسوا أو إليهم ملكوا.. لا.. لا ، كانوا يعملون لله ، ويؤدون حق الله ، وكانت الآخرة أحب إليهم من الدنيا ، وكان الموت في سبيل الله أحلى مذاقاً في أفواههم من أن يعودوا إلى روحاتهم وأولادهم ، كانوا أصحاب عقائد . وإد حلاً لبعض المستشرقين أن يتساءل ما الذي جاء بالعرب إلى أفريقيا أو إلى آسيا ؟ .
فلنقل له قبل ذلك : وما الذي جاء بالرومان إلى مصر ، وإلى آسيا الصغرى ، وإلى الشمال الأفريقي كله ١٢ .

قل أن تسأل : ما الذي جاء بالعرب ليحرروا ، إسأل نفسك ما الذي جاء بأجدادك هنا ليستعبدوا ١٣ .

لا تقل لم جاء العرب مصر ؟ سل نفسك أولاً لم جاء الرومان مصر ؟ إن التحرر لا يسأل عن فعله ، وإنما يسأل المستعبد عما صنع !! ثم إن الحرية التي يتحدث البعض عنها ما كانت أكثر من توارث اقتصادي بين المسلمين وغيرهم .

كان المسلم مكلفاً بدفع الزكاة ، وكان مكلفاً بدفع ما يقيم عدة الحرب ، وجهار القتال ، ولم يكن أهل الذمة مكلفين لا بقتال ولا بمساهمة في قتال ولا بالإعداد له بقرش ولا بدفع زكاة !! .

فإذا كان المسلمون سيأخذون القليل في نظير أن ينهضوا هم بالحماية فأى عيب في ذلك ؟ .

ويقول التاريخ : إن أبا عبيدة بن الجراح لما وصل إلى « حمص » وأخذ من أهلها الحرية أكرهته بعض العميات العسكرية على أن ينسحب فقرر رد الجزية إلى الناس ، فقالوا : ما هذا ؟ .

(١) رواه البخاري في الجهاد — باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٤ / ٢٤ ومسلم في الإمارة — باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٦ / ٤٦ وابن ماجة في الجهاد — باب النية في القتال ٢ / ٩٢١ .

لقد تعودوا أن الحكام يأخذون ولا يردون ، تعودوا للحكام يغيصون ولا يعدلون ، فوجدوا حاكماً أخذ منهم بالأمس جنباً وهو يرده اليوم !! فقال لهم : لقد أخذنا منكم هذه الجزية في نظير أن ندفع عنكم أما إذ عجزنا عن الدفاع فلا يحق لنا أن نأخذها !! فقالوا لأبي عبيدة : استبق المال معك ، وسقائل الرومان معكم معشر العرب جنباً إلى جنب ، فما عايينا من ظلمهم يجعلنا نتفق معكم على قتالهم !! .

إن التاريخ ملئ بالإشاعات الكاذبة ، ومن الإشاعات التي روح المسلمون لها للأسف أن الإسلام دخل مع الفاتحين وأنه دين الفاتحين وهذا غير صحيح .

حمل الفاتحون العقيدة لكم ما فرضوها ولا أكرموا أحداً عليها ، وكان المسلمون قبة في القرنين الأولين من الفتح ، ثم بدأوا يكوون كثرة بالاعتناق المردى ، ولا يجرؤ أحد أن يقول : إن المصريين أكرمهم الإسلام على الدخول فيه ، فإن المصريين وفق تاريخهم الثابت عنهم قاوموا الرومان ، وقتلوا في كل قرية ، ولم يفرطوا في دينهم ، وقتلوا الرومان مرة أخرى حتى جاء الفتح العربي فأنقذهم من بطشهم ، فلم يدخلوا في الإسلام دون أن يسفك دم ؟ إنما دخلوا لأن الله شرح بالإسلام صدورهم !! . فماذا كانت علاقة الإسلام بغيره من الديانات بعد أن أصبح دين الكثرة هنا ؟ .

المسلمون في أرض الله كلها ناس طيبون وسمحاء ، والتعصب لا يعرف طريقاً إلى قلوبهم ، والحروب الدينية التي جعلت سطح أوربا ملوثاً بالدم مليئاً بالفتن ، هذه الحروب لا يعرفها العالم الإسلامي ، إن العالم الإسلامي عاش على فهم أنه يمكن أن يتعاون اثنان بينهما اختلاف دين على أمر ما !! .

وقد حدث أن النبي عليه الصلاة والسلام وهو يهاجر استأجر الدليل على الطريق استأجره مشركاً .

وهذا الدين قال : يمكن أن تتسع غرفة — متران في ثلاثة أمتار — لرجل وامرأة على غير دينه تكون يهودية أو نصرانية !!

فإذا اتسعت حجرة لدينين أفلا تتسع الأرض المصماء لدينين ١٩
مشى الإسلام في بلدنا على هذا النحو يعيش بسماحته ، ويعيش بقدرته
الذاتية على الحياة ، إلى أن نكب بالاستعمار الأوربي ، وحدث ما حدث في
تاريخ بطول ، ثم بدأنا ننتعش ونعود ، لكنا عندما حاولنا أن نعود وجدنا
الاستعمار قد نكبنا بنكبتين من لونين مختلفين !! .

في عهد مضى نكبنا بالمادية الحيوانية ، والمادية الحيوانية فلسفة تجعل
الشباب يعيشون بحثاً عن الشهوات ، تجعل الناس يكدهون لمآرب حسيب أو
عرض قريب ، المادية الحيوانية تجعل العيش في الأرض للأرض ، وهي مادية
قصد بها تكوين جيل مقطوع عن ديه يبحث عن الأهواء وندابا
فقط !! .

وعاومنا هذه المادية مقاومة نجحنا فيها حيناً وفشلنا فيها حيناً ، ثم جاءت
مادية أخرى هي المادية الجذبية الحمراء ، هي مادية تجعل الناس يفتحون
أفواههم بوقاحة يقولون: لا ألوهية وأحياء مادة !! لكن شاء الله أن يتلاشى
هذا الزحف ، وأن يتضعضع ويصطب. عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو
١٩٥٢م كانت قلوب الناس أجمعين معها ، لماذا ؟ كان إقادة يرفعون
المصاحف ، وكانوا تحت علم مكتوب عليه ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ﴾ (١) .

وكان العمل للعروبة والإسلام واضحاً في هذا المخطط ، ثم شاء الله أن
تسرق الثورة !! وأن تحيىء مراكز قوة تنال من ديننا ، ومن عقلنا ، ومن
تفكيرنا ، وبدأت المادية بألوانها تنصح علينا من كل ناحية حتى طر أن
الصلاة جريمة ، وأن الاتصال بالله منكر ، وأن العودة إلى الإسلام طريق
الهلاك !!! .

والذى أريد أن أقوله بعد هذه السياحة التاريخية المتقطعة :

(١) سورة الأنفال الآية : ٦٠ .

أيها المسلمون : إن التمسك بالدين ضرورة حياة لكم ، وإن الذي يتصور التمسك بالدين طريقاً إلى السحر محطىء جداً ، وإن الذي يتصور التمسك بالدين طريقاً إلى السحر ، ثم يترك دينه فهو محرم !! فالسحر أولى من ترك الدين !! .

ومع هذا فنحن لا نقول ما قال يوسف : ﴿ رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ﴾ (١) ، فإنا لا ندعى الآن إلى منكر ، لا ندعى الآن إلى صلاة ، إسي أهيب بالشباب ، بإخيل الناشئ ألا يهاب العودة إلى دينه ، أن يكون جريئاً في التمسك بإيمانه وإطلاقه تحت راية التوحيد ، غير متعيب ولا متوجس ، ولا قلق ولا حروع ، يجب أن يعلم أن راية الإيمان لا بد أن تمشي القوافل تحتها حثيئة كثيفة لا تخاف ولا تحشى .

ثم أقول للمسلمين شيئاً آخر : إن الضعيف لا يقويه أن يهدم غيره ، إن الضعيف يبقى ضعيفاً ، ولو أن غيره تلاشى من الأرض ، ولو أن أعداء الإسلام اختفوا جميعاً من هذه الدنيا وبقي المسلمون على الوضع الذي هم عليه الآن نظرياً ونفسياً وخلقياً فإن الأرض لا تصلح لهم ولا يستحقون تمكين فيها !! .

إسي أقول للمسلمين استرحموا دينكم بحقائقه ، عيب أن يكون لشباب المسلم أو الطالب المسلم متأخراً في ثقافته أو في دراسته ، وغيره قوى في دراسته ، أو في معرفته وعمومه !! .

عيب أن يكون التاجر المسلم ضعيفاً في عمله ، مضطرباً في أسلوبه ، غاشياً في سلعه ، ثم يحسد الآخرين إذا نجحوا أو تقدموا ، لا ، إن العقيدة تحتاج إلى خدمة من نوع جديد ، حدث منذ بضع سنين لا تتجاوز لأصابع أن صدر أمر إلى المسيحيين في القدس أن يشتروا الأرض من المسلمين .

كانت رغبة في أن يوضع الطابع الصليبي على القدس القديمة ، وبدأ ناس من المسلمين يبيعون دورهم ، لتمر الذي يساوي خمسين عرض عليهم فيه

(١) سورة يوسف الآية : ٢٢ .

مائة، مئتان!! وقال الْمُفْتُونَ يومئذ: إن المسلم الذى يبيع شبراً من أرضه يعتبر مرتدّاً!! لأن الشبر الذى يبيعه من أرضه يكون موطىء قدم لحملة صليبية جديدة على بلادنا .

ألا فليستيقظ المسلمون . إن بقطة المسلمين لا تعنى أكثر من أن يتمسكوا بدينهم ، ويحترموا أحوثهم ، ثم الآخرون ممن ليسوا على ديسا سوف يعيشون معنا كما عاشوا على امتداد القرون ، هم ما لنا وعليهم ما علينا!! بل ربما قلنا : « هم ما سا من الحقوق وأكثر!! وعليهم ما علينا من واجبات بل أقل ،!!» .

إسا نحن المسلمين ليس في تاريخنا الطويل أسا أصحاب نعصب ، ولكن في تاريخنا الطويل أسا أصحاب طيبة قد تبع حد العقلة والجهل!! أقول قولى هذا وأستعمر الله لى ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله... الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون هم عذاب شديد (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المير ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، إمام الأنبياء ، وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، واعلموا أيها الإخوة أن بلدنا هذا يحتاج إلى مرحلة من الاستقرار ، يمكن فيها أن يتم بناء على العقيدة والخلق ، على الإيمان والشرف ، على الإسلام ومبادئه وشرائعه .

(١) سورة الشورى الآيتان : ٢٦، ٢٥ .

نحن بحاجة إلى هذه الفترة ، ووجدتنا الوطنية سلاح لنا ، وأنا أخشى أن يكون أعداؤنا قد حرضوا البعض على أن يحدث أى تعكير لهذه الوحدة لحساب غيرنا لا لحسابنا ، إن أى تعكير لهذه الوحدة الآن ليس لحسابنا ، والذي يعكر هذه الوحدة معروف ، لأنه يعمل لحساب الاستعمار الأجنبي !! .

إننا نوصيكم مشددين ألا يستفزكم أحد ، وأن تضبطوا أعصابكم ، وفي الوقت الذي أكلفكم فيه بضبط الأعصاب ، وامتلاك النفس ، أقول لكم : إن الوسائل التي تُجحون بها دينكم وتملكون بها السيادة على أرضكم في أيديكم ولا تحتاج إلى مشقة طويلة ولا إلى جهد العباقرة ، تحتاج إلى جهد الرجل العادي ، ويوم يقص المسلمين جهد الرجل العادي لينجحوا فهم أهل لأن يضيعوا !! وهم أهل لأن يتلاشوا وتخلص الإنسانية منهم لأهم ليسوا أهلاً للحياة !! .

إن تماسك المسلمين لا يحتاج إلى عبقرية ، وإنما يحتاج إلى اليقظة العادية ، إلى السيرة التي لا غفلة فيها ولا استكانة ولا فوضى ولا تواكل !! هذا ما ألقت النظر إليه .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر »^(١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾^(٢) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(٣) .

وأقم الصلاة

(١) رواه مسلم والنسائي وأحمد .

(٢) سورة الحشر الآية : ١٠ .

(٣) سورة النحل الآية : ٩٠ .

شمس محمد صلى الله عليه وسلم تسطع على العالم

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

بتاريخ ١٣/٤/١٩٧٣

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو
على كل شيء قدير . وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة
المسداة ، والسراج المبرق اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى
آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فإن حاجة العالم إلى الرسل حاحه منحه ، ما يستطيع أساس أن يستمعوا
بعقولهم عن هدايات السماء .

في عصرنا هذا تقدم العلم ، وارتقى الفكر ، وصح لعقل البشرى ،
ووصل إلى آفاق رفيعة ، ومع ذلك فإن الخلاف بين أولئك العقلاء عميق
وواسع ، ما يعتبر فصيلة في شرق العالم ، يعتبر رديئة في غرب العالم !!

فإن كان العقل البشرى المحرد تتفاوت أحكامه على هذا النحو في
المعاملات المعتادة ، وفي تقدير ما هو حق وما هو باطل . فكيف يعتمد عليه ،
أو يوثق به وحده ؟

لابد لناس من رسل موفدين من قبل الله جل شأنه ، يشرحون للناس
الحق ويلهمونهم الرشداً ، ويقودونهم إلى الصراط المستقيم .

والله عز وجل رحمة منه يخلق بعث رسلاً كثيرين إلى الناس .. بعض
أولئك الرسل عرفنا أسماءهم ، وبعض كثير لم نعرف أسماءهم ، ولكن

أولئك الرسل ظهروا في تاريخ الإنسانية ، كما تظهر النجوم في حجاب
الليل بشارب .. هذه النجوم ترسل أشعتها لهدية يستطيع الناس السرى
وليضعوا خطواتهم في مواقع امة .

كان أولئك المرسلون الأولون يضيئون حجاب التاريخ البشرى مصابيح
حاجة تشع بقدر ما أوتيت من فضل الله وإمداده حتى طلعت شمس محمد
ﷺ على العلم فكان النهار . لدى أعنى عن كل مصباح ، وأطفاً كل
شعلة!!

وكما قال شوقي

لا تذكر الكتب السوالف قله طلع الصباح فأطفئ القديلا
كان محمد عليه الصلاة والسلام الرسول الذى طلع صبحه على الكون
فأبار به ، وأصبح ما كان مهماً أو عامصاً في أرحائه!!

كل الرسائل لتي سقت الرسالة الأخيرة كانت رسائل محلية
ومؤقتة ، فلاولئك المرسلين أماكن معينة يعملون داخل نطاقها ، ورسالتهم
أعمار محددة تنتهى بعدها ، ولا توجد رسالة تشمل الزمان كله إلا رسالة
محمد عليه الصلاة والسلام !!

فإن هذا الإنسان الخليل هو الذى وضعه ربه في محراب الامامة العامة
لخلق الله في كل عصر وفي كل مصر ، وأعنى برسالته عن أن يحىء بعده
أحد!!

وكان الله قادراً على أن يبعث في كل بلد نبيا ، ولكنه اكتمى برسول
واحد لبأس كافة :

﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً ﴾ (١) .

لو شئنا .. لكنه جل شأنه علق أبواب السموات فما ينزل ملك بوحي
بعد الرسالة الخاتمة ، لأنه لن يقول جديداً!! ماذا يصنع الوحي الجديد ؟
لقد انتهت الهدايات كلها في هذا القرآن الكريم ، وأودعت في صحائفه

(١) سورة الفرقان الآية ٥١

جميع الأشفية والأدوية التي تصح بها الإنسانية ما بقيت الأرض ومن عليها ، فلا حاجة إلى جديد بعد ذلك .

الرسالة الأخيرة رسالة عامة ، وعموم الرسالة الإسلامية جاءت به آيات وسنن ومن الملاحظات الخديرة بالذكر أن كل ما نزل يفيد عموم الرسالة كان في العهد المكي .

وربما تساءل بعض أسس : وما دلالة أن تكون بعض الآيات انداء على عموم الرسالة في العهد المكي ؟

والجواب : أن العهد المكي كان عهد احتياق الدعوة وعهد سحر من يؤمن بها ، واضطهاده ، ومعنه من الحركة والتنقل . في هذا العهد الذي كان الإسلام يعاني فيه من جيروت الوثنيين وصعظهم البلاء الشديد ، كان القرآن يتنزل أن هذه الرسالة ليست نقطر بعينه ، وبكها لأفطار الحق جميعاً .

ولو أن عموم الرسالة نزلت به آيات في العهد المدني أو في أواخر أيام الرسالة لقال الناس : نبي يحج في أن يقرض نفسه على الحرية العرية فأعرد النصر على قومه بأن ينتصر على الآخرين ، وأن يوسع دائرة التبعية بعد أن صمن الحسن الذي أرسل فيه .

لكن العجب أن عالمية الدعوة تأكدت في سور مكية ففي سورة القلم وهي مكية ، نقرأ قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ ، وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

ومعنى قوله : ﴿ لِيُزْلِقُونَكَ ﴾ .. إهم يكادون لصرد ما يخرج من غضب من عيونهم يكادون يرلون قدمك ويسقطونك !! هذا معنى الارتلاق .. ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ، وفي سورة الأنبياء وهي مكية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٢) وفي سورة الفرقان وهي مكية ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (٣) .

(١) سورة نهم الآيات ٥١ ، ٥٢

(٢) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧

(٣) سورة الفرقان الآية ١

وفي سورة سبأ وهي مكية . ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً
ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (١) .

وفي سورة الأنعام وهي مكية بقرأ قوله تعالى بعد أن ذكر ثمانية عشر
سبأ أحصى أسماءهم ، وتحدث عن مساقبهم ، قال : ﴿ أولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾ (٢) .

وفي هذه السورة نصها : ﴿ وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن
بلغ ﴾ (٣) .

أى كل من تبعته آيات القرآن فهو مندر به ، مكلف أن يفكر فيه ، وأن
يتأمل وأن يتدبر آياته ، وأن ينتفع بها . هذا العموم للرسالة اقتضى
أموراً حتى يصح ، أول ما اقتضاه أن تكون المعجزات الشاهدة بصدق المبلغ
عن الله ليست معجزات محمية ، بل معجزات دائمة متجددة على مر العصور ،
والواقع أن القرآن الكريم وهو المعجزة الكبرى للنبى عليه الصلاة والسلام
لا يرال إلى يوم الناس هذا ، وإلى العد القريب والبعيد ، وإلى امتداد الحضارة
البشرية على ظهر الأرض ، لا يرال القرآن الكتاب الهدى الذى يتحدث عن الله
الحديث الصادق المقنع !!

والذى يشهد بما فيه من معارف ، وتاريخ ، ووصف للكون ، وتأثير
في النفس واعجار في اليبان ، لا يرال هذا الكتاب معجزة العصور التى
تتجدد مع تحدد الليل والنهار !!

يتبع هذا أن يكون الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام قد ررد بما يسمع
لشريعة على امتداد تاريخها ، وإلا قيل . لماذا تقيد الشريعة بتفكير مضت
عليه أربعة عشر قرناً ؟

وهذا كلام يقوله الناس الذين يعرفون مسيرة الإسلام ، ويرسلون
شبهات تافهة حوله .

(١) سورة سبأ : الآية ٢٨

(٢) سورة الأنعام : الآية ٩٠

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٩

واقف أن القول بأن تعية أساس لمحمد عليه الصلاة والسلام ، واستمدادهم منه عود إلى الماضي ، ولون من الرجعية ، ووقف للتطور الإنساني ، هذا القول من ناحية الشكل مردود ، ومن ناحية الموضوع لا بد أن ناقشه حتى يبين لم كان الإسلام رسالة حالدة ؟

من ناحية الشكل مردود لأن الإسلام أحدث الرسالات السماوية الموجودة الآن فإن الإسلام مضت على نبوته قرون أربعة عشر ، بينما مضت على النبوات الإسرائيلية سبعون قرناً ، فكيف يكون التمسك باليهودية تقدماً ، وارتقاءً وتجديداً !!؟

كيف يكون قيام دولة لإسرائيل شيئاً في عالم انحصارات وفي منطق للنور الكبرى كيف يكون هذا شيئاً لا بأس به ، ولا حرج فيه ، ولا يسمى عودة إلى الماضي ، ولا رجعية إلى الخلف ؟

مع أنه عودة إلى سبعين قرناً مضت !! ، بينما يتهم الإسلام لأنه عودة إلى ألف سنة بأنه دعوة إلى التأخر والرجعية !!!

هذا منطق من ناحية الشكل سخيف ، لأنك تعتبر قيام إسرائيل حركة تقدمية ، وتعتبر العودة إلى الإسلام حركة رجعية ، هذا شيء سخيف ومع هذا فقد قلت إن هذا رد شكلي !!

أما الرد الموضوعي : فيجب أن نعلم أن الإسلام ترجع صلاحيته إلى أصول فيه نحب أن يعرفها الناس .

سأل من يريد أن يعيش معاصراً ، وأن يتمشى مع التطور ، سألته ماذا تريد ؟ فيقول : نخضع للعقل ونخضعكم إليه .

والخواب الذي يقوله هذا الشخص يجب أن نمسك به لنقول له : أنت هذا تتبع الإسلام طوعاً أو كرهاً !!!

فإن الإسلام من أسباب صلاحيته الأولى للسيطرة على العالم إلى قيام الساعة أنه دين جاء يبني اليقين على حركة العقل الشرى بين الأشياء ، وامواد ، والخصائص والقوانين الكونية ، وهو يقوب الإنسان : لكي تؤمن

بربك تأمل فيما خلق ... ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾ (١)

﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴾ (٢).

﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (٣)

إن هذا النظر أو هذا العمل العقلي ، هو الذى بى عليه القرآن لكريم الإيمان بالله رب العالمين .

بل إن الله فى هذا القرآن الكريم عرّف نفسه للناس عن طريق حيس أبصارهم فى ملكوته ، وإرغامهم على أن يفكروا فى نعمائه ، وفى ابداعه ، وفى مظاهر قدره ونعمته .

﴿ الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ، إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ (٤)

﴿ الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فببارك الله رب العالمين ، هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾ (٥)

إن الإسلام جاء بأمور ليس لمر الرمن تأثير فيها ولا دخل فى حقائقها ، وجاء بأمور تركها للرمن تتطور معه ، وتتغير بارتقائه ، وهذا شىء لا بد أن يعرفه بدقة ، فإن التطور لا يدخل كل شىء إذا كانت العقائد قائمة على أن الله واحد فهل وحدانية الله تتغير مع الرمن ؟ .

الله الواحد من ألف قرن هو الواحد بعد ألف قرن والتطور لا دخل له فى العقائد !!

الأخلاق لا تخضع للتطور ، العفة أو العدل ، أو العلم ، فضائل فهل مر الزمن سيجعل الجهل أو الظلم أو التشهى الحيوانى المطلق ، هل سيجعل

(٢) سورة عبس الآية ٢٤

(٤) سورة غافر الآية ٦١

(١) سورة الطارق الآية ٥

(٣) سورة الاعراف الآية ١٨٥

(٥) سورة فاطر الآيات ٦٤ ، ٦٥

هذا فضائل ؟ ، لا ..

عندما يعس أن الحسد الانساني يتسح لعمل العدد فيه وشاط الأجهرة به ولأن الجو الذي يعيش فيه مُثرب يكسو الحسد بالتراب ، فهل تنظيف الحسد بالماء يُستعفى عنه لأن الرمس تطور ؟ لابد من التطيف ، لابد من الوضوء .

هل العلاقة بين المخلوق وخالق ، بين المرزوق والرازق ، بين من يمد يده ليأحد ، ومن يسط يده ليعطي ، هل العلاقة بين القوى والصعيف ، والقادر والعاجز ، تتغير على مر الزمن ؟!!

هل سيصبح الإله عبد أو العبد إلهاً ؟!!

ما دخل التطور في هذا ؟.

سيبقى الناس ماداموا يتحلقون أجنة في بطون أمهاتهم ، سيقون شاحصين من صورهم وأحياءهم شخوص العبد لسيدته الذي أصفى عليه الحياة ومسحه الوجود !!

مادخل التطور في أن يقف العبد بين يدي ربه يقول له « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » (١) أو ليحيى صلبه في ساحته ليقول له « سبحان ربي العظيم » ، أو سبحان ربي الأعلى ، تلك حقائق لا معنى للمناقشة فيها ، وليس للتطور العصري دخل فيها .

لما يسمح الإسلام بالتطور في الوسائل التي تحقق مثله ، أو في الأساليب التي سي قيمه ، أو شؤون الدنيا التي تُركت لبشر ، وقال صاحب الرسالة لهم « أنتم أعلم بأمر دينكم » (٢) .

إن الرسل لم يجئوا للناس كي يعلموهم العُزل والنسيح ، لم يجئوا للناس كي يعلموهم استحراح البترول وصناعته المشتقة منه ، إن هذا عمل الناس فليطوروه ، وليبتكروا فيه ، وليخترعوا ما أرادوه .
ما دخل الدين في هذا ؟.

(١) الآية ٢ من سورة الفاتحة

(٢) رواء مسلم في المصائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معاش تدب على سبيل الرأي ٧ / ٩٥ وأحمد ٥ / ٢٩٨ وابن ماجه في الرهون ٢ / ٨٢٥

الوسائل التي لم يتدخل الدين فيها هي . مثلاً . أمرك بالجهاد .. واجهاد باللسان قد يكون خطابة ، قد يكون بدوات ، قد يكون إداعات ، اجهاد بالكتابة ، قد يكون شررات ، قد يكون كتباً ، قد يكون لافتات ، اجهاد بالسلاح ، قد يكون برا أو بحراً أو حوا .

الإسلام لا يدخل في التطور عندما يكون التطور لا صلة له بحقائقه وأركانه التي رسمها وحددها ، وهو ما رسم وما حدد إلا مالا دخل للتطور فيه .
والقرآن الكريم كتاب ، والسنة النبوية أيضاً كتاب ، شرح ومفصل ، وعلى الناس أن يلتمسوا في هدايات السماء وحب من الله أو إلهاماً لنبه عليه ،
عندهم أن يلتمسوا في ذلك ما يصلح شؤونهم في كل زمان ومكان ، وهم مطمئنون إلى أن الإسلام طهير للنعم ، طهير للكفاح ، طهير للتطور المعقول ، طهير للششاط الذي لا بد منه كي تبلغ الإنسانية ما تهفو إليه ، وما تشتاق إليه من كالات وتقدم .

هذه حقيقة لا بد منها ، تُعرف مع الرسالة الإسلامية التي استوعبت ، وجمعت والتي أحصت ما تحتاج البشرية إليه إحصاءً .

إلى جانب هذه التقدم العلمي كما يرسمه الإسلام ، نجد أن التقدم العمى قد يقع فريسه لشهوات العارمة ، والأهواء الجامحة ، والعرائز المطلقة .

وهنا كما بين الإسلام للإنسان أن تقدمه رهين بعقل بعيد عن الخرافة ،
بين له كذلك أن تقدمه رهين بقبب نظيف من الهوى واشهوات الحسية
وعلى الإنسان أن يرتقى ، أن يتركي ، أن يطهر نفسه ، ويستحيل أن يلهمه الله الرشد إلا إذا سعى هو ليلع رشده ، ولذلك يقول الله :

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتاه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض وأتبع هواه ﴾ (١) .

(١) الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦ من سورة الأعراف

ولو شئنا لرفعناه بها، لو أنه ارتفع، لو أنه جاهد نفسه، لو أنه لبى أشواق
المطرة ونداءات الكمال في دمه وفي نفسه .

وعندما يُخلد امرؤ إلى الأرض ، ويتبع هواه ، فإن الله يتركه وشأنه ..

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا
يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ
جَنَدًا. وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ
ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿١﴾ .

إن الحديث عن عالمية الإسلام يحتاج إلى ان্তطرق لموضوعات كثيرة ما
يمكن أن تُوفى لها أو تؤدي حقها في ساعتها هذه، فكتفى بهذا القدر لكي
يقول :

إن أهل الاسلام الأوّل عرفوا عالمية رسالتهم، وبدأوا يتجاوبون مع
مطالب هذه العالمية، بدأت تخطيطا نظريا في مكة المكرمة، فلما انتقل
الإسلام إلى المدينة المنورة وكون بها مهجره العتيق، وأحد المجتمع الإسلامي
يتنفس في حرية، بدأ النبي عليه الصلاة والسلام يرسل كتبه إلى كل حاكم
دى شأن حوّه، فأرسل إلى فارس، وإلى الروم وإلى مصر، وإلى كل بلد
يمكن أن يكون فيها من يفقه الدعوة ومن يستطيع تبية الرسالة.

وبعد أن لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، أخذ حلفاءؤه يمدون هذه
الرسالة ويوسعون دائرتها، وسعدم أن أسلاهما الأوّل أنفقوا البعة العالمية
لتحقيق كل رسالة، واللغة العالمية التي يعرفها أهل الأرض على اختلاف
الألسنة والألوان هي لغة الخلق الفاصل، المسك العادل، الشرف العالى .
فكان المسلمون حيث تقفوا يحطمون حبروت الاستعمار الذى وضع
الأعلال في أعناق الخلق

(١) الآيتان ٧٥ ، ٧٦ من سورة مريم

كان المسلمون وهم يحطمون حبروت الاستعمار شرقا وغربا، كانوا متحردين لله، كانت حياتهم معصومة مع بعض، وكانت مسالكهم مع الآخرين سببا في أن جماهير هائلة دخلت في الإسلام متعصبة له حانية عليه مدافعة عنه، وما لبثت بعد قليل من الزمن حتى أصبحت هذه الأحاسيس التي دخلت في الإسلام هي التي تملك كراسي التدريس في الأمصار الإسلامية الكبرى!!.

سأل هشام بن عبد الملك،، جنسائه من فقيه البصرة؟ من فقيه الكوفة؟ من فقيه المدينة؟ من فقيه مصر؟ من فقيه الشام؟ فلم يجد إلا عربيا واحدا هو لأوراعي في الشام!! والباقيون كانوا من الأحاسيس الأخرى التي دخلت في الإسلام، وبُرزَتْ في ثقافته، وتلقفت النظم من العرب كي تشر الإسلام عنما بدا كانت قد عجزت أن تنشره عن طريق الحكم والخلافة والمناصب والوظائف!!.

ومضت الرسالة الإسلامية إلى أن بلغت عهدنا الحالي بعد أربعة عشر قرنا. مسبقا رسالة الإسلام عالمية إلى قيام الساعة!! وما أريدُ لفت النظر إليه، شيء يحتاج إلى لفت النظر حق، فإن بعض المتدربين الجهلة، أو بعض الشيوخ المقاصرين يدسُّون أصابعهم في كتب السنة، ويستخرجون أحاديث الفتن، وما يهمونها وما ينبغي أن يتحدثوا بها أو يرووها للناس، هذه الأحاديث، فهم أولئك الملقون بها أن عمر الإسلام قصير وأن الإسلام كالكائن الحي يشيخ، وأنه كما بدأ غربا فسيموت أو ينتهي غربا، ووقع أولئك الجهلة على الأحاديث كما يقع الدباب على العسل، يوسِّخه ويمال من قيمته ومن الخير ذوْد هؤلاء الجهلة عن أحاديث رسول الله ﷺ، فهم لا يعرفونها ولا يحسنون روايتها، وما أكثر الجاهلين بالإسلام في عصرنا هذا، وما أيسر أن يمكن لهم، وأن يستمع الناس إليهم.

يجب أن نعلم ما يأتي: أن الرسالة العالمية التي حمل لواءها محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ستبقى ما بقيت الحياة، ولابد أن تسيطر على القارات الخمس، وأن تنتشر أنوارها في أرجاء العالمين شرقا وغربا، ومن أين حث هذا؟ من الكتاب والسنة!!.

أما من الكتاب فإن الله جل شأنه يقول :
﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (١) .

ويقول :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ (٢) .

ثم يقول : مهما كان الكفر قوياً ، ومهما كانت أعداده كثيفة ، ومهما كانت أسلحته ماضية ، فلا تكثر لهذا كله ، ولا تنزعج .

﴿ لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ﴾ (٣) .

لا تحسبنهم معجزين في الأرض ، لن يغلبوا الله ، لن يعلبوه !! .
وشيء آخر أريد أن أقمع به المشتعل بالقصص والحكايات والمرويات التي لا يعقونها .

نحن المسلمون نعتبر أنفسنا الأتباع الأوفياء لعيسى ابن مريم ، وأخيه محمد عليهما الصلاة والسلام .

وفي قرآننا يقول الله لعيسى ابن مريم :

﴿ وجاعل الذين اتبعك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ (٤) .

ومعنى هذا أن عبودية الشر كافة لواحد القهار ، وأن هذه العقيدة ظاهرة إلى يوم القيامة وفوق غيرها !! ويقول عليه الصلاة والسلام في حديث طويل :

(١) الآية ٩ من سورة اصف (٢) لآيات : ٥٥ ، ٥٦ من سورة النور .

(٣) الآية ٥٧ من سورة النور (٤) الآية ٥٥ من سورة آل عمران .

« ليس من هذا الأمر ما يلع الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل دليل ، عراً يعر الله به الإسلام ، ودلاً يدل الله به الكفر » (١)

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام :
« مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » (٢)
هذه الأمة باقية . قد يسأل البعض فما الأحاديث التي تتحدث عن غربة الإسلام وضعفه !

والجواب : هي أحاديث وردت فعلاً ، ولكن معاًها أن الخط البياني لسير الإسلام خط متعرج لا يرتفع باستمرار ، ولا ينخفض باستمرار ، إنه يرتفع وينخفض ، إن الإسلام بين مد وحرر ، حتى في حياة نبيه عليه الصلاة والسلام فإن الذي نصر المسلمين في بدر هزمهم في أحد وقيل لهم ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ (٣)

كذلك إلى قيام الساعة ... ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ .
سننصر ونهزم ، وننتصر ونهزم ، وسيكون الإسلام غريباً في بعض الأوقات ثم يأبس ويعتر ويقوى ، ثم يستوحش لضعف الناصر ، وقلة العالم ، وجهل العامل وما إلى ذلك !! ثم تذهب هذه العلل ، وتنقشع هذه الغمم ، ويعود الإسلام قوياً عزيزاً وهكذا إلى قيام الساعة ، ولكن الكلمة الأخيرة للإسلام :

﴿ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﴾ .
هذا ما ينبغي أن يعرف ، فإذا كان الإسلام تمر به أيام عجاف ، وإذا كانت كلاب الأرض وذئبها تال من المسلمين ، فإن السبب ليس من غيرنا ، فإن السبب عليه الصلاة والسلام يقول :

(١) رواه أحمد ٤ / ١٠٣ والمحاكم في الفتى والملاحم وقال صحيح ووافقه الذهبي والعمري في الكبير ٢ / ٥٨ وقال في الجمع رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح ٦ / ١٤١ .
(٢) رواه الترمذي في الأمثال تحفة الأحمدي ٨١ / ١٧٠ وأحمد ٣ / ١٢٠ ، ١٤٣ ، ٢١٩ / ٤ .
(٣) الآية ١٤٠ من سورة آل عمران

« إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومعارفها، وإن أمتى سيلع ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكرسي الأحمر والأبيض، وإنى سأنت رنى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيصتهم، وإن رنى فان : يا محمد إنى إذا قصبت قضاء فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة ولا أسط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيصتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعض ويسبى بعضهم بعضا^(١) .

يعنى رب العالمين يقول عني عهد للأمة الإسلامية أنه لو اجتمع من فى الأرض ضد المسلمين ما يستبيحون بيصتهم إلا إذا عادى المسلمون بعضهم بعضا وأكل بعضهم بعضا!!

وواقع أن أعداءنا ما يضر بونا بأيديهم قدر ما يضر بونا بأيدينا نحن! إن الفارقة بين العرب والمسلمين حقيقة موجودة، وستبقى هذه الفارقة حقيقة واقعة حتى يعود لعرب إلى الإسلام، وحتى يعود المسلمون إلى الإسلام وحتى تكون للقرآن مكانته العملية، وحتى تعود لسنة مكاتبا التطبيقية ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، أقول قولى هذا وأستعفر الله لى ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون هم عذاب شديد ﴿٢﴾ .

(١) رواه مسلم فى الفتى باب هلاكة هذه الأمة بعضهم ببعض ١٧٦/٨ والترمذى فى الفتى وقال حديث حسن صحيح تحفة الأحودى ٣٩٨/٦ وأحمد ١٢٤/٤ ، ٢٧٨/٥ ، ٢٨٤ وأبو داود فى الفنى باب ذكر الفنى ودلائلها عون المعبود ٢٢٢/١١ وابن ماجه فى الفتى .. باب ما يكون فى الفنى ١٣٠٤/٢ .

(٢) الآيات ٢٥ ، ٢٦ من سورة الشورى

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمد رسول الله إمام الأسياء وسيد المصلحين ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .
أما بعد :

فإني أحشى على تقاليد الإسلام من كثرة إجحاح الصغار على تجاهلها ومحوها، في يوم ما جاء إلى هذا البلد رجل فرسوى اسمه «سارتر» وهو رجل يعلم كفره بالله دون حجل ، وكانت معه عشيقته !! وعشيقته تعلم أن الزنا حق النساء دون حرج !! .

وهذان الوعدان استطاعا في ظل مراكز القوة السائدة .. أن يفتحهما الجمععات عندنا وأن تداس التقاليد الإسلامية التي ما كان يمكن في ظلها أن يدخل رجل مع عشيقته في مكان محترم ، كيف هذا ؟ رجل مع عشيقته ؟ كلبان ؟ كلب وكلية ؟ .

لكن الإحهاز على التقاليد الإسلامية وطمس المثل العليا كان هدفا لبعض الناس ، سود الله وجوههم !! .

هؤلاء لا يزالون يملكون الكسمة والتوجيه في الصحف ، مات رسم شيوعي اسمه «بيكاسو» وضحكت وأنا أقرأ أنه ترك عشرين مليوناً من الخبيثات !! قلت سبحان الله !! لو أن هذا الرجل من أهل الإسلام ومات وعنده عشرون مليوناً لأمسكوا بخناقه يسخرون منه ومن ثروته ، وكيف احتجزها ولم يؤد حق الله فيها ؟ .

وطبعاً «بيكاسو» لم يتروح لأنه لا يؤمن بالرواح ، وله أولاد من حرام !! ولكن هذا يطلق بين الناس على أنه شيء عادي !! أما أريد من المسلمين أن يرمقوا هذا باحتقار إننا نعلم كيف سطر بإعجاب إلى الرجل الهندوكي الذي أدل المسلمين في باكستان !!

يجب أن تبدأ موجة من المعرفة ، إن الثقافة جيش غير مطور ، ويوم يطلق المثقفون المسلمون بالعلم فإنهم يفعلون الكثير ، أيها المسلمون أدوا ما عليكم عن طريق المعرفة ومع الزمن سستصر ، قلت لكم ، إن المستقل للإسلام ، لا تصسقوا الجبهة الدين يقولون لكم : إن غربة الإسلام ستجهر عليه ، من هذه العربة ستنت الدولة الإسلامية التي تحارب الجاهلية ، وتمحق الطواغيت ، وتؤدي الله حقه في هذه الأرض .

« اللهم أصح لما ديسا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لما دينا التي فيها معاشنا ، وأصلح لما آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر »^(١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾^(٢) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(٣) .

أقم الصلاة



(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي .

(٢) سورة الحشر الآية : ١٠

(٣) سورة النحل الآية ٩٠

فلسطين .. الذرة المغنصبة

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على
الظالمين ..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ،
وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ،
والسراج المنير

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد ..

فحدثنا في هذه الجمعة عن « فلسطين والقدس » وهو حديث ذو
شجون .. لأننا لسعد الفهقري ، إلى تاريخ طويل مصى وعارت حدوده في
الأرض .. لكن هناك بُدٌّ من البحث في هذا التاريخ .. خصوصاً أن بني
إسرائيل جاءوا إلى الأرض المقدسة في هذا القرن وهم يستصحبون ذكريات
مصت ، وينبشون التاريخ عن رُفات توارى طويلاً في الثرى .

وما هناك بُدٌّ من أن نذكر هذا التاريخ .. لأننا نحن العرب كثيرو
النسيان .. ويجب لكي نحسن العمل في حاضرتنا ، ولكي نحسن العمل
لمستقبلنا أن نعرف ماضيها جيداً وماضي الأمة العربية العائر في التاريخ جدير
بدراسة والاعتبار .. لأن هذه الأمة كشفت تحارب الماضي والحاضر —
على سواء — على أنها ما تحيا إلا بدين .

إذا كان السمك يحتاج إلى ماء ليحيا ، وإذا كان البشر يحتاجون إلى
الهواء ليعيشوا .. فإن الجنس العربى يوم يفقد ديه يفقد أسباب حياته ،
ويستحيل أن يبقى له على ظهر الأرض وسم ولا رسم .. لا بد أن يعرف
طبيعة جسما . وعندما نذكر هذه الطبيعة فيجب أن نبش في التاريخ
الماضى .

إن بنى إسرائيل جاءوا ليقولوا : نحن أصحاب فلسطين .. لقد كانوا
أصحاب فلسطين يوماً . ولكن قل أن يكونوا أصحابها كانت هذه
الأرض ملكاً للعرب .. وكان العرب يشترون في جنوب الجزيرة ، ووسطها ،
وشمالها ، وفوق الشمال . ولكم كما قلت احتبروا احتشاً مُراً كي يكون
لهم دين يحبون به .. فلما تمردوا على هذا الدين عُصف بهم ، وحُصدت
حصاروهم ، وحل بهم من عقوبات السماء ما سوّد وجوههم وأنزلهم
حضيضاً لا يخرجون فوقه أبداً .

ما يسمى بـ « أورشليم » هو في الحقيقة « أورسليم » ، اللغة العبرية
تنطق السين شيئاً .. يقولون « موشى » وهو « موسى » « أورسليم » بلد
سليم ، أو محلة سليم .. كان هنا مكان للعرب .. كان للعرب وجود في
فلسطين .. كيف ؟ كانوا هم الحبايرة الذين يسكنون هذه الأرض ..
وهؤلاء الحبايرة امتداد لإخوانهم في جنوبى جزيرة العرب .. في جنوب
الجزيرة كانت توجد ديار لأحقاف ، وفيها عاد ﴿ التى لم يخلق مثلها في
البلاد ﴾ (١) وفيها سبأ وجناتها النضرة التى أغرقت لما كفرت .. وندع
الجنوب إلى الشمال فنجد « ثمود » ومدائن صالح ، والخراب الذى حل
بهذه القبائل لما كفرت بى الله صالح بعد أن كفر إخوانهم في الجنوب بنى
الله هود .. ثم تصعد فنجد مدين التى كفرت بشعيب .. ونصعد فنجد
قرى المؤتفكة — فى الأردن الآن — التى كفرت بنى الله لوط .. ونصعد
فنجد فلسطين والحبايرة الذين سكنوها من الكنعانيين العرب .. ونصعد
فنجد الفينيقيين — وهم جيل سامى — امتداد للجنس العربى .

(١) سورة العنجر : ٨

هؤلاء العرب الأقدمون دُمّر الله عليهم ، وبعد أن ذكر الأنبياء العرب الذين حاولوا أن يرتفعوا بمستوى الجريرة ، وأن يصلوها بالسماء وأن يجعلوا حصارها تُشرب الروحانية بدل القسوة ، والتواضع بدل الكبر ، والعدالة بدل المظالم ، والإنصاف الاقتصادي بدل العش والاحتكار .

نما أي العرب هذا دُمّر كل ما بنوا .. قال جل شأنه في سورة هود ﴿ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ﴾ (١) .

كان العرب الكنعانيون في فلسطين ، وكانوا جبابرة .. وكما قلت : الجنس العربي جس في غرائزه قوة ، وفي طبعه صلابة ، وفي مواهبه امتداد ، إذا سُحّر للحير ارتفع عواكب الحق إلى الأوح ، وإذا سُحّر للشر ركبته شهواته ، ومضى به إبليس يمنة ويسرة فأسف وفعل المناكر !!

هذا هو الجنس العربي ، وكما قال ابن خلدون — وهو من أدق الرجال وصفاً للجنس العربي — إنهم جنس لا يصلح إلا بسوة ، ولا يقوم إلا بدين ، ولا ترقى مواهبه إلا بشرائع السماء (٢) .. فإذا ترك العرب النبوة والدين وشرائع السماء تحولوا إلى قطعان تعد الشهوة ، وتطلب المال لتعثره ذئب اليميم وذات الشمال تنفيساً عن شهواتها .

(١) هود ١٠٠ .

(٢) يشر إلى ما قاله ابن خلدون في مقدمة ص ١٢٦ طبعة المطبعة الأزهرية : « الفصل السابع والعشرون في أن العرب لا يحصل لهم ملك إلا بصيغة دنية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من أسير على العملة » والسبب في ذلك أنهم يحلق التوحش الذي فيه أصعب الأمم انقياداً بعضهم ببعض بلعظه والأمة ، تُعد المهمة ، وديارهم في إرياسه فقسما تجتمع أهواؤهم فإذا كان الدين بشيوة أو الولاية كان لوارع لهم من أنفسهم ، وذهب حُلُق الكبر وديارهم منهم فسهل انقيادهم واحتجاجهم وذلك مما يشتمهم من الدين المذهب بعبظة والأنفة ، والوازع من التحاسد والتنافس فإذا كان منهم لئيم أو لولى أدى بيعتهم على القيام بأمر الله ، ويُذهب عنهم مدمومت الأخلاق ، ويأخذهم بمحمودهم ، ويؤلف كمتهم لإظهار الحق — إذا كان ذلك — ثم اجتماعهم ، وحصل لهم لتعذب والملث وهم مع ذلك أسرع أسس قبولاً للحق والهدى ، لسلامة طباعهم من عوج المنكبات ، وبراعتها من دمم الأخلاق إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة ، المتبوء نصوب الخير بعائه على انعطافه الأولى ، وتعدده عما يطمع في سعوس من قبيح العوائد ، وسوء الملكات .. فإن كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم « أ. هـ »

العرب من غير دين شعوب يأكل بعضها بعضاً .. ومن أجل ناقة ظلت
حرب السوس أربعين سنة^(١) ومن أجل حيل مضت في الساق — داحس
والغبراء — انطلقت الحروب عشرات السنين^(٢) .

إله جنس يدمر يومه وعده ما لم يربطه دين ، وما لم تعصمه آيات
الوحي ، وما لم تُلحَمْ غرائزه مهاديات السماء !!

هؤلاء هم العرب .. أين عاد ؟ أين ثمود ؟ أين مدين ؟ أين قري
المؤتفكة ؟ أين غيرهم ؟ دُمّر عليهم .

ثم جاءت النبوة الخاتمة لكي تحمل من العرب جساً آخر ، ومضى
تاريخهم .. لكن قل أن نتحدث عن تاريخ العرب بعد أن شرفهم الله
بإسلام يريد أن نتحدث عن تاريخ غيرهم .. عن تاريخ اليهود .. فإن هذا
الشعب — وهو ابن عم العرب — شعب غليظ الرقبة ، بادی القسوة ،
شديد العناد .. وعندما نزلت بهم لعنات الفراعنة ، وصرخوا موسى عليه
السلام يقولون له : ﴿ أَوْذِيَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ
مَا جِئْتَنَا ﴾^(٣) نصر إليهم موسى عليه السلام بطريقة ريبة وكأنه يقول لهم : نرى ماذا
سيفعل معكم يوم تنكسر عنكم القيود ، ويوم تملكون حريتكم ؟ ﴿ عسى
ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾^(٤)
كلمة ناصحة بأن الرجل متشائم منهم وبأنه يدرى أنهم يوم يملكون القوة

(١) وقعت حرب السوس قبل الإسلام بين قبيلتي بكر ونظير ابني وائل ، وكانت هذه الحرب
الطاحنة التي دامت أربعين سنة بسبب ناقة الجرمي التي قتلها كليب وهي في جوار امرأة عجور
تدعى السوس . الكامل لابن الأثير ٣١٣/١ بتصرف

(٢) كان داحس محلاً لقيس بن زهر ، وكانت الغبراء للخبعة بن بدر ، فراهن قيس وحمل ابن
بدر عليهما أيهما يكون له السبق ، وتواصعا الرهان على مائة بعير وجمالاً منتهى الغاية غلوة — مقدر
رمية السهم — وفي طرف الغابة شعاب كثيرة — فأكمن حمل بن بدر في تلك الشعاب فتباناً على
طريق الفرسين وأمرهم إل جاء داحس سابقاً لأن يردوا وجهه عن الغابة .. فلما شارب داحس الغابة
ودنا من الفتية وثبوا في وجه داحس مردوه عن الغابة . وتارت الحروب بين عيس وديان فبقيت
أربعين سنة . الكامل لابن الأثير ١ / ٣٤٣ بتصرف والأمثال ٥٢ / ٢

(٣) الأعراف : ١٢٩

(٤) الأعراف : ١٢٩

فسيكونون ألعن من المراعاة!! وملث بنوا إسرائيل القوة بعد لآى .. حول موسى بمنطق الإيمان أن يزحف بهم على فلسطين يوم كان العرب الحبايرة يسكنونها فعلمهم الحبن ، وقالوا . ﴿ لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون ﴾^(١) إن يخرجوا منها تدخنها الكلاب .. أى كرامة لكم يوم تدخلون فلسطين وليس فيها أحد من العرب ؟ ولذلك قال موسى : ﴿ زب إني لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون لى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾^(٢) تاهوا فى سياء أربعين عاماً حتى هلكت الأجيال الحباينة الخوارة ، ونبت جيل آخر قاده نبي الله « يوشع » ودخل فلسطين وقهر الحبايرة وأقاموا دولة لهم . وما مضت إلا فترة محدودة حتى أخذت فشرة التدين تنقلص ، وحتى أخذت الطبيعة الرديئة تبرز ، وعرائز السوء تطفح ، وإذا اليهود يُفسدون فى الأرض ، ويسفكون الدم ، ويملاؤن أقطار دولتهم مظالم .. فماذا يفعل الله بهم ؟ سلط عليهم « يُحتصر » فهرم دولتهم ، وهدم هيكلهم ، وساق عشرات الألوف من الشباب اليهودى سرى أمامه إلى « بابل » ، وفى السجن البابلى أذيقوا لأشد العذاب .

ثم عما الله عنهم ، ويسر لهم حاكماً ردهم مرة أخرى إلى بلادهم .. فهل عادوا ليرعوا ، ويعدلوا ، ويصلحوا ؟؟ لا .. سرعان ما عادت إليهم طباعهم السوء .. فما هى إلا جولة وأخرى حتى انقضت عليهم الرومان ، وأمر القائد الرومانى « تيتوس » بتدمير الهيكل ، فدمر الهيكل مرة أخرى ، وبدا أن الشعب الإسرائيلى بعد عدة مئات من السنين لا يصلح للحكم ، وأن أداة الحكم فى يده تجعله مفتاح شر ، وتحمل أصابعه لطائشة تطلق قذائف من الدمار والفساد على أهل الأرض فما ينجو أحد من بلائهم .. حاولوا قتل عيسى عليه السلام وفشلوا .. وحاولوا قتل محمد عليه الصلاة والسلام وفشلوا .. وإن كانوا قد نجحوا فى قتل أنبياء

(١) المائة : ٢٢

(٢) المائة : ٢٥ ، ٢٦

أحرى (١) ، إلا أن الله عز وجل كان قد هياً للإنسانية مستقبلاً آحر ، وقت قيادة الوحي من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل ، ونقلت لغة الوحي من العبرية إلى العربية ، ونقلت عاصمة الوحي من بيت المقدس إلى مكة والمدينة ، وبولى تربية العالم جسراً حر رباهم محمد عليه الصلاة والسلام تربية جديدة ، وسكب السبي الخالد ﷺ من سُمُوهُ ، ومن ساء روحه ، وارتقاء صميره ورسوخ تقواه .. سكب في أولئك العرب ما حوّلهم خفياً آحر فإذا هم يخرجون على الدنيا وكأنهم ملائكة !! تحوّل الخبوت الجاهلي إلى ساء واهتداء وافتداء في سبيل الله .. إن عمل السبي الخاتم ﷺ هو المعجزة التي لم يعرف العالم لها نظيراً من بدء الخلق إلى الآن !! كيف أمكن ترويض هذا الحرس وحشد قواه ليتحول إلى رلارل تُدمر الإمبراطوريات التي شتمت جذراها على الطغيان قروناً ما استطاع أحد أن يهدّها حتى جاء المسلمون فغيروا الدنيا !! كانت هناك إرهابات روحية ، أو بدايات معوية في ليلة الإسراء والمعراج عندما انتقل السبي عيه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس في صلاة روحية بالنبيين الأسفين ، ثم تحقق المعنى الروحي فيما حدث بعد ذلك .. فإن بيت المقدس الذي دُمّرهُ البابليون مرة ، ثم أعيد بناءؤه ، ودُمّرهُ الرومانيون مرة أخرى عاد إليه العرب في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعد الإرهابات الروحية التي كانت ليلة الإسراء والمعراج ، وذهب عمر رضي الله تعالى عنه بالعرب ، وطر الناس فاستغربوا .. كان القائد المحلى « أبو عبيدة بن الجراح » رضي الله تعالى عنه يرى أن يدخل عمر رضي الله تعالى عنه بيت المقدس في موكب الفائحين ، وفي أبهة المنتصرين .. وذلك أنه يرى أن أولئك بقايا الاستعمار الروماني ، وأن المناظر الهائلة قد تترك في نفوسهم انطباعات معيبة .. لكنه فوجيء بما أذهنه .. فإن الخليفة الراشد عمر رضي الله تعالى عنه جاء على ناقته من المدينة ، وأنى أن يكون في موكب .. ويحكى

(١) قال تعالى ﴿ كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُم بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذِبُوا ۖ وَفَرِيقًا يَقْتُلُوا ﴾
سائدة ٧٠ ، وقال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾
آل عمران ١٠٤

التاريخ) أن بركة اعترصت ناقة عمر رضى الله تعالى عنه فنزل الخليفة ،
وحمل عليه إلى عنقه ، ومضى بواقه يخوضان البركة . فقال أبو عبيدة
رضى الله تعالى عنه : ما يسرنى أن أهل المدينة يستشرفونك على هذا
المحو .. فقال له عمر : ويحك يا أبا عبيدة .. لو عيرك قالها جمعته نكالا
لأمة محمد .. لقد كما أدل الناس حتى أعربا الله بالإسلام .. فمهما اتعبنا
العزة في غيره أدلنا الله !!

عمر لا يدخل بيت المقدس عارض أزياء .. عمر لا يدخل بيت
المقدس في موكب فاتحين .. عمر لا يدخل بيت المقدس وهو يحمل شارات
العمالة .. لا .. لا ثياب مارشال ، ولا ثياب جنرال .. دخل عمر بيت
المقدس تابعا من أتباع محمد ﷺ .. دخل رجل دين وبر وتقوى .. دخل
متواضعا لربه ليتسلم بيت المقدس .. ورأى الناس من الفاتح الذى تسلم
بيت المقدس .. رأوا منه العجب .. كان اليهود مموعين أن يدخلوا
القدس ، وطلب الصارى من عمر رضى الله تعالى عنه ألا يسمح لليهود
بدخول فلسطين أو القدس .. هذه واحدة .. وكان الرومانيون الذين
يسلمون القدس يرون أن أبنائهم من الصارى — المصريين والشوام —
ليسوا أهلا لأن يكونوا عبادا معهم في كنيسة .. وعندما دخل المسلمون
مصر كان بطريرك مسجونا بكل احتقار ، وكان أخوه قد أحرق ورُميت
جثته في البحر الأبيض !! لكر الفاتح الحديد نقل إلى العالم بدعة التسامح
الدينى !! نحن العرب نحن المسلمين الذين أخرجنا لناس بدعة التسامح
الدينى . ما يعرف هذا التسامح تاريخ إلا تاريخنا نحن بدعة التسامح الدينى
هى التى جعلت عمر رضى الله تعالى عنه وقد قال له بطريرك بيت المقدس
عندما أدركته الصلاة : « صل حيث أنت » قال « لا .. لو صليت هنا
لوثب المسلمون على المكان وقالوا : هنا صلى عمر وأحدوا الكنيسة منكم »
ودهب صلى بعيدا .. لو كان فاتحا ممن يحتقرون وجهات النظر الأخرى ،
ويدمرون على غيرهم لصلى في المكان واعتصمه .. لكنه لم يفعل شيئا من
هذا .. والعريب أن أحسن مشاعر الخجود تُتدارس الآن بين يهود العالم

ونصاراه تريد اتهام المسلمين بالتعصب ، وهم الذين علموا هؤلاء
 وأجدادهم بما هو التسامح . ولو أراد المسلمون ألا يبقى غيرهم في الشرق
 الأوسط ما بقى أحد .. ولكم أبقوهم لله صدقة للإسلام .. لأن الإسلام
 لا يعرف الإكراه ، ولا يعرف الغضب والحجرات .. لم يحىء الخليفة ليملي
 شروطه بل جاء الخليفة ليتسلم العاصمة القديمة للوحى ، وليجعلها من
 الناحية العملية حرماً ثالثاً للحرمين الشريفين .. ومضى العرب في طريقهم
 يحملون أمانات الوحى ، ويملعون رسالات الله . ولكن الطبيعة العربية
 بدأت تغالب تعاليم الإسلام .. دعنا من ميدان العلم .. فإن ميدان العلم بقى
 نظيفاً .. وجلس الإمام البخارى رحمه الله إلى حاسب عمره من القرشيين
 يعلمهم .. وجلس الحسن البصرى رحمه الله يعلمهم .. فى ميدان العلم
 كانت تعاليم الإسلام سائدة .. أما فى ميدان الحكم فإن تقايد بعض الأسر
 العربية المدعية للنبل والرياسة وللجاه غلبت .. وغلبت معها طبائع حسنة ،
 وطبائع جاهلية قديمة .. فإذا العرب يتعبون دينهم ، وأبناءهم ، وتاريخهم ،
 ورسالتهم .. وإذا هم يشغلون باشهرات والمعدات ، والاختلاف على
 المناصب والرياسات ، وكانت الشيعة أن هجم الصليبيون فى مطالع القرن
 الخامس الهجرى .. هجموا على بيت المقدس ودخلوه .. والذى ينبغي أن
 يُعرف .. ولأدري لماذا لا يدرس بالحاج أن الصليبيين فى أول حملاتهم على
 الإسلام ما كانوا أهلاً للانتصار ، ولا كان الانتصار ميسراً لهم .. لقد أكلوا
 الخيف من اخوع ، وأدركهم الإعياء وهم يلهثون بعد مراحل طويلة قطعوا
 فيها من « فيينا » و « برلين » إلى « القسطنطينية » إلى « الأناضول »
 إلى « الشام » إلى « بيت المقدس » قطعوا مراحل استهلكوا فيها .. لو أن
 أى جيش اشتبك معهم لهرمهم ولكن التاريخ قال : سكنت دمشق
 سكنت القاهرة .. سكنت بغداد .. سكنت
 مكة .. سكنت المدينة .. سكنت العرب وتركوا هؤلاء ينهردون بيت
 المقدس ليذبحوا فيه سبعين ألف مسلم ، وليؤسسوا فيه إمارة لاتينية طلت
 هذه الإمارة لللاتينية تسعين سنة يُعير « باروناتها » من « باريس » ويبارك
 هذا التعيين « بابا الفاتيكان » .

ثم جاء رجل مسلم ليس بعربي وهو « صلاح الدين الأيوبي »
وشعر بأسباب الهزيمة .. أي دارس للتاريخ العربي يعلم أن العرب ينتصرون
حين يؤوبون إلى ربهم ، ويثوبون إلى دينهم ، ويتمسكون بشرائعهم ،
ويعتزون بنسبهم السماوي .. لا يحتاج لأمر إلى عبقرية .. إن الحزام الذي
بشد العرب بقوة ويمنع تفككهم هو الدين .. فإذا انقطع هذا الحزام تفرقت
العصبي ولم يبق أحد إلى جانب أحد !! فبدأ صلاح الدين بعمل « لا حديد
تحت الشمس » إذا كان الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله قد ألف كتابه
« إحياء علوم الدين » كأن علوم الدين ماتت .. فإن صلاح الدين الأيوبي
فعلاً بدأ بعملية إحياء عملية !! قال المؤرخون : جُدد العلماء بعد ما محى
مذهب الشيعة الذي كان يُدرس في الأهرم .. جُدد العلماء لتدريس العقائد
بين الجماهير ، ولجمع العوام على معاهد الأخلاق ، ومكارم الشيم .. وهل
تنتصر أمة دون عقيدة !! وهل يقوم مجتمع بدون أخلاق !! إن الرجل
بدأ البناء من الداخل .. وفعلاً جُمع الناس على الإسلام ، ثم خرج بهم
لباوش عثوه .. وكانت مناوشة رهيبة .. إننا نقرأ في التاريخ أن بيت
المقدس أعيد بسهولة أو أعيد في سطورين بقرأهم على عَجَل .. لكن الواقع
أن المسلمين ضحوا كثيراً ، وأن القائد الإسلامي صلاح الدين كان على
مرسه وهو يقود المسلمين .. لكن قلبه كان يَدُقُّ حشوعاً لله عز وجل ،
واستمداداً منه ، وخوفاً من غضبه ، ورجاءً في عموه .. وكما رأى
الصلبيين يهجمون ويتقدمون وتنداح دوائر المسلمين أمامهم يصرخ
« كذب الشيطان » ويعود المسلمون مرة أخرى إلى الهجوم .. فلما طويت
أعلامهم وانكشفت خيمة ملكهم هوى صلاح الدين من على ظهر مرسه
إلى الأرض ساجداً لله !! رجل ما كان مستكبراً ، ولا كذاباً ولا مُدَّعياً ..
إنما كان كأنه وهو يقود المسلمين في القتال إمام في محرابه ، تدمع عييه ،
وتحشع حوارحه ، وينتظر من رب الأرض واسماء أن يُعينه !! لذلك
جاءت المعونة ، وجاء النصر . وعاد بيت المقدس إلى المسلمين ..

لقد هجم الأوريون هجمتهم .. كيف هجموا ؟ كيف تسلبوا ؟
يقول التاريخ : ما تسلبوا إلا في الفراعات الموجودة بين الشعوب

الإسلامية .. ظلم الترك العرب ، وحاد العربُ الترك ، وانقسمت الشعوب الإسلامية انقسامات مرة .. في هذا الصراع تسلسل الإنكسار والفرنسيون ، وعادوا مرة أخرى إلى بيت المقدس . عادوا ليقول الحمرال الفرنسي « جيرو » وهو يقف إلى حوار قبر صلاح الدين : يا صلاح الدين .. ها نحن قد عدنا !! » ويقول الحمرال « السبي » : الآن انتهت الحروب الصليبية !! » .

ما انتهت الحروب الصليبية .. وإنما هي الأيام مدٌ وجُزُر .. عاد هؤلاء ليسلموا الأرض مرة أخرى إلى اليهود .. واليهود شعب ما كذبت السماء عندما وصفه الوصف الجدير به : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ . قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنِ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (١) .

إن العذر اليهودي طبيعة جس ، وخصائص دم ، وميراث أحيال ، وحقيقة لا يمكن إنكارها ، ولا التعاضى عنها !! واليهود يعلمون من أنفسهم هذا .. وهم يؤكلون أنهم إذا كانوا قد صربوا « مُعَاوَلًا ذَرْيَاً لِلْعِرَاقِ » فهم مستعدون أن يصربوا أي بلد عربي له قاعدة يحشونها ، أوله قوة يرهبونها .. هذه طبيعتهم . ولست أؤمهم .. لكنني أؤم الصف المحتل .. أؤم العين النائمة وَسَطَ الْعُيُونِ الخائنة . أؤم العرب الذين سوا الله فأنسأهم أنفسهم .

بم يستصر العرب !!؟ أرجع مرة أخرى إلى تاريخنا .. إن آباءنا في عاد وثمود — العرب العاربة — هل مكّر الله لهم ؟ دهبهم في أنقاض محاريبهم ومأسهم وإلى حيث ألفت !!

ما تعمل الإنسانية بأجناس تعيش لكبر والرفاهية والشلود وسوء الخلق !! .

وماذا نكسب الحصاره الإسيانية من عرب إذا ملكوا المال استعلوه في حراب الذمم ، وشراء الشهوات ، واقتناص الممدات ، وتحقير المآثر ، ودفن آيات الوحي ١١٩.

ما يفعل الله بهم ١١٩ لابد أن يدفعهم في أنقاضهم ١١. إن العرب بطريقتهم التي يعيشون بها الآن لن يضرهم اليهود وحدهم .. بل تضرهم كلاب الأرض كلها ١١.

العرب بالطريقة التي يعيشون بها لا يستحقون نصراً .. لكي يستحق العرب النصر يجب أن يسألوا أنفسهم أو لكي يدخلوا بيت المقدس مرة أخرى يجب أن يسألوا أنفسهم : هل سيكون بأحلاق الخبايرة الذين سكوا بيت المقدس قديماً فبعث الله إليهم « يوشع بن نون » هدمر عليهم ، واستوقف الشمس فلم تغرب حتى ألحق بهم الهزيمة (١) ١١٩ إذا كان العرب بأحلاق الخبايرة الأقدمين فليأخذوا مصير الخبايرة الأقدمين ..

أظن العرب يدخلون بيت المقدس مرة أخرى يوم يدرسون أحلاق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، لم يكن الرجل كما قلنا عارض أرياء ، ولم يكن داخلاً في موكب الخيلاء .. بل كان الرجل يخوض بناقته بركة ، ويرى أن يعرض الإسلام مبادئ نواضع .

متى يدخل العرب فلسطين وبيت المقدس ؟ يوم يرون رجلاً كصلاح الدين .. قالوا : جمع العبار من معاركه وأوصى أن يكون وسادة له في قبره ، حتى إذا حوسب قال لملائكة : هذا العبار كان في سبيل الله ١١ .

(١) يشير الإمام إلى حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : « عز بى من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل منك بُصع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما بين بها ولا أحد تنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها ولا أحد اشترى غنماً أو خيماً وهو ينتظر ولادها فغزا فدا من لقريه صلاة النصر أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس إني مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها عليا فحبست حتى فتح الله عليه ، متفق عليه ، رواه البخاري في كتاب فرض الخمس — باب قول النبي ﷺ « أحلت لكم الغنائم » ٤ / ١٠٤ ، ومسلم في كتاب الجهاد — باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ٥ / ١٤٥ والنبي المذكور في الحديث هو « يوشع بن نون » قاله السيوطي في التوشيح نقلاً عن دليل الفالحين ١ / ٢٠٩

أين أخلاق صلاح الدين ١١٩ أين أخلاق عمر ١١٩ .

إن العرب لكي يتصرفوا مرة أخرى ويعودوا إلى فلسطين يجب أن يعودوا بديهم ، ويعلم الخيل الخال والحين الذي يليه أن راية الإسلام وحدها هي التي تجمع الشمل ، وأن حرافة البعث لعربى ، وخرافة القومية العربية ، وخرافة القوميات الضيقة ، وخرافة الاطلاق وراء كل سراب خادع ، وأمل كاذب مع التفريط في دين الله .. كل هذا لا ينتهى بأصحابه إلا إلى الضياع والدمار !!

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ..

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿١﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد ...

عباد الله .. مرة أخرى أريد أن أكذب إشاعة سرت بين الناس ..

(١) الشورى ٢٥ ، ٢٦

هذه الإشاعة أن العصر الحاضر عصر لعلمانية واطّراح الأديان ظهيرياً ،
وعصر الانطلاق وراء المقررات الإنسانية المحددة .. إلى غير هذا الكلام ..
هذا كلام مكذوب .. هذا العصر هو العصر الذهبي للأديان كلها ما عدا
الإسلام ..

اليهودى التائه الذى كان يبحث عن حارة له فى روما أو باريس
أو القاهرة أصبح يملك دولة .. ما كان هذا له من أربعين قرناً !! « ييجين »
ابولسدى الأفاق الذى جاء من « بولندا » ماذا يملك !!؟ جاء إلى أرضنا
ليطرد العمدة من قراهم وليقول : هذه أرضى أنا ويخرج منها أى مسلم
أو أى عربى !!

باسم اليهودية يملأ منه محرراً .. أولئك الذين يريدون ألا يصح
بالإسلام ويتركوا هذا الإنسان يفخر باليهودية .. ألا تُحشى أقواهم
بالنعال .. والله ما يستحقون إلا هذا !! تسكتون عندما يفخر الناس
ببهديتهم ، فإذا تحدثنا عن الإسلام تهرتم وقلتم رجعية أو تعصب !! كيف
هذا !!؟ .

لقد كان الأوروبيون يحتقرون الكنيسة ويُحمّلونها أوزار التحلف ألف
سنة .. لأن العصور الوسطى كانت عصور الموت الأدبى فى أوروبا
وعندما بدأ عصر الإحياء من موارثنا نحن المسلمين سُمى عصر الإحياء ..
لأن الجيف بدأت تتحرك .. بدأ الأموات يشطون من موارثنا ، وحمل
المفكرون الكنيسة وحرافاتنا وسقامها العقلى حمّلوها ورر طلعة أوروبا فى
ألف سنة أو يزيد !!.

الآن استطاعت أن تُجند دول العالم الصليبي وغير الصليبي لكى تحدم
أغراضها .. وما أغراضها ؟ إنها تنسى الإلحاد والدعارة فى كل شبر فى
الغرب ، وتذكر شيئاً واحداً هو أن دين محمد ﷺ يجب أن يزول !!

هذا ما تذكره .. وهذا ما تعمل له سياسات الغرب التى تُظهر
إسرائيل ضدنا الآن !!

احتقار مكشوف للعرب .. سخرية واصحة من رجالهم إن كانت لهم رجالات ، ثم سطر فحد هذا الحقد الديني الذي بدأ يُسخر الذكاء البشري الآن والتقدم العلمي لمصلحته ، حتى الوثنية ، حتى عبادة البقر في الهند استطاعوا أن يفحروا الذرة لحسابها .. بينما المسلمون يعيشون في باكستان ما بين سلف وخلف .. قبوريين وصوفيّين .. مذهبيّين وتقدميين .. سعة وشيعة .. إلى آخر هذا الطراء الذي جعل حكاماً هناك يبيتون سكرى ويدخلون المعارك وهم مخمورون ثم تضرهم امرأة هندية^(١) ضربة تقسم باكستان قسمين كما ضربت العرب امرأة يهودية^(٢) فسُودت وجوهنا سنة ١٩٦٧ .. والعمالقة الذين لهم عضلات من « شراميط » كما يقول الرافعي بدأ عوارهم ، واكشف عارهم ، وظهروا على حقيقتهم !!

امرأة هندية تهزم المسلمين هناك .. وامرأة يهودية تهزم المسلمين هنا .. والسبب واضح وهو أن الأمة الإسلامية فرطت في دينها وتراثها .. ما بُدّ من أن يعود إلى دينها .. وهي عودة ليست بنت يوم أو يومين ، أو شهر أو شهرين: إن ما فسد على مدى قريين من الزمن لا يصلحه حماس خطية ، أو حماس عم كامل .. الأمر يحتاج إلى دراسة رجال ، وأعمال لجان ، وتدير مخلصين .. العمل يحتاج إلى الكثير .. الأمة الإسلامية الآن نظرت إلى كثير من قادتها ثم قُدرت كماياتهم بإصاف فوجدت أكثرهم لو كان يعمل في شركة ما كان أكثر من « قمسيوحي » !! لو كان يعمل في مدرسة ما كان أكثر من كاتب قيودات !! لكنهم بسحر ساحر أصبحوا رجال دولة .. أصبحوا شيئاً خطيراً .. وعندما يصطلم هؤلاء بالرجال الكبار يتلاشون .. صطدموا بالنساء فتلاشوا !!

إن الأمة الإسلامية تحتاج إلى علاج طويل وفيه مرارة .. لكن ما بُدّ

(١) أنديرا غاندي : رئيسة وزراء الهند حينذاك .

(٢) جولدامائير : رئيسة وزراء إسرائيل حينذاك .

من هذا كله .. لا أريد صحاح هستيرية ، ولا أريد أعمالاً عشوائية .. إنما يحتاج الأمر إلى القادة والمربين والعقلاء .

على أية حال إنني بعد ما جئت من سياحة في العالم العربي أشعر بشيء من الرضا واليقظة النفسية عندما أرى أن مؤتمرً يُعقد في هذا المسجد ليظهر الأوضاع التي يواجهها المسلمون الآن والعدوان الوضيع الذي شُبه أعداء الله عليها ، ولا بد أن المؤتمر سيحوض في قضايا ما يمكن أن يتجاهلها المسلمون .. إن أعداءنا لا يخجلون من شيء . بل لقد قال قائلهم :

« ما نبالي باستياء العالم !! » فإذا بلغوا هذا الحد من الصفاقة فهل سيبقى المسلمون سُكوتاً ؟ لا .. وإلا فإن قورهم سوف تُحفر لهم لا غداً .. بل اليوم !!.

« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إلها معادتنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) . عباد الله ...

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » (٣) .
وأقم الصلاة

رواه مسلم وأحمد والنسائي .

(٢) الحشر ١٠

(٣) النحل ٩٠ .

قادة الخير.. وقادة الشر

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة والسراج المير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فالباس رَجُلَان ، أحدهما صالح ، والآخر طالح .
الصالح : شخص عرف ربه معرفة حسنة ، وأدى حقه قسر ما يستطيع ، وحالق الناس بحسب حسن ، وعاش في دياره مجتهداً أن يَصُف أقدامه على الصراط المستقيم إلى أن يأتيه اليقين ، فيلقى الله على ذلك

أما الطالح : فرجل انقطعت بالله صلته ، فلم يقدره حق قدره ، ولم يؤد ما يسعى أن يؤديه من حقوق ، ولا أن يدع ما يجب أن يدعه من شرور ، بطل كذلك إلى أن يلقى ربه فجريه عما صنع : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ﴾ (١) .

هذا الوصف يصدق على الأشخاص العاديين ، رجل حيره في نفسه ، وربما امتد قليلاً إلى ما حوله ، أو رجل شره في نفسه ، وربما امتد قليلاً إلى ما حوله .

(١) سورة آل عمران الآية : ٣٠

كُنْ هَآكْ أَشْحَاصاً فِى مَوْسِمِهِمْ طَاقَاتٌ كَثِيرَةٌ ، رُؤُودُوا فِى أَصْلِ الْحَقِّقَةِ
مَوَاهِبَ صَحْمَةٍ ، رَمَا اسْتَعْلَتْ فِى الْخَيْرِ ، وَرَمَا اسْتُعْلَتْ فِى الشَّرِّ ، وَخَيْرُهُمْ
يَوْمَ يَكُونُونَ أَحْيَاراً تَتَسَعُ دَائِرَتُهُ لَتَشْمَعُهُمْ وَكَثِيرِينَ مِمَّنْ حَوْلَهُمْ ، أَوْ كَثِيرِينَ
مِمَّنْ يَجِئُونَ بَعْدَهُمْ ، وَهَؤُلَاءِ قَادَةُ فِى الْخَيْرِ .

وَهَآكْ نَاسٌ شَرُّهُمْ يَتَحَاوَرُ أَشْحَاصَهُمْ ، وَيَعْلُوهُمْ إِلَى عَيْرِهِمْ ، فَهُوَ
يَمْتَدُّ حَوْلَهُمْ ، بَلْ رَمَا انْطَلَقَ بَعْدَ مَمَّاهُمْ ، وَهَؤُلَاءِ قَادَةُ فِى الشَّرِّ .

هَآكْ قَادَةُ لِلْخَيْرِ ، وَهَآكْ قَادَةُ لِلشَّرِّ .

فِى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : « إِنْ مِنْ النَّاسِ مِفَاتِيحٌ لِلْخَيْرِ ، مِعَالِيقُ لِلشَّرِّ ،
وَمِنْ مِمَّنْ أَلَسَ مِفَاتِيحَ لِلشَّرِّ ، مِعَالِيقُ لِلْخَيْرِ ، فَطُولَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مِفَاتِيحَ
الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلَ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مِفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ » (١) .

هَآكْ قَادَةُ لِلْخَيْرِ ، قَادَةُ لِلْفِكْرِ يَصْعَوْنَهُ وَفَقِ الْقَوَالِبِ الَّتِى صَبَّهَا
الَّذِينَ ، وَارْتَصَاهَا الرَّحْمَنُ ، وَهَآكْ قَادَةُ لِلْفِكْرِ يَصْعَوْنَ النَّاسَ وَفَقِ الْقَوَالِبِ
الَّتِى صَبَّهَا الشَّيْطَانُ ، وَارْتَصَاهَا إِبْلِيسُ . هَآكْ قَادَةُ لِلْخَيْرِ ، وَقَادَةُ لِلشَّرِّ .

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَصَفَ الْقَادَةَ فِى كِلَا الْمِيدَانَيْنِ : فِى مِيدَانِ الْخَيْرِ يَقُولُ
عَنِ قَادَةِ الْمَكْرِ الصَّالِحِينَ الْمَصْلُوحِينَ الرَّاشِدِينَ الْمُرْشِدِينَ يَقُولُ فِيهِمْ :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (٢)

أَمَّا أَئِمَّةُ الشَّرِّ فَهُوَ يَقُولُ فِيهِمْ :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ
وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِى هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ (٣) .

هَآكْ قَادَةُ لِلْفِكْرِ الصَّالِحِ ، وَهَآكْ قَادَةُ لِلْفِكْرِ الْخَبِيثِ .

قَادَةُ الْمَكْرِ الطَّيِّبِ أَوْهُمْ أَوْ قَمَمُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُمْ ،
وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ ، وَعَاشَ بِقَتْبِهِمْ مِنْ سَنَاهُمْ .

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِى الْمَقْدَمَةِ - بَابُ مَنْ كَانَ مَعْتَاباً لِلْخَيْرِ - عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٨٧، ٨٦٢/١ وَذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِى الْمَجْمَعِ الصَّغِيرِ وَرَمَزَ لَهُ بِالْصَّغَفِ ، انْظُرْ مِصْنَ الْقَدِيرِ ٥٢٨/٢ .

(٢) سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ آيَةُ : ٧٣

(٣) سُورَةُ الْقَصَصِ الْآيَتَانِ : ٤٢، ٤١ .

هؤلاء القادة هم مصاييح الخير للناس ، هؤلاء القادة صالحون في أنفسهم مصلحون لغيرهم ، وهم شهداء الله على خلقه .

روى البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ، قال لى رسول الله ﷺ « إقرأ على » قست أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : « إني أشتى أن أسمعه من غيرى » فقرأت النساء حتى إذا بدعت : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ قال لى « كف أو أمسك » فرأيت عينيه قدرفان (١) !! .

قال العلماء : بكاء النبى ﷺ إنما كان لعظيم ما تصمته هذه الآية من هول المطلاع وشدة الأمر ، إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أئمتهم بالتصديق والتكذيب ، ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيداً

الشهداء من أنبياء الله كثيرون ، واخير الذى قدموه لناس تابع من سيرتهم ومن تبليغهم ، وما من سيرة عطرة أو تبليغ صادق إلا ورب العزة يودع فى ثيابه ما يجعله قديراً فى الحياة وبعد الممات على توجه الناس إلى الخير ، ولذلك فإن الذكرى المحسنة التى تجدد الحياة بعد موت صاحبها تكون امتداداً لدعوته فى الدنيا ، والله عز وجل عندما خلّد ذكرى الأحيار من خلقه خلّدهم بمنافيتهم وشمائلهم : ﴿ واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً . وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً ﴾ (٢) .

إذا كان صدق الوعد ، والأمر بالصلاة والزكاة مناقب تُخلّد أصحابها ، فهناك كذلك مناقب يسعى أن تُعرف من أئمة الهدى ومن قادة الخير .

إن الناس يتصورون أن أهل الإيمان ناس سليون ، أنهم ناس حسنة

(١) أخرجه البخارى فى فضائل القرآن - باب البكاء عند قراءة القرآن ٢٤٣/٦ ومستم فى المسافير - باب فصل استماع القرآن ١٩٥/٢ وأبو داود فى العلم - باب فى القصص عون العبود ١٠٣/١٠ والترمذى فى التفسير - تفسير سورة النساء . تحفة الأحمدي ٣٧٩/٨ وأحمد ٤٣٣/١ .

والآية من سورة النساء : ٤١

(٢) سورة مريم الأيتان : ٥٥، ٥٤ .

لواحد منهم أن يحيا في نطاقه الخاص لا يعدوه فلا يعرف ما وراء ذلك ولا يستطيع إصلاح عوج في آفاق الحياة ، وهذا خطأ فاحش ، فمادة الفكر في دين الله أكبر من ذلك ، تأمل في قوله تعالى :

﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار
إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . وإسهم عبدنا من المصطفين الأخيار
واذكر إسماعيل وإيسع ودا الكفل وكل من الأخيار . هذا ذكر وإن
للمتقين لحسن مآب ﴾ (١) .

سند : وصف في أول الأيدي والأبصار ﴿ ما معنى هذا
ابوصف ؟ هل معنى أولى لأيدي أن هم أيديا ؟ ومعنى أولى الأبصار أن هم
أبصاراً ؟

لكل أساس أيدي ، ولكل الناس أبصار ، وما يمدح الله أحداً بأن له يد
وأن له بصراً ، إنما المقصود بأولى الأيدي والأبصار أنهم أصحاب باع طويل ،
أصحاب دكاء حد ، أصحاب قدرة تمتد في الدنيا لتررع الخير وتقدمه
للخلق ، أصحاب بصر يرى اشروء من بعيد ويحسن حسنها واحتشائها من
جوارها ، هذا معنى .. أولى الأيدي والأبصار .

إن الطيبة ليست نوعاً من العجز أو العفلة ، الطيبة في الإسلام
ما تكون طيبة إلا إذا كانت قدرة متفوقة وبصيرة بعيدة المدى تسمح الحصى
وتحسن أن تؤدي ما عليها .

قادة الخير من أنبياء الله ومن مشى في أقدامهم وجرى على مسهم هم
الذين يفعلون الخير ويقدمونه لتحقيق في حياتهم وبالتركات التي يورثونها
الأجيال مستقبلاً .

وما تركت الأنبياء ؟ إن الأنبياء لا يورثون أموالاً ضخمة ولا غير
ضخمة ، إنما يورث الأنبياء الحكمة والعلم والهدى .

نحن لا نريد أن نتتبع تاريخ الأخيار من خلق الله فذاك شيء مسجل ،
إنما نريد أن نعلم أن أنبياء الله الذين ذكر بعضهم في كتابه وطوى بعضهم -

(١) سورة من الآيات من : ٤٥ - ٤٩ .

لأنه ليس من الضروري أن نعرف النكر - هؤلاء الأنبياء أحدث سيرهم وهدايتهم ولُحِصَت في القرآن الكريم، فلو أن موسى موجود ما تبع إلا القرآن ونبيه ﷺ ، لأنه يستحيل أن يقال إن « العهد القديم » الموجود الآن ، أو الأسفار الخمسة التي تسمى « التوراة » هي ما أوحاه الله إلى موسى .

كنت أقرأ في « الأسفار » فلفت نظري ما لفت أنظار الكثيرين من نصوص عجيبة ، والمفروض أن هذه التوراة نزلت على موسى - نقرأ هذه السطور :

... ومات موسى عن مائة وعشرين سنة ودفن في قبر عوَّاب لا يعرف موضعه وكان إلى أن مات نُضِرَ لجلده حاد البصر !!..

هذا كلام في التوراة ، والتوراة نزلت على موسى ، فكيف يُكتب هذا الكلام على موسى الذي مات ؟ .

إن الذي زور نسي أنه يكتب بلسان موسى فأودع العبارات - التي دكرتها لكم - في ثنايا التوراة ، وبديهي أنه إذا نزل كتاب على إنسان فما يقال فيه هذا الكلام أبداً ، لمكن الذي زور نسي ، ويكد المرهب يقول حنولي !!.

لا يوجد كتاب يُطمأن إلى أنه مائة في المائة من عند الله إلا هذا القرآن الكريم .

لخص الله فيه الحكمة التي توزعت على أنبيائه ، وأجراه على لسان محمد ﷺ وحيأ مباركاً ربَّاهم به محمد ﷺ جيلاً من الناس ، يكن هذا النبي الكريم ﷺ كما ربي بالكتاب الذي نزل عليه رباهم بالحكمة التي يطلق بها وبالكلمات القيمة الباهرة التي كان ينعهدهم بساها ، ويسند خطاهم بما فيها من حق .

ولما كما في أعقاب عيد الذكريات ، وهل العيد الكبير إلا عيد الذكريات ؟ .

نحن نذكر في قادة الخير الشيء العظيم الذي سيطر عليهم لتأسي به .

التوكل على الله مُخلق ، لكن هذا الخلق يسو بارراً يُحييه الناس
ويجدونه عندما يسعون بين الصفا والمروة ، فإن الوحي إذا نزل يقول
لإبراهيم : دغ امرأتك هذه ووليدها في أرض قفراء لا زرع فيها ولا ضرع ،
دعهم واتركهم في هذا المكان ، لا تُخرج عليه بعد أن تدعهم !!

فكيف يصح إبراهيم هذا ؟ إنه وهو الوثاق من أمر الله اسعد لما طلب
الله منه فعل ما فعل متوكلاً على الله ، المرأة عندما قالت لروحها أين
تركني ؟ إلى أين ؟ ما استطاع جواباً ، فلما قالت له : آله أمرك ؟ قن :
نعم ، قالت : إذاً لا يُصعبنا !! وتوكلت على الله في أرض ما يعطى شيء
مها أملاً في الحياة ، ولكن صدق التوكل على الله انتهى بأن تصحرت رمرم ،
وأن عمّر المكان ، وأن أصبح الطفل الذي كانت أمه قلقة على حياته
مضطربة على مستقبله ، أصبح أباً لأمة كبيرة فيها النبي الحاتم أو ألمع ما فيها
صاحب الرسالة العظمى عليه الصلاة والسلام !!

عيد الذكريات ، نتذكر الوفاء والتوكل على الله ، ونتذكر أشياء
كثيرة ، لعل مما يسعى أن نتذكره في تراث نبينا ﷺ في هذا العيد الذي
احتفيا به أمس الكلمات البيرة الغالية التي ألقاها على الناس في حجة
الوداع ، كانت هذه الحجة في السنة العاشرة من الهجرة ، وكانت الحجة
التي قبلها كما شرحنا لكم قد مهدت مهدت الطريق أمام الحكومات
الأخيرة ، كانت قد سبب الشرك وأحهرت عليه ، وحطرت على أشركين
رجالا وساء أن يذهبوا إلى المسجد الحرام ، إذاً الحجة الأخيرة وهي التي
كان أميرها النبي عليه الصلاة والسلام ، هذه الحجة تقريباً جمعت المسلمين
في جزيرة العرب ، لم يكن هناك إلا عدد قليل من الناس لم يشارك في هذه
الحجة .

من هؤلاء الذين لم يحضروا الحجة معاد بن جل رضي الله عنه ، وهو
من سادات الصحابة ومن فقهاءهم الكبار ، لما أرسله عمر رضي الله عنه
إلى الشام اهتزت الفتوى في المدينة بغيابه ، لأنه كان ركناً من أركان العلم .
المؤرخون يقولون إن النبي ﷺ أرسل معاداً إلى اليمن معلماً وباشراً
للإسلام في جنوب الجزيرة العربية وها كلام ينبغي أن يُعرف .

بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل وحالد بن الوليد وأبا موسى الأشعري وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً ، وكأن هاتماً خفياً ابعث في قلب رسول الله ﷺ يُشعره أن مقامه في هذه الدنيا أوشك على النهاية ، فإنه بعد أن علم معاذاً كيف يدعو من بلقاهم ، وكيف يُعرفهم دينهم ، خرج معه إلى طاهر المدينة بوصيه كيف يعلم ، كيف يرى ، يقول المؤرخون : ومعاذ راكب على ناقته ، ورسول الله ﷺ يمشي تحت الناقة ، الرجال الكبار لا يعرفون المظاهر ، ولا يهتمون بالشكيات ، رجال تُسيرهم الحقائق وحدها ، أما التوافه فلا قيمة لها في حياتهم . فلما فرغ من تعليمه لمعاده ، قال : يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا أو قبري . فبكى معاذ جشعاً لمراق رسول الله ﷺ .

ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال : « إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا » (١) .

إن الرباط بينه وبين الناس هو التقوى ، واجتمع المسلمون مع نبيهم ﷺ في حجة الوداع ، ونظر النبي ﷺ إلى الألوف المؤلفة وهي تلبى وتهرع إلى طاعة الله ، فشرح صدره قيادتها إلى الحق واهتداؤها للإسلام ، وعزم أن يعرس في قلوبهم ثواب الدين ، وأن ينتهز هذا التجمع الكبير ليقول كلمات تُبدد آخر ما أبقته الجاهلية من مخلفات في النفوس ، وتؤكد ما يحرص الإسلام على إشاعته من آداب وعلاقات وأحكام .

فألقي هذه الخطبة الجامعة (٢) :

« أيها الناس اسمعوا قولي ، فإن لا أدري لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا ، بهذا الموقف أبداً . أيها الناس : إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمه يومكم هذا ، وكحرمه شهركم هذا ، وإيكم ستلقون ربكم فيسألکم عن أعمالکم وقد بلغت .

(١) أخرجه أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : لما بعث رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ بوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ قال : يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني .. ٢٣٥/٥ وفي البيهقي في السنن باختصار - كتاب آداب القاضي ٨٦/١ وجشعاً : أي : جزعاً .

(٢) رواها ابن هشام في السيرة ٦٠٣/٤ ، ٦٠٤ الطبعة الثانية ١٩٥٥ مطبعة الحلبي .

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمه عليها .
الدماء والأموال ، الدماء والأموال ، وهل شرعت موثيق حقوق
الإنسان إلا لحماية الدماء والأموال والأعراض ؟ .

هذه الكسمة الموجزة هي ما يحتاج الناس إليه على امتداد الزمان
والمكان .

كان لي صديق وكان رجلاً كبير النفس ، سحى اليد ، رحيماً بكل
إنسان أو دابة أو طير . وضع الحبوب في شرفة بيته لتأكل العصافير ،
وكان يستمتع برؤيتها وهي تأكل ، ثم وضعها يوماً ووجد أن العصافير لم
تنزل ، فاستغرب ، ثم شعر بأنه ترك الباب مفتوحاً فخشيت العصافير أن
تكون هذه جباله كي تصاد !! فلما أعلق الباب برلت مطمئنة وأكلت !! .
قال : فعلمت أن المجتمع يحتاج إلى الأمرين معاً : الطعام
والطمأنينة !! .

في بعض المجتمعات الإنسانية الآن يوجد الأكل مبدولاً لهماهير من
الدواب !! ولكن أين الطمأنينة ؟ أين الأمان ؟ .

إن الأمن والشع هما ما اهتم به الإسلام عندما قال ممتناً على هريش :
﴿ فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من
خوف ﴾^(١) .

إن الله يريد أن يُطمئن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، وكل
مجتمع يشعر فيه بشر بقلق على ماله ، على دمه ، على عرضه ، على حقه ، على
كرامته ، على نفسه ، على ولده ، ليس مجتمعاً مؤمناً ، ليس مجتمعاً دينياً .
لابد من تأمين الحقوق والأموال والأعراض ، لو كسبت مالا من
سحت ثم تصدقت به ، أو وصلت به رحماً ما كان لك من ثواب فيه .
الحلال هو الذي يقبله الله ، ولا يجوز أن تفجع الناس في أموالهم
أو ثرواتهم .

(١) سورة هريش الأيتان : ٤،٣

ثم اتجه الحديث في خطبة الوداع عن ابريا : « إن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رعبوس أموالكم لا تُعلمون ولا تُظلمون ، قصي الله أنه لا ربا ، وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله » رأس المال وحده هو الذي يحل أحده وما وراء ذلك فممنوع .

ولما كان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه - عم رسول الله ﷺ ناجراً وكان يربى في أمواله على عادة أهل الجاهلية ، فإن النبي ﷺ طبق القانون أول ما طبق على عمه !! .

ثم اتجه الحديث في خطبة الوداع عن الدماء .
« وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أصع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بى يث فقتلته هذيل - فهو أول ما يبدأ به من دماء الجاهلية » .

الإسلام فتح صفحة جديدة ، الصفحة الجديدة التي فتحتها الإسلام تجعل من كان له قتل قبل ذلك يسي ، لا يطب ثأره ، الإسلام بدأ بالناس عهداً جديداً ، وافتتح بهم مجتمعاً آخر ، وأول إنسان يُهدر دمه ولا يُطب له ثأر هو ابن عم النبي ﷺ !!

ثم قال : « أما بعد - أيها الناس : إن الشيطان قد يش أن يعد في أرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم » !!

معنى هذه العبارة : أن الناس ربما عاد إليهم من الرشد وارتفع مستواهم من الفهم ، بحيث لن يعودوا يسجدون للأصنام ويحسون أصلاهم بحجارة لا تضر ولا تنفع ، ولكن ربما تسلل الشيطان إلى بياتهم وإلى أعمالهم ، تشتم هذا ، تكره ذاك ، تحاول أن تسيء إلى فلان ، أو أن تتقدم على فلان ، أو أن تتظاهر بكدا ، أو أن لا تعمل كذا ، هذه الأمور التي نستهي بها ربما أكلت الدين ، ربما أصابت الإيمان ، لقد تشعت ببصرى مؤسسات وجماعات وأفراداً وأشخاصاً فوجدت أن كثيراً مما أهدت الأمة الإسلامية يعود إلى تصرفات صغيرة وإلى أعمال تافهة ، كان يمكن للإنسان أن يتسامى فوقها ، وأن يرقب نفسه فلا يتدنى إليها ، وكما أحياناً يطعن

إلى أننا مسلمون ، ثم لا يفهم من الإسلام أنه إسلام القلب وحوارح جميعاً
لله ففعل من الأعمال وترك من الحقوق ما يكون سباً في أن نصل ما أمر
الله به أن يُقطع وأن نقطع ما أمر الله به أن يوصل !! .

وهل ضاع مجتمعنا إلا بمثل هذه التصرفات وهذه المسالك ؟ .

ثم به عليه الصلاة والسلام في هذه الخطبة إلى حرمة الأشهر الحرم ،
وللفقهاء كلام في حرمة الأشهر الحرم ، الجمهور على أنها تُسخت بقوله
تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾ ^(١) لكن عدداً من
المحققين من بينهم ابن كثير وغيره من أئمة التفسير قالوا : إن هذه الأشهر
باقية الحرمة إلى يوم القيامة ، ولكن القتال يحور فيها دفاعاً عن الأمة
الإسلامية ، كما أنه إذا كان امتداد القتال إليها من تنمة الخطبة الموصوعة لمنع
الشرك أو الإلحاد أن يؤدي اسميين أو يبال منهم ، فإن القتال فيها يستباح
وهنا يحتج أولئك بالآية :

﴿ إِنَّمَا السُّبْحُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَحْلُونَهُ عَاماً
وَيَحْرَمُونَهُ عَاماً لِيُؤْطُوا عِدَّةً مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ
أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢) .

هذه الآية قرأها النبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع ، ليبتل
عملاً كان المشركون يعملونه وهو أنهم إذا أرادوا مد لقتال إلى رحب أو إلى
الحرم قالوا : نُحل هذا الشهر وحرم شهراً آخر من الشهور الحرام في السنة .

فكان هذا التصرف تصرفاً سيئاً ، وطلو يؤجلون حتى عادت السنة ،
وعاد الشهر الحرام ، كما كان بعد أن أضيع .

فقال عليه الصلاة والسلام : « أيها الناس : ﴿ إِنَّمَا السُّبْحُ زِيَادَةٌ فِي
الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَحْلُونَهُ عَاماً وَيَحْرَمُونَهُ عَاماً لِيُؤْطُوا عِدَّةً
مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٣) .

(١) سورة التوبة الآية ٣٦

(٢ ، ٣) سورة التوبة الآية ٣٧

« وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حُرُمٌ ثلاثة متوالية ، ورجب - الذي بين جمادى وشعبان » .

الثلاث المتوالية هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، وهذا التحديد لأن كلمة رجب كانت تطلق أحياناً على شهر آخر .

ثم قال عليه الصلاة والسلام « أما بعد .. أيها الناس : فإن لكم على سائلكم حقاً ، وهر عبيكم حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة » .

قال العلماء باتفاق دون خلاف بينهم : إن هذه الجملة من كلام الرسول ﷺ في حجة الوداع معاه ليس على طاهره ، والمقصود بقوله : « أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه » ألا يأذن لأحد بدخول البيت إذا كان ممن لا يحق لهم الانفراد بالمرأة .

والمقصود بقوله : « وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة » اتفقوا على أن الفاحشة هنا : سوء الأدب ، والتطاول على الروح والشور ، ويس المقصود جريمة الزنا فإن ذلك مستبعد ابتداءً على المؤمنين والمؤمنات ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعن ، فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتصربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين فلهن ررقهن وكسوتهن بالمعروف ، و ستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان ، لا يملكن لأنفسهن شيئاً .

وإنكم إنما أحذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله . فاعقلوا أيها الناس قولي فإنني قد بينت ، وقد بركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس : اسمعوا قولي واعقلوه . تَعْلَمُنَّ أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم اشهد » .

لم تكن هناك مكبرات صوت على عهد النبي عليه الصلاة والسلام ،

ولما كان الحجاج في هذا الموسم قد بدعوا عشرات الألوف ، فإن صوت
النبي عليه الصلاة والسلام كان يستحيل أن يبلع هذه الألوف التي اجتمعت
في هذا الموسم الحاشد ، فكيف كان الصوت يصل ؟ .

قال ابن إسحاق^(١) : كان الرجل الذي يصرح في الناس بقول رسول الله
ﷺ - وهو بعرفة - ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله ﷺ .
قل : يا أيها الناس إن الرسول يقول : هل تدرون أي شهر هذا ؟ فيقول لهم ..
فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم
إلى أن تنقوا ربكم كحرمة شهركم هذا ، ثم يقول : قل يا أيها الناس إن رسول الله
ﷺ يقول : هل تدرون أي بلد هذا ؟ فيقولون : السد الحرام ، فيقول : قل : إن
الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بئدكم هذا

ثم يقول : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أي يوم
هذا ؟ فيقول لهم .. فيقولون يوم لحج الأكر . فيقول : قل لهم : إن الله
قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا

كان الرسول ﷺ يريد بعد بلاء طويل في إبلاغ الرسالة أن يصرغ في آذان
الناس وقلوبهم آخر ما لديه من نصيحة ، كان يحس أن هذا الركب سيطلق في
بيداء الحياة وحده فهو يصرح به ، كما يصرح الوالد بابنه الذي انطلق به القطار
يوصيه بالرشد ، ويروده مما يجمعه أبداً ، وكان هذا النبي الطيب عليه الصلاة
والسلام كذا أو جس حيفة من مكر الشيطان بالناس عاود صيحات الإنذار واستشار
أقصى ما في الأعماق من انتباه ، ثم ساق الهدى والعلم ، وقطع المعاذير المنتحلة
وانترع بعد ذلك شهادة من الناس على أنفسهم وعليه بأنهم قد سمعوا وأنه قد بلغ .
هكذا كانت حجة الوداع ، كان القائد الأعظم للعكر الإنساني كنه
ولهدايات لربانية جمعاء ، كان يودع الحياة بأحر ما لديه من نصيحة للناس ،
أفرعها في هذا القالب من كلمات سهلة موحزة لا يزال صداها يرن في صميم
الدهر إلى يومنا هذا معروفاً للناس بأن حاتم النيسين ﷺ تركهم على الشحجة البيضاء
لئلا يظنوها لا يزيغ عنها إلا هالك

أقول فولي هذا واستعفر الله لي ولكم .

(١) ابن هشام ٦٠٥/٤

هذا هو الذكر

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضي الله عنه

٢٧ / ٢ / ١٩٧٣ م

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .. وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والمعمة المسداة ، والسراج اسير .. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ، محمد وعلى آله ، وأصحابه ، والتابعين ..

أما بعد :

فحديثنا اليوم إن شاء الله عن ذكر الله تبارك اسمه ، وتعالى جَلُّه ، ولا إله غيره .. وذكر الله تعالى في هذه الأيام يقع بين طوائف متنافسة بينها بُعد ساحق .. هناك الماديون الذين لا يعترفون بوجود الله ، ولا يُقرّون شيء له بَتّة ، وإذا حدث أن عرفوا عن الحسد ، ورغبوا عن الحوار .. فإنهم في سلوكهم لا ترى لله أثراً في أحوالهم ، ولا في أعمالهم .. لا يعترفون به في كلامهم ، ولا يرفعونه بَتّة في أمرهم أو دينهم ، في رغبتهم أو رهبتهم .. وهؤلاء الآن يُمشيهم في العالم الشيوعيون والماديون ومن لا يهم ممن رفضوا الدين ، وكرهوا أن ينقادوا له .

وهناك من يذكرون ربهم وقد عجزوا عن أن يفهموا معنى الذكر فهم يَطْلُبون الدين لغواً على الألسنة ، وربما فهموا الذكر مجالس جذب ووثب وقصر ، ثم قلوبهم بعد ذلك بعيدة عن استشعار جلال الله ، وإدراك هيئته ، وقدره حق قدره .

إن ذكر الله تعالى يجب أن يأخذ صوراً كثيرة لمساسة الأحوال التي يكون الناس بإزائها ، فمثلاً أمام من يرفضون الاعتراف بالخالق ، ويكرهون الإيمان به يقول لهم : ﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون ﴾ (١) .

أما الذين يتحلون مع الله شركاء يكون ذكر الله بتوحيده ، وإفراده بالعبودية ، والتوجه إليه وحده بالدعاء والرحاء ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون . ولقد أرحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ (٢) .

ولهذا فنحن نشرح الذكر على محور يتفق مع كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

إن ذكر الله تعالى أشرف ما يحطر بالبال ، وأشرف ما يمر بالفهم ، وأشرف ما يتألق به العقل الواعي ، وأشرف ما يستقر في العقل الباطن . والذكر له معاني يجب أن يضرب لها أمثلة ، وسوق لها نماذج حتى تُعرف : .

الناس قد يقلقون للمستقبل ، أو قد يشعرون بالعجز أمام صوائق أحاطت بهم ، وبوائب نزلت بساحتهم ، وهم أضعف من أن يدفعوها .. لهم إذا كانوا مؤمنين تذكروا أن الله على كل شيء قدير ، وأنه بكل شيء بصير ، وأنه غالب على أمره ، وأن شيئاً لم يفعل من يده .. ولذلك يشعرون بالطمأنينة .. وهذا معنى قول الله عز وجل :

﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴿ (٣)

فذكر الله هنا يُشعر الإنسان بالسكينة النفسية .. لأنه يعلم أنه في حوار

(١) سورة الزمر الآيات ٦٢، ٦٣

(٢) سورة الزمر لآيات ٦٤ - ٦٦

(٣) سورة الرعد الآيات : ٢٨، ٢٩ .

لا يُصام ، وأنه إذا أوى إلى الله فهنا يأوى إلى ركن شديد ، ولذلك يشعر بالطمأنينة .. وهذا نوع من الذكر !! .

وعندما يطلق ناس صُوب الدنيا يعدونها ، يشبهون مداتها ، ويربطون حاصرهم ومستقبلهم بها .. فذكر الله هنا : أن يستعفف الإنسان ، وأن يشعر بأن مع اليوم غداً ، وأن مع الدنيا آخرة ، وأن الإنسان يحب أن يُقسَّم مشاعره بين حاضره ومستقبله ، فيعمل لمعاشه كما يعمل لمعاده . وهذا معنى قول الله جل شأنه :

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّى عَنْ دُكْرَانَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾ (١)

وذكر الله يُحامر قلب المؤمن عندما يزلّه الشيطان إلى ذنب يرتكبه في حب الله .. إنه لا يبقى في وهدته التي ارتلِق إليها ، إنه لا يبقى في سقطته التي جرّه الشيطان عندها ، إنه يذكر أن له رباً يَعْفُرُ الذنب ، ويقين التوب .. ولذلك فهو يهصر من كبوته ، ويظهر نفسه ، ويعود إلى ربه ، ويستأنف الطريق إليه ، كما قال الله :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

والفارق بين مؤمن يدب وفاسق يذنب أن المؤمن سرعان ما يعود ومُصر الإيمان إلى صميمه إذا استطاع الشيطان أن يكسف بوره بشيء من الظنمة ، أو ينث من الدخان .

أما الفاسق فإنه يبقى على طمته ما يرى فيها بصيص نور ، فيبقى على نحاسه ما يعرف طريق التطهر .. قال تعالى .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا فَسَّهْمُ طَائِفٍ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، وَإِخْوَانِهِمْ يَمْدُونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ (٣) .

(١) سورة النجم الآيات ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٢٥ .

(٣) سورة الأعراف الآيات ٢٠١ ، ٢٠٢ .

يَحْيَى ذَكَرَ اللَّهُ مَثَلًا فِي مَوْقِفِ الْمَرْءِ مِنَ الْمَالِ .. إِنْ أَمَالَ حَسِبَ الرُّوحَ ،
وَالْإِنْسَانَ يَعْشَقُهُ وَيَحِبُّ حَمَمَهُ وَادْحَارَهُ .. وَلَكِنَّ اللَّهَ يَطْلُبُ إِلَى الْإِنْسَانِ أَنْ
يَنْفَقَهُ ، وَأَنْ يَرعى فِيهِ غَيْرَهُ ، كَمَا يَرعى فِيهِ نَفْسَهُ .. عَمْدُهُذْ يَحَاوِلُ الشَّيْطَانُ
أَنْ يَغْلُ يَدِيهِ عَنِ الصِّفَةِ ، وَأَنْ يَمْلَأَ فُؤَادَهُ حَشِيَّةَ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَأَنْ يَغْرِيه
بِالْكِرَارَةِ وَالشَّحِّ .. وَلَكِنَّ ذَكَرَ اللَّهَ يَمُكُّ قِيودَ الْحُلِّ ، وَيَعْرِى أَمْرَهُ
بِالصِّفَةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ... ﴾ (١) .

ويقول : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ
مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢) .

ذَكَرَ اللَّهُ يَحْيَى لِلْأَمْرِ وَاللَّامِ وَهِيَ عِلْمُ طَرِيقِ الْكِفَاحِ وَالْجِهَادِ ..
يَحْيَى لِلْفَرْدِ عَمْدًا يُقَالُ لَهُ : مَا الَّذِي يُعْرِضُكَ لِلْجِهَادِ تَفْقَدُ فِيهِ مَا لَكَ ، وَقَدْ تَفَقَّدَ
فِيهِ رُوحَكَ ، وَلَوْ أَلَمْتَ قَعْدَتَكَ وَأَهْلَكَ وَوَلَدَكَ لَكَانَ ذَلِكَ أَطْوَلَ لِعَمْرِكَ ،
وَأَصْمَنَ لِحَاثِكَ . هَذَا يَحْيَى الذِّكْرَ مُعْدِمًا لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَتَعْرِضَ لِيَحْشَوْفٍ
لَا يُقَرِّبُ أَحَدًا ، وَلَا يَنْقُصُ عَمْرًا ، وَأَنْ الْقَعُودَ فِي الْبُيُوتِ الْأَمْنَةِ
أَوْ التَّحَصُّنِ فِي الْبُرُوحِ الْمَشِيدَةِ لَا يَدْفَعُ مَوْتًا ذَكَرَ اللَّهُ يَحْيَى هَذَا عَنْ طَرِيقِ
تَعْيِمْ الْإِنْسَانَ الثَّبَاتِ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

وَقَدْ يَحْيَى لِلْأَمْرِ عَمْدًا تَكُونُ فِي طَرِيقِ الْكِفَاحِ ، وَهِيَ تَوَاجُهُ
عَدُوًّا صُلْبَ الْعُودِ ، قَوَى الْعُدَدِ ، كَثِيرَ الْبَطْشِ ، فَتَشْعُرُ بِالْخَوْفِ .. وَلَكِنْ
إِذَا سَيَّطَرَ الْإِيمَانُ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْظُرُ إِلَى تَارِيخِهِ الَّذِي مَضَى ثُمَّ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي
يَسُوقُ النِّصْرَ وَحْدَهُ ، وَأَنَّهُ سَاقِ النِّصْرِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَيَّامِ عَصِيَّةِ بَلْعِ الْهَرَجِ

(١) سُورَةُ الْمَائِدَةِ الْآيَاتُ ١٠ ، ٩ ، ١١

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ الْآيَةُ ٢٦٨

(٣) سُورَةُ الْأَنْعَامِ الْآيَةُ ٤٥

فيها أن كاد المسلمون يَغشَقون من الصيق والصياع !!
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ حَاءَتْكُمْ جُنُودٌ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾ (١) .

ذكر الله تعالى يحىء للإنسان في أوقات فراغه .. وما أكثر أوقات
الفراع التي يخلو الإنسان فيها نفسه .. وقد يسرح فكره على غير طائل ،
ويصرب في ميادين الوهم على غير هدى .. ولكنه إذا أحسن استغلال هذه
الفترات فذكر من حقيقته ؟ من ررقه ؟ من علمه ؟ من رباه ؟ من ستره ؟
من أكرمه ؟ من كساه ؟ من آواه ؟ إذ ذكر ربه ، وأحسن نعمته ، واعتبر ،
ورق قلبه ، ودمعت عينه .. فإنه يُغفر له .. فإن من بين من يُظلمهم الله يوم
لا ظل إلا ظله : « رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » (٢) .

من محاذج ذكر الله أن تكون وحدك قديراً على ارتكاب أية رديلة ،
ولكنك تشعر برقابة الله عيذك ، ويتحرك قلبك في جُنتك لبصمتك من
الزلال .. هذا ذكر الله !! .

إن ذكر الله عز وجل معنى كبير .. إنه يحىء ضداً للنسيان .. قال
تعالى :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) .

إنه يحىء ضداً للعفلة .. قال تعالى :

﴿ اقْتَرِبْ لِلنَّاسِ حَسَابِهِمْ وَهُمْ فِي غَفلةٍ مُّعْرِضُونَ ، مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ
ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٤) .. في محاربة
الغفلة . وما أكثر العفلات ، في محاربة النسيان .. وما أكثر ما يعشى عقل
الإنسان من أسباب النسيان .. يحىء ذكر الله شعوراً معنوياً قبل أن يكون
حركة شفتين .. يحىء هذا الذكر تحريكاً لأفعال القلب حتى تُنفثح ، كما

(١) سورة الأحزاب الآية ٩٠

(٢) روضة البخاري في الأدب : باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة : ١ / ١٦٨ ومسلم في

الزكاة ٩٣/٣ . وأحمد ٤٣٩ / ٢ ، والترمذي ٦٧ / ٧ — ٦٩ .

(٣) سورة الحشر الآية : ١٩ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٠١ .

قل تعالى ﴿ وادكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدر والآصال ولا تكن من العاقلين ﴾ (١) .

تضرعاً وخيفة .. تذلاً وخوفاً من الله .. هذا هو الذكر الذي حوِّله المسلمون إلى محالٍ لعبث ، وإلى صيحات مُكررة وإلى نوع من المَجُون والعبث ، يساق فيه قول الله عز وجل :

﴿ وَذُر الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لُغُيًّا وَلَهُمْ أَعْرَبُهم الحياة الدنيا ﴾ (٢)

ونحن مكلفون أن نذكر الله كثيراً .. لماذا ؟ لأن الإنسان في هذه الدنيا تشعله مطالب نفسه ، ومطالب أهله وولده ، تشعله مطاهر الجسد والحركة حوِّله ، تستحوذ على انتباهه مطاهر الدنيا في فحاجها التي لا نهاية لها .. فلا بد أن يُقاوم هذا كله .. وهذه المقاومة إما تكون بالذكر .. والذكر هنا : يعنى محاربة النسيان .. يعنى محاربة العملة .. خذ مثلاً : الواحد ما قد يعتر ، قد يستفح ، قد يشعر بشيء من النقوة . فإذا ذكر الله بالكلمات مأثورة كان هذا تذكر دواءه . وما انكلمات المأثورة هـ ؟ « لا حول ولا قوة إلا بالله » (٣)

أى ليس لك حول من ذاتك .. أنت صِفَر !!

بقواك الخاصة .. أنت تافه !!

ولكن مع عون الله عز وجل .. أنت شيء كثير !!

وهذا معنى قول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وهذا معنى كلمة ابن عطاء الله في حِكْمِهِ :

« ما تيسر طلب أنت طالبه بنفسك ، وما تعسر طلب أنت طالبه بربك » !! .

هذا ذكر .. وإيما أحدل ناس كثير من العرب والمسلمين لأهمهم مع صاهتهم طلو أنفسهم شيئاً ! بينما كان اعمالقة قبلهم مع هويتهم يروون

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٥ . (٢) سورة الأنعام الآية ٧٠ .

(٣) روى أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن نسي عليه السلام قال : « ألا أدلك على كثر من كنوز

الحنة ؟ قلت : بلى ، قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » ٢ / ٥٢٠ .

أنفسهم صغراً !! فكانت سحرة . وضع الله يده بالبركة واليأس على من
لادوا به فبححوا وبتصروا !! وسحب رضوانه وتأييده وكفنه عن اعتر
بفسه فتركه مكشوف السواة عُريان العورة !!.

إن الأذى معنى كبير . وليس له هذا المفهوم الضيق الذى يشيع بين
الناس . لذكر الله معاني شتى ، ووسائل شتى ، وكما يحتاج الجسم الإنسانى
إلى وحيات يتعدى بها صباحاً وظهراً ومساءً حتى يحتفظ بالحرارة ،
ويتمكن من العمل والإنتاج .. وكذلك قلب الإنسان وهو مستودع إيمانه
يحتاج إلى وحيات روحية من ذكر منتظم يعرف بها المرء ربه ، ويؤدى
حقه ، ويروِّد بها القلب الإنسانى بالطاقة الروحية التى تجعله يتحرك على
هدى ، ولا يعمى فى صوصاء الحياة ونحجها الطويلة العريضة . ولا شك
أن أول هذه الوحيات هى الصلاة . فإن الله عز وجل لما شرع الصلوات
ليذكره أسس . قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (١).

والناس عندما يقرأون أم الكتاب قائماً يُناجون ربهم ، يشكرون
نعمته ، ويحمدونه على أفضاله ، ويعاهدونه أن يبقوا عبيداً له مستعبيين
به ، ثم يستلهمون منه أن يهديهم ، ويحيون أصلابهم رُكعاً وسُجوداً
ليذكروا الله باسمه العظيم والأعلى حتى يتعدوا فى رحام الحياة أن العظيم هو
الله ، وأن الأعلى هو الله ، وأن الخلائق صُعُرَتْ أو كبرت ليست شيئاً !!
فإن الله هو العظيم ، والله هو الأعلى ، ثم يجلسون ليحيوا ربهم : التحيات
لله !! .

هذه هى الصلوات وأثرها ليس تربية فردية فقط . ولكن الصلاة
عصمة اجتماعية .. فهى للشعوب صمان ألا تفتك بها الشهوات ،
وآلا تستشرى بها العمل .. ولذلك فإن الأحيال المسحطة هى التى تنصرف
عن الصلاة لأن الشيطان يومئذ يستهلك أوقاتها فى الضياع والشتات .
قال تعالى :

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ
فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (٢).

(١) سورة طه الآية : ١٤

(٢) سورة مريم الآية ٥٩

وعندما أبصر في شوارع القاهرة عمداً نمت أحسادهم ، وصمرت
أفئدتهم ونفوسهم وعقولهم يلهثون وراء الوهم ويطلقون لا يتخذوهم هدف
رفيع ، ولا غرض شريف . أنظر إليهم فأقول . ما زبنتهم الصلوات ،
ما تعلموا أن يصموا أقدامهم بين يدي الله ، إسم هذا المطهر والمخير
ما يصلحون لشيء ، لعة الله على من ربناكم هذه المثابة من الحكام
الشيوعيين ، ومن الآباء المفرطين الكسالى المصيعين !! .

إن الصلوات ما أضاعها وما صرف الناس عنها إلا من يريدون لأمتنا
أن تكون علماً لمدافع سي إسرائيل !! ولو أنهم علموا الأمم كيف تصطف
في الصلاة ، وتناجي ربها ، ما استطاعت أمة أن تفر في ميدان ، ولا أن
تحد راية الإسلام في معركة !! وكذلك القرآن به طريق لذكر .. وهل
نزل إلا للذكر !! إن الله تعالى يقول :

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ (١)

ويقول سبحانه :

﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا
الالباب ﴾ (٢)

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (٣) .

يبدو أن على القلوب أقفالاً كثيرة !! فإن أعداء العرب ، أعداء
المسلمين ، يُديعون القرآن من محطات الإذاعة .. لأسم واثقون من أن
المسلمين لا يفهمون ، ولا يتدبرون ، ولا يُنفنون أمراً ولا يُقيمون حداً .
وهم واثقون من أن القرآن يُداع لتضطرب به أمواج الهواء وكفى !! .

لذلك تُديع « تل أبيب » القرآن ، وتُديع « لندن » القرآن !! وهي
تدري أن المسلمين يهزون رؤوسهم ، أو يتمتمون بألستهم ، ثم ينهي الأمر
عند هذا الحد !! وما نزل القرآن لهذا .. إن القرآن نزل فأحيا أمة ميتة ،

(١) سورة القمر الآية : ١٧

(٢) سورة ص الآية : ٢٩ .

(٣) سورة محمد الآية : ٢٤

وحلق من العرب - وكانوا شعباً لا قيمة به في دنيا الناس - خلق منهم شعباً ورث العالمين أضخم حصارة عرفتها الدنيا ، وجُهدنا الآن أن يصل الناس بالقرآن لا بالسماع الميت ، ولا بالخشوع المصطنع . ولكن بالعمل . بإحياء أحكامه ، بالاستجابة إلى ما أودع الله فيه من بياض دفاقة بخير والحق :

﴿ يا أيها الذين آمنوا استحيوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُخَيِّكُم ﴾^(١) .

لذكر الله تعالى بعير شك معاني كثيرة .. وقد رأيتُ أن أشرح هذه المعاني .. ولكن لا يجمع هذا من أن إسلامنا العظيم رؤود الأتباع بصيغ للذكر ، هي صيغ ، قال العلماء : يُستحب أن تُردد لكن ما يُستحب تردده من صيغ شيء غير ما وجب استشعاره من ذكر الله .

إننا نَحْم الصلاة بالتكبير والتسبيح والتحميد .. ترديد الكلمات مستحب .. لكن الشعور بأن الله الأكبر ، وأن الحمد لله ، وأنه مُنزه عن الضد ، والند ، والكفر ، والزوجة والصاحبة .. تنزيهه عن هذا كله ركن .. وإذا أضعا الركن ورددنا صيغاً لا نفهمها فلا قيمة لهذا الترديد .. نريد إحياء الفريضة أولاً .. أما الصيغ فكثيرة .

وللسماء كلام أثبتوا فيه من معاني الذكر ، ومن صورهِ ، ومن صيغِهِ ما يهر القلوب ، ويشرح الصدور ، ويُفعم النفوس نوراً وثقى .. ومعروف في تاريخ السبي عليه الصلاة والسلام ، ويعرف هذا الأصدقاء والأعداء أن أحداً من الأولين والآخرين لم يُتفرق ذكر الله كما أتقنه محمد عليه الصلاة والسلام . لقد كان ذكر الله تعالى في قلبه وعلى لسانه يأخذ صوراً بلغت لا أقصد الإعجاز البياني في شرف صياغها ، ونقاء أسسها ، وجمال جملها . ولكن ما تضمنته من حب لله ، وحرارة في مساجاته ، وإقبال عليه ، ودوام على صحبته .

إن الصيغ التي وردت في هذا كثيرة إلى حد يحتاج إلى عرص خاص .

(١) سورة الأعمال الآية ٢٤٠

مها أن النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا أوى إلى فراشه قال : « اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وأجأت طهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وسبكت الذي أرسلت » (١) .

وكان إذا استيقظ من نومه قل :

« الحمد لله الذي عافاني في جسدي ، ورد عليّ روحي ، وأدبني بذكرك » (٢) .

وكان إذا لبس ثوباً جديداً قال :

« الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقني من غير حول مني ولا قوة » (٣) .

وكان إذا انتهى من طعامه قال :

« الحمد لله الذي أطعما وسقانا وجعلنا مسلمين » (٤) .

وكان إذا خرج من الخلاء قال :

« عفرائك » (٥) ويقول : « الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني » (٦) .

وكان إذا بدأ سفراً قال :

« اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم أصحبنا بضحك ، وأقلبنا بدمتلك ، اللهم ازو لنا الأرض ، وهوّل علينا السفر ،

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات باب ما يقول إذا نام : ٨ / ٨٥ ومسلم في الذكر — باب ما يقول عند النوم ٨ / ٧٧ .

(٢) رواه الترمذي في الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه حديث (٣٤٦١) تحفة الأحادي : ٣٤٥/٩ - ٣٤٧ .

(٣) رواه أبو داود في كتاب اللباس حديث (٤٠٠٤) : عون المبرور : ٦٥،٦٤/١١ .

(٤) رواه الترمذي في الدعوات باب ما يقول إذا فرغ من الطعام حديث (٣٥٢٢) تحفة الأحادي : ٤٢٥ / ٩ .

(٥ ، ٦) رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة باب ما يقول إذا خرج من الخلاء حديث (٣٠٠) ، (٣٠١) ، ١١٠ ، ١ .

اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السمر ، وكآبة المنقب « (١) .

وكان إذا عاد من سفر أو عزو قال :

« آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون » (٢) .

وكان إذا رأى الهلال قال :

« اللهم أهله علينا باليمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، رب وربك الله » (٣) .

وكان من الدعاء على لسانه غريباً .. كان يقول :

« اللهم اجعلني لك شَكَاراً ، لك ذَكَاراً ، لك زَهَاباً ، لك مُطِيعاً ، إليك مُخْبِتاً ، إليك أَوْاهاً مِسِيّاً » (٤) .

وأدعيته ﷺ وأدكاره في هذا كثيرة .. نعمنا الله بصاحب الرسالة ﷺ وما نزل عليه من كتاب جليل .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

(١) رواه الترمذي في الدعاء باب ما يقول إذا خرج مسافراً . حديث (٣٥١٠) ، وقال : هذا حديث حسن غريب . تحفة الأحودى ٩ / ٣٩٨ .

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا فعل من عرو أو حج أو عمرة يُكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون ، صلي الله عليه ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . أخرجه البخاري في كتاب الدعوات — باب الدعاء إذا أراد سراً أو رجع ومسلم في كتاب الحج — باب ما يقول إذا فعل من سفر الحج وعمره . وفي رواية أخرى عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ كان إذا قَدِم من سفر قال : « آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون » أخرجه الترمذي في الدعوات — باب ما يقول إذا رجع من سفره . وقال : هذا حديث حسن صحيح . تحفة الأحودى ٩ / ٤٠١ .

(٣) رواه الترمذي في الدعوات باب ما يقول عند رؤية الهلال . حديث (٣٥١٥) ، وقال هذا حديث حسن غريب . تحفة الأحودى ٩ / ٤١٣ .

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب الدعاء باب دعاء رسول الله ﷺ حديث : (٣٨٣٠) . ١٢٥٩ / ٢

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .
وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء ومسد المصلحين .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .
أما بعد :

عباد الله .. أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، واعلموا أيها الإحوة أننا مكلفون أن نذكر رسا كثيراً في هذه الأيام . أقصد بذلك : الذكر بالمعنى الذي شرحته .. ذلك أن « مصر » كان يجرها إلى الكفر بالله وترك دينه ناس كثيرون في ميدان الحُكم وفي ميدان القلم .. كانت مراكر القوة تقود بلدا إلى الشيوعية بيقين .. وقد حرّتنا مراحل طويلة في هذا الطريق . ونحن لا نريد أن نكفر بالله ، ولا نريد أن نسي وجوده ، ولا أن نبحد حقه في سيرتنا ، وفي سلوكنا ، وفي أعمالنا وهناك طلاب كثيرون الآن حريصون على أن تبقى « مصر » مؤمنة ، وعلى أن يحتفى كل أثر للمذّ الشيوعي في بلادنا . ونحن نقلوبنا ودعواتنا نريد فعلاً أن يحتفى من نفوسنا ومن صفوفنا كل تهوين للعلاقة بالله ، وكل إساعة إلى دين الله ، وكل تفريط في حب الله .. نريد أن تعود مرة أخرى إلى النفوس خشيتها من الله ، وانتظامها في صفوف الصلاة ، وعرازها للمساجد ، وتعلق القلوب بعبادة الله في ساحاتها .. نريد أن يعرف أن الإنسان لا كما يقول بعض

(١) سورة الشورى الآيات : ٢٥، ٢٦

الكتاب اليوم حيوان تاريخي !! لا الإنسان عند الله في هذه الدنيا ، يُخلق ليؤدي حق الله ، وليقوم إن كان مستمراً بأكمل رسالة نُضرت وجه الإنسانية وأُغلت قنبرها .. وهي رسالة الإسلام

إن الفكر المادي الوضيع يفرض نفسه عن طريق لُعط لا آخر له ، وبعام دواب ملكت ناصية الكتابة والتوجيه .

وبريد أن يعزم الناس أن هؤلاء ومن ساندتهم من أسباب السُّطة قديماً جُرُّوا بلداً في ميدان المادية ، وفي مساحرات الشيوعية ، حتى كانت السجدة أن هان ربنا عيسى ، هان القرآن عيسى ، هان دُيسا عيسى ، هُنا عي أنفسنا فسقطنا من عين الله ، ومن أعين الناس في الميدان العالمي !! .

إننا لكي نسرِّج ما فقدنا ، ولكي نسرِّد حسائنا يجب أن نذكر الله .. ومعنى الذكر هنا أن نُعش تعاليم الإسلام بِرَدِّ الحياة إليها بعد أن كادت تموت ، وأن نعيد للإيمان نضارته وقوته بعد أن كاد يذبل ويذوى ويضعف ويتلاشى .

إذا كما قد جُررنا في طريق المادية والشيوعية ، ومشيب طوعاً أو كرهاً خطوات في هذا الطريق فيسعى أن يعود أدراجنا إلى كتاب ربنا وسنة نبيها عليه الصلاة والسلام .. الموت أفضل من أن نعيش بلا دين . الموت أفضل من أن نعيش وقد انقطعت صلتنا بمحمد ﷺ وكتابه . الموت أفضل من هذا الضياع والشتات

« اللهم أصلح لنا ديناً الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنياً التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرت التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

عباد الله . ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٣) وأقم الصلاة

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي . (٢) سورة الحشر الآية ١٠

(٣) سورة النحل الآية ٩٠ .

إسلام بلا نصُّوص

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد .

فإن الإسلام هو النصيحة* الإلهية الثابتة . وهو الرباط الأوحد الأعظم بين المسلمين في المشارق والمغرب ، وأحوة الإسلام عاطمة شريفة جعلها رب العالمين أساساً لوحدة كاملة وأمة متبسكة ، هذه العلاقة توجب حقراً مختلفاً ، منها التناصر والتكافؤ ، فإن النبي ﷺ يقول : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلّمه »^(١) .

لا يظلمه : أى لا يحور عليه ، ولا يسلّمه : أى لا يحدّه في مجال ، ولا يتركه وحده في ميدان ، بل يكون ظهيراً له حيث كان ، ولو أن شخصاً اعتنق الإسلام في أبعد قارات الأرض شأّت له حقوق على كتلة الأمة الإسلامية في أرضها هذه التي تعيش عليها الآن .

والمسلمون هذه الوحدة ، أو هذه الأحوة أمة واحدة تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بدمتهم أديانهم ، وهم يد على من سواهم رباط التوحيد ،

(١) رواه البخارى في المظالم - باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلّمه ١٦٨ / ٣ ومسلم بحوره في البر - باب تحريم ظن المسلم وخدله ١٠ / ٨ ، ١١ وأبو داود في الأدب - باب المؤاخاة عن الميود ١٣ / ٢٣٦ وترمذى في الخلود - باب ما جاء في السمر على المسلم تحفة الأهودى ٦٩٢ / ٤ وأحمد ٦٨ / ٢

عقيدة الإيمان بالله الواحد هي المحور لدى تلاقى عليه المسلمون ومن احتضنت أجاسهم من عرب إلى ترك إلى ربوح إلى هود ، إلى بيص إلى دم أو لون أو عرق مما يتصور في الطبيعة البشرية .

الأمة الإسلامية أمة واحدة ، هذه الوحدة عرفت في تاريخها الطويل ، فدولة الخلافة بعد دولة النبوة ، ودولة الأمويين بعد دولة الخلافة ، ودولة العباسيين بعد الأمويين ، ودولة الأتراك العثمانيين بعد العباسيين ، كانت تعتبر المسلمين المورعين في القارات الخمس ، كانت تعترهم أمة واحدة هذه الوحدة كانت بلا ريب أساس بقاء الأمة ، وكانت سلاحاً حاداً يجمع أعداءها من أن يعتكوا بها ، أو يبالغوا بيلاً حسيماً بها ، فلما أراد أعداء الإسلام أن تمزقوا هذه الأمة ، وأن يجهروا على دينها قرروا أن يقسموها إلى دويلات شتى ، وإلى شعوب مختلفة .

وبدأ هذا التقسيم في الحقيقة عندما بدأت جمعية سرية في تركيا ، أسست نفسها جمعية الاتحاد والترقي ، تقاوم السلطان عبد حميد ، والسلطان عبد الحميد رحل كذب عليه كثيراً من أرخوا له ، فإن لأمة الإسلامية على عهده كاب أكثر تماسكاً ، وأبعد عن صرب الأعداء ، فلما عزل الرجل ، وبدأت السرعة الطورانية ، وهي جزء من مخطط عملي ضد الإسلام ، يحيى الطورانية في تركيا ، ويحيى الصرعوية في مصر ، ويحيى فيسيفية في سوريا ، ويحيى الآشورية في العراق ، ويحيى الفارسية في إيران وهكذا ، وهكذا .

المهم : أن الرباط الأواحد وهو الإسلام يتمرق ، أن الصبغة الثابتة يهت لونها وتنف. صبغتها ، أن عاطفة الإحوة الإسلامية تؤخر وتتقدم عليها نزعات أخرى وعواطف أخرى .

وكان القصد كما قلت تمزيق الأمة الإسلامية ، وأخذ هذا التمزيق شكله الأول في أول ضربة وقعت إثر أول انقلاب عسكري خطير في تاريخ الأمة الإسلامية ، وهو انقلاب « مصطفى كمال أتاتورك » ، ومصطفى كمال أتاتورك كما ذكر التاريخ رجل عميل ، صاع له الاستعمار بصرأ على اليونان حتى يجعل منه شخصية مهمة II وعن طريق تكوين شخصية مهمة يمكن أن يضرب الإسلام ضربات موجعة على يد شخص أمكن أن يتروح ببعض

الهلالات من بصر براق ومن أمور يجعله رعيماً ، ولا هو في الرعاية بقليل ولا كثير !! .

بعد نيل من دراسة التاريخ أن العالم الإسلامي تفتت به مؤامرات تدبر في الخارج بذكاء ، ويصنع بعد ذلك الرجال العملاء في العالم العربي والإسلامي لتفيد مخططات صهيوية وصليبية وشيوعية !! اللهم أمها جميعاً تتلاقى على سحق الإسلام وتمزيق أمته !! .

وقد نحتت بلا ريب هذه المؤامرات وأصبح السدمون الآن موزعين على نحو سبعين جنسية كما قلت فيما مضى .

أول ما ظهر في العالم الإسلامي النزعة الوطنية ، ولا شك أن كل امرئ يحب وطنه ، ومحبة الوطن غريزة في دماء البشر ، ولكن من قال إن حب الوطن يعني أن نعد التراب ونسئ حالق التراب ؟ من قال هذا ؟ . إن الشهيد الوطني الذي صرع لنا ، كان يقول فيه قائمه وهو يسبحي مصر :

حديث أول ما في المؤاد ونجواك آخر ما في فمي

وإذا كان حديث مصر أول ما في المؤاد وآخر ما في الفم فمادام يبقى لله أولاً وآخرأ ؟ لن يبقى له شيء !! .

وقد كتبت هذا في كتابي « ليس من الإسلام » من عشرين سنة . البرعة الوطنية إذا كانت أعرت المصريين بعبادة مصر ، فقد أعرت كل بلد بأن بعد تربيته ويتعصب لوطنيته ، ويجعل منها شيئاً يقدم على الدين ومطقه ، وعلى العقيدة ووحيا ، وعلى الأخوة الإسلامية وحقوقها ، وأفهم المسلم في السودان أن ليست له صلة بأحبه في مصر ، بل صلتته بالزنجي الوثني أو الذي نصره المشركون في جنوب السودان أولى به وأوثق وأقرب إليه وأقوى من صلتته بأي مسلم في أي مكان آخر !! .

وهذه الفلسفات الحديدية أكلت أراضي الإسلام ، لأن كل جزء من هذه الأرض شغل أهله بأنفسهم فقط .

فلما أحس المسلمون بأن النزعات الوطنية توشك أن تأتي عليهم فرادى وجماعات أحدوا يجهلون إلى سرعة العامة ، إلى الأحرار الجامعة ، إلى الأمة

واحدة ، إلى الإسلام الكبير ، إلى عملة الرحب ، ولكن قبل أن تبدأ الدعوة الإسلامية تأخذ مداها ، كان التامر العالى قد اتفق مع « ميشيل عفلق » وعبد المسيح فلان ، وكدا ، وكدا ، من العرب السوريين أن يؤلفوا هبة عربية أخرى تغنى عن الإسلام !! وجاءت القومية العربية لتغنى عن الإسلام !! .

ولنح ما فهمنا القومية العربية على هذا النحو ، نحن نعتبر العروبة وعاء الإسلام ونعتبر العربية لغة القرآن الكريم ، فيجب أن تبقى وأن يكون لها من يصبق بها ويرعاها ومن نردهر آداب العريسة في حتمعهم وحصارتهم وقوميتهم ، فتكون القومية قومية لسان لا قومية دم أو حس أو عرق .

فإن الإسلام لا يعرف التعصب حس ، ولا يعرف أن يُقَلَّم دم على دم ، أو لون على لون ، فإن أخوه الإسلام تحت كل هاتيك الصوارق بين الخلق ، لكن الذى حدث ونُقد أن العروبة أسبق من الإسلام ، وبالتالي تمحى الآن في بطاقة تحقيق اشخصية ، تمحى الديانة فلا يكتب مسلم أو مسيحي أو دررى ، أو كدا ، أو كدا في البطاقة في سوريا أو في العراق ، لم ؟ لأن المقصود فعلاً أن تكون العروبة أهم من الإسلام !! . وشأ عن هذا طبعاً أن العالم الإسلامى مُرّى ، وأن قصبه فلسطين اعتبرت قصبة عربية لا قصبة إسلامية ، واعتُبر العرب مسئولين عن أنفسهم .

وهكذا اردادت جراحات الإسلام عمقاً ، وارداد بربه عرارة ، وشعر أعداء الإسلام بأن الإسلام يوشك أن يلغى حتفه ، وأن ينتهى أحله ، لأن المؤامرات التى حيكوها وأحكموا صنعها بدأت تؤتى ثمارها .

لكن دين الله كان أغلب ، والمنتمين إليه كانوا أكثر ، وكانت العقيدة أعر على أنفسهم من أن تضيع على هذا النحو .

فبدأ اتجمع على الإسلام يأخذ طريقه ، وبدأت الأمة الإسلامية تفكر تفكيراً جاداً في أن تمحو الاستعمار الثقافى والقانونى والاجتماعى الذى علب عليها .

وبدأت صيحات الدعوة إلى الإسلام تنطق بقوة ، وتوجب على الأمة أن تعود إلى دينها وأن تتمسك به .

وهنا أحدثت المؤامرات ضد الإسلام طريقاً آخر .

ونحن نريد أن نكشف أبعاد المؤامرة الحديدية على الإسلام حتى إذا اقتضحت في أوانها ، وانكشف المشتركون فيها — وهم يؤدون دورهم — بطلت حيلهم ، واقتضحت عقباهم ، وعُرف ما يريدون فأخذت الأمة حذرهما من هؤلاء .

المؤامرة الحديدية : أنه لا نأس من العودة إلى الإسلام !! لكن الإسلام الذي يعود إليه إسلام يمكن للحاكم أو للدولة أن تتحصى من نصوصه !! ودين بلا نصوص ما يكون ؟ وما هي النصوص التي يمكن أن تتحصى منها ؟ أطراف المؤامرة الحديدية كشفوا عن أنفسهم ، وأتت ناعت هذه المؤامرة في بلاد إسلامية كثيرة ، وعرف أنه ليس من الصدف أن يكون هناك هيجان في وقت واحد ضد النصوص الإسلامية في أقصى الشرق — في أندونيسيا — أو باكستان — وفي أقصى الغرب — في تونس والجزائر — وفي وسط العالم الإسلامي في مصر !!!

لا بد أن أطراف المؤامرة تحركهم قوى واحدة ، وتدفعهم رغبة واحدة في القضاء على هذا الدين .

المؤامرة الحديدية تتحدث عن إسلام بلا نصوص — إسلام يستضيع أي إنسان أن يلغى أحكامه كما يريد .

وقد سمعنا فعلاً أن حاكماً قال : صوم رمضان يعطل الإنتاج !! إذاً لا ضرورة لصيام رمضان
أما مسلم ، ولكي مسلم متقدم ، مسلم متطور ، مسلم ينظر إلى النصوص نظرة مَرَبَّة !!

الحج يصعب العمل الصعبة .

قبح الله وجوهكم !! وما الذي جعل العملة صعبة وسهلة ؟ إذن لا حج . لكن لا حج مشكلة خطيرة ، إذن يذهب الحاج بالقرعة . وَطَبَّقَ هذا طبقه رجل شيوعي في أندونيسيا ، وانتقلت العدوى إليها ، لكنها مستتة إن شاء الله .

الحج يضيع ، الصوم يضيع ، الصلاة ، ما المقصود منها ؟ تقويم الأخلاق ؟ نحن أخلاقاً حسنة ، فلا ضرورة للصلاة !! وهكذا ، وبدأت حركة المتأمرين ، تنكشف في الحاج بعض الرجال وبعض النساء على أن يكون هناك إسلام بلا نصوص .

إسلام بلا نصوص ، البدعة الجديدة ، وتتبع البدعة الجديدة فوجدت أن هناك سورة يعلم أن القانون القائم المستورد من فرنسا ، وكذلك القانون القائم في السودان المستورد من إنجلترا ، هذه القوانين لا تعتبر الالتقاء الحسى الحرام حريمة !! بل إذا كان الرجل متزوجاً ورأى أن يترك امرأته بعد أن فعلت ما فعلت فلا حرج !! ليس لله في هذا القانون حق يقام !! ، وليس هناك في هذا القانون دين يُرعى !! .

ولو أن النسوة المشتعلات بالهبة النسائية كما يردن التعبير عن أنفسهن !! لو كن أصحاب شرف ، لو كن أصحاب مكانة خفية ، لو كن أصحاب غيرة على الأعراس والأسرة لاهمن هذه القوانين ، ولقلن يجب أن تعير ، ولو أنهن بدأن الحركة من هذا المبدأ لاستمعنا إليهن في كثير ، لكن الذى حدث أسهن أطقن شفاهن على هذا المكر القانوني ، وسكتن عنه سكوناً تاماً ، وبدأ الكلام عن أن المرأة مظلومة في الإسلام ؛ لأنها دون الرجل في نصاب الميراث وفي نصاب الشهادة !! عجباً !! المرأة التي كرمها الإسلام صفة ، وجعل الإنفاق عليها متراً من النار وطريقاً إلى الجنة !! وكرمها زوجة ، وجعل أفضل الرجال الذين يكرمون نساءهم !! وكرمها أمّاً ، وجعل الجنة تحت قدميها !! .

الإسلام يتهم بأنه أهان المرأة ، والقانون الذي افترش المرأة بكل كلب والغ في الأعراس يسكت عنه ويعتبر قانوناً مقدساً !! . يُهاجم الإسلام ، ويسكت عن هذا القانون !! ثم عندما أتيح الكلام لإحدى المتحدثات عن الهبة النسائية قالت كلاماً ، لا أدري كيف قيل ؟ ولا أدري ما الذي حدث حتى تسوء أحوال أمتنا فتبلغ هذا الدرك !! ؟ امرأة تقول : إن « مصر » لا حرج عليها ولا تعاب إذا كانت متفتحة لسياح ترصى أمزجتهم !! هذا الكلام ينفل في الخارج فيعلم منه في الشام وفي ليبيا وفي السعودية وفي كل بلد أن النساء في مصر سلعة تناع وتشترى !!

هل هذا هو الحال في مصر ؟ وهل النساء في مصر هكذا ؟

إن مصر مليئة بالأسر الشريفة ، مليئة بأصحاب الغيرة على الأعراس ، مليئة بناس يعضلون الموت على العار !! .

لكن امرأة فقدت الدين والشرف والخلق تتحدث عن نساء مصر بهذا

الأسلوب ، وتعطى فكرة عن مصر كلها بأن مصر بلد مفتحة برصى
أمزجة السائحين
وهذه المرأة سطلق مسعورة عندما ترى الطالبات فى الجامعة ارتدين
ملابس الخشمة !! وتسكت سكوت القبر على فساد القانون ، وتدافع عن
شارع « الهرم » وما يقع فيه من فضائح !! .

ما هذا ؟ لاحظوا أن المتكلمات فى هذا الموضوع يحرصن على القول
بأنهن مسلمات حريصات على الإسلام ، ولكن الإسلام الذى يظلمه إسلام
متصور ، إسلام لا يعرف التطبيق الحرقى للصوص ، إسلام بلا صوص !! .
ثم أشعر بشيء من الكآبة وأنا أرى من لا يحسن الحديث يتكلم فى
الأمور العلمية بجهل غليظ !! .

قال أحد الناس : إن قطع يد السارق كان قديماً لأنه لم يكن هناك
سجون وهذا جهل صبيانى ؛ لأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان له
سجن فى المدينة ومعروف أن الخطيئة الشاعر كان شديد التطاول على
الناس ، وأراد عمر أن يمنع بداءته وفحشه فحكم عليه بالسجن ، وفى
السجن أرسل الشاعر إلى عمر رضى الله عنه أبياتاً يستعطفه فيها ويطلب منه
أن يعفو عنه وأن يطلق سراحه ، وفى هذه الأبيات :

مادا تقول لأفراخ بذى مرج رعب الخواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسهم فى قعر مظلمة فاغفر عليث سلام الله يا عمر (١)
لكن متحدث القرن العشرين فى الصحافة ظن أن السجن اختراع
أورنى أو اختراع أمريكى !! وقال : إن المسلمين إنما حكموا بالقطع لأهم
لا يعرفون نظام السجون !! عجباً لهذا الجهل !! ثم تسمع كلاماً آخر
امتداد لهذا الجهل فى موضوعين :

الموضوع الأول . فى قطع يد السارق ، لأن صحافتنا وأدباءنا كثير منهم
شديدو الخنوع على السكارى والزناة واللصوص !! سبحان الله . أهناك قرابة ؟ .
ما هذه العاطفة الحارة ضد الإسلام ، وهذا الدفاع المستميت عن
اللصوص وعن الزناة وعن السكارى ؟

(١) انظر ديوان الخطبة . ١٦٤ والعقد الفرید ٦ / ١٦٦ .

قال المدافع اجهول : إن الإسلام أحاط الحد بأن يدرأ بالشبهة ، وهل درء الحد بالشبهة معناه عدم إقامة الحدود ، وأن يُعطّل البصر ؟ شيء عجيب !!

إن عمر رضي الله عنه قطع حين وجد القطع لا بد منه ، ومع كأي قاضٍ تعرض عليه قضية فيتأمل ، فإذا وجد المتهم جديراً بأن يحكم عليه حكم عليه وقطّع ، وإذا كان جديراً بأن يترك أهد أمر الله وبركه دون حكم .

في الأمر الأول جيء ببص ، ونظر إليه عمر فوجد رجلاً جليداً قوياً ، وجاءت أمه تستعطف عمر وتقول له : ابني سرق وهذه أول مرة له . فقال لها عمر : كذبت إن الله لا يفضح عبده لأول مرة !! ثم قُيم الحد .

وروى ابن حزم في « المحلى » أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذهب إلى الرجل وقال له : أشدك الله كم سرفت من مرة ؟ قال له : إحدى وعشرين مرة !! (١) وفي قصة أخرى : أن عثماناً لابن حاطب بن أبي بلتعة سرقوا باقة وانتحروها وأكلوها !! وجرى بهم إلى عمر رضي الله عنه فرأى وجوهاً مصفرةً وبأساً متعبين ، تحقق الأمر ، وقال لابن حاطب بن أبي بلتعة . أما إني أعدم أنكم تدأبونهم في العمل وتنقصوهم الأجر ، أما إذ فعلوا ذلك لأنك ظلمتهم فلا غرمك غرامة توجعك !!

ثم قال « للمزني » صاحب الناقة : بكم كنت تبيع ناقتك ؟ قال كنت أمنعها من أربعمئة درهم ، فأمر ابن حاطب أن يدفع ثمانمئة درهم !! (٢) .

وفي رواية ضعيفة قال عمر لابن حاطب : إن سرقوا مرة أخرى قطعتك أنت !! .

معنى هذا أن الإسلام دين لا يقطع إلا اليد الظالمة الآثمة ، أما الجائع ، أو المظلوم ، أو من هناك شبهة في إقامة الحد عليه ، فإن الحد يسقط تلقائياً .

وعمر رضي الله عنه يتبع في موقفه من غلمان ابن حاطب يتبع سيده رسول الله ﷺ وسيدنا جميعاً ، فإنه في قصة معروفة : أن لصاً ضبط في

(١) انظر المحلى : ١١ / ١٥٨ .

(٢) انظر المحلى : ١١ / ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

بستان أكل وملاً جيوبه !! وذهبوا به إلى النبي ﷺ بعد أن ضربوه ضرباً موحشاً ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام - وهو متألم - لصاحب البستان : « ما علمت إذ كان جاهلاً ، ولا أطعمت إذ كان جائعاً » (١) واعتبره الرسول ﷺ جاهلاً ، ولم يقم عليه أحد !!.

لكن ما نقول : إذا كان الإسلام لم يتحدث فيه فقهاؤه ، وإنما يتحدث فيه سماسرة الاستعمار ، يتحدث فيه عملاء الشيوعية والصلبية ، يتحدث فيه الجهلة الذين لا يعرفون كتاباً ولا لغة ولا فقهاً ، ويهد أن يكتبوا جهلهم بأخذون جائزة تشجيعية !! ما هذا ؟ .

يقول المدافع عن السرقة وأن حد السرقة لا يجوز أن يقام يقول كلاماً عربياً امتداداً للجهل ، بعد أن قال : إن الحد يَسْقُطُ بالشبهة ، كأن كل حد في الدنيا يسقط بالشبهة !! أي جهل هذا ؟ .

يقول : إن الإسلام ترك الإماء والحواري والعبيد والرقيق ، ونسخ كلام القرآن في هذا ، وكما نسخ كلام القرآن في هذا يسخ كلام القرآن في السرقة . هذا الكلام أفرعني !! لأنه جهل صفيق جداً !!.

أولاً : الفرق شاسع بين حد السرقة الذي جاء فيه أمر إلهي وبين قصة ارقبيق التي نتحدث الإيس والجن أن يأتوا بنص في القرآن بأمر بالاسترقاق !! .

القول بأن في القرآن نصاً يأمر بالاسترقاق غلط ، ولكن الجهل

(١) عن عباد بن شرحبيل قال : أصابني سعة فدخلت حائطاً من حيطان المدينة فركت سبلاً فأكنت وحملت في ثوبي ، فعاء صاحبه فصرى وأخذ ثوبي ، فأبى رسول الله ﷺ فقال له : « ما علمت إذ كان جاهلاً ، ولا أطعمت إذ كان جائعاً ، أو قال ساعياً » ، وأمره فرد على ثوبي ، وأعطاني ومثلاً أو نصف وسق من طعام » (رواه أبو داود في الجهاد ٢٨٥ / ٧ ، والنسائي في القضاء - الاستعناء ٨ / ٢٤٠ وابن ماجه في التجارات - باب من مر على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه ٢ / ٧٧٠ ، وأحمد ٤ / ١٦٦ / ١٦٧ .

أصابني سعة : أي جماعة وقطع ، حائطاً : أي بستاناً . فركته : قال في القاموس فرك السبل دنكه . أي أخرجه منه من جيوب ، ما علمت إذ كان جاهلاً ، فإن الخطأ وفيه أن النبي ﷺ علمه بالجهل حين حمل الطعام ، ولأن صاحب الحائط إذ لم يطعمه إذ كان جائعاً عون الميود ٧ / ٢٨٥ .

المركب جعل المدافع عن الصلال يقول بأن في القرآن نصاً بسحبه المسمون هكذا!، وليس في القرآن نص بالاسترقاق، ولكن الأمر بالاسترقاق موجود في العهد القديم، وموجود تطبيقاً له في العهد الجديد!!.

ومن جهل المتعلمين المسلمين وهو جهل عليط أنهم يضعون الإسلام في سجن الاتهام في قضية الرقيق، مع أن الذي يوضع في سجن الاتهام أي مبدأ أو دين آخر إلا الإسلام، لأن الإسلام جاء والرقيق موجود في القانون الروماني والإغريقي والهندي واليهودي والنصراني!!.

جاء الإسلام—وهو الدين الأوحيد لدى حاء—فمسخ الاحتطاف، واعتبر الاختطاف جريمة مكفرة، وكان الاحتطاف أساس الاستعباد، وظلت أوروبا تشتعل بالخطف إلى القرن التاسع عشر، وكان لمملكة إنجلترا «اليزابث» سفينة اسمها يسوع تشتغل بختطف العبيد في غرب أفريقيا!!
نعم: تخطف الأحرار، وأفنتى لها القسوسة بحلّ هذا اعتماداً على نصوص التوراة!!.

الإسلام ليس فيه شيء من هذا، الإسلام قال في حديث قدسي عن الله: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكمل ثمنه، ورجل استأجر أجنبياً فاستوى منه، ولم يعطه أجره»^(١).

هذا هو الإسلام، صحيح أن الإسلام استبقى نظام العبودية كما يسمى، وجعل الأسر هو المنبع الوحيد للرق، ورفض ما عداه من مبادئ، واستبقى هذا من قبيل المعاملة بالمثل، لأنه يستحيل أن يحرم الرق إلا بالمعاهدة دولياً، ومن الحق أن أحرم الرقيق فأحرر الآخرين، بينما أترك أولادى يؤسرون ويُسرقون.

هذه هي القضية، لكن الجهل الذي أتاح للكثيرين أن يتبحروا، جعل بعض الناس يقول: إن الإسلام دعا إلى الرق ونحن نسحقنا الرق، إذن نسحق الخلود، وتوقف النصوص.

(١) رواه البخاري في البيوع باب إثم من باع آخر ١٠٨/٣ وابن ماجه في الرهن باب أجر الأجراء ٨١٦/٢ وأحمد ٣٥٨/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه

المؤامرة الجديدة التي يعمل لها كثيرون في وسائل الإعلام وأولها الصحافة ثم الروايات والمسارح دعوة إلى إسلام بلا نصوص ، ومعنى إسلام بلا نصوص . أن أى تافه يستطيع أن يقول : لا داعى لهذا النص ، لا داعى لهذه الآية ، لا داعى لهذا الحديث ، ومعنى ذلك أن يضيع الإسلام كله .

ورداً على هؤلاء أريد أن أقول : إن القرآن مائة وأربع عشرة سورة من كفر بآية واحدة من سورة واحدة فهو كافر بالمائة والأربع عشرة سورة جميعاً !! وإن بيننا محمداً عليه الصلاة والسلام له سنة درسها العلماء الثقات ، ورتبوا أحاديثه بين متواتر وصحيح ، وإن الذى يكفر باتباع محمد ﷺ فهو كافر بالأنبياء جميعاً وبمن أرسلهم .. برب العالمين جل شأنه .

إن الإسلام واضح ، أريد أن يعلم الناس أننا لن نسكت على ضياع دينا . إن الحراة الفاجرة التى مكنت امرأة أن ترين الفجور دون حرج ، والتى زينت لغيرها أن يبيع الخمر أو يبيع السرقة أو يرفض بصفقة أمر الله بقطع يد السارق ، إن هذه الحراة يجب أن نعلم خواتيمها ، وخواتيمها أننا ندرك أبعاد المؤامرة ونتائجها ، أبعاد المؤامرة ونتائجها أن يزول الإسلام ، وكما دخل اليهود سيناء ، والجولان ، والمسجد الأقصى على أيدي هؤلاء المتآمرين وفي ظل مؤامراتهم سيدخلون بقية العالم العربى .

ونحن لا أرب لنا فى حياة يضيع فيها الإسلام ، وتضيع فيه أوطان الإسلام !! نريد أن تعلموا أنه لا بقاء لنا ولا رغبة لنا أن نبقى إذا صاع الإسلام ، وسشتبك مع هؤلاء الكلاب والذئاب الذين يباحون دينا ، ويسمع عواءهم فى دور الصحف وفى شتى المنتديات ، سنشتبك معهم يقياً ، ونتابع أخبارهم ، ونفضحها خيراً خيراً ، ونتابع إفكهم على الإسلام ، وبكشف ضلاله كمة بعد أخرى ، إننا لن نسكت ، ويجب على المسلمين فى كل مكان أن يشعروا هؤلاء بأن كمة إسلام بلا نصوص لا بد أن تنتهى ، لا بد أن يعود الإسلام بنصوصه كلها ، وموتنا هو أول ما يقدمه فى سبيل هذا .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد (١).

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

أما بعد :

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، واعلموا أيها المسلمون أن قطع يد السارق أو جلد الرائي ، أو رجمه ، أو ما إلى ذلك من نصوص ، هي في تعبير علماء الشريعة فروع إسلامية مهمة ، لكن الأصل الإسلامي الأول هو الإيمان بالله ، والسمع والطاعة له ، وتولية حكام يقولون للأمة كما قال أبو بكر رضي الله عنه : « إن أحسست فأعينوني وإن أسأت فقوموني » .

ومعنى ذلك أن الأصل في الحكومة الإسلامية ليس قطع يد السارق كما يريد أن يلغط عدد كبير من الناس ، هذه فروع في الشجرة الإسلامية ، أما حذع الشجرة فحكم يؤمن بالله ويدين بالسمع والطاعة ، ويستشير الأمة ولا ينال منها ولا يذلها .

ولذلك فإن أي حاكم يصكر في أن يجعل هواه قانوناً فيعتقل من يريد متى يريد ، هذا ليس حاكماً إسلامياً ، بل هو سمسار للاستعمار العالمي كي يذل الأمة ، ويوطئ ظهرها لكل محتل يجيء من الخارج .

إن أساس لحكم الإسلامى إعطاء الناس حق الحرية ، كما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ » .

(١) سورة الشورى الآيتان : ٢٦، ٢٥

ولذلك فإن سيادة القانون مبدأ يجب أن يحترم ، على أن يكون هذا القانون بدهة في إطار الشريعة، منها يستمد وعليها يعتمد .

إننا نرفض أن يصور الإسلام بصورة مشوهة ، ممن تؤخذ صور الإسلام ؟ من رجاله ، من علمائه ، إن الأدعياء ليس لهم أن ينطلقوا فيتحدثوا عن الإسلام بما يريدون أو كيف يريدون .

إننا نؤكد أن الإسلام كبير ، وأنه إذا خانه الجيل الحاضر : ﴿... فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ...﴾ (١) .

لكننا لن نخون الإسلام ، وإذا كان أصحاب الجراءة على دين الله قد تاحت لهم فرص يكذبون فيها على الإسلام ، فإنه لا يجوز أن نترك لهم الفرصة لنجاح المؤامرة الأخيرة على الإسلام ، إنها المؤامرة الأخيرة ، لن تكون بعدها مؤامرة إن شاء الله .

إن المؤامرة الأخيرة التي يعمل لها بعض الرجال أو بعض النساء مهمتهم أن يظهروا أنفسهم مسلمين متحمسين للإسلام ! لكن إسلام بلا نصوص . يراد أن يكون شهوات تحكم وأهواء تمشي الأمة وراءها ، وما يمكن أن يترك الجو لهؤلاء أبداً .

كما قلت سنتعقبهم ، سنفضحهم ، لأنهم - كما استيقنت - أسباب هزيمتنا وأسباب ارتدادنا ، إن الخطة التي وضعها الاستعمار العالمي صليبياً أو شيوعياً هي أن يقال للمسلمين : يجب أن ترتدوا عن دينكم وأن تتنازلوا عن بلادكم ، لاخبار أمامنا ، مطوب منا أن نرتد عن دينا ، وأن نتنازل عن بلادنا !! .

أما الارتداد عن الدين فلأنهم يحاربون على هذا الدين من أربعة عشر قرناً !! وأما التنازل عن البلاد فلأن خيراتها كثيرة ، وكنوزها موفرة ، والطاقات فيها لا تنهى 11 .

(١) سورة المائدة الآية : ٥٤ .

نحن بين أمرين ، إما أن نتشبهت بالإسلام فنجو وننجح ، وإما
ألا نتشبهت بالإسلام فيناتنا خسر الدنيا والآخرة جميعاً .

« اللهم أصبح لنا ديناً الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنياً التي
فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرة التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في
كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا
غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٣) .

وأقم الصلاة

(١) روى مسلم والنسائي وأحمد .

(٢) سورة الحشر الآية : ١٠ .

(٣) سورة النحل الآية : ٩٠ .

نظرة الإسلام إلى المال

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وبه الحمد
وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة
والنعمة المسداة ، والسراج المنير .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فإن المال لا يطلب لذاته في هذه الدنيا ، وإنما يطلب عادة لما يصممه
من مصالح ، ولما يحققه من منافع ، إنه وسيلة ، والوسيلة تحمد أو تعاب
عقدار ما يترتب عليها من نتائج حسنة أو سيئة .

المال كالسلاح ، والسلاح في يد المجرم يقتل به الآخرين ، ولكنه في يد
الجندى قد يدفع به عن وطنه أو يجرس به الأمر في بلده ، فليس السلاح
محموداً أو معيباً لذاته ، والمال كذلك ، وقد قال الله تعالى في المال
وما يسوق لأصحابه في الدنيا والآخرة من خير أو شر ، قال : ﴿ فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنِيَرَهُ لِلْغَنَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
وَأَسْتَفَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنِيَرَهُ لِلْعُسْرَى . وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا
تَرَدَّى ﴾ (١) .

والمال كما يكون رينة الحياة يسر مباحجها ، ويقرب شهواتها ، فقد
يكون كذلك سياج الدين وضمان بقائه ، ومدد تسليحه وحمايته ، وقد

(١) سورة الليل الآيات من : ٥ - ١١

قال الله في وصف المال والبين ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ (١)
وقال كذلك في قيمة المال والبين لإحراز النصر ، ورفع الشأن ، قال :
﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر
نفيراً﴾ (٢).

فتتصر الأمم بالمال والبين ، وتهرم كذلك بالمال والبين يوم يكون
مالها أداة ترف ، ويوم يكون مصدر استعلاء وطعير ، ويوم يكون أبنائها
طلاب ملذة ، وأحلاس فهو ولعب .

وللإسلام موقف من المال يحب أن نشرحه ، فإن بعض المثقفين الجدد
يطنون أن الدين نحدث في العقائد أو في العبادات ، وأن حدوده شرقاً وغرباً
تنتهي بالعقائد والعبادات ، أما حديثه عن المال والاقتصاد فإن هذا الحديث
مستعرب منه ومستكثر عليه ، وما درى أولئك المثقفون الجدد من صحايا
العزو الثقافي الاستعماري العالمي ما درى هؤلاء أنهم يهتمون إلى دين ما ترك
حيراً إلا أمر به ولاشراً إلا سعى عنه ، ولا مصلحة تقرب العباد إلى الله
إلا أكدها ، ولا مضرة تصرف الناس عن ربهم إلا أبعدتها وبتدبها
وبارتكابها .

والإسلام ينظر إلى المال من نواح عديدة ، والناحية التي نتحدث عنها
اليوم نريد أن نتدبرها بأناة لأنها تفرق بينه وبين بعض المذاهب الاقتصادية
السائدة في الدنيا .

الإسلام يضمن أو يبيح ويقر حرية التملك ، ويعتبر حق التملك حقاً له
قداسته ومكانته ، ويعتبر أن الحور على هذا الحق أو توهينه في المجتمع ليس
من شأن المسلمين ، ولا هو من مسالك الأتقياء ، لكل إنسان الحق المطلق
في أن يكتسب بكدهم ، وعرق جبينه ما يقيم به معاشه ، وما يصون به
مروءته ، وما يربي به ولده ، وما يحفظ به عرضه ، لكل إنسان الحق كاملاً
في هذا ، والله عز وجل يرفض أي عدوان على حق التملك أو اجتياح
لحقوق الناس المالية دون سبب مشروع ، فيقول جل شأنه ﴿يا أيها

(١) سورة الكهف الآية . ٤٦

(٢) سورة الإسراء الآية : ٦

الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴿١﴾ ويقول جل شأنه : ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ (٢).

ويقول جل شأنه : ﴿ولا توثقوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾ (٣) ويقول عليه الصلاة والسلام : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (٤).

وكما أن العدوان على الدم والعرض مكر لا يقبل فكذلك العدوان على المال ، وفي خطبة الوداع بين النبي عليه الصلاة والسلام ما يسعى لحقوق الناس المائة من قداسة فقال بعد أن تساءل : أى شهر هذا ؟ .. أى بلد هذا ؟ .. قال : « فإن دمائكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا » (٥).

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقف على ممر الناس إلى طريق الجهاد ويقول : « أيها الناس من كان يعلم أنه إذا مات في هذا الوجه وعليه دين لا يدع له قضاء فليرجع فإنه لن يحصل أجراً بجهاده » .

أى أنه يقول للمدين : قبل أن تحاهد سدد الدين الذى عليك ، ربما خرجت فمت ، دون أن تدع تركة تكفى سداد دينك فتلقى الله وأنت مدين .

وهكذا كان المسلمون يحترمون حق التملك ، لكن الإسلام الذى احترم حق التملك أثقله بالقيود ، وقبل أن نقول ما هى القيود التى أثقل الإسلام بها حق التملك . أريد أن أشرح شرحاً عقلياً السبب فى أن الإسلام احترم

(١) سورة النساء الآية ٢٩

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٨

(٣) سورة النساء الآية : ٥

(٤) رواه مسلم فى البر — باب تحريم ظلم المسلم ٨ / ١٠ / ١١ ، وأبو داود فى الأدب باب فى انبيائه — عون العباد ١٣ / ٢٢٦ ، والترمذى فى البر — باب ما جاء فى شفقة المسلم على المسلم بحمة الأخوذى ٦ / ٥٤ ، وابن ماجه فى المس — باب دم المؤمن وماله ٢ / ١٢٩٨ وأحمد ٢ / ٢٧٧ ، ٣ / ٤٩١

(٥) رواه البخارى فى الجمع — باب الخطبة فى أيام منى ٢ / ٢١٥ ، ومسلم فى القسامة — باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٥ / ١٠٧ ، ١٠٨

الملكية الخاصة ، ورفض ما يسته بعض اضطرابات القديمة والحديثة من شيوع المال ورفض الملكية الخاصة . الواقع أن الإسلام يحترم الملكية الخاصة لأنه يحترم حرية الإنسان ، ولما كان حق التملك جزءاً من الحرية الإنسانية فإن الإسلام لم يصادره ، والله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان ليكون عبد أحد ، وإما حقيقته ليكون عبد ربه وحده جل شأنه ، ومن حق الإنسان أن يكون حراً ، ومن تمام حريته أن يملك ، هذا سبب ، وسبب آخر أن تضمير الأموال وربدة الإنتاج إنما يكونان مع الملكية الخاصة ، فإن صاحب المال الذى يعلم أن يده عليه وحفه فيه يسهر على حمايته ، ويقتضى في إبعاد الآفات عنه ، ولكنه يوم يعلم أن هذا المال ليس له ، وأن ريادة له تعود عليه فإنه لا يبالي رد أم نقص ، وإن بالى فإن دوافعه إلى حفظه ستكون أضعف من دوافعه النفسية يوم يكون المال ملكاً له .

وقد ثبت عن طريق التجربة أن المال الخاص أسمى وأقدر على المص في سلم الترقى والريادة من أى مال عام !! هذه هى الأسباب ، وهناك أسباب أخرى جعلت الإسلام يحترم الملكية الخاصة .

ومع احترام الإسلام للملكية الخاصة فإنه أثقل هذه الملكية بالقيود ولعل أول هذه القيود وأحدها بأن يبه إليه أن الإسلام لا يحترم الملك الخاص إلا إذا كان من وجه صحيح ومن طريق مباح .

أما أن يكون التملك من ربا ، أو من احتكار ، أو من عصب ، أو من قمار ، أو من احتيال ، أو من أى باب من أبواب السحت فإن الإسلام يرفض هذا التملك رفضاً باتاً ، بل يرى أن المرء إذا كسب ثوباً من حرام فصلى فيه لم تقبل صلاته ، وإذا مى جسمه من سحت فإلى جهنم .. « لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به » (١) .

هكذا قال رسول الله ﷺ . وفي الأرض الرراعية بالذات يقول : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » (٢) .

(١) رواه أحمد ٣ / ٣٢١ ، ٣٩٩ والدارمي والرقاق — باب في أكل السحت ٢ / ٣١٨ وذكره هيثم في المجمع وقال رواه الطبراني في الأوسط من رواية أيوب بن سويد عن الثوري وهي مستقيمة ١٠ / ٢٩٣

(٢) رواه البخاري في النظام باب ثم من ظلم شيئاً من الأرض ٣ / ١٧٠ ومسلم في المساقاة باب نعيم الظلم وغصب الأرض ٥ / ٥٨ وأحمد ٤ / ١٧٣ ، ٦٤ / ٦

أول ما يقيد الإسلام الملكية به أن يقول لك . أبصر جيداً انقرش الذى تكسبه أمن حرام هو أم من حلال ؟ فإن كان من حرام فلا حق لك فيه ، وما يجوز أن تستيقه ، بل يجب أن تتركه فوراً ، فإذا كسبت من حلال ، فللإسلام هنا توجيهات :

التوجيه الأول : ألا تظر نفسك المالك الأصلي لهذا المال ، بل اشعر أن المالك الأصلي له هو ربك الذى حولك ومالك ومالك وأعطاك !! وأنت لست إلا صاحب يد عارضة عليه ، ومن فصل الله عبيدك أن جعل يدك فى هذا المال تعطى نفسك ، وتعطى غيرك ، والمالك الأول هو رب العالمين .

وهذا المعنى هو الذى أكدته القرآن فى قوله جل شأنه : ﴿ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (١) .

سئل أعرابى كان فى قطيع غنم يملكها .. سئل لمن هذا القطيع ؟ كان جواب الرجل : هو لله عندي !! وهذا جواب شديد ، فلا تضر نفسك بالتملك قد أصبحت مالك الملك ﴿ لله ملك السموات والأرض ﴾ (٢) .

فاعتر نفسك مستحلفاً ، وهذه الطريقة — طريقة الاستحلاف — نعتك تدقق فيما تنفقه على نفسك أو على غيرك ، أى ليست حريرتك مطلقة ، فأنت مراقب فى تصرفك ، مراقب من صاحب المال الذى وظفك فيه ، امال مال الله ، هذه ملاحظة ، الملاحظة الثانية .. أن الإسلام يطلب من آبائه أن يكونوا أصحاب همم ، فكسب المال عندهم يحصع لتصرف الهمة الكبيرة ، قد يكون المال قريباً منك ، ولكن لا ينبغي أن تأخذه من أيسر سبيل وتقعده .

عندما عرض على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أن يملك وأن يعيش على فضل أخيه كان جواب عبد الرحمن : لا ، دلونى على السوق .

(١) سورة الحديد الآية : ٧ .

(٢) سورة الشورى الآية : ٤٩ .

وبهذا الخلق استطاع المهاجرون أن يراحموا الاقتصاد اليهودى فى المدينة المورة ، وأن يجعلوا المال إسلامياً ، وهذا شىء له خطورته فى كسب المصر للدين نفسه ، فإن الاقتصاد يوم تعيث به أيدى من لا ملة هم ولا شرف فإنهم يسحرونه فى ضرب الملة السمحة

ومن هنا اعتبر أن يد المعطى هى اليد العليا ، الله هو الأعلى ، ويد المعطى يد علما ، والآخذ يده دينا ، ولأن تكون أسداً تأكل الثعالب من فصلاته أشرف من أن تكون ثعلباً تأكل من فصلات اساس .

ولذلك كان الإسلام شديد الخض على أن يطلق المؤمنون فى المشارق والمغرب يكسبون رزقهم ، ويطلبون فصل الله فى فحاجه المبعثرة هنا وهناك ، أو المحبوعة تحت طباق الثرى ، وهذا سر قوله جل شأنه : ﴿ ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معاش ﴾^(١) وقوله جل شأنه :

﴿ هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذراً لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها . وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾^(٢) .

والمدهش أن البحر المسخر للناس يستخرجون منه اللحم الطرى أعجز أهل الأرض فى استخراج سمكه هم المسلمون .

إن أمتنا فى الحقيقة معطوبة فى صميمها لأنها فقدت الكثير من حسها الدقيق بالدين والدنيا معاً .

احترام الإسلام حق التملك ، يترس لباس أسباب التملك كما سمعتم :

(١) سورة الأعراف الآية . ١٠ .

(٢) سورة النحل الآيات من : ١٠ - ١٤

﴿ هو أشاكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾^(١) .

ومع ذلك يحىء من يتسبب إلى العلم الدينى وهو جهول يحب طرده من ميدان العلم والدين معاً يروى عن رسول الله ﷺ أنه بعث بخراب الدنيا لا بعمارته .

وما أكثر الأكاديب التى تشاع باسم الإسلام ، والتى جعلت المسلمين يعيشون فى الدنيا على فضلات الأقرباء ، وبذلك أصبحت أيديهم لدنيا .. وفى الوقت نفسه أصبح دينهم فى المرتبة الدنيا ، لأنه ما يتصر دهن بغير دنيا ، كيف تنصره إذا كنت فارغ اليد ؟ كيف تحميه إذا كنت فقيراً لا ثروة لك ؟ كيف .. كيف . ؟ .

فإذا ملكت من حلال فإن الإسلام يوجب عليك أموراً ، أول ما يوجب الإسلام فريضة الزكاة ، وهى فريضة ليست هينة ، ولو أن المسلمين أخرجوا زكاة أرصدتهم وأمواهم وتنعوا بها ثغرات المجتمع وعورات الناس لأراحوا الأمة من بلاء كثير .

ولقد حدث أيام الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وكان أميراً عادلاً وحليفة راشداً ، حدث ببركة العدل ، وبركة الإيمان والتراحم أن الزكاة أخرجت فى أفريقيا ، أى فى مصر ، وليبيا ، وتونس ، والحرائر ، ومراكش ، خرجت الزكاة فلم يوجد لها من يأخذها فى هذه الأقطار البرحة كلها ، لأن الله أعنى الناس بعدل عمر . فمادام صاع عمر ؟ أمر بأن يشتري بالزكاة عبيد ويحررون بمال الزكاة واعتبر ذلك مصرفاً بنصر الآية : ﴿ وفى الرقاب ﴾^(٢) .

إن الخير الكثير يمكن أن يتحقق إذا وجدت فيه نية التراحم والعطاء ، ووجد القصد الذى يستهدف وجه الله عما يعطى وما ينفق ، وقد قاتل الإسلام من أحل الزكاة ، وكان قتاله فيها حاسماً ، ولعله أول قتال ظهر فى تاريخ البشرية .

(١) سورة هود الآية - ٦١

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠ .

كان الناس يتقاتلون لأُمور كثيرة ، ولكن أول جيش طهر في تاريخ الإنسانية يحارب ليرغم الأغنياء على إحراج الحق المعلوم للفقراء والمساكين ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

قد تكون الزكاة حداً أدنى ، فإن المجتمع ربما ظهرت له حاجات ، وها على الناس أن ينفقوا ، وها يحىء دور الصدقة ، وهو ما أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو يعلم الناس في مجتمع المدينة المنورة كيف يتعاونون ويتراحمون : « من كان عنده طعام اثنى عيذهب بثالث ، وإن أربع فحامس أو سادس »^(١) وفي الحديث أيضاً : « من كان معه فصل طهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فصل من راد فليعد به على من لا راد له » قال أبو سعيد : « فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في الفضل »^(٢) .

وفي حديث رواه أبو داود قال رسول الله ﷺ : « تكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين ، فأما إبل الشياطين فقد رأيتها ، يخرج أحدكم بنجيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيراً منها ، ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله »^(٣) .

إن النبي عليه الصلاة والسلام طبق على نفسه هذه القضية ، فعندما كانوا يسيرون إلى « بدر » والمسافة بين بدر والمدينة المنورة أكثر من مائة كيلو متر ، كانوا يتعاقبون ، كل ثلاثة على جمل ، وكان الرسول ﷺ واحداً من ثلاثة أظن فيهم على بن أبي طالب رضي الله عنه فحجل من مع رسول الله أن يمشى وهم يركبون ، فقالوا يا رسول الله : اركب أنت وشمسي نحس ، فرفض .. وقال : « ما أنتما بأقوى مني على المشى ولا أنا أغنى منكما عن الأجر »^(٤) .

(١) رواه البخاري في مواقيت الصلاة — بلب السمر مع الصيف والأهل ١ / ١٥٦ .

(٢) رواه مسلم في القطة — بلب استحباب المؤاسة بفصول المال ١٢٨ / ٥ ورواه أبو داود في الزكاة — بلب حقوق المال عون المعبود ٨١ / ٥ ورواه أحمد ٣ / ٣٤ .

(٣) وبقية الحديث : « .. وأما بيوت الشياطين فلا أراها إلا هذه الأقماس التي يستتر الناس بالدراج » رواه أبو داود في الجهاد باب في الجلاب عون المعبود ٧ / ٢٢٦ .

(٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر كان كل ثلاثة على بعير =

لست أدعى مكما عن ثوب الله .. المخطوات في سبيل الله لها أجرها ، وآبا
فقير — وهو رسول الله ﷺ — إلى هذا الأجر ، هذه هي طسعة الكمار ،
طسعة النفس الكسيرة !!.

وما قررر الإسلام في هذا جاءت به مكارم الأخلاق في بلاد العرب من
قديم .. ومما نحفظه من شعر حاتم يقول :

إد كنت رباً للقلوص فلا تدع رفيقك يمشي خفها غير راكب
أعها فأردفه فإن حملكما فذاك وإن كان العقاب فعاقب^(١)

القلوص : الباقية . وإن كان العقاب فعاقب : أى إن كانت تصعب
عن حملكما معاً فتعاقبا عليها .. أى أنت تسير وتعقه وهو يركب ثم
يعقبك .. وهكذا .

ومما يعرف في تاريخنا العربى الأدبى — ولكن العصر الحديث لا يعرف
هذا — أن شاعراً اسمه عمرو بن الورد يقول مخاطباً آخر ، ويبدو أن الآخر
كان بديناً قوياً ، يقول :

إلى امرؤ عافى إنائى شركة وأنت امرؤ عافى إباثك واحد
أتهراً منى أن سميت وأن ترى بوجهى شحوب الحق والحق جاهد
أقسم جسمى فى حسوم كثيرة وأحسو قراح الماء والماء بارد^(٢)

ومعنى الأبيات الثلاثة يقول الرجل لصاحبه أنت تهراً أى لأن شحوب الحق
أجهدنى ، والحق قد يجهد أصحابه ، إذا كنت تهراً أى فالسبب واضح ، إلى امرؤ
طبقى شركة بينى وبين عبرى ، أما أنت فتتفرد بطبقك تأكله وحدك .

هذه المعانى أو هذه الآداب لو كانت فى أوربا أو أمريكا لكثبت معاء
الذهب كما يقولون ، وقبل . هذا تراثا من أنضر صور الاشتراكية ، وهذه
كلمة ضقت بها من كثرة ما لوئت من تطبيقات رديئة ، ومما اكتنفها من
لصوصيات حيثة .

= كان على من ألقى خطاباً أو نبأ به رضى رسول الله ﷺ قال فكان إذا كانت عقبة رسول الله ﷺ
معدلاً عن معنى عث . فقال : « أبى أدعوى منى ولا أن أدعى عن الأجر مكما » ذكره الميمنى
فى المجمع وقال رواه أحمد والبرار وفيه عاصم بن هذيل وحديثه حسن وبقيت رجال أحمد رجال
الصحيح ٦ / ٦٨ .

(١) ديوان حاتم الطائى : ٢٧ دار بيروت .

(٢) ديوان عمرو بن الورد : ٢٩

إن عدنا في الإسلام نظاماً اجتماعية لا يصير لسموها وشرفها ، يقول
ابن حزم في كتابه « المحلى » : ولكل مسلم الحق في بيت يأوى إليه ويصونه
من الحر والبرد وعيون المارة »

لو قال هذه الكلمة كلب من كلاب الشيوعية لصرفت الدنيا على أن
هذا المبدأ يعطى الناس كراماتهم المادية والأدبية ، ويجعل لكل إنسان بيتاً ، لكن
قائل الكلمة فقيه مسلم مسكين !! فقيه مسلم ليس له أهل ليس له
ورثة .. ليس له رجال يختصون موارثه !! فقيه مسلم .. هذا عيب
الكلمة .. وهكذا الدنيا .

صح ما قيل إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره ، وإن أدبرت
عنه سبته محاسن نفسه .

إن لاقتصاد الإسلامى اقتصاد فريد ، وليس شيئاً محبوباً من شرق
أو غرب ؛ لأنه ناضح من وحي السماء ، ومن كتاب الله وسنة رسوله
ﷺ ، وقد تحدث فقهاؤنا عن التسعير ، والمعروف أن الإسلام يعتبر
التجارة حرة ، ويتدخل في التسعير للضرورة ، ولكنه عندما يسعر ، وهو
دين فقه وتشريع لا أظن أحداً ممن درس الفقه الرومانى ، أو الفقه
الفرنساوى ، لا أظن أحداً قرأ أن هناك تسعيراً للخدمات الاجتماعية
والأدبية ، لكن في كتاب « الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية » لابن
القيم ، وجدت تسعير الخدمات ، وهو ما يطبق الآن في البلاد الراقية .

ففى إنجلترا يُصرب العمال لأهم يرون أن جهدهم يسفى أن يباع
لصاحب العمل مجنيه ، وصاحب العمل يرى أنه ما يساوى غير نصف
جنيه .

فالتسعير للجهد ، للمواهب ، للنواحي العلمية والفنية ، للشهادات
والإجازات العلمية ، هذا التسعير من تحدث فيه ؟ .

وجدت أن فقهاء المسلمين تحدثوا فيه ، ويمكن لأى هيئة قضائية
محترمه أن تسعر الجهد المبذول ، المواد التى يستهلكها الناس في ضروراتهم .
إن الإسلام دين نخصب ، وفيه من النصوص في الكتاب والسنة

ما يؤسس اقتصاداً له ملامحه المتميزة ، وله آثاره المباركة ، وعندما نرفض وصفاً يستجيب من المخرج فحسب إنما نقدم بدله من تراثنا الأصيل ما يعنى .

الآفة أن بعض الناس لا يعرف هذه التراث ، ولذلك لا يعرف الأصالة لأمتنا ، ولذلك هو بجهله حرب عليها ، ودققوا اسطر فإن بعض لصحف تريد أن تطبق العلمانية ، أى مبدأ العيش بلا دين ، وهى تسعى إليه بالكلمة بالصورة ، بالالتفاف والدوران كى تهباً النفوس هذا .

وحسب تريد أن نلقت البطر إلى أصالتنا ، وإلى أن لديك من لست البلاء ما يمكن أن نقيم به مجتمعاً صلياً ، واقتصاداً ناجحاً ، وليس من الضرورى أن تتسول من شرق أو غرب .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله . ﴿ الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

عباد الله : أوصيكم ونصي تتقوى الله عز وجل واعلموا أنها الناس أن الإصلاح ليس تحارة التافهين ، إن للإصلاح قواعده ، وإن له رجاله

(١) سورة الشورى الآيتان . ٢٥، ٢٦

والمصلحون الأصلاء قبل أن يمحوا وصعاً رديئاً يعرفون كيف يحيثون بالبدل الصالح ، هناك ناس تلب عيهم برعة التدمير ، و نرعة العداوة سماصى . أنا لست من أضرار ليس الطربوش ، لأنى لم ألبسه ، ولم آله ، ولكن العقل المحترم الذى يريد محاربة الطربوش ، كان يسعى عيه قبل أن يحاربه أن يقول : دعوا هذا .. هذا خير منه ، لكن الطبيعة المدمرة عند بعض الناس عرت رؤوس المصريين ، وجعنتهم شعباً عارى الرأس فى أرض الله ، يسب له شارة قومية خاصة يعرف بها فوق رأسه ، والسبب أن الذى دمر كان يحسن التدمير فقط ، ولا يحسن البناء . ويوجد ناس كثيرون من هذا النوع ، وهذا سر قول القائل :

أيها العائب أفعال الورى أرى بالله ماذا تفعل
لا تقل عن عمل دا ناقص جىء بأوفى ثم قل ذا أكمل
إن يغيب عن عين سار قمر فحرام أن يلام المشعل

لكن هناك ناساً يحسنون لقد والتدمير ، ولا يحسنون البناء والتعمير وما أكثرهم فى بلادنا ، وعداوتهم تكون صارية عندما يشتبكون بالإسلام وأهله . ألقت النظر إلى هؤلاء ، إنا نريد أن سنى على ديسا وأن سطلق من قواعدنا ، وأن نحترم الأصالة التى أفاءها الله علينا .

« اللهم أصلح لنا ديسا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا ديسان التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إنبها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

عباد الله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٣)
وأقم الصلاة

(١) رواه مسلم والنسائى وأحمد .

(٢) سورة الحشر الآية : ١٠ .

(٣) سورة النحل الآية : ٩٠ .

الشباب في موكب الإسلام

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

٢٢ من يونيو ١٩٧٣

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على
الظالمين
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة
المسداة ، والسراج المنير .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فنحن نعلم أن القوة البدنية من نعمة الله على الإنسان ، كى يؤدي
واجبه ويبعد أهله ، ويؤدي الحقوق الأدبية المكتوبة عليه .
ولهذا رأيت القرآن الكريم نوه بها في الوظائف القيادية ، وفي لوطائف
العامّة ، فأما في الوظائف القيادية ، فإن اليهود لما اعترضوا أن بعث الله فيهم
من يقودهم ويربيهم : ﴿ ... قالوا أئى يكون له الملك علينا ونحن أحق
بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ﴾ (١) ؟ .

كانت طبيعة القوم في تقدير الأشخاص بالمال ، تهيمن عليهم ، وتطل
من وراء حكمهم على الأمور ، فأفهمهم الله جل شأنه أن الرجال الكبار
يكونون كباراً بالمعادن التي يصاغون منها والمواهب التي يرزقون بها ،
والقوة العلمية والبدنية التي تجعلهم يستطيعون أن ينهضوا بما يحملون من
أعباء ، قال تعالى موضعاً هذه الحقائق : ﴿ ... إن الله اصطفاه عليكم
وزاده بسطة في العلم والجسم ... ﴾ (٢) .

ومعنى البسطة في العلم أن يكون القائد حكيماً فقيهاً مدركاً للأمور ،
واضحاً كل شيء موضعه دون مغالاة أو تفريط .
ومعنى البسطة في الجسم أن الإنسان يستطيع أن يؤدي ما عليه ، وأن
يسطلق في الوجه الذي يتغيه دون أن يغلبه إعياء أو يقف به داء .

(١) سورة البقرة الآية : ٢٤٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤٧

ومعروف في تاريخ الرجال أن الهمم الكبيرة تلوح أصحابها ، وأن
القلوب الحية تكلف الأحسد ما لا تطيق ، ولذلك قال المتنبي :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام (١)

ولأمر ما وصف النبي عليه لصلاة والسلام بعض نعم الله على خلقه ،
فقال في عد هذه النعم : « وبدأ على البلاء صابراً » (٢) .

ومعنى البلاء : التكاليف التي يختبر الإنسان بها ، فإذا كان الإنسان
صاحب طاقة على تحمل الأعباء ، كان ذلك من نعم الله عليه ، هذا موضع
ذكر القرآن فيه حصائص الرجال الذين يفودون ، ثم في موضع آخر أجرى
على لسان بنت شبيب هذا الوصف الذي قال الفقهاء فيه : إنه جمع
الكفايات والمواهب والمؤهلات التي لا بد منها في كل وظيفة ، فإن البنت
قالت لوالدها : ﴿ يا أبت استأجره بن خير من استأجرت القوى
الأمين ﴾ (٣)

قال العلماء فالقوة يقصد بها الطاقة المادية على الوفاء بما يطلب ،
والأمانة يقصد بها الرقابة لروحانية ، ويقظة الضمير التي تجعل الإنسان يدرك
مسئوليته ، ويؤرقه خوف التهريط فيها ، فهو أمين وهو قوى فأمانته تجعله
يؤدي ما عليه بدقة ، وقدرته تجعله يهضم ما عليه دون عجز ، ولأن القوة
بهذه المثابة في جميع الوظائف القيادية والعامة ، كانت مرحلة الشباب من
أخطر المراحل في حياة الناس ، وكان لها حساب خاص عند الله ، لم ؟ لأنها
مرحلة القوة ، فإن الإنسان يبدأ وبه ضعف الطفولة ، وينتهي وبه ضعف

(١) ديوان المتنبي بشرح العكبري ٣ / ٣٤٥ ط المصبي

(٢) بعض الحديث . « أربع من أعطيت فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : لسان ذاكر ، وقلب
شاكِر ، وبدن على البلاء صابر ، وروحة لا تبغي خوراً في نفسها ولا ماله » ذكره السيوطي في
الجامع الصغير وعمره إلى الضرب في الكبير واليهي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما
ورمر له بالحسن . وقال المناوي . قال المصنف بعدما عراه للطبراني في الكبير وفي الأوسط رجال
الأوسط رجال الصحيح انتهى وقال المندري بعد عروء لكبير والأوسط إسماعيل أحدهما جيد ، يعني
الأوسط ، وبذلك يُعرف أن إهمال المؤلف الطريق الصحيح وإثارة الضعيف من سوء التصرف ، هذا
وقد رمر لحسنه . انتهى من بعض القدير شرح الجامع الصغير ١ / ٤٦٥

(٣) سورة القصص الآية ٢٦

الشيخوحة ، يبدأ ضعيف القوى المادية والأدبية ويمتد وقواه المادية ضعيفة وإن كان واسع التجربة أو كثير المعرفة .

قال تعالى : ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ (١) .

هذه القوة بين صغير حجت لفترة الشباب حساباً خاصاً ، وجعلت لى عليه الصلاة والسلام يقول : « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره فم أفناه ، وعن شبابه فم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، ومادا عمل فيما علم ؟ » (٢) .

ولما كان الشباب من العمر وسيسأل الإنسان عنه ما دام جزءاً من عمره ، لكن الله أراد أن يبين أن للشباب حساباً خاصاً ، دون فترة الشيخوحة ، ودون فترة الصبا نذكر أو المراهقة ، فإن فترة الشباب تعتبر فعلاً أعمر الفترات بالقوة وأملأها بالخيال ، وأعماها بالطاقات المادية والأدبية على سواء ، وهذه الخواص التي حفت بفترة الشباب جعلت لهذه الفترة ولأصحابها مكانة خاصة .

قال المؤرخون : كان لى عليه الصلاة والسلام يعرف بأنه يخف دائماً هذا الزهر المتفتح من لشباب الدين وهوا لله أعمارهم وكرسوا له قواهم ، واستطاعوا أن يكونوا قذائف الحق التي دمر بها الباطل ، واستطاعوا أن يكونوا مشاعل النور التي أضاء بها الظلمة ، واستطاعوا أن يكونوا طلائع الفجر ، الذي طلع على الدنيا بحضرة الإسلام ، فأعماها روحياً ومادياً بعد أرماة روحية ومادية طحت البشرية وأسقطت قدرها ، وجعلت همتها حسيمة وحركتها كئيلة .

(١) سورة الروم الآية . ٥٤

(٢) رواه الترمذى في صفة القامة ، وقال هذا حديث غريب تحفة الأحوى ٧ / ١٠٠ ، وقال صاحب تحفة الأحوى وهو حديث ضعيف لأن في سنده حسين بن قيس وهو سرك كما عرفت ، وضعفه الترمذى أيضاً أ هـ ٧ / ١٠٠ وفي الباب عن أنى بررة الأسلمى قال . قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فم أفناه ، وعن علمه فم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فم أبلاه » رواه الترمذى وعن هذا حديث حسن صحيح تحفة الأحوى ٧ / ١٠٠

فلما ظهر هذا الشباب المؤمن حور محمد عليه الصلاة والسلام ، بدأ
الإسلام يؤدي رسالته تأدية رائعة جليلة .
النبى نفسه عليه الصلاة والسلام بعث فى اكتمال شبابه ، على سن
الأربعين ، وإن كانت خصائص الشباب من قوة ، وسعة ورحابة ، وعاطفة
حارة ، وإقبال عارم ، كل ذلك بقى فى الكيان النبوى حتى لحق بالرفيق
الأعلى ، وسرى فيما يعرض من عاذح أن الشباب موهبة قد تمتد مع العمر
وقد تنكمش ، لكن الذى لا شك فيه أن شبابى أعمارهم بصارة ، وفى
سهم بكورة هم الدين بدلوا الجهود المضنية فى تأديب الباطل ، وقمع
غروره ، وفى رفع راية الحق وإعلان مبادئه .

وأنا أنظر إلى الرجال المقاتلين فأرى الثلاثة الذين قتلوا فى مؤتة : زيد
ابن حارثة ، جعفر بن أبى طالب ، عبد الله بن رواحة .. كانوا شباباً تقريباً
فى الثلاثين من أعمارهم ومع ذلك فإن زيد بن حارثة تلاشى فى رماح
الرومان ، وجاء بعده جعفر فقاتل بصراوة وكان رجلاً فيه كبرياء الإيمان
واعتراز أهل اليقين بما وهبوا من معادن وشرف فلم يقاتل سماعاً منه :
يا حبيذا الحنة واقتراها طيبة وبارداً شرايبها
والروم روم قندما عنانها كافرة بعيدة أنسابها
على إذ لاقيتها صبراً بها^(١)

والروم يومئذ كانوا هم الدولة الأولى فى العالم ، ولكن جعفر وهو
تلميذ من تلامذة محمد عليه الصلاة والسلام ، كان يحتقر الكفر وأهله ،
وكان يرى أن القوة البدنية والطاقة المادية إن سادت الصلال والشرك فما
تساوى شيئاً ولا تعلو نخسية أحد ، ولا ترفع قدماً مبدأ !!

ولذلك قاتل الروم باحتقار ، احتقار الشرك ، احتقار الوثنية والمظالم ،
قاتل وقتل ، وجاء بعده عبد الله بن رواحة فقاتل وقتل .

زيد بن حارثة حلف ولداً .. اسمه أسامة بن زيد ، أسامة بن زيد جعله
النبى عليه الصلاة والسلام قائداً على الجيش بمقاتلة الرومان ، وليندرك ثأر
أبيه ، شاب عمره ثمانية عشر عاماً يؤنى القيادة ، ويتولاها بمقدارة ويشعر
الشباب وهو ممتطى فرسه ، وينطلق إلى وجهه أن خليفة رسول الله ﷺ وسينه
واحد وستون عاماً يمشى إلى جانبى ! فيحمل أسامة ويقول : يا خليفة

(١) السيرة النبوية لأبى هشام ٢ / ٢٥٣ مطبعة صبيح

رسول الله ، إما أن تركب ، وإما أن أترل فيقول الخليفة له : « والله لا أركب ولا أترل وما على أن أعبر قدمي ساعة في سبيل الله !! » .

ثم من باب إعطاء القائد حرمة القيادة ومكانة الرياسة يقول أبو بكر لأسامة : هل تأذن لي في « عمر » ليقى معي ؟ وعمر بن الخطاب عند في الحيش ، فيأذن أسامة بن زيد في أن يلقى عمر ، ويصدر أمراً ببقاء عمر مع خليفة رسول الله ﷺ .

عندما أتصور شأن في الثامنة عشرة من عمره ، أقول في نفسي : طبيعة الإيمان ، تربية القرآن ، لو كان هذا في إحدى العواصم العربية لرأيته يتسكع في الطرق سادلاً شعره على رأسه كأنما هو امرأه !! لا تعرف ماذا يصنع ؟ ولا يدري هو أنه في الحياة رسالة أم لا ؟ .

هؤلاء الرجال مضى الإيمان في طريقه لم يتوقف ، والغريب أن ضريبة العمل صاحبت كل إنسان مهما كانت مكانته ، المعروف في عالم اليوم ، إذا نبع فرد في أسرة تسلق من على أكتافه كثيرون ، كلهم يدعي العقرية ، كلهم يطلب أن تكون له المكانة ، لأن فرداً من أسرته نبغ ، الغريب أن السبي الهاشمي عليه الصلاة والسلام رفض هذه القاعدة ، ورفض أن تكون لها قيمة في حياته وسيرته وتقديره للأشخاص وأبي الرجال أنفسهم من أسرته أن تكون قرابتهم هي التي تقدمهم !! .

ولذلك وجدناهم في غزوة « بدر » أول من يبرز ، فكان عم النبي عليه الصلاة والسلام وابي عمه أول الفرسان الذين يقاتلون ، وأول قتيل سقط في « بدر » كان من بني هاشم ، وأول شهيد عظيم في « أحد » كان حمزة بن عبد المطلب عم النبي عليه الصلاة والسلام ، وجعفر الطيار نفسه ابن عم النبي ﷺ مات شهيداً في « مؤتة » !! .

كان الرجال الكبار من شباب هذا الدين يعلمون أن مكانتهم عند الله بمقدار ما يضحون وبمقدار ما يؤدون ، قدرة الإيمان ، الطاقة على فهم المبدأ ، ممعوا في دينهم حديثاً عن الفتية أهل الكهف ، كانوا شباباً ، لكنه شباب زانه الإيمان ، رائته المغامرة في سبيل الله ، رائته المقاومة للصلال السائد ، والرفض للشرك المستبد ، كانوا شباباً ذكره القرآن فقال :

﴿... إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾^(١) ، وسمعوا القرآن يتحدث عن شباب «يوسف» كيف رآته العمة ، عن شباب «موسى» كيف كان قوة وحكمة . ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً﴾^(٢) أهذا له وحده ؟ لا ، ﴿... وكذلك نجزي المحسنين﴾^(٣) لما غضب إبراهيم من مسلك أبيه تاجر الأصنام الذى يصنعها ويغرى الناس بعبادتها ، واستطاع إبراهيم أن يياوش الأصنام بلسانه ، ثم بيده ، كان حديث الناس : ﴿... سمعنا فى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾^(٤) . فالفتى الذى حطم الأصنام كان شاباً ، كانت قدرة الشاب ، وطاقته ، وعواطفه ، وأفكاره ، وآماله ، كانت كلها تدور حول قيم حقيقية ، حول مثل رفيعة ، حول أهداف نقية ، فكان الشباب بحق نور أمتهم ، وخيراً للدين الذى اعتنقه وعاش به وعاش له .

هذا من الناحية العسكرية ، أما من الناحية العلمية فعندما أنظر إلى الرجال الذين اعتبروا أئمة هذه الأمة أرى أنهم كانوا من الشباب ، عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما الذى غار منه بعض كبار السن لأن عمر رضى الله عنه كان يجعله مع مشيخة الأمة فى استشارته والأخذ برأيه ، كان شاباً ، عبد الله بن الربيع ، عبد الله بن عمرو ، عبد الله بن عمر ، العبادة الأربعة الذين ورثوا الدين كانوا شباباً ، أبو هريرة كان شاباً كثير الشكوى بسبب صلوات الله عليه من المزوبة ، وكان يرجوه أن يعينه على الزواج ، وهذا الشاب شغل نفسه بالعلم حفظاً واستيعاباً ، ورواية ودراية ، ونشراً وإطلاقاً به فى الآفاق فكان المؤسس للحضارة العلمية فى هذا الدين القيم .

ووجدنا الأئمة من بعده ناساً ، حلاوة العلم عندهم أذهلتهم عن حلاوة المادة والبحث وراءها ، والاستكثار منها ، وجدنا رجلاً «كالشافعى» الذى سعدت القاهرة بأنه كان يدرس فى مسجدها هذا - مسجد عمرو بن العاص رضى الله عنه - ومساعد أخرى هنا ، هذا الإمام مات وعمره بضع وخمسون سنة ١١ أى أنه كان يُكُونُ علمه وهو شاب ١١ .

والشافعى هو الواضع لعلم أصول الفقه : فن التشريع فى الإسلام .. فى تقنين القوانين واستخراج الأحكام وتقعيد القواعد .

(٢ ، ٣) سورة القصص الآية : ١٤

(١) سورة الكهف الآية : ١٣

(٤) سورة الأنبياء الآية : ٦٠

الشافعي هذا مات في الخمسين من عمره ؛ متى صبح هذا الفقه ؟ في
شبابه . وهو الذي يقول عن نفسه : إنه ما كان عبداً لمال ، ولا لحاه ،
ولا يتبع نفسه شيئاً من هذا ، يقول :

أمطري لؤلؤاً جبال سرنديب وفيضي آبار تكرر تبرا
أنا إن عشت لست أعدم قوتا وإذا مت لست أعدم قبراً
همتي همه الملوك ونفسي نفس حر ترى المدله كفرة^(١)

هذا إمام من أئمة الفقه الإسلامي . هذا شاب من علماء المسلمين ،
يؤدي رسالة العلم بأمانة وقدره ، هذا لموع من الشباب الذي حرس الإسلام
بقوته وبوره وصميره ، هذا نوع من الشباب يحب أن نقف قليلاً عند
مبادئ الإسلام التي كونه ، وعند القصايا التي يسعى أن نتعلمها منه ،
ونحن الآن نواجه شبابنا والحيل القائم بيننا الآن .

معروف أن فترة الشباب فترة قوة العريزة الجنسية وعرامها ،
واشداد أمرها ، ومن قديم قال العلماء : إن هذه العرائر عموماً تقوى مع
كثرة المثبرات وتضعف مع قلة المثبرات ، ولا أعنى « تقوى وتضعف » : أنها
تصح وتعتل ، بل أعنى أن هناك ما يرحها عن حد الاعتدال ، وهناك
ما يلزمها حد الاعتدال من البيئة والسلوك العام حولها .

قال علماء النفس : إن العريزة يمكن تغيير الاتجاه السلوكي لها بما أسموه
« الإعلاء أو النسامي » أو تبديل هدف لها بهدف يغني .

ولذلك فإن الشباب أحوج أهل الأرض إلى مشرفين أمناء يدركون
كيف يستغلون قوته في الخير ، وكيف يهدبون غرائره ، ويجعلونها لا تتمرد
ولا تترلق ولا تنحرف .

الأمر محتاج إلى أولياء أمور في المجتمع كله ، وفي الأسرة خاصة ،
يؤمنون بالله ، ويؤمنون بالقيم التي أودعها الله في دينه ، وبالقواعد السلوكية
والأخلاقية التي لا بد أن يصير الشباب عليها حتى تؤمن عقبيه وينتظر الخير
له

معروف أن العريزة الجنسية تستثار عندما تعرض المقاتن بشكل صحيح

(١) ديوان الشافعي تحقيق الدكتور حمادي ص ٧٦

لكامس في طماع الناس ، ولدت أمر الإسلام بالاحشام أمراً مشدداً ،
 وكان في المدينة ناس من المنافقين وناس من الحباء ، ومروحي الإشاعات ،
 كانوا يمثلون حرب الشيطان في المدينة ، ربما تسكعوا في الطرق ليروا امرأة
 يقولوا لها كلمة رديئة أو ينظروا إليها نظرة مريبة ، فأمر النبي عليه الصلاة
 والسلام بأن تحتشم المسلمات حتى لا ينظرهن الطغون ، وحتى يدرك كل
 نسان أن الفتاة التي تسير هي فتاة مؤمنة تعرف ربها ، وتلزم حدوده ،
 وتصون عرصها ، وتعرف أن ذلك دينها .

قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين
 بدنين عليهن من حلابيبن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً
 رحيماً ﴾^(١) ثم قل لمتسكعين : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم
 مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ﴾^(٢)
 أي إن لم ينته هؤلاء ، فإن الله يكلف به عليه الصلاة والسلام بشن حملة
 على أولئك الرقعاء تنطف أحياء المدينة منهم ، وتجعلهم درساً لغيرهم ،
 فلا يكون هالك بعد ذلك إلا من يعرض بصره .

وغض البصر دين ، وهو حصن يلجأ المرء إليه حتى لا يصاب بما
 يقول عنه علماء النفس : تداعى المعاني ، فإن النظرة المختونة تستمع
 تصورات وأفكاراً كثيرة ولذلك يقول أحد الناصحين :

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين العيد موقوف على الخطر
 يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالصرر

إن الإنسان يسعى أن يلتزم آداب الإسلام ، وفي الحقيقة المجتمع العربي الآن
 بالنسبة لشباب يفقد كثيراً من إيمانه وأخلاقه ، ومثله ، وشمائمه ،
 وفضائله ، والأمر يحتاج إلى شيء من التوضيح .

تبدأ البطانة مع مواسم الأجاره ، وانتهاء الامتحانات ، والبطالة شيء
 رهيب ، والنفس إذا لم يكن حق تكف به ، فإنها تبحث عن باطل تعمل فيه ،
 ومن هنا فإن عمل المربين دقيق ينبغي أن يصعوا مشروعات كثيرة ، وأن يحفظوا

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٩

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٦٠

لبرامج موصولة ، ولو كان الأمر بيدى بصعت معسكرات لا حصر لها للشباب ، تبدأ مع الفجر ، لأن اليوم الإسلامى يبدأ مع الفجر ، اليوم الإسلامى يبدأ مع قول المؤذن للصلاة خير من اسوم ! فإذا كان بعض الناس يصيق بالبدء ، ويكسل عن الصلاة ، ويرعب في دواء لفراس ، فهذا إنسان كما جاء في السنة بال شيطان في أدنه^(١) أى أصبح تافهاً حقيراً لا يرجى منه خير ، ولا ينتظر منه أن يؤدي عملاً كبيراً في الدنيا ، لكن الوقاحة بلغت في عصره أن الكسالى يريدون ألا يسمعوا قول المؤذن الصلاة خير من النوم !! .

إن الوقاحة بلغت بهم حد ألا يصلوا ، ثم أن يقولوا : لا نريد أن نسمعوا المؤذنون هذا ، شيء غريب لكن اليوم الإسلامى يبدأ مع الفجر . وعندما تقوم معسكرات للشباب يجب أن تكون هذه المعسكرات مرداه بالبداء خمس مرات يسمع فيها لأذان ، وتقام فيها جماعات المصليين ، لا تنتهى جماعة إلا لتبدأ جماعة أخرى ، ثم ترود ببرامج الدراسة ، وبرامج الاطلاع الواسع ، فإن آسف إذ أقول : إن المسلمين في شئون دينهم جهال ، وفي شئون دنيائهم جهال ، والمراغ العقلى والروحى بين أولادنا وشبابنا فرغ رهيب ، وكما تحتاج الصحراء الكبرى إلى أنهار لا حصر لها كى تحول جدها حصاً ، فإن أمت بحاجة إلى أنهار من المعرفة بدنيها ودنيائها ترفع مستواها ، وتبدل حالتها ، وتجعلها ترقى مما هي الآن ، فنحن بدیننا جهال ، وبتاريخنا جهال ، حتى تندر قادة ليهود بأن العرب آخر من يقرأ !! نحن نريد للشباب نهماً علمياً ، وعسكرياً ، ورياضياً ، واجتماعياً ،

(١) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ذكر عند النبى ﷺ رجل يقبل ما راى نائماً حتى أصبح ما قام إلى الصلاة فقال : يا شيطان في أدنه ! رواه البخارى في التهجد باب إذا نام ولم يصل بال شيطان في أدنه ٢ / ٦٦ ، ومسلم في الصائمين — باب ما روى فيه من نام الليل أجمع حتى أصبح ٢ / ١٨٦ ، والنسائى في قيام الليل — باب الترعيب في قيام الليل : ٣ / ٢٠٤ وابن ماجه في الإقامة باب ما جاء في قيام الليل : ١ / ٤٢٢ ، وأحمد ١ / ٣٧٥ ، ٤٢٧ ، ٢ / ٢٦٠ وقوله بال شيطان في أدنه كناية عن سد الشيطان أدن الذى ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر ، وقيل هو كناية عن إرداء الشيطان له أى هـ سس اسئلى بشرح الحافظ السيوطى ٣ . ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

يملاً حياتهم بالجديد الذى لابد منه كي يؤدوا ما عليهم لأمتهم

قرأت أن نحو أربعين ألف طالب من شباب الجامعات سوف يذهبون إلى الخارج ، قلبى تألم وأحسست وخرا فيه وأنا أقرأ الخبر ، لماذا ؟ إن الأربعين ألفاً الخارجين ما يعرفون عن دينهم شيئاً !! ربما يوجد أفراد فيهم يصلون .. ولكن الألوف منهم لا تصلى ، هؤلاء يذهبون والنداء الذى يستمعون إليه فى أعماقهم طلب المال لا طلب العلم ، ولا طلب الخبرة ، ولا طلب المزيد من التحرية ، وربما ذهبوا فما يعرفون أين ينامون ، ولا كيف يأكلون ؟ بل ربما اشتعلوا كما علمت بعسل الأطناق ، وحمى صاديق الرجاجات الفارعة !! .

والسبب قُبْح الله السبب ، ومن كان فيه ، ومن شارك بقليل أو كثير . لم يذهب أولئك الشباب ؟ وأنا أدري أن هناك دوراً تربص ، وأماكن فى شتى العالم تنتظر هذا الشباب الفارغ ، يريدون أن يملأوا قلبه بمبادئ أخرى ، يريدون أن يعيدوه إلى بده ببعض المال ، وبالكثير مما يفسده على أمته ، وعلى تاريخه وعلى دينه ، وعلى يومه ومستقبله .

إن الشباب يحتاج إلى رعاية ، يحتاج إلى شيء جديد من تفكير من ييدهم الأمر .

اتصل بى بعض الشباب فى الجامعات يريدون أن يقيموا لأنفسهم معسكرات دينية ، كانوا فى كثير من لحياء يقولون . أيمكن أن نعان بالخيام ؟ ووجدت أن هؤلاء من أصحاب المثل ، ومن أصحاب اليقين ، كأنما يراعمون الزمن ويسبحون ضد التيار ، ويعملون ما لا يطلب منهم ، عندما يقيمون معسكرات مؤمنة يسمع فيها الأذان خمس مرات كل يوم ، ويذهب إليهم بعض الدعاة كى يربيههم ويسمى قوى الخير فيهم ، ويجمعهم شباباً يحسون خدمة دينهم وديانهم .

بينما هناك معسكرات أخرى يقيمها من لا يدين بالإسلام ، ومن لا يعرف حق الله عليه تزود بالكثير من أسباب القدرة ، ومن أسباب المتعة ، ومن أسباب التعاون على الشر لا على الخير .

إن شبابنا بحاجة إلى الرعاية ، ولكنى لا أقط الشباب ، أريد أن

أقول لأى شاب مؤمن: كن رجلاً، اثبت مكانك، كن قوى الشخصية .
أعجبنى من ألى العلاء قوله :

تشاءب عمرو إذ تشاءب خالد بعدوى فما أعدتني الثوباء^(١)
كسول إلى جانب كسول ، لكنى حسمت أسباب الكسل من بدنى
وعقلى وقلبي ، ويقول أبو العلاء موصحاً حُطته .

خدى رأيتي وخسبك داك منى على ما فى من عوج وأمت^(٢)
وماذا يتعنى الحلساء عدى أرادوا منطقي وأردت صمتي
ويوجد يسا أمد قصي فأموا سمتم وأمت سمتي
أريد أن أقول لكل شاب مسلم رشح قدمك فى الأرض ، وامض فى
طريقك طالباً وجه ربك ، بشداً ثوابه ، مستظراً عونه وتوفيقه ، وإذا
حاربتك الدنيا كلها فثق أنها لن تال قلامه طهر من أظامرك ، وستصل إلى
غرضك وليكن ما يكفيك من ثواب الله وتقديره ، أنك أحد الذين يظلمهم
الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، شاب نشأ فى طاعة الله ، فإذا تعاون هذا
الشاب مع غيره فهما أحرار تعارفا على الله ، تحباً بروحه ، اجتماعاً عليه
أو تفرقاً عليه^(٣) .

هذا المعنى أرجو أن يكون فى نفس كل شاب مؤمن ، إن العالم عيب
منه تيارات حمراء وصفراء ، تريد أن تسرق من الإيمان أفجر ما فيه ، تريد
أن تسرق من الإسلام أحب ما لديه وأقوى ، تريد أن تسرق الشباب !!
ويريد من الرجال المسئولين ، من أرباب الأسر أن يلتفتوا إلى الشباب ، أن
يقربوا منهم ، أن يعيئوهم على الحق ، أن يحتفلوا فى أديانهم واحبهم .
أقول قولى هذا وأستعصر الله لى ولكم .

(١) الروميات ١ / ٣٦ طبعة دار الكتب العلمية بيروت

(٢) الروميات ١ / ١٥٥ والأمت . الصعف والوهس .

(٣) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن لى عليه السلام قال « سبعة يظلمهم الله تعالى فى ظله يوم
لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان
تحب فى الله اجتماعاً عليه وتفرقاً عليه ، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ،
ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم مكانه ما تصدق بحبه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت
عياه » رواه البخارى فى الزكاة - باب الصدقة باليمين ١٣٨/٢ ، ومسلم فى الزكاة - باب فضل
إعطاء الصدقة ٣ / ٩٣ ، والترمذى فى الرمد - باب ما جاء فى الحب فى الله تحفة الأحوذى
٧ / ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ والسائى فى آداب النضاة . الإمام العادل ٨ / ٢٢٢ .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل لتوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد (١).

وأشهد أن لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

الهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فإني أحب أن أصرح المسلمين بأمر ينبغي أن يصرحوا به ، هذا الأمر أن مستقبلهم يجب أن يصنع في بلادهم وعلى أرضهم ، وبأحلافهم وكذحهم .

إن أخلاق التسول السياسي والاجتماعي التي هيمنت على الأمة العربية من أمد غير بعيد ، جعلت أمتنا تنتظر أن يبت في مستقبلها رعماء البلاد الأخرى ، وقد رأيت كثيرين ينتظرون اجتماع رعماء من الأخرى وينصرون أن ذلك قد يتأثر به مستقبلهم هنا ، أو يبت في أحواضهم وشئونهم .

أريد أن أقول : إن الأمم التي تبنى مستقبلها على التسول لا تصح للحياة . مستقبل الأمة الإسلامية لا يصنع إلا المسلمون في القاهرة ودمشق ، في مكة والمدينة ، في بغداد ، وأم درمان ، ومراكش ، وكل بلد إسلامي ، وكل عاصمة إسلامية ، نحن وحدنا الذين نصنع مستقبلنا ، نحن وحدنا ... وما يغيب في الأمر كله أن أهل الأرض يذهبون مما عندهم من عقائد .. الرجل الشيوعي ما فكر قط أن يقول : إنني متنازل عن الشيوعية ، أو سأكفر بها ، أو سأغير تطبيقها في بدي . عميد الصليبية في العالم ما فكر قط في أن يعير من تديبه ، ولا من مسلكه ولا من حركته ، ولا من وجهته .

(١) سورة الشورى الآيةان : ٢٥، ٢٦

كل إنسان ينطلق ، يتحرك أو يسكن ، وهو صورة لدينه ،
إلا المسلمون مسلحون دينهم جاساً ويحاولون أن يفكروا ، كُتُهم جسس آخر
بعيد الصلة بالدين .

المعركة تدور على مستقبل الإسلام ، على قتله ! على اجثاث
جنوره !! على قبر أمته !! المعركة تدور على هذا !! .

الحركة الأولى لنصر أن يعرف المسلمون هذه الحقيقة ، وأن يتشبثوا
بالإسلام ، وأن يقولوا سبقي بديننا وعليه . ونقاتل دونه حتى نلقى الله ،
هذه الخطوة الأولى في النصر ، وهي الخطوة التي نحتاج أن نخطوها
الآن .

أما أن كل ذى ملة يعتز بمثته ، والمسلمون وحنهم هم الذين
ينكمشون عن عقائدهم ، وعن شرائعهم ، وعن مثلهم العالية ، فهذا
ملا يطاق وما لا يمكن أن يقبل ، وما لا يمكن أن يحفظ به مستقبل ،
مستقبلاً مرتبط لا بقاء الصغار والكبار هنا وهناك ، بل مرتبط باصطلاحنا
مع الله ، وعودتنا إلى الإسلام ، وتطبيقنا لتعاليمه ، وكما قلت : إنني متفائل ،
وإن لتمازلي أسباباً حقيقية لا أوهاماً أتخيلها .

إن الشباب المؤمن يلقاني في كل مكان ، وهو حريص على مرضاة
ربه ، يريد أن يؤدي واجبه ، إن قوى الإيمان شعرت بخطر داهم يريد
الإجهاز عليها ، وذلك مما حرك خصائص المقاومة فيها ، وجعلها تستيقظ
من سباتها ، وتستأنف في ثبات أداء واجبها لإرضاء ربه .

أيها المؤمنون .. إن الرمن جزء من العلاج !! ورعاً طال الرمن أو
قصر ، ولكن المهم أن تثبت وأن تؤدي ما عليك ، وإنه لمن دواعي السرور
أن هذا المسجد الذي انطلقت منه أشعة الإسلام العلمية في العصر الأول ، إن
هذا المسجد الذي مرت به أيام عجاف ، كانت الجمعة لا تقام فيه ، إن
هذا المسجد كان من توفيق الله له أن قبض الله له رجالاً يعملون لرد الحياة
إليه والإنعاش البائي فيه ، قد تكثر العوائق أو تطول ولكنهم ماضون في
طريقهم ، وعندما دخلت ووجدت حبل القمامة الذي يواجه الخطيب بدأ
يقص من أطرافه ، وبدأ يتلاشى ، وعندما شعرت أن إحدى الشركات

المهذبية الكبرى قد بدأت العمل اليوم ، أحسست بأن بلدنا إلى خير ، وأن
في رجالنا من يطعن إلى وفائهم .

« اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعراشم مغفرتك ، والغنيمة من
كل بر ، والسلامة من كل إثم ، لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ولا همأً إلا فرحته
ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها »^(١) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(٢)
وأقم الصلاة

★ ★ ★

(١) رواه الترمذى في الوتر — باب ما جاء في صلاة الحاجة وقال - هذا حديث عريب في إسناده
مقال - فائد بن عبد الرحمن يضعف في الحديث ، وناشد هو أبو الورقاء ، تحفة الأحودى ٢ / ٥٩٠
وابن ماجة في الإقامة - باب ما جاء في صلاة الحاجة ١ / ٤٤١ .

(٢) سورة النحل الآية : ٩٠ .

خصائص المجتمع الإسلامي

قبل الهجرة

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضي الله عنه

الحمد لله رب العالمين ، واعاقة لمتقين ، ولا علوان ، لا على
الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة
المسداة ، والسراج المير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فنحن على أعتاب السنة الرابعة والتسعين من القرن الرابع عشر
هجرى - هجرة كبير المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيد الحقيقة كلها
وهاديا ، سيدنا محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه - وقد رأينا أن
نخصص هذا الأسبوع والأسابيع المقبلة في الكلام عن الهجرة ما قبلها
وما بعدها ، لأن حق المناسبة عيباً أن نذكرها ، وأن نحذف مقدمها ، وأن
نلتصق العبر من تصاعيف الأحداث التي تضمنتها .

إن رسالة نبينا عليه الصلاة والسلام بدأت في جزيرة العرب ، وقد
هاجأت هذه الرسالة سكان الجزيرة بحقائق دت بال ، كانوا لا يدرون عنها
شيئاً ، بل كانت بشتهم تحب وفق حرافات وترهات ، تُدفن هذه الحقائق
وتحاصمها .

كان أول ما دعا السبي عليه الصلاة والسلام إليه توحيد الله جل شأنه ،
وتوحيد الله بدينية يحترمها أصحاب العقول ، ولكن عرب الجزيرة
وغيرهم ممن على غرارهم من المصحفين يعتقدون أن الله شركاء ، وقد

استغربوا دعوة التوحيد . ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل آلآهة إهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ (١) .

والعجب ليس في التوحيد ، فإن التوحيد حقيقة ، ومن أطرف ما يروى لدعم هذه الحقيقة ما قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه لآبه : يا بنى لو كان ربك شريك لأرسل هذا الشريك رسولا من قبله يعرف به ، ويلف عنه ، ما له أبكم لا يتكلم ؟ .

إن كل المرسلين الذين جاءوا بأول أن الله واحد ، وبعوا أنهم من عند الإله الواحد : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٢) .

ووحديية الله جل شأنه حقيقة علمية تنطق بها فجاج الأرض وآفاق اسماء ، فقد ثبت علمياً أن الكون الذى نعيش فيه تحكمه قوانين واحدة وسنن لا تختلف ، وقد نستعرب إذا شعرت بأن سسدة القمح أو الأرز فى حقنها ما يمكن أن تنبت على هذا النحو إلا لأن الله وضع الأرض على هذا البعد المقدور من الشمس ١٥٠ مليون كيلو ، ولو أن هذا البعد قل أو كثر ما نبتت زراعة ولا بقيت على ظهر الأرض حياة !! .

إن الآفاق البعيدة والكواكب القصية تشرك فى صنع ما نأكل من طعام ، قوانين واحدة نعم الكون كله من الذرة التى لا ترى إلى المحرة التى لا ترى ، الذرة لا ترى لدقتها ، والمحرة لا ترى لأبعادها .. ولكن الذى يصير كل شيء وضع نظاماً واحداً يدل على وحدانيته .

ودعت هذه الرسالة إلى التصديق باليوم الآخر ، وكان الجاهليون قديماً كالجاهلين حديثاً لا يؤمنون إلا بحياة واحدة على ظهر هذه الأرض .. وفى صوء هذا الفهم ترى الإنسان وحشاً يعيش ليومه ولا عد له ، يعيش لهذه الدنيا لا آخرة بعدها ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ليعين لهم

(١) سورة ص الآيات : ٥٤ .

(٢) سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴿١﴾

وليس تكبير الإسلام بالدار الآخرة تهوياً لشأن الدنيا ، أو انتقاصاً من النشاط فيها ، كلا ، ولكن التكبير بالدار الآخرة جعل الغرائز البشرية تلزم حدودها ، فلا تطغى ولا تغتر ولا تطلق دون ضوابط ، فإن الإنسان يعتدل كثيراً ويعرف كيف يسير وفق هدايات ربه يوم يعلم أن كل ما يقترف من صغير أو كبير محسوب عليه : ﴿إنا كنا نستنتج ما كنتم تعملون﴾ (٢) .

ومن الأخطاء الشائعة في تصوير الرسالة الإسلامية أنهم يقولون : جاء محمد في بيئة مشرقة فدعاها إلى التوحيد ، هذا تصوير ناقص للرسالة الإسلامية ، فإن الرسالة الإسلامية ليست علاقة بين العبد وربّه فقط ، ولكنها نصب مع هذه العلاقة بين الإنسان وربّه تنظيماً اجتماعياً للكيان الإنساني الكبير ، يقوم هذا التنظيم على المسؤولية المشتركة ، بمعنى أن المجتمع لا يجوز أن يكون فيه جوع وشيع ، عز وذل ، كبر ووضاعة ، علم وجهل ، بمعنى أن يمد القادر العالم الواحد المكبر يده إلى من دونه حتى يتساوى الجميع في نعمة الله وفصله ، لا تساوياً يربل الفوارق بين الأفراد فهذا مستحيل ، ولكنه تساوي يحقق الرحمة والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر .

ولذلك في أول ما نزل من القرآن لتنظيم العلاقة بين الناس ورسم نجد أن هذا التنظيم تناول العلاقة بين الإنسان والإنسان . سورة المدثر من أول ما نزل ، ومع ذلك فأنت تقرأ فيها قوله تعالى على لسان أهل الجنة وهم يتساءلون عن المحرمين يقولون لهم ﴿ما سلككم في سقر﴾ قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ﴿٣﴾ .

وعندما انقسم المجتمع في الجاهلية إلى متكبرين مترفعين ينظرون شراً إلى من دونهم جاهلاً ومالاً ، وعندما حاول هؤلاء المتكبرون المترفعون أن يحرصوا تقاليدهم على صاحب الرسالة ﷺ ، وعرضوا عليه أن يحضروا في

(٢) سورة الحاقة الآية : ٢٩ .

(١) سورة اسحر الآية ٣٨، ٣٩

(٣) سورة المدثر الآية : ٤٢ — ٤٤

مجلسه وأن يستمعوا إليه تمهيداً للإيمان به ، والدخول في دينه ، لكن شريطة ألا يُسوَّوا عن دوسم مكانة ومنزلة في نظرهم ، فلم يتأت الوحي أو يستلرج هؤلاء للإيمان ، بل رفض لأن هؤلاء الذين يريدون الدخول في الإسلام وفق فهمهم وكبرهم أرادوا طرد المؤمنين الضعاف أو على الأقل رميهم وراء ظهورهم في المجلس فنزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشَىٰ يُريدُونَ وَجْهَ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ . وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيِّنَاتٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

دخل الإسلام ناس ، يريد أن نعرف الخصائص العقلية والنفسية لمن دخل الإسلام ، وانشرح به صدره ، حتى نعرف من هم المسلمون قل الهجرة ؟ ما حلائقهم ؟ ما فضائلهم ؟ ما الميزات الإنسانية التي توافرت فيهم مادياً وأدبياً حتى بدأ مجتمع ما قبل الهجرة يتكون ؟ .

أول ما نلاحظه في المسلمين أنهم أصحاب تحرر عقلي ، لم ؟ لأن طبيعة الإيمان عندنا في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ طبيعة تقدمية ، نحن في عالم يفخر بأنه تقدمي ، الحقيقة أن العام فعلاً ارتقى علمياً في جوانب ، ووقف في جوانب أخرى ، وتراجع في جوانب كثيرة .. ولكن الإسلام عندما يعرض الآن ربما نظر الناس إليه من خلال الأمم الهابطة المنتسبة إليه ، فآزروا به واستهانوا بقيمه .

نريد أن نعرف الإسلام من خلال الذين اعتنقوه أولاً ، كان هؤلاء كما قلت أصحاب حرية عقلية ، إنسان بدأ يحدث الناس ويقول لهم : أنا أعرض عليكم ما عندي ، ما عندك ؟ ومن أين جئت به ؟ وما تريد ؟ وما دليلك ؟ .

فيكون الجواب : ﴿ حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة

(١) سورة الأنعام الآية : ١٠٧ ، ١٠٨ .

آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ﴿١﴾ .

خطاب للعقل الشرى ، تحريك للفكر الإنسانى ، لكس هناك ناساً حمدت أفكارهم ، وتحجرت عقولهم ، هؤلاء يصفهم الله فيقول : ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها .. ﴾ (٢) هذا النوع المتحجر هبط إلى مستوى الحيوانية ﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ (٣) .

إذن بدأ الإسلام حرية عقيدة ، فكان الحيل الذى اعتنق الإسلام يمثل في أرض الله الواسعة مجتمعاً تقدماً أرقى فكراً وأبصر نظراً وأعمق استدلالاً ، وأوسع آفاقاً من المجتمعات المتخلفة الأخرى .

انصم إلى هذه الحرية العقلية في مجتمع ما فل احجرة شئ آخر هو انقذرة النفسية على محالمة الجماعة إذا كانت محطّة ، والقدرة النفسية على المشى مع الحق وإن كان الناس مبطلين لا يبرزقها كل إنسان ، فقد تبين لنا من استعراض النشاط الإنسانى ، والتأمل في مسالك الخلق تبين لنا أن الناس نوعان : نوع دس لا يحس إلا أن يكون مع التيار ، يقول : أنا مع اس ، هذا اللون أو النوع يسمى الإمعة ، وفيه تحدير السى ﷺ : « لا تكونوا إمعة تقوون إن أحس الناس أحسا ، وإن ظلموا ظلموا ، ولكن وضوا أنفسكم ، إن أحس الناس أن تحسوا ، وإن أساعوا فلا تظلموا » (٤) .

القدرة على التخلص من البيئة المسخرقة ، أو من التقاليد السحيفة ، أو من التيارات المعوجة لا يستطيعها كل إنسان ، بل رأينا ناساً رأوا

(١) سورة الجاثية الآيات من ١ - ٦ . (٢) سورة الأنعام الآية : ٢٥

(٣) سورة الأنعام الآية : ٢٢ .

(٤) رواه الترمذى في البر — باب ما جاء في الإحسان والعفو عن حديده رضى الله عنه ، وقد

حديث حسن غريب لا يعرفه إلا من هذا الوجه . بحه الأبودى ٦ / ١٤٥

الصواب ولكن لعجزهم انفسى ، ولعدم قدرتهم على ترك ما أنفوا بقوا مع الصلال !!

يقول الله في هؤلاء . ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلكم به كافرون فاستقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾^(١) البيئة تتجه صلالاً إلى الشمال ، اتجه أنت إلى اليمن .

هكذا ربي القرآن الحيل الذى تكون قبل اهجرة ، رباه على قدرة محالفة المواريث السائدة ، التقاليد الموطدة ، التيارات العالبة ، وفي هذا بقرأ قوله تعالى في سورة هود المكية ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون . وانتظروا إنا منتظرون ﴾^(٢) وتقرأ قوله تعالى في سورة الأنعام المكية : ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إلى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون ﴾^(٣) .

قدرة نفسية على محالفة البيئة إذا صلت ، لكن محالفة البيئة إذا صلت قد تكلف صاحبها تعباً ، وقد تحشمه عتاً ، وهما نجد أن صاحب الحق الذى اعتقه واستراح إليه لا يبالي في سبيل الحق أن يتحمل العت وهذه خاصة في الرسالة الإسلامية جعلنا نرى أن الذين آمنوا ووجهوا بثلاثة أنواع من الحروب :

النوع الأول : حرب الاصطهاد ، وقد وجهت للضعاف الدين لا عزوة لهم ولا عصية ، والرسول ﷺ في أول أمره كان لا يملك شيئاً ، وليس لديه ما يقدمه من حماية ، إذا رأى أسرة كأ أسرة عمار بن ياسر هو ووالده وأمه رضى الله عنهم ، إذا رأى الأسرة تعذب ماذا يقول لها ؟ لا يستطيع أن يقول إلا : « اصبروا آل ياسر موعدكم الجنة »^(٤) .

(١) سورة الزخرف الآيات من ٢٣ ٢٥

(٢) سورة هود الآيات ١٢١ ، ١٢٢

(٣) سورة الأنعام الآية ١٣٥

(٤) ذكره الهيثمي في المجمع ٢٩٣/٩ وقال رواه الطبراني ورجاله ثقات ، وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال « أبشروا آل عمار وإن ياسر عمار موعدكم الجنة » رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ٣٨٨/٣ .

الأنبياء لا يملكون أموالاً يرشون بها ، ولا يملكون سلطة يفرصون بها
حمائهم على أتباعهم ، بل في الهجرة الأولى إلى الحبشة هاجر عثمان بن عفان
رضي الله عنه ومعه رقية رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ .

النوع الثاني : حرب السحرية ، وحرب السحرية كانت حرباً فيها
نوع من الإيذاء النفسي ومن الإحراج البالغ ، كانت حرباً موجهة :
﴿ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾^(١) سبحانه الله ..
أعص انسان في الأولين والآخرين يقال له هذا ﴿ إن الذين أجمعوا كانوا
من الذين آمنوا يضحكون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى
أهلهم انقلبوا فكهين ، وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾^(٢) .

إنهم يضحكون ، ويسحرون ، وينكتون ، غمز ولمز وتنكيت
وسحرية ، لكن أتباع محمد ﷺ ثبتوا وصبروا على هذا كله .

النوع الثالث : حرب المقاطعة ، وهي حرب مؤذية ، عندما يكون
الإنسان تاحراً ثم تنقرر مقاطعته ، أو عندما يكون له بنات وبنون فيتقرر
ألا يتروح أحد من بناته ، هكذا صنع المشركون بأتباع محمد عليه الصلاة
والسلام ، لكنهم تحملوا هذا كله ، فكان إلى جانب الحرية العقلية ، وكان
إلى جانب القدرة النفسية على مخالفة البيئة كان إلى جانب هذين شيء ثالث
وهو الثبات والتحمل في ذات الله ، والصبر على ما يكون من شدائد !! ثم
كان الأمر الأخير وهو الدعوة إلى الهجرة ، والدعوة إلى الهجرة شيء أحب
لمناسبته أن أعقد مقارنة عاجلة سريعة بين الدعوة إلى الهجرة في مكة لإقامة
دولة ديبية أو مخنم ديبى في المدينة ، وبين ما وقع في عصرنا هذا .
الدعوة إلى الهجرة كانت صريحة ، سنتقل إلى المدينة لنقيم فيها دولة
الإسلام بعد أن عجزنا عن إقامتها في مكة .

ومهاجرة الناس من أوطانهم وأسرهم وماضيهم ، وما ألفوا إلى مكان
ليقيموا فيه دولة وفق ما يعتقدون شيء عرّفه المسلمون قديماً عندما هاجروا
إلى المدينة المنورة ، وأريد أن ألفت النظر إلى فارق شاسع بين ما وقع من
مسلمى الأمس منذ أربعة عشر قرناً وبين ما وقع من اليهود اليوم .

(٢) سورة المطففين الآيات من : ٢٩ - ٣٢ .

(١) سورة الحجر الآية . ٦ .

إن اليهود من محسنين سة تقريباً فرروا في مؤتمراتهم أن يهاجروا إلى إسرائيل كي يقيموا في فلسطين دولة لهم باسم إسرائيل ، وفعلاً بدأت الهجرة ، واستطاع هؤلاء المهاجرون أن يقيموا دولة توصف بأنها دينية ، وجعلوا عنوانها إسرائيل ، هناك فروق واسعة بين هجرة المسلمين قديماً إلى المدينة وهجرة اليهود حديثاً إلى فلسطين ، هذه الفروق أريد أن أخصها على عجل :

أول هذه الفروق أن المسلمين الذين تركوا مكة إلى المدينة يمكن أن يوصفوا بتعبير العصر الحديث بأنهم مغامرون ، لأنه لم يكن لهم على ظهر الأرض بصير ، كانت الدنيا كلها ضدهم ، أما المشركون فلأن القرآن عاب الأصنام ، وحقر الأوثان ، وهدم تقاليد الجاهلية ، وطلع على الدس بوضع جديد يصب فيه الإنسانية صباً من طراز آخر ، وأما المسيحية فإن الإسلام كان في مكة ينكر بحارة وحماسة أن يكون لله ولد ، ففي سورة الكهف المكية نقرأ قوله تعالى : ﴿ ويذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ، ما لهم به من علم ولا لآبائهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾ (١) .

وفي سورة مريم المكية نقرأ قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إذا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ﴾ (٢) .

هذا الإعلان الصريح الذي ظهر في مكة عاطهم وأعصمهم وجعلهم يحقدون على الإسلام والمسلمين .

أما اليهود وهم عدو ثالث فإن القرآن تناوهم أكثر ما تناوهم في مكة قبل الهجرة ، سورة الأعراف المكية قالت عنهم ، إن الله لن يدعهم ، ربما ضحكك الدنيا لهم قليلاً ، ولكن لا بد أن تحتم بفاجعة ، ولا بد أن يصابوا

(١) سورة الكهف الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) سورة مريم الآيات من : ٨٨ - ٩٥ .

بكنة قاصمة ﴿ وإذ تأذن ربك ليعن عليهم إلى يوم القيامة من يسرهم سوء العذاب ... ﴾^(١) .

ماذا بقي في الدنيا من صديق للمسلمين ؟

اليهود صدهم ، والنصارى صدهم ، المشركون صدهم ، الملحدون الذين لا يؤمنون بآلهة صدهم ، فمادا بقي للمسلمين ؟ .

يوم يكف تاجر في مكة أن يُصفي ماله ليذهب إلى المدينة فإنه معامر .. معامر فعلا .. ولكن الذين آثروا ما عند الله ، ورجحوا جانب الحق ، قالوا لو اتفقت الدنيا كلها صديقا فسقى مع الله ومع نبيه محمد ﷺ

هؤلاء الدين فعلوا ذلك كانوا شيئا آخر محالاً من كل حاب محررة اليهود إلى فلسطين ، فإن اليهود قبل أن يهاجروا إلى فلسطين بعهدت الدولة الأولى في العالم يومئذ انحسرا بأن تكيف الظروف في فلسطين لاستقبالهم ، فكان الحاكم الإنجليزى في فلسطين يذل العرب ، ويعطش أرضهم حتى لا يبت فيها ررع ، وحتى يكرهون على بيعها بأحسن ثمن أو بأعلاه ، وكانت الرصاصة إذا وحدث في بيت عربى سبباً في أن يهدم البيت من أعلاه إلى أدناه ! .

كان الاستعمار البريطانى من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٤٨ ، كان عالمياً ومحلياً يهين الظروف لاستقبال اليهود المهاجرين ، فكان رأس المال اليهودى إذا هاجر فمن مأم إلى مأم ، ومن حرم إلى حرم ، ومن حارس إلى حارس .

شتان بين هذا وبين المهاجرين الأوائل ، شتان .. شتان .. ثم إن المهاجرين الأولين ذهبوا إلى المدينة المنورة ، أى محررة هذه ؟

يوم اضطررنا الظروف الصعبة إلى أن نستقبل المهاجرين من السويس وإسماعيلية ، تحركت لأجهزة الاقتصادية والثقافية والحكومية والأهلية لاستقبال المهاجرين ، وصدرت قوانين ، وبدأت أمور كثيرة تتحد لكن الهجرة إلى المدينة أشرف عليها شيء واحد هو الدين والخلق ، كان المسلمون

(١) سورة الأعراف الآية : ١٦٧ .

في المدينة يستقبلون الوافدين عليهم بصدر واسع ، لا سلطات ، لا قوانين ،
ومع ذلك فما نزل مهجرى على أنصرى إلا بقرعة

كان التنافس بين بيوت الأنصار تنافساً عالياً لاستقبال أولئك القادمين
الدين جمعهم الإيمان ، ثم شتان شتان إن الدولة التي أقامها الإسلام يعد الهجرة
دولة لعبادة الله .. لصقل النفس البشرية لسيادة القيم التي يساند بها العقل والفطرة .
أما دولة إسرائيل فدولة وثنية لعبادة المال والخصا والشهوة والصلال ،
لعبادة الخبوت والمظالم والطغيان .

إذا كان الشاعر العربي قال :

والمال مذ كان تمثال يطاف به والبأس مذ خبقوا عباد تمثال
فإن عبادة المال وعبادة الدنيا ، لا اعتراف بالآخرة ، لا اعتراف بقيم ،
لا اعتراف بشرعية السماء ، لا شيء عند اليهود أكثر من المادة ، العجل الذهبي
الذي عبد قديماً ، أعيدت عبادته بشكل آخر . ولولا أن المسلمين باعدت بينهم
وبين دينهم أزمان روحية ومادية طاحنة لكان لليهود مصير آخر وشأن آخر .
إنها مقارنة بين المسلمين الأولين وما امتاروا به ، وكيف أن ما امتاروا
به نقلوه وهم يهاجرون وأسسوا به دولة على غير الدنيا ، هي الوالد الحقيقي
لكل ما على ظهر الأرض الآن من قيم ومن تقدم ومن حضارة .
أقول قولي هذا وأستعمر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم
ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله
والكافرون لهم عذاب شديد (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول
الله ، إمام الأنبياء ، وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

عباد الله . أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، واستذكروا أمجاد
آبائكم العقلية والنفسية كي تستطيعوا هذه الأمجاد أن تقيموا دولة الإسلام
وحصارة الإسلام .

إن الجهود الآن تبذل لإقامة حصارة مادية كפור في فلسطين ، وقد
نحج هؤلاء اليهود إلى الآن في أن يقيموا لهم دولة تفرص نفسها على
ما حوفا ، ولكن الظروف من حولهم هي التي مكنت من إقامة هذه
الدوية .

والحرب لا بد وأن تبقى بين أهل الإيمان وبين يهود الأرض ووراث
الكفر ومشيعي الربا والربا في عالم الحاضر ، لا بد وأن تبقى هذه الحرب ،
وأحرف ما أحاف أن يظن بعض الدس أن دهاهم بعيداً بعشرين أو ثلاثين
كيلو شرق لقناة يعتبر شيئاً خطيراً ، أو يعتبر أمراً نهائياً ، إن الحرب قائمة
ودائمة إلى أن يحق الحق الحق ويبطل الباطل إلى أن تُعسل هذه الأرض للأبد
من أدران الدين يروا بها يريدون أن يمحوا تراث الإسلام ، وأن يمحوا
أصالتنا وعراقتنا ودعوتنا الصحيحة إلى الله ، وإلى وحيه وإلى ما أنزل على
لسان أنبيائه ، لكن الشدائد التي نزلت بنا تحتاج إلى أن نحدد موقفا منها .

إن أمنا إلى الآن لا تزال تعاني من عطب حقيقي يجعل الشبه بين
المسلمين قبيل الحجره وبين مسدمين في العصر الحاضر يجعل الشبه مقطوعاً
أو بتعبير دقيق يجعل الشبه ضعيفاً ، لم ؟ لا يزال للآن لا نحسن الحكم على
الأمور ، لو أن ممثلاً هرلياً مشى في أحد الشوارع أو أحد الميادين ، ومشى
إلى جانبه عالم من الدين يشتغلون في بحوث الذرة ، أو ممن يشتغلون في
ميادين الطب ، أو ممن يشتغلون بجهد في خدمة التراث والثقافة الإسلامية ،
فإن الجماهير ربما حيت بإكبار الممثل الهرلي ونسيت العالم في الذرة !! ولقد
كان لنا علماء في الذرة ماتوا فما فكر فيهم أحد ، وإنما فكرنا في أن نحى
ذكرى التابعين من رجال السحرية ولهرل والتثليل والغناء وما إلى
ذلك !! .

العيب عيب الجماهير ، نحن لا نعقل ، امرأة تنجب ثمانية أطفال في
أريف أحدهم في الحقل ، والثاني في المصنع ، والثالث في الجُمش ، والرابع
في الجامعة ، والخامس هنا ، والسادس هنا ، أشرف عبد الله وأفضل في
ميدان الحقيقة من ممثلة أو راقصة تعرض معانها على الخلق .

إننا لا ندرى كيف نحكم ، وجماهيرنا موقفها سلبي ، وهذا الموقف
السلبي خطير ، ويجب أن يشعر الهارلون بأنهم حقراء ، وأن الجماهير تنظر
إليهم بعين مشمئزة ساحرة ، يجب أن يشعر العاملون بأنهم موضع إعرار
الأمّة واحترام الخلق .

قلت لبعض الناس : إن الإعلام في أثناء المعركة كان حيراً كثيراً مما
قبلها ، وارتفع كثيراً عن المستوى الأول ، هذ بالنسبة إلى الإداعة ، أما
الإعلام في التلفزيون فهو أقل لأن هذه الشاشة تفلت إليها وحده ممسوحة
تخرج منها أشياء بايية ولا ترال هذه الشاشة إلى الآن كما أعدم محرمة على
بعض المحتشمات .

إن بعض البرامج القرآنية أُلغى بسبب أن مقدمته تستر رأسها ، وستر
الرأس رجعية ، وكشف الرأس تقدمية .

لو قلنا هؤلاء دعوا الناس أحراراً كما تقولون ، اتركوا هذا الأمر للحرية
الشخصية من كشفت رأسها كشفتته ومن سترته سترته لقالوا لك : لا لا
لحرية الشخصية التي تجعل المذبة تغطي رأسها .

إذن الأمر ليس أمر حرية شخصية ، الأمر أمر تخطيط لمنع التدين من
أن يأخذ مجاله في المجتمع .

وفي المسرح الكبير لا يرال السقوط كاملاً ، والمسارح والرويات التي
تعرض لا ترال بعيدة عن المعركة ، وعن الخلق ، وعن الدين ، وفي مطابخ
المسرح المصري الآن رواية ، ألغت الطرقل أن يقع ما يجرح ، رواية
تحدث بسحرية عن الحمة والدار ، وعن الآخرة ، وعن ملائكة الله ، وعن
إشارة حمراء تؤدي إلى اسار ، وإشارة حمراء تؤدي إلى الحمة ، والإشارة
الخضراء انفتحت لمومس كي قدحل الحمة .

الرقابة منعت الرواية من أن تظهر ، لكن جهوداً أخرى أفلحت في أن
تأخذ الرواية طريقها ، وهي لم تخرج إلى الآن ، ويوشك أن تخرج ، وأنا

أحذر من أن الرواية إذا حُرِّح فإن المؤمنين سيذهبون إلى هذه المسارح لينزلوا من على خشبة المسرح من يركب على الدار الآخرة ، ومن يهزأ بالملائكة ، سينزلوه ليضربوه بالنعال على وجهه .

نَا أَبِه إِلَى هَذَا ، فَإِنَّا لَا نَقْبَلُ أَنْ يَمُوتَ الشَّهَدَاءُ بِاسْمِ اللَّهِ ، وَأَنْ يَمُوتُوا الْقَتْلَ بِشَيْدِ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ تَكْبِيرُ اللَّهِ حُلَّ شَأْنِهِ ، ثُمَّ تَقَى هَا وَهََا بَقَايَا تَرِيدُ أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ

لَنْ نَكْفُرَ سَنَكُونُ مُؤْمِنِينَ ، سَنَقِي عَلَى دِينِهِ ، وَنَسْحِي تَرَاثًا ، وَنَسْجَمُ الْأُمَّةَ عَلَى هَذَا أَهْدَفَ وَ مَوْكٍ لِلْحَقِّ لَا يَكْبُرُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَحْتَرَمُ إِلَّا دِينُهُ .

إِنَّا نَحْذَرُ مِنَ الدَّعْبِ بِالْحِمَةِ وَالنَّارِ وَالْمَلَائِكَةِ ، إِنْ هَؤُلَاءِ يَلْعَبُونَ بِالنَّارِ ، وَإِنْ مَسْتَقْبَلُهُمْ سَيَكُونُ شَرًّا عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ وَرَاءَهُمْ .

« اللَّهُمَّ أَصْلَحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصْمَةُ أَمْرِنَا ، وَأَصْلَحْ لَنَا دِينَانَا الَّذِي فِيهِمَا مَعَاشُنَا ، وَأَصْلَحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ حَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ » (١) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) .

عباد الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) .

وأقم الصلاة .

(١) رواه مسلم والنسائي وأحمد

(٢) سورة احشر الآية ١٠ .

(٣) سورة النحل الآية ٩٠ .

تأملات في سورة الواقعة

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

١٩٧٣ م

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ،
والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فموضوع خطبتنا اليوم تأمل سريع في سورة الواقعة هذه السورة
التي ألفت كثير من الناس قراءتها ، وتقرب إلى الله عز وجل بتلاوتها يمكن أن
يلخص موضوعها في جملة يسيرة : « موضوع البعث ، ومنازل الناس
بعده ، وأدلة وقوعه » هذا ما قامت عليه السورة .. البعث ، ومسرل الناس
بعد البعث ، وأدلة وقوع البعث .. على هذا المحور دارت آيات السورة

كلها . ونحن سنعين الله مصور هذه المعاني التي تجعل أول السورة تمهيداً
لآخرها .. وآخر السورة تصديقاً لأولها لتخرج من هذا التصوير بمعنى
متكامل .

﴿ إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة ﴾ (١) .
يقال : وقع القول : إذا تحقق وثبت ، وقعت الواقعة : إذا أصبحت
أمراً واقعاً فتحققت وثبتت . ومع أن في طباع الناس مكابرة مستغربة ،
ومع أن عدداً كبيراً من الناس أوتى جدلاً يحب أن يكابر به الواقع فإنه عندما
تقوم القيامة تحترس الألسنة التي تعودت الجدل ، وتعلق الأفواه التي ألفت
المكابرة ، ويشعر الناس جميعاً بأنهم أمام حدث ما يدُّ من الاعتراف به ،
والانحناء له ، والخصوع لآثاره .

﴿ إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة ﴾ (٢) .

وهنا نحب أن نشرح : لِمَ كرر القرآن الكريم تصوير مشاهد البعث
والحراء والحساب ، وما يتبع الحساب من ثواب وعقاب ؟ السبب في ذلك
أن هناك علة فاشية في الناس على امتداد القرون ، واختلاف الأمكنة .. هذه
العلة هي عبادة الحياة الدنيا .. إن عبادة الحياة الدنيا مرض في الإنسانية
قديم .. وقد استفحل هذا المرض ، وراى في الحضارة الحديثة .. فإن هذه
الحضارة مهتدة للناس طريق المتع ، وعنتهم بتراب الأرض ، وسخرت مما
وراء المادة . وجعلت الناس .. يُجسُّونُ أهم ما يحيون إلا هذه الحياة
الدنيا ، وأن ما بعدها وهم ما ينفى الاستعداد له أو التعلق به .. يصدق في
هؤلاء جميعاً قول الله عز وجل في كتابه :

﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ، ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾ (٣) .

وقوله جل شأنه :

﴿ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يزد إلا الحياة الدنيا . ذلك

(١) سورة الواقعة ١ - ٣

(٢) سورة الواقعة ١ - ٢

(٣) سورة الإنسان ٢٧ - ٢٨

مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴿١﴾

وكرر القرآن في كثير من السور ما نَحَدَه في سورة الواقعة هـا ، من تصوير لمشاهد الحشر والنشر والمثوبة والعقوبة ، والسبب أنه يريد إحداث توازن في الكيان المعنوي للإنسان ، فإن الإنسان يُحصر بين مشاهد الدنيا وبين واقع الأرض وبين ما يسمع ويبصر فتعبت عينه تلك المحسوسات وكأنها هي الواقع الذي لا شيء بعده ، فكيف يستيقظ الإنسان من هذا الحاضر الذي استغرق فيه ؟ وكيف يشعر بأن مع اليوم عدأ ، ومع الحاضر مستقبلاً ، ومع لذة الطعام والشراب والشهوة الآن لذات أخرى أرقى وأركى ينبغي أن يُحسها ، وأن يستعد لها ، وأن يعمل على مصلها ، وعقوبات أو آلام أنكى وأشق ينبغي أن يتحرر منها ويستعد عنها ويتخرج عن الوقوع فيها ١١٢ .

إن إكثار لقرآن الكريم من الكلام في الدار الآخرة إنما هو لعمل توارن في وعي الإنسان بين دنياه التي تحيط بنا وتَلْقَا في آلامها وآمالها ، وبين ما لا بد منه في الدار الآخرة .. لأنه حق ولكن الناس غافلة عنه !! ومن هـا جاء الكلام عن الدار الآخرة في هذه السورة على أنها ستقلب الأوضاع

﴿ إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة ﴾ (٢)
ستقلب الأوضاع ، معنى ﴿ خافضة رافعة ﴾ أن ناساً في دنياه هـه يعتبرون في مرتبة صغيرة أو في درجة وضيفة سوف تعلو أماكهم ، وترتفع مناصبهم ، وأن ناساً في دنياه هـه يشار إليهم بالبنان ، ويُرمقون في مناصبهم أو في أماكهم على أنهم سادة وقادة سيكونون صعايت في الدار الآخرة : ﴿ خافضة رافعة ﴾ وقد نظر النبي عليه الصلاة والسلام يوماً إلى آفاق الدنيا في ليلة من الليالي كما روى البخاري في صحيحه :

« استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال : سبحان الله .. ماذا أمرل الليلة

(١) سورة النجم ٢٩ ، ٣٠

(٢) الواقعة : ١ - ٣

من الفتن ، وماذا فُتِح من الحزائن ، أيقظوا صواحبنا الحُجَر قُرب كاسية
في الدنيا عارية في الآخرة» (١) .

﴿ خافضة رافعة ﴾ رَبُّ مَكْسُورٍ هُنَا يَزِين مَفْرَقَهُ التَّاجُ سَوْفَ يُحْشَرُ
مَفْصُوحًا عُريَان ، وَرُبُّ تَالِهٍ هَا يُرَدُّ عَنِ الْأَبْوَابِ وَتُلْقَى إِلَيْهِ النُّظَرَاتُ
الْمُنْكَرَةُ سَيَكُونُ مِنْ مُلُوكِ الدَّارِ الْآخِرَةِ

﴿ خافضة رافعة ﴾ . إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا . وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا .
فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ، وَكُنْهُمُ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿ (٢) .

﴿ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ أَيُّ أَصْنَافًا ثَلَاثَةً .. وَالنَّاسُ فِي الْآخِرَةِ ثَلَاثَةٌ
أَصْنَافٌ .. لِصَفِّ الْأَوَّلِ هُمْ : ﴿ .. السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ . أُولَئِكَ
الْمُقَرَّبُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٣) وَمَنْ السَّابِقُونَ ؟ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ قَوْلُهُ فِيمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ : « إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ
أَهْلَ الْعَرْشِ مِنْ هَوَاقِفِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبُ الثُّرَيَّا الْعَابِرُ فِي الْأَفْقِ مِنْ
الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ .. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ .. تِلْكَ مَنَارِلُ
الْأَنْبِيَاءِ لَا يَسْغُهَا غَيْرُهُمْ .. قَالَ بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رَجُلٌ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٤) .

هل نظرت يوماً وأنت في بيتك إلى نجمة في السماء تولد وتختفي من

(١) أخرجه البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها في كتاب العلم ، باب العلم والعظة بالليل
٤٠/١ ، والترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء بشكون ليلة تحفة الأحادي ٤٣٩/٦ ،
وأحمد ٢٩٧/٦ ، ومالك مرسلاً عن ابن شهاب في كتاب اللباس باب ما يكره للنساء من
الثياب ٩١٣/٢ بتحقيق محمد فوزان عبد الباقي ، « إحياء الكتب العربية » .

(٢) الواقعة : ٣ : ٧ .

(٣) الواقعة : ١٠ - ١٢ .

(٤) صحق عليه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه .. وهذا لفظ البخاري ، أخرجه
في كتاب بدء الخلق — باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ١٤٥ / ٤ — ومسلم في كتاب الجنة
وصفة نعيمها وأهلها — باب يرى أهل الجنة أهل لعرف كما يرى الكوكب في السماء ٨ ١٤٤

شدة بُعد ما بيننا وبينها من سنين ضوئية ومسافات رحبة . بين عليه الصلاة والسلام أن منازل الناس في الجنة هكذا 119 بعضهم في الأرض ، وبعضهم كهذا النجم البعيد .. هكذا أهل الغرف الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين . إن الإيمان يصنع العجائب .. ويوم يكون الإنسان مؤمناً حقاً ، ودفعه إيمانه هذا إلى أن يؤدي حق الله عليه كاملاً فإنه يكون سباقاً ..

الصنف الثاني هم : ﴿ ... أصحاب اليمين . ما أصحاب اليمين . في سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفروش مرفوعة ﴾ (١) إلى آخر ما وصف القرآن الكريم .. ونعوذ بالله من الصنف الثالث :

﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ، في سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم ﴾ (٢) لماذا ؟ ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ﴾ (٣) كانوا متعفين في الدنيا ما يحسبون للآخرة حساباً ﴿ وكانوا يصرون على الحنث العظيم ﴾ (٤) كانوا يغيرون في عقائدهم فيقولون : الله أكثر من واحد .. وكذبوا .. فإن الله واحد .. واحد فقط ، وكما أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام فقال : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ (٥) ولكن ليس له ولد .. ليس له ولد ﴿ وكانوا يصرون على الحنث العظيم ﴾ هذه منازل الناس على اختلافها كما صورتها الصفحة الأولى من سورة الواقعة .

فإذا انتقلنا إلى الصفحة الثانية من هذه السورة وجدنا أدلة البعث .. كأن المستمع أو القارئ يتساءل أصبح هذا كله ؟ أصبح أن هذه الدنيا سيخرب عمرائها ، ويُهْلَم بتيانها ، ويُفَض سُرَادِقُهَا ، وبتنقل الناس منها إلى هذه الأماكن المختلفة ، أو الدرجات المتباينة 119 هذا سؤال يرد .. ومن

(١) الواقعة : ٢٧ - ٣٤

(٢) الواقعة : ٤١ - ٤٤ .

(٣) الواقعة : ٤٥ .

(٤) الواقعة : ٤٦

(٥) الزخرف : ٨١

عظمة القرآن الكريم ، ومن إعجازه الخلد أنه تعرض عقائده عن كل عقل في كل عصر بالأدلة المقنعة والبراهين الساطعة .. ولذلك في هذه السورة سرد القرآن الكريم خمسة أدلة على صدق البعث والخزاء .. هذه الأدلة الخمسة بدأت من قوله تعالى : ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ﴾ (١) .

هذا هو الدليل الأول ، والدليل الثاني :

﴿ أفرايتم ما تمنون ، أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴾ (٢) .

والدليل الثالث : ﴿ أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ (٣) .

والدليل الرابع : ﴿ أفرايتم الماء الذي تشربون . أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴾ (٤) .

والدليل الخامس : ﴿ أفرايتم النار التي تورون . أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴾ (٥) .

فللق نظرات سراعاً على هذه الأدلة الخمسة لتعرف ما قيمة كل دليل في إقناعه بالحقيقة التي تصدى للبرهنة عليها .

﴿ نحن خلقناكم ﴾ هذا دليل بديهي .. الله يقول لننكر البعث : لم تنكر أن وُجدك وقد سبق أن أوجدتُك ؟ لقد أوجدتُك أولاً فما يمنعني من أن أوجدك ثانياً ؟ وفي تصوير القرآن لهذه الشبهة التي مسحها مسحاً نجد أنه استعرض هذه الشبهة حديث نفس في بعض السور ، وصُراخ مبطلين في بعض السور .. حديث النفس في قوله تعالى : ﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً ، أولاً يذكر الإنسان أننا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴾ (٦) هذا هو الجواب يحىء أيضاً نوعاً من التذكير النفسى للتساؤل

(١) الواقعة : ٥٧

(٢) الواقعة : ٥٨ ، ٥٩

(٣) الواقعة : ٦٣ ، ٦٤

(٤) الواقعة : ٦٨ ، ٦٩

(٥) الواقعة : ٧١ ، ٧٢

(٦) مريم : ٦٦ : ٦٧ .

النفسي الذي تحرك في ضمير المرء وهو يتساءل عن البعث .

البعض الآخر بصرخ ﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَعِنَّا لِمَبْعُوثِينَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ (١) .

والجواب : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ... ﴾ (٢) هذا هو الجواب .

الدليل الأول في جملة لا تستغرق نصف سطر : ﴿ لَنَحْنُ خَلْقُنَاكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴾ (٣) فهلا تصدقون بعد ذلك .

الدليل الثاني والثالث يعودان إلى معنى لطيف أساسه أنك قد ترتاب في إنسان يعدك أنه سيعطيك كذا ، رأيتك يمنح الألوف دون عجز ، ويهب الكثير دون بحل فمن حقه عليك أن تقول : إن وعده هذا ميسور التصديق ، ولم أكذبه وهو يقول سأعطيك وفي الوقت نفسه يعطي الآن الكثير ؟ إن عطائه الآن يُرشد ويُمهد لتصديق عطائه فيما بعد .

الدليل الثاني والثالث : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْنُونَ ﴾ (٤) ، ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ (٥) أساسهما أن الخالق الذي يقول سأخلق بعد عدم لا يقول ذلك وهو عاطل الآن .. بل يقول ذلك وهو يخلق الآن بالفعل ، يحق الآن بالفعل .. ومن حق الناس . من حق كل إنسان أن يسأل نفسه أين كنتُ قبل مائة سنة ؟ سل نفسك .. إن ديننا أساسه العقل ، ومن حق أي عاقل أن يوجه لنفسه هذا السؤال ، أين كنتُ قبل مائة سنة ؟ كنتُ تريباً في سطح الأرض .. في بلد ما .. كنتُ قطرة ماء في موج من الأمواج التي تملأ البحار والمحيطات .. هذا بدني أين كان ؟ هذا عقلي أين كان ؟ عندما يسأل القرآن سؤال تقرير : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا

(١) الإسراء : ٤٩ .

(٢) الإسراء : ٥٠ ، ٥١ .

(٣) الواقعة : ٥٧ .

(٤) الواقعة : ٥٨ .

(٥) الواقعة : ٦٣ .

مذكوراً ﴿١﴾ .

نعم أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، فكيف وُجدت ؟ سطر كيف وُجدت ؟ أكل أبوك وأكلت أمك ، أكلا من حيرات الأرض .. أكلا من أى شيء وصل إلى سهما ثم اشتغلت في هذا البدن عدد .. اشتغلت الغدة المسوية في جسمك .. إنها تشتغل فون أن تستأديت .. دون أن تتفقى منك أمراً .. دون أن تعرف عنها شيئاً .. إنها تشتغل وتكوّن الحيوان المنوى وفيه خصائص جنس .. فيه الأخلاق الأصيلة والمكتسبة من أهلك وجدك .. وربما تضمنت الغرائز التي انحدرت إليك عبر القرون من أول آدم !! من فعل هذا ؟ من الذى خلق هذا الحيوان الذى أثبت العلم أن به خصائص الجنس كاملة .. بل بلغ دقته أن النطفة في الجنس الذبحي تحمل خصائص سواد الجلد والشعر المتجعد بطريقة معينة وما إلى ذلك من انفعالات سريعة ، أوجدة في المزاج أو ما إلى ذلك ، آتت الذى صنعت هذا ؟ أنت الذى يأكل ولا يدري .. هذه الغدة ما الذى جعلها تفعل ذلك ؟ هذا هو تفسير قوله تعالى ﴿ أفرايتم ما تمنون ، أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون . ولقد علمم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ (٢) كما أشأناكم بطريقة معروفة الآن ننشئكم بطريقة أخرى لا تعرفونها . هذا في جسم الإنسان ﴿ أفرايتم ما تمنون ﴾ دليل آخر : ﴿ أفرايتم ما تحرثون ﴾ الزرع الذى يُنَوّن البشرية باستمرار بقناطر مقنطرة من الحبوب والفواكه .. من الذى صنع ذلك في الحقول والحدائق ؟ من ؟ ما صنع ذلك إلا الله .. إن افلاح يُلقى البذور ويذهب إلى بيته ما يدري كيف يتحول الطين إلى نسيج أحمر في البطيخة ملء بالماء الحلو ، والسكريات ، والفيتامينات والمعادن !! وما يدري كيف تُصنع القشرة فيها هذه الألوان التي يعجز الفنان العادى عن صنعها ، وتُرمى في صفائح القمامة إهمالاً لها لكثرة ما يصنع الخالق منها ، غنى مطلق : ﴿ أفرايتم ما

(١) الإنسان : ١ .

(٢) الواقعة : ٥٨ - ٦٢ .

تحرثون . أنتم تزرعون أم نحن الزارعون ﴿ الذى يخلق الآن يقول لك : سأخلق مستقبلاً فما الذى يجعلك تستعد !! كل شيء الآن يعطى الثقة فى أن وعد الله حق .

﴿ أفرايتم الماء الذى تشربون ﴾ هنا فى الماء وفى ابار إشارات عريية إلى أن عناصر المخلوقات تشرف عليها قدرة تصنع العجائب .. إن الماء الذى شربه كما أثبت الكيماويون هيدروجين وأكسجين .. فى شوارع القاهرة « لحام بالأكسجين » لحام بالنار ، وفيما سمعتم أن « القبلة الهيدروجية » أساسها ذرة الهيدروجين .. ومع ذلك فالله الكبير هو الذى يجعل من هذه العناصر الملتببة مصدر رى لك يطفىء طمأك !! وكما يعمل هذا بالماء ينجى بانار من الحقول المليئة بالنضارة المليئة بكر ما يوحى بالحياة ﴿ أفرايتم النار التى تورون . أنتم أنشأتم شجرها أم نحن المنشئون ﴾ هل للنار شجرة ؟ نعم .. ويقول العلماء . كما أنفس — والتفس أساس حساقى — فأرمى بالكربون وآخذ الأكسجين فى جسمى فإن النباتات تصنع عمية عكسية . ترمى بالأكسجين وتختزن الكربون . وما الكربون ؟ هو الفحم .. هو النار .. هذه هى لشجرة التى تختزن النار فى كيانها ..

الذى يصنع الماء بهذا الأسلوب ، والذى يصنع النار بهذا الأسلوب أمر عاجز عن أن يعيد الحياة مرة أخرى ؟ لا .. ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون . تنزيل من رب العالمين ﴾ (١) أتشكّون فى هذا ؟ ﴿ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون . وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ (٢) انتظروا .. انتظروا الساعة التى لا بد منها .. ساعة الاحتضار لكل إنسان .. قد تغيب عما ساعة البعث التى تطوى الحياة الدنيا ثم تنشرها ، لكن كل واحد له ساعته التى لا بد أن ينوقها وصف الله عر وجل هذه الساعة فقال : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم . وأنتم حينئذ تنظرون . ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير

(١) الواقعة : ٧٥ — ٨٠

(٢) الواقعة : ٨١ — ٨٢

مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين ﴿١﴾ ثم يس أن الأرواح عندما تفارق
الأجساد تأخذ مازها على النحو الذى بدأ أول اسورة .. أصحاب السبق
هم المقربون .. أصحاب اليمين .. أصحاب الشمال ..

﴿ فاما إن كان من المقربين . فروح وريحان وجنة نعيم . وأما إن
كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان
من المكذبين الضالين . فنزل من حميم . وتصلية جحيم . إن هذا هو حق
اليقين . فسبح باسم ربك العظيم ﴾ (٢) .

ختم البخارى صحيحه بحديث عن النبى ﷺ : « كلمتان حبيبتان إلى
الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان : سبحان الله وبحمده ..
سبحان الله العظيم » (٣) أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم
ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من
فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿٤﴾

(١) الواقعة : ٨٣ — ٨٧

(٢) الواقعة ص ٨٨ — ٩٦ . وعن عتبة بن عامر رضى الله عنه قال . لما نزلت على رسول الله
ﷺ « فسبح باسم ربك العظيم » قال اجعلوها فى ركوعكم « ولما نزلت « سبح اسم ربك
الأعلى » قال رسول الله ﷺ « اجعلوها فى سجودكم » أخرجه أحمد وأبو دارق فى كتاب الصلاة باب
ما يقول الرجل فى ركوعه وسجوده عون المعبود ٣ / ١٢٠ وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة
— باب التسبيح فى الركوع ١ / ٢٨٧ .

(٣) معق عليه ص ١١ هريرة رضى الله تعالى عنه ، واللفظ للبخارى أخرجه فى كتاب التوحيد —
باب قول الله تعالى ﴿ ونطع الموازين القسط ﴾ ١٩٩/٩ ، ومسلم فى كتاب الذكر والدعاء —
باب فصل النهيل والتسبيح والدعاء ٢٠/٨ .

(٤) سورة الشورى الآيتان : ٢٥ ٢٦

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .
الهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد .

عباد الله . أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، وبالتأمل في كتابه
العظيم ، وبالتدبر فيما أحكم من هذا الأسلوب ، وأودع من تلك المعاني في
المصحف الذي بين أيدينا ، نستطيع أن نقرأ فيه ، وأن نتدبر معانيه .
واعلموا أيها المسلمون أن الدنيا مهيئة بالسُّلُح المختلفة ، والملك
الكثير ، والحق واحد لا يتعدد . هو لصراط المستقيم .. هو القرآن
الكريم .. هو الإسلام العظيم .. لكن الذي لاحظته أن الباطل انتعش أمره .
وارتفع علمه لأمر فأتانا نحن .. هل تظنون أن من يعبد البقر يشعر أنه مصل
أو صال ؟ لا .. إن الذين يعبدون البقر يعتقدون أنهم على صواب .. وقد
نبها الله لهذا في مواضع من كتابه : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً .
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (١)
إن الذين يشركون أو يجعلون لله أولاداً وصاحبة أو يعبدون بعض الحيوانات
لا يتصورون في أنفسهم أنهم ضالون .. لقد حكى القرآن أصناف الناس في
أول سورة البقرة .. ثلاث آيات في وصف المؤمنين ، يتان في وصف
الكافرين ، ثلاث عشرة آية في وصف المنافقين .. في وصف المنافقين قال
الله لنا مُبَيَّهاً عن طبائع هؤلاء : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض
قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .
وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ (٢) طبائع الصالحين أهم متعصون لما لديهم من
ضلال .. المشكلة العويصة أو المعقدة التي أحسها وأنا أرمق المؤامرات التي
تحاك للعالم الإسلامي ، والخُفَر التي تَبْعَث في طريقه .. المشكلة هي أن
بعض المصلين متحمس لضلاله ، مستعد للتضحية من أجله .. أضحك وأن
أتصور — والصورة خطرت بآلي : لمن يكون النصر إذا كان الأمر

(٢) البقرة - ١١ - ١٣

(١) الكهف ١٠٣ ، ١٠٤ .

هكذا — رجل يعبد بقرة — وفي الهد إذا اعترصت القرة قافلة سيارات في ميدان كميدان التحرير هنا في القاهرة وقف الميدان كنه .. مما يتحرك أحد ، ولا تنطلق السيارات إلا عندما تتحرك القرة إلى مكان آخر !! فإذا ذهبت البقرة إلى دكان فاكهي وأكلت قفص عنب مثلاً استراح الرجل ، وحلت البركة عنده ، واطمأن وذهب إلى أهله مسروراً !! إذا كان صاحب هذا الصلال يستريح لفقد قفص من العنب في سبيل وثبته ثم وجدنا رجلاً ينتسب إلى الإسلام ثم قيل له : أخرج هذا القفص من العنب لله فرفض ، وأنى أن يضحى ، فطبيعة الحياة أن من ضحى من أجل الباطل لا بد أن يهرم من نحل من أجل الحق !! فإذا وجدت رجلاً يتحمس للصلاة سيما عقيدة التوحيد عند بعض الناس ينظر إليها ببرود ويرمق معها كأن المعنى تافه .. فإذا كلف بشيء استثقل التكليف ، واستغلظ المرحض .. هذا النوع من الناس هازم الإسلام حتماً .. والمشكلة أن عدداً من المسلمين كثيراً إما جاهل بالإسلام وهو ينتسب إليه .. وإما يعرفه ولكنه ميت الشعور والحماسة بالنسبة له .. هذا النوع من الخلق لا تنصرف به أمة ولا ترتفع به راية ، ولا تستحكم به ههضة .. والمسلمون للأسف من هذا النوع .. فهم عدد قليل لا شك متحمس لربه ، عاضب من اسكر إذا وقع ، قدير العين بالفريضة إذا استقرت ، وبالمرحوف إذا رشح وتمكن .. لكن الله تعالى لا يحاسب الأمم بالقلة الصالحة فيها .. وإنما يحاسب الأمم بالكثرة الفاسقة فيها .. إنا نريد أن نكون بأساً عديدين .. لا أقول عاقرة .. لا . ولكن كما يخدم عبيد البقر بقرهم يسفى أن يكون أهل الحق كذلك .. ومع هذا فالدى أقوله غير ما قاله القرآن الكريم .. لأن القرآن الكريم يقول : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ (١) يجب أن يكون تعصباً للحق أشد من تعصب غيرنا للباطل .. يجب أن يكون احترامنا للتوحيد أقوى من احترام غيرنا لشرك والتثييث . أريد من أمتنا أن تعرف واقعها .. فإننى ألحظ في شيوخ المسمين وشبابهم أنهم يكثرون من اللغو ويقلون من الجهد .. وما بهذا تنتصر أمة .

« اللهم أصلح لنا دينا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا ديننا الذى

فيها معاشنا ، وأصلح لنا آحرتنا التي إليها معادن ، واجعل الحياه ريادة لنا في كل نحر ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر» (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) .
عباد الله ..

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ويهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٣) .
وأقم الصلاة ..

* * *

(١) مسلم والنسائي وأحمد

(٢) المحشر : ١٠

(٣) النحل : ٩٠

نعم.. للحقائق.. لا للصّور

خطبة عيد الأضحى المبارك بميدان عابدين

القاهرة : ١٩ / ١٠ / ١٩٨٠م

الحمد لله دى الحلال والإكرام ، والطَّوْل والإِنعام ، والعِزَّة التى لا ترام ، والحوار الذى لا يضام .

﴿ قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة
ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم
لا يؤمنون ، وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ﴾ (١) .

اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ،
اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَنَلِّهِ الْحَمْدُ .

لله الحمد ، بيده الخلق والأمر . لا تقى كلماته ، ولا تعد خزائنه ، ولا تنهى اختياراته .

﴿وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ. وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (٢).

هو يُحيى ويميت ، ويعطي ويمنع ، ويخمس ويرفع ويهدي ويضل ،
ويعز ويدل : ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في
الملك ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبيراً﴾ (٣)

الله أكبر ، الله أكبر والله الحمد .

(١) سورة الأنعام الآية ١٣٤

(٢) سورة النجم الآيات ٤٢ - ٤٤

(٣) سورة الإسراء الآية : ١١١

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ،
وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ،
والسراج المبر .

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فهذا يومٌ عيد ، يوم عيد الأضحى ، يوم اكتمال الوحي ، ويوم تمام
النعمة : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت
لكم الإسلام ديناً ﴾^(١) .

اختار الله هذه الأمة كي تحمل رسالته ، وكى تبلغ أمانته ، وكى
تؤدى ما عليها فى هداية الحيارى وإرشاد الزائعين .

اختار الله هذه الأمة ، وأنزل هذه الكلمة ، وعندما نتدبر هذه
الكلمة ، وهى من آخر ما نزل من آيات القرآن الكريم ، نجد أن هنالك
ما يشرحها ، هى الصفحة المقابلة لها تماماً من المصحف الشريف تجد رب
العالمين يُذكر هذه الأمة بمكانها فى القيادة ، وبمنصبها من إمامة البشرية ،
ويقول : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قلتم
سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور ﴾^(٢) ، ثم شرع
الإسلام يُجلى آدابه ، ويشير هداياته ، ويُبين أنه دين عدالة تعلب العصب ،
ودين إصاف يقهر المشاعر الخائرة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو
أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله حبير بما تعملون ﴾^(٣) .

فى الصفحة التى تليها مباشرة تجد إشارة إلى أن هناك محترق تدين .

(١) سورة المائدة الآية : ٣

(٢) سورة المائدة الآية : ٧٠

(٣) سورة المائدة الآية : ٨

احترفوا تزوير الوحي ، واحتلاق الكذب على السماء ، احترفوا إضلال
الناس ، وزعموا أنهم أهل كتاب ، فحاء القرآن ينهي ما ألقوا من تعصب ،
ويرفض ما توارثوا من جهالة :

﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي
به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور
بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾^(١) .

هذه الآيات من سورة المائدة ، وهي من آخر ما نزل من القرآن
الكريم ، فلنعد بالذاكرة إلى عشرين سنة قبل هذه الآيات النارية ، قبل هذا
الوحي المبارك لنتلمس مبادئ الوحي وهو براعم تتفتح ، وهدايات تتنزل
نقف وقفة تأمل أمامها .

في مكة إنسان نحاش القلب ، مستنير البصيرة ، يريد أن يصلي لله ،
وفيها أيضاً جبار يكره أن تنحني الأصلاب لرب الأرض والسماء ، لأنه
ألف الوثنية ، وعاش في ظلمات الجاهلية . فحدث في السورة الأولى من
القرآن الكريم هذا الحوار :

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى . عبداً إذا صلى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى .
أَوْ أَمَرَ بِالْقُرَى ﴾^(٢) .

لماذا يُعَوِّق المتقي فلا يمضي إلى طريقه ؟
لماذا تُنشر العقبات أمام التقي فلا يُبَصِّرُ الناس بما لديه من نور ؟
﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ رَتُولِي . أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾^(٣) .

لكن ما السبب في هذا المسلك ؟ خمرة القوة
إن للغنى سطوة ، وإن للسلطة سطوة ﴿ إن الإنسان ليطغى . أَنْ رَآهُ
اسْتَعْنَى ﴾^(٤) .

(١) سورة المائدة الآيات ١٥ ، ١٦

(٢) سورة العنق الآيات من ٩ إلى ١٢

(٣) سورة العلق الآيات ١٣ ، ١٤

(٤) سورة العلق الآيات : ٦ ، ٧ .

هذا ما بدأ به الوحي في السورة الأولى من كتاب الله .

في السورة الثانية تجد أيضاً الوحي الأعلى يَمْصِي في حُطته السماوية
كى يقى الناس من عوائل الهوى ، واتاع الشهوات ، ويقول لمن اختير
حاملاً للرسالة : ﴿ يا أيها المدثر . قم فأندر . وربك فكبر . وثيابك
فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر ﴾ (١) .

لكن هل تُرك ؟ لا ، خمرة القوة عد من استشوا بها ، ولقوى المادية
سطوة يذهب معها العقل ، ويتيه الرشد ، ولذلك في نفس السورة :
﴿ ذرى ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالا ممدوداً . وبين شهوداً .
ومهدت له تمهيداً . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيداً .
سأرهقه صعوداً ﴾ (٢) .

ثلاث وعشرون سة ، والوحي المبارك بدأ يعرض الصلاة والتقوى ،
يعرض طهارة البدن والفس ، يعرض طهارة الفؤاد وسناء الفكر ، والعوائق
أمامه تريد أن تصده ، ولكنه مصى في طريقه حتى وصل إلى النهاية ، وبعد
ثلاث وعشرين سة تنزل الوحي ليقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم
وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (٣) .

ومعه هذه الأشعة من حرم النور التى انتشرت في آفاق المشارق
والمغارب لتتقد الناس من أنفسهم وتقدهم من الحمت وانطاغوت .
الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر .

بمادا انطلقت الأمة الإسلامية عندما نعمت هذه الهدايات واستمعت
إلى هذه الآيات ؟ .

يجب أن تعرف الحقيقة ، إن الدين ذهبوا إلى دار « كسرى »
لم يذهبوا إليها باسطوانات المصحف المرتل ، لم يذهبوا إليها بطبعة جديدة
من المصحف الشريف ، لا ، لم يذهبوا بشيء من ذلك ، فما يُعنى شيء من
ذلك ، إنما ذهب إليه ناس على درجة غريبة من الوعي ، وعلى درجة

(١) سورة المدثر الآيات من : ١ - ٧

(٢) سورة المدثر الآيات من : ١١ - ١٧

(٣) سورة المائدة الآية : ٣

مُعجبة من الطهر والعدل . وقف « ربيع بن عامر » يعرض الإسلام خلقاً وسوكاً ، ويعرضه بطام حياة وأمل حماهيم ، بدأ يعرض هذا الدين فقال : « إن الله ابتعثنا لمخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » .

هذا سوك يُعرض . هذه سياسة راشدة تحامر الأفئدة ، وتنسل بأصوائها إلى أعماق المجتمع ليرى الناس رأيهم ، كيف حدث هذا ؟ .

إذا كان القرآن الكريم قد بدأ بسورة العلق ، وسورة المدثر ، وختم بسورة المائدة وسورة النصر ، فإن هذا كان الخط السماوى الذى يجب أن يعيش الناس به ، لكن هناك جهداً يُساق هذا الجهد ويمشى معه .

كيف يُصب المجتمع فى قالب يعمل الله ، ويتحرك بهداه لا يهوى الأنفس ؟ .

كيف تتحول طاقة الأمة العربية إلى جهد لمحاربة الظلام والمطالم ؟
كيف تُبنى أمة من الصفر كى تُعير وجه لعالم ؟
هذا هو الجهد الذى قام به كبير الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام !!!

هذا هو الجهد الذى أنشأ به من الصفر جيلا من الناس لم يُعرف له نظير !!! .

ولذلك فإن عالماً أمريكياً قرأتم نأه وعرفتم كتابه^(١) ، عندما تحدث عن القسم المائة الأولى فى تاريخ الإنسانية ، خلط بصره وفكره وبحشه مسطر قمة متوجة بالخلال والأدب والعظمة هى القمة الأولى بيقين فى تاريخ البشرية كلها هى محمد عليه الصلاة والسلام ، لأن هذا الإنسان الكبير هو الذى استطاع أن ييسى من العدم أمة ، شكلها وفق قوانين السماء ، وصيها فى قوالب الوحي ، ودفعها بطاقات الروح ، ثم تركها تخدم التوحيد وقضاياها ، ولقيم وظهرها ، والأخلاق وساءها ، والتقاليد الناصرة ، وإيحاءها ،

(١) هو « مايكل هارت » عالم مكي رياضى ، يعمل فى هيئة الفضاء الأمريكية وكتابه بعنوان « المائة : تقويم لأعظم الناس أثراً فى التاريخ »

وهكذا كان البناء العظيم لأمتنا الإسلامية ورسالتها الضخمة ، لكن هذا الساء لا يقدر عليه العاشق ولا يستطيعه اللاهوت ، إن هذا البناء يحتاج إلى جلد وإلى مصابرة وإلى قدرة .

ولعلم أن الدنيا دار اختبار ، وأن كل امرئ مختبر بالآخر : ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً ﴾ (١) .

والفتنة كانت شديدة ، والاختبار كان مُراً ، لكنها طبيعة الاختبار الإلهي .

إن الاختبار الإلهي يقتحم النفس الإنسانية من جميع أبوابها ، ويدخل إليها من كل أقطارها ، فلا مكان لعش ، ولا مكان لادعاء ، وما يسبح عند الله إلا من ركا . وما يسقط ويهوى عنده إلا من هنك ، هكذا الاختبار الإلهي ، وقد قيل للمسلمين : تعلموا من تاريخ الأمم قبلكم أن الحق الذي اعتقتموه ، وأن اللواء الذي رفعتموه لا بد له من جيش محتسب يبدل دون كلل ، ويكافح دون ملل ، وهكذا قيل للمؤمنين : ﴿ أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ (٢) .

هكذا يبلغ الامتحان نهايته ، ويصل إلى ذروته ، ولكن .
والرأى إن تُمض الليالي دونه وفي على خنباتهن صباحا
لا بد من أن يشرق الفجر مهما اشتدت الظلمة ، ولا بد أن تطلع
الصحوة الكبرى مهما طال الليل ، لكن الصبر مُر ، والتحمل لا بد منه .
ومن هنا جاءت في هذا العيد ذكريات لا بد أن نعرفها ، ولا بد أن نقف ملياً أمامها .

إن الاختبار وصل بأم إسماعيل عليه السلام أن رأت وليدها يكاد يقتله الظماً ، فمادا تصنع ؟ لقد قتلت إبراهيم عليه السلام زوجها ما دام الله أمرك أن تتركها ها من يضيعها !! لكنها الآن تواجه أهلاك

(١) سورة الفرقان الآية : ٢٠

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٤

نقدر لا يكذب : ﴿ ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ (١) .

إن الله إذا وعد لا يُخلف وعده ، ولكنه يصل بالامتحان إلى آخر زمن ، ويصل بالاختبار إلى نهايته ، ثم إن الزمن عنده ليس ماضياً وحاضراً ومستقبلاً كما نراه نحن البشر ، لا ، الزمن عنده صفحة مستوية .

عندما كانت أم إسماعيل تحرى ها وهناك تطلب الماء لولدها الذي يكاد يهلك من العطش كان رب العالمين يعلم ، أن الولد سيكون أمة ، سيكون منه شعب ، ستكون منه نبوة حاتمة ، ستكون منه حضارة تُطلل الأرض بأعظم ما اردت به الإنسانية من قمم ، كان يعلم هذا ولكنه ينزل أقداره بحكمة : ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ (٢) .

ويسوق القرآن الكريم ألواناً من الصراع بين الحق والباطل يظفر الإنسان إليها مأملاً .

حاء موسى عليه السلام إلى فرعون يقول له : هذه الأرض لا تحتل فوق ثراها شعيبين يأكل أحدهما الآخر ، فسرحك من شعب إسرائيل : ﴿ فأرسل معي بى إسرائيل ﴾ (٣) .

حل معقول ، لكن الطاعية لا يعرف الحل المعقول ، بل تلتوى الأمور في نفسه ، فعندما يرى أن سحره تلاشى يقول : ﴿ إن هذا لمرمى مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون ﴾ (٤) .

ويخرج موسى وقومه ، وتبعه فرعون وحده ، ها يبلغ الامتحان درجة خطيرة ، فإن أتباع موسى رأوا أن الحار الذي استباح دماءهم واستحيا ساءهم ، وتجرى الأرض على أنفاسهم يوشك أن يصعق يده عليهم وأن تعود الأمور سيرتها الأولى في الدل اسارل هم واهوا الواقع عليهم : ﴿ فلما تراءوا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا

(١) سورة النساء الآية : ٨٧

(٢) سورة الحجر الآية . ٢١

(٣) سورة الأعراف الآية ١٠٥

(٤) سورة الأعراف الآية . ١٢٣

إن معي ربي سيهدين . فأوحينا إلى موسى أن اصرب بعصاك البحر فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلقنا ثم الآخرين . وأنحينا موسى ومن
معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين ﴿١﴾ .

لأبد من اختبارات إلهية ، واختبارات شديدة ، قد تكون قاسية ،
ولكن نتيجتها ناصرة تبيض بها وجوه المؤمنين ونسود بها وجوه الظالمين .
كنت لأمر الله في الشهور الثلاثة الأخيرة ، مرة في باكستان وسيلان
في جنوب العالم الإسلامي ، ومرة في وسط الحرية العربية وعلى شواطئ
الخليج ، ومرة في الحجاب الغربي في الأرض الإسلامية في الجزائر
وما وراءها . ماذا رأيت ؟ .

رأيت أن هناك انقفاصة إسلامية توشك أن تكون لها آثارها في تغيير
العالم الإسلامي وما وراء حدود العالم الإسلامي !! .

رأيت - والله - الشباب في كل مكان ، ورأيت النشيد الإسلامي
اسى ألف في القاهرة - هنا يرددده الشباب في الجزائر بعزم وتصميم ،
وهم يجارون الله بكلمة التوحيد ويتعاهدون على ما يسعى أن يقدموه
للإسلام من فداء وتصحية كي تبقى كلمته وتعبو ربيته .

ومع هذا فقد كنت أرى هذه الحياة المشرقة بالإيمان ، ثم أنظر بعيداً
هنا وهناك وأنا شاعر بشيء من التوتر والحزن ، قال لي أحدهم : ماذا ؟
قلت له : والله لو استطعت أن أتكم نقت للمسلمين في الشمال
والجنوب ، والشرق والغرب ، في أفريقيا وآسيا وبقاياهم في أوروبا وأمريكا
نقلت لهم جميعاً : افتحوا أعينكم بقوة ، أيقظوا أعصابكم بحذر ، احذروا
إن الإسلام في خطر !! .

قلت هذه الكلمة في وسط حرية العرب : إن أعداء الإسلام لهم من
اليقظة والمنعة والقدرة والسكر والدكاء ما جعلهم يصنعون الكثير لضرب
الإسلام والنيل منه .

قلت هذا وأنا أرى أن لدم الإسلامى يُسبك بعزارة في دمشق .

(١) سورة الشعراء الآيات من : ٦١ - ٦٦

يسهت بإرخاص وقلة اكتراث ، ألوف من الناس ضاعت بالحديد والنار ١١
قلت هــ وأنا أرى أن الإسلام يحاط به في أماكن كثيرة ، لكنى كنت
أدرك أن ما أصاب الأمة الإسلامية لعله بعض النار التى تشتعل فى الحديد
كى يتطاير ما فى الحديد من أحلاط وأوشاب حتى يبقى المعدن صافياً
ويتلاشى ما هالك من دُخر .

إن الأمة الإسلامية تحتاج إلى أن تعرف الكثير من الحقائق التى
ترشحها للحياة ، والنس تعيدها كما قال ربيع بن عامر : « إن الله ابتعنا
لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله » .

الأمة الإسلامية فى عصرنا هذا اشتعلت بالشكليات أكثر من الحقائق
وعنتها الصورة أكثر مما عناها الجوهر ، فكاست النتيجة أن بقيت تتحرك
مكاسها من أمد ، ولكى تتحرك إلى هدفها وتبلغ هذا الهدف يجب أن تعرف
الحقائق كاملة .

حقائق الدين : إيمان ، وإخلاص ، وفكر نقى ، وفقه ذكى .

حقائق الدين غابت عن المسلمين فى بقاع كثيرة

الشكليات لا يحترمها الإسلام ولا يعطيها من تفكيره شيئاً .

حد مثلاً « الثياب » ، بعض الناس فى طباعه أن يُجمل نفسه ويُحسن
هيئته ويتجمل فيما يرتدى حتى فى نعله ، فعن ابن مسعود عن النبى ﷺ
قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » قال رجل :
إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة . قال : « إن الله جميل
يحب الجمال ، الكبر بطن الحق وعَمَط الناس » (١) .

هل معنى هذا أن الثوب الحسن شارة الإيمان ؟ لا ، هناك حديث آخر
يقول : « رب أشعث أعبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على
الله لأبره » (٢) .

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان . باب تحريم الكبر وبيان ٦٥/١ وأحمد ١٥١، ١٣٤، ١٣٣/٤
عن أنس رحمة الله عليه .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرک - كتاب لرقائق ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ٣٢٨/٤
وأبو يعقوب فى الخلية . وذكره فى الجامع الصغير ورمز له بالصحة فهو القدير ١٥/٤ -

ربما ارتدى ثياباً رحيصة ، ربما كانت أصماره النالية لا تساوي شيئاً ،
فهى كما قال الشافعى - قيل يصف نفسه :

على ثياب لو يباع جميعها بفلس لكان الفلس منهم أكثر (١)
وفهم نفس لو تقاس بمثله نفوس الورى كانت أجل وأخطر (١)

ما اهتم الإسلام بالثياب ، ومع ذلك فقد ذهب بعض المسلمين إلى
الولايات المتحدة وإلى المملكة المتحدة يعرض الإسلام على أنه ثياب بيض
وأكل على الأرض !! ليس هذا فقهاً في الإسلام ، وليس هذا عملاً مجدياً
لنشر الإسلام .

أين من هذا قول ربى بن عامر : « إن الله ابتعثنا لمخرج من شاء من
عبادة العباد إلى عبادة الله » .

لا تعرض الإسلام من نعله اعرض الإسلام من قمته .

أين هذا من قول النبى ﷺ لمعاد بن جبل رضى الله عنه يعلمه كيف
يعرض الإسلام : « إنك ستأتى يوماً أهل كتاب فإدا جئتهم فدعهم إلى أن
يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك
فأحبرهم أن الله قد فرص عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم
أطاعوا لك بذلك فأحبرهم أن الله قد فرص عليهم صدقة تؤخذ من
أغنيائهم فتزد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم
أموالهم . واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب » (٢)

ع أشعث : الأشعث الملبد الشعر ، المعبر : غير مدهون ، ولا مرجل : دى طمرين : تشية طمر وهو
الثوب الخلق . ثبو عنه أصيب الناس نقص عن النظر إليه احتقاراً له واستهانة به . لو أقسم على الله
لأبره . لو حلف على وقوع شيء أوفعه الله إكراماً له بإحاده سؤاله وصيانه من الخس في يمينه . وهذا
لعظم منزلته عند الله ، وإن كان حقيراً عند الناس .

(١) ديوان الشافعى . تحقيق د . حجاجى ص ٨٢ .

(٢) أخرجه البخارى في كتاب الزكاة - باب أحد الصدقة من الأغنياء . وتزد في انصراء حيث
كانوا ١٥٩، ١٥٨/٢ ومسلم في كتاب الإيمان - باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام
١ / ٣٧، ٣٨ والنسائى في كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة ٥ / ٢ وابن ماجه في الزكاة - باب
فرص الزكاة ٥٦٨/١ والدارمى في الزكاة - باب فصل الزكاة ٣٧٩/١ والبيهقى في لس - كتاب
قسم الصدقات - باب من جعل الصدقة في صنف واحد ٧/٧ .

مضت الشكليات بالأمة الإسلامية فتحول الإسلام إلى مظاهر .

ثم يحيى الحج الآن ، وأقول في نصي هل الحجاج الذين ذهبوا إلى الموسم الجامع يعرفون كيف كان الحج أيام نبي عليه الصلاة والسلام ؟ لا ، لا الحكومات ولا الشعوب تدري هذا !!

حجتان في عهد النبي عليه الصلاة والسلام معروفتان ، حج أنى بكر رضى الله عنه بأساس ، وحج النبي عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع . فما حج أنى بكر رضى الله عنه بالناس ، فإن الموسم الجامع لم يذهب سدى ، وإن الحشود التي التفت بالنس الحرام طائفة أو اردحت بها ساحات عرفة داعية حاسرة ترحو رحمة الله وتحشى عضه ، هذه الحموع ما تركت هكذا ، وإنما تقرر في هذه السنة - السنة التاسعة - تطيف المجتمع الداخلي للأمة الإسلامية من امشركين ، وتقرر مع طواف العرايا بالبيت العتيق ، وتقرر إلى جانب هذا إلغاء المعاهدات غير المتكافئة الواقعة بين المسلمين وغيرهم . ومدة فترة أربعة أشهر لمن يريد أن يبقى في أرض الإسلام معتقداً عقيدة التوحيد .

هذا المعنى الشامل الجامع هل يعرف حماير المسلمين موضوع حجة أنى بكر بالناس ؟ لا ، حتى سورة براءة التي نزلت فيها يجهلها الناس أو ما يقرعونها في صلاة ، كأنها ثقيلة على آذانهم أو على قلوبهم أو على مسامكهم !! لماذا ؟ لأنها سورة صفت المجتمع من أدراجه ، وعسست لأرض الإسلامية من يشوها ، وكان الناس تكره الدواء المر .

ثم جاءت حجة النبي عليه الصلاة والسلام بالناس ، فماد أودع فيها ؟ . كان يعلم أنه تارك هذا الركب يطلق إلى عايته وحده ، فطمأهم ، إنه لعله لا يلقاهم بعد يومه هذا ، لكن إذا كان لا يلقاهم بشخصه فقد قال لهم : « تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله » (١) .

ثم بين في هذه الحجة حرمة الدماء والأموال والأعراض ، ويقول هذا

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ ٤١/٤ وأبو داود في الماسك - باب صفة حجة النبي ﷺ . عون المعبود ٥/٣٦٠ - ٣٧٨

ووجوها سوداء ، لأن الأمة الإسلامية في هذه امساسة يُسفك دمها كأنه
يسبيع فتارة في الخليج وفي إيران وفي غير هذه من الأرض ، ومن المخطيء ؟
السلاح الشيوعي أو أمريكى ، لكن العباء عبأؤنا ، والاحلان انحلائنا ،
ما ادى يجعلنا نسلم أرواحنا ومستقنا وأرصنا ونفكيرنا هذه مؤمرات
الخصيسة كنها ؟ .

كانت حجة الوداع تمييزاً للبشرية أنه لا قومية : ه أيها الناس : ألا إن
ربكم وحد وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على أعجمى ولا لعجمى
على عربى ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى (١) .

ثم نادى النبى عليه الصلاة والسلام في هذه الحجة الجامعة بأن الأسرة
الإنسانية واحدة ، وأن الأسرة الإسلامية تُبنى على رجل وامرأة بينهما تراحم
وتعاون .

إن هذا كله يعطيا أن لإسلام موضوع لا شكل ، وأنه حقيقة
لا صورة .

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر

إن أمتنا في هذه الدنيا تحيا لربها ، وتسير في الركب الذى رفع لواءه
محمد عليه الصلاة والسلام .

فلنعرف رسالتنا ولنقدرها قلرها ، ولنؤد حق الله عليها .

أقول قولى هذا وأستعمر الله لى وكم .

(١) أخرجه أحمد ٤١١/٥ ومال في مجمع الروائد ، رواه أحمد ورجال الصحيح ٢٦٦/٣

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ،
وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصالحين .
لهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فانتظروا أيها الإخوة دقائق أخرى ، فإن أمامكم أياماً من المرح واللّهو
إن كنتم عشاق مَرَحٍ وَ طَهْوٍ ، ستطيع أن تتحمل هذه الدقائق لكي تتعرف
أموراً أخرى ، إننا بحاجة إلى بعض التوجيهات التي لا بد من معرفتها .

ديسا كما قلت لكم ديز حقائق لا دين مطهريات ، والشباب الذي
يعمل له يحتاج إلى دعمكم وإلى تأييدكم ، وإذا انتهى من هذه الكلمة عني
عجل بالدعاء فإني ألفت النظر إلى أن لأح / محمود الراوي الذي اختير أميراً
جديداً للجماعة الإسلامية في الجمعة سوف يتحدث بعد أن أتم الدعاء .

« اللهم أصلح لنا ديسا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي
فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في
كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر »^(١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في
قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾^(٢) .

(١) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي

(٢) سورة الحشر الآية ١٠٠

شهرله فلسفة

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

في ٢١ / ٩ / ١٩٧٣

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فإن أياماً صيبة توشك أن تفد إلينا ، ربما كانت الجمعة المقللة اليوم الأول من رمضان ، إن بشائر الموسم الكبير — موسم العبادة والقوى — تهب عيب ، وتستروحها قلوبنا ، وإن كان المرء يتساءل ما أسرع ما عادت لأيام ورجعت الذكريات !!

إن قطار الزمن يجري بسرعة عريية ، إنه لا يتوقف في محطة أبداً ، إنه دائب الحركة ليلاً ونهاراً !!

وإذا ألقى الإنسان نظرة حلفه إن كان قد بلغ العشرين أو الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين أو أكثر أو أقل فإنه يشعر أن لأيامه عايشها واسياى التي قضاها قد تداخل بعضها في البعض ، وأصبحت كتلة واحدة مكشبة مبهمة لا يدري بالضبط إلا أنها أصبحت ماصياً تركه حلفه ولن يعود !! .

الإحساس بالزمن عريب ، لأن الناس يوم يلقون رهم ميشعرون بأن الأعمار كلها وقد أصبحت ماصياً اكششت وتداخلت أحراؤها بعضها في البعض الآخر ، وأصبحت شيئاً قليلاً .

﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ﴾ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم
فاسأل العادين ﴾ قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون ﴿ (١)

نكرر هذا المعنى في القرآن ، فهو جل شأنه يتحدث عن الساعة :
﴿ يوم يصفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً ﴾ يتخافون بينهم إن
لبثتم إلا عشراً ﴾ نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم
إلا يوماً ﴿ (٢)

والواقع أن الإنسان يبقى على ظهر الأرض مدة طويلة ، الصل فيها
يشب واشباب فيها يشيح ، ومع ذلك فالمرء ينظر إلى عمره الذي حنّفه
فلا يجد إلا أن هذا الماضي الطويل قد أصبح هذه الكتلة المكشاة من رم
مهم لا يدري أوله ولا آخره ، ولكن الإنسان الذي لا يدري ما كان ،
يحب أن يعلم أن الله يسجن عليه كل ما كان !! ﴿ إنا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون ﴾ (٣)

وقد مرت ستة ، فهي مثل هذه الأيام كنا تنهياً لاستقبال شهر رمضان
المدبر - والآن تنهياً لاستقبال شهر آخر حتى نقى ربنا !! .

نرجو أن نتنصع من الزمن الذي هو رأس مالنا ، هو هبة القدر الأعلى
لنا ، إنه لا يحامل ، إنه إما صديق ، وإما عدو ، صديق إن انتفعت به ،
وعدو إن أهملته وأصعته .

ورمضان يجيء ، ولا نتحدث عنه طويلاً ، إنما نريد أن نتحدث عن
فلسفة الإسلام في العلاقة بين الروح والجسد ، خاصة صيام المسلمين في
رمضان ، فإن هذا الصيام في حقيقته ترويض للعرائر لشريعة لعانية ، فليس
هناك أعتى من عريرة البطن التي تطلب الأكل باستمرار !! وليس هناك
أعتى من عريزة الجسد التي تريد أن تنفس عن تطعمها باستمرار !! .

والشريعة قد تسكب نكبة قاصمة إذا هي لم تحسن تحديد موقفها من
كلا الأمرين ، والمتأمل في سير القافلة الإنسانية يجد أن هناك فلسفتين ،

(١) سورة المؤمنون الآيات : ١١٢ - ١١٤

(٢) سورة طه الآيات ١٠٢ - ١٠٤

(٣) سورة الحاثية الآية ٢٩

مستطاعت أن تسيطر على جماهير كنيعة من أسس ، فلسفة مادية موعلة في
المادة ، وفلسفة روحية موعلة في الروح .

فأما الموعلون في الفكر المادي من محدثين ، ومن شيوعيين ، ومن
وجوديين ومن وثنيين ، فإنهم يعيشون يومهم الحاضر ، ويطبقون المعاني
لعرائهم فما تقف عند حد ، فإنهم يطلبون المتع !! .

وطبيعة البشر أنهم إذا أحرروا نصيباً من الشهوة استهانوا بما أحرروه
وازدروه وطلبوا شيئاً أكثر وأعلى .

ولذلك فإن الشهوات البشرية مسعورة يسلم بعضها إلى بعض ،
ويتطالع من حار قليلاً إلى كثير ، ومن حار الكثير إلى أكثر !! ومن هنا فإن
القرآن هدد هؤلاء : ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف
يعلمون ﴾^(١) . والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام
والنار مثوى لهم ﴾^(٢) .

إنهم في هذه الدنيا فارعو لبال يحرون وراء نزواتهم ، ويقطعون
الطريق إليها في حمة ، لكنهم يوم القيامة يدفعون ثم هذا مرارة ، يشعرون
بعصتها في خلوقهم ، ويقال لهم : ﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض
بغير الحق وبما كنتم تفرحون ﴾^(٣) .

هذه فلسفة مادية ، هناك فلسفة روحية قامت على الرهبة ، ورأت أن
من عبادة الله كبت الغريزة الجنسية ، وسحق نوازعها ، واعتبار القرب من
الله على أساس أن يميت المرء في بده نوارع التطلع إلى الحس الآخر ، وأن
يحيا بذلك رجلاً كان أو امرأة ، وربما استعان على ذلك بتقليل الطعام حيناً ،
المهم أنهم دخلوا في معركة ضد الحسد البشري !! وهذه الفلسفة تبثها
الكنيسة المسيحية من قديم !! .

ولكن من التفرير للواقع أن نقول . إن المسمعتين قاتلت إحداهما
الأخرى ، وإن عواصم الغرب الآن سحقت فلسفة الكنيسة ، وتخلصت

(١) سورة الحجر الآية ٣٠

(٢) سورة محمد الآية ١٢

(٣) سورة غافر الآية : ٧٥ .

مها ، وإن عواصم أوروبا الآن تنفق من وقتها ، ومن مالها أعجب ما تكسب وقوداً لشهوات الجسد !! وإن فلسفة الروحانية اختفت ، وإن الكنائس المسيحية ليس لها رواد حتى يوم الأحد ، وإن المسيحية إذاً كان لها وجود أو اردهار فيين الأقليات التي تعيش في العالم الإسلامي !! .

وبذلك أسباب قد ندرسها فيما بعد ، أما قصة إماتة الجسد ، وقتل العرائر بالرهنة ، فإن هذه القصة قد تلاشت ، وتوشك الآن أن تنتهي بل إن الرهينة نفسها أصبحت شيئاً يبرمه أصحابه مرأً أو علناً !! .

والواقع أيضاً أن الإسلام كان ديباً مصصاً عندما احترم الروح والجسد معاً ، وعندما اهتم بالخصائص العليا للإنسان ، وفي الوقت نفسه كفل ضرورات الحياة للعرائر لندنيا ، فجعلها تتحرك ولكن داخل إطار معلوم ، وسياح حارس ، وتقاليده صابغة ، وفصائل معروفة مقصاة ، فترك العريزة الجنسية تأخذ مداها في بيت الطاعة ، وفي فراش الزوجية ، ومع ما وراء ذلك معاً صارماً حاسماً !! .

وأباح للإنسان أن يأكل ، ولكنه بين له أن القصد والعفاف خير له وأولى ، وفي هذا يقول النبي عليه الصلاة والسلام : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة »^(١) أي إسراف وحيلة .. كل وليس في غير إسراف ولا خيلة .

صالح الإسلام بين الروح والجسد ، فقال عليه الصلاة والسلام وهو يحافظ على جسده وروحه : « اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة ، فإنها بئست البطانة »^(٢) .

وقال فيما صح عنه : « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ، اللهم

(١) روى البخاري في اللباس — باب قول الله تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ﴾ ١٨٢ / ٧ والنسائي في الزكاة — الاحتيال في الصدقة ٥ / ٧٩ وابن ماجه في اللباس — باب البس ما شئت ما أخطأك صرف أو غيبة ٢ / ١١٩٢ وأحمد ٢ / ١٨١

(٢) رواه أبو داود في الدعاء — باب في الاستعدادة بحزن المعبود ٤ / ٤٠٦ والنسائي في الاستعدادة — الاستعدادة من الجوع ٨ / ١٦٣ وابن ماجه في الأطعمة ٢ / ١١١٣ ، وذكره السيوطي في الجامع الصغير وقال رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة بسند ضعيف ١ / ٦١ .

إلى أعود بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت» (١) الكفر ضياع الآخرة
والمقر ضياع الدنيا !! .

والإسلام كحل الاثنين معاً . ﴿ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم
قالوا خيراً للذين أحسوا في هذه الدنيا حسرة ولدار الآخرة خير ولنعم
دار المتقين ﴾ (٢) .

الإسلام في تعاليمه يريد تركيته ، ورفع مستواك ، فيطهرك جسداً
بالعسل والوصوء ، ثم يطهرك روحاً بالركوع والسجود !!
الإسلام جسد وروح ، دينا وآخرة

وبين الإسلام حقيقة تعرف مع فلسفة الصيام ، هذه الحقيقة أن
الإنسان وإن كان قد نبت من الأرض جسده فإن قيمته ليست في هذا
الجسد الذي يطعم ويكتسى ، ولكن قيمته في الروح الذي يحركه . الإنسان
من حيث هو جسد لا كرامة له ، وما كلف أحد بأن يسجد له ، إنما كان
التكريم ، وتكليف الملائكة بالسجود له ، بعد شيء آخر ، قال تعالى :
﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين . فإذا سويته ونفخت
فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (٣) .

فسجود الملائكة لآدم إنما كان بعد أن سواه ربه ونفخ فيه من روحه ،
قبل أن ينفخ فيه من روحه . قبل أن يسويه بالعقل والشعور والإحساس
كان طينة من الأرض ، إذا تحركت بحياة حيوانية فلا وزن لها ، إنما كرامة
الإنسان في أنه نفخة من روح الله .

والناس بعد ذلك قسمان : قسم يعرف من نفخ فيه من روحه ؟ من

(١) رواه أبو دلود في الأدب — بك ما يقول إذا أصبح — عون العبود ١٣ / ٤٣٣ والنسائي في
لاستعادة ٨ / ٢٦٢ ، وإسحاق وصححه ١ / ٢٥٢ والبيهقي ١٢ / ٧ وأحمد ٥ / ٤٢ ومبص
القمير ٢ / ١٣٥ ورمز به السيوطي بالنسخة

(٢) سورة النحل الآية ٣٠ .

(٣) سورة ص الآية ٧١ ، ٧٢

كُرمه على سائر الخلق؟ قسم يعرف هذا، ويشكر ولئى النعمة رب العالمين الذى سوى وكرم . هذا القسم هو المؤمن ، عرف نسبه السماوى ، وعرف الفضل الأعلى الذى أسبع عليه فهو جدير بأن يحترم وأن يعم فى در الخلد .

وقسم آخر : نسى ربه ، نسى من نفخ فيه من روحه ، نسى من برأه من عدم ، نسى هذا كله ، ولذلك يعاتبه ربه ويقول : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك ﴾ (١) .

لمادا نسى ؟ إذا كان الإنسان وهو فرد يؤمن ويكرم ، أو يسيى ربه أو يذكر ، أو يجحد نسبه الأعلى أو يعترف به ، فكذلك الحضرارات ، وأن آسف إذ أقول : إن العالم الآن تمرد برممه حضارات دهلت عن ربها ، ونسيت حقه !! فيما أنكرت هذه الحضارات رب العالمين نية كما تفعل الشيوعية ، أو اعترفت به على نحو مصحك كما جاء فى العهد القديم عندما يوصف رب العالمين بأنه أكل من الوليمة التى صنعها إبراهيم عندما دبح له العجل السمين وقل له : يا رب إن كان عبدك له نعمة عندك فكل من وليمته .. فأكل الله من وليمته !!

هذا النوع من تصوير الألوهية رفضه العقل الإنسانى ، فكانت النتيجة أن ناساً إما كفروا صراحة ، وإما انتسبوا إلى أديان لم تملأ فراغهم النفسى فعاشوا بأفئدة فارعة ، وكمّلوا هم طريقة معيشتهم واتجه سلوكهم على ما يشتهون !! .

وهذا العالم تنقصه حضارة أخرى .. حضارة تعترف بالروح والجسد .. وتخدم الدنيا والآخرة . وتحدد حقوق لئاس إلى جانب ما لرب العالمين من حقوق .. هذه الحضارة .. هى الحضارة الإسلامية .. وهى حضارة ليس لها الآن من دعاة فى العالم . وليس هـ من كيان أدبى محترم .. وليس لها عالم تآرز إليه ، وتستجمع فيه وتقدم نماذج من تكوينها المادى

(١) سورة الانمطار الآيات من : ٦ - ٨

والأدنى ليظهر الآخرون إليه ، ويوازنوا بينه وبين غيره .

إن المدنية الإسلامية ، أو الحضارة الإسلامية ، أو المنطق الإسلامي في فلسفة الدنيا والآخرة ، والروح والحسد عبر قائم الآن ؛ لأن الأمة الإسلامية أمة ممزقة ، وليست لها وحدة ثقافية يتناها معهد عريق يستطيع أن يقدم النصارة الروحية والمادية لهذه الحضارة العظيمة .

وكانت النتيجة أن بقي الناس كما وصف رب العالمين عند ظهور البعثة الأولى ، أو عند ظهور محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَیْمُ . وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

نعم .. أكثر الناس لا يعلمون !! علماء الإسلام بين مُقَصِّرٍ يحسن عن أداء واجبه خوفاً على رزقه ، أو خوفاً على أجله ، أو كسلأ حيث يجد الحسد ويطلب الرجال أو إخلاداً إلى الأرض واتباعاً للهوى وصلباً للدنيا !!

أما العلم الإسلامي كما يسعى أن يقدم ، فالواقع أن أجهزته بين معطوب وكسلان !! الفلسفة الإسلامية لم تجد إلى الآن من يقدمها للناس . قال في بعض الواقدين من عواصم أجنبية . والله لقد رأيت شاباً في « باريس » من الفرنسيين اعتنقوا البوذية — وما البوذية ؟ حلقة مضحكة ، حلقة وثنية — قال لي : وجدتهم حنقوا رؤوسهم على الطريقة البوذية حلقوها باموسى وتركوا بعض الشعر في وسطها نامياً لكي يدل على أنهم بهذا بوذيون !!

قلت فهل للإسلام دعاة ؟ لا ، وبداهة امتداد الإسلام في هذه العواصم إنما هو فرع قوته في بلاده ، والإسلام في بلاده شاحب الوجه ، حائر القوة ، محدود الخطو !! .

يجيء رمضان فتبدأ قصة الصيام ، وأنا لا أعني على صيام المسلمين لأنى أعلم أن رمضان شهر الطعام لا شهر الصيام ، شهر الأكل والمتع ،

(١) سورة الروم الآية : ٣٠

وليس شهر تدريس العرائر وتكوين الإرادات ، دعاً من هذا فلا أتحدث عنه إنما أتحدث عن ليالي رمضان ، فإن الله جل شأنه لأمرماً أنزل كتابه في هذا الشهر ، بدأ نزول القرآن في شهر رمضان ، وكان النبي ﷺ يصاعف من إقباله على القرآن الكريم ، ومن مدارسته له ، يصاعف ، فهو طول العام يقرأ القرآن ، ولكنه في شهر رمضان يصاعف الدراسة وكلمة الدراسة شيء آخر غير القراءة العابرة ، أو التلاوة المجردة ، لأن القراءة العابرة نوع من حفظ الحروف ، التلاوة المجردة نوع من ترتيل الكلمات ، لكن روح القرآن في معانيه ، ويوم تفرغ المعاني نفوس الناس ، ومع ذلك يبقى هذه النفوس موصدة الأبواب ، تبقى وعليها أقفاؤها فإن المشكلة كبيرة : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون ﴾^(١) . المسلمون لا يعرفون عظمة هذا الكتاب الذي شرفوا به . لكي نعطي لمحة من عظمة هذا الكتاب أقول لكم : إن الله جل شأنه جعل هذا الكتاب موارياً أو مساوياً لما يكون الذي يعيش فيه ، عندما وصف نفسه ، رأيت أنه جن جلاله وصف نفسه بأمرين : أمر يقول فيه : أنا خالق الكون ، وأمر يقول فيه : أنا مولد الكتاب ، فجعل خلق الكون وإبرال الكتاب صفتين كلتاهما تعادل الأخرى .

تأمل في قول الله تعالى وهو يذكر بركته ، ويشرح نعمته ، ويلفت النظر إلى ما في الوجود من ثمرات دانية القطوف ، ومن آيات رائعة الدلالة يقول مرة : ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾^(٢) تبارك كثرت بركته . ويقول مرة أخرى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾^(٣) .

مرة .. تبارك من بيده الملك ، ومرة .. تبارك من أنزل هذا القرآن ، وعندما حمد ربنا نفسه ، وأثنى على داته عما هو أهله قال مرة : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾^(٤) .

فبين أنه أهل الحمد لأنه خالق الكون ، وموجد ما يتحلل الكون من ظلام ونور ، ويقول مرة أخرى ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده

(٣) سورة الفرقان الآية : ١ .

(٤) سورة الأنعام الآية : ١ .

(١) سورة السجدة الآية : ٢٢ .

(٢) سورة الملك الآية : ١ .

الكتاب ولم يجعل له عوجاً ﴿١﴾ ، كما وصف نفسه على هذا النحو ، أقسم كذلك على هذا النحو أقسم بعظمة انكون وأبعاده ، وعماء الفلك لهم حديث مذهل عن السنين الصوتية ، وعماء بين الكواكب من مسافات تسمع رب العالمين وهو يقول ﴿ فلا أقسم بمواقع لنجوم . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يحسه إلا المطهرون . تنزيل من رب العالمين ﴾ (٢) بمواقع النجوم أقسم ، بالكون أقسم ، ويتكرر القسم في مواضع أخرى من القرآن : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ﴾ (٣) .

ويقول : ﴿ فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ﴾ (٤) .

في هذه الآيات يصف رب العالمين الفترة قبل روع الشمس وقبل مطلع الفجر والكون في حالة ترقب ليوم الحديد الذي يطل على أساس يفتتحوا معه صفحة جديدة ، إنه يقسم بهذه الحالة لكي يلفت انتباهنا إلى أن من أراد الهدى في القرآن هداة !! ومن أراد الحق في القرآن أمله ، ومن أراد النصر والعزة في القرآن ما يشده : ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ (٥) .

نحب أن نقول : إن هذا الكتاب جاء إلى الناس حياة تذهب الموت الأدنى ، الموت العقلي ، الموت الحضاري !!
الأمم محتاجة إلى عصر إحياء ، فمن الذي يحييها ؟ ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه ورحلنا له نوراً يمشي به في الدس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ... ﴾ (٦) .

ما مصدر هذا النور الذي نمشي به بين الناس ؟ ما مصدر هذه الحياة

(١) سورة الكهف الآية ١ (٤) سورة التكوين الآيات من ١٥ - ٢٣

(٢) سورة الواقعة الآيات من ٧٥ - ٨٠ . (٥) سورة طه الآية ١٠

(٣) سورة الحاقة الآيات من ٣٨ - ٤٢ . (٦) سورة الأنعام الآية ١٢٢

التي أدهبت الموت الأدبي والمادى في الأمم ؟
 إنه القرآن القرآن الذى جاء إلى أمة على هامش الدنيا فما زال يرتفع
 بها حتى جعلها قمة الوجود !! .

أمة كان ترتيبها « ١٣٠، ١٤٠ » لو نظرنا إلى عدد الأمم في هيئة الأمم
 المتحدة الآن ، أصبحت أمة رقم (١) في العالم !! ليست أمة رقم (١) سنة
 أو سنتين أو خمسين سنة ، بل عدة قرون !! .

من الذى بوأها هذه المكانة ؟ من الذى رفعها إلى هذا المستوى ؟ .
 إنه القرآن الكريم . وبذلك فإن النبى صلى الله عليه وسلم حصل على دراسته ، حصل
 على قراءته قراءة بحث واستطلاع وتفقه وترتيل ، لذلك كان القرآن في
 رمضان النور الذى تصاء به الليالي وتبصر . ومن أعجب ما قرأت في
 وصف ليالى الصالحين الذين يقرأون القرآن ، والذين يستمعون بوعده
 ووعيده ، وأمره ونهيه آيات لشاعر من الشعراء وصف من يقومون الليل فقال :

تجافى جنوبهم	عن وطىء المصاجع
كلهم بين حائف	مستجير وطامع
تركوا لذة الكرى	للعيون الهواجع
ورعوا أنجم الدجى	طالعا بعد طالع
لو تراهم إذا هم	خطروا بالأصابع
وإذا هم تأوهوا	عند مر القوارع
وإذا باشروا الثرى	بالحدود الضوارع
واستهلت عيونهم	فائصات المدامع
ودعوا يا مليكنا	يا جميل الصنائع
اعف عنا ذنوبنا	للوجوه الخواشع
اعف عنا ذنوبنا	للعيون الدوامع
أنت إن لم يكن لنا	شافع خير شافع
فأجيبوا إجابة	لم تقع في المسامع
ليس ما تصنعونه	أوليائي بضائع
تاجرونى بطعتى	تربحوا في البضائع
وابذلوا لى نفوسكم	إنها في ودائع ^(١)

(١) من شعر ابن الرومى - ديوان ابن الرومى ٤ / ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ طبعة دار الكتب .

هذا قيام الليل في رمضان ، بعد صيام كما وصفه نبي الإسلام ﷺ ، صيام يرتفع به مستوى الصائم فيتحول في المجتمع إلى عصر رحمة ، إلى عصر سلام ، إلى عصر طمأنينة وركاة نفس وشرف خلق ، وبصارة سيرة : « وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إلى امرؤ صائم » (١) .

الرفث : هو الكلام العيب ، الصخب : الكلام الذي لا معنى له ولا خير فيه ، والذي هو صفة ليس هـ عقل ، إلى صائم ، أي لا يكون سبياً مع السابين ولا شتماً مع الشتامين .

هذا الشهر المقبل فيه فلسفة الإسلام في ربط الدنيا بالآخرة ، ربط الروح بالبدن ، ربط الأرض بالسما ، ربط الشر بالوحي الإلهي ، ربط الدنيا بالكتاب الذي أضاء لها الطريق ، وحدد لها العاية !! شهر يسعى أن يعرف المسلمون فضله ، وأن يستعدوا له .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده . ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد (٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد الصالحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّوْمِ — بَابُ مَنْ يَقُولُ إِذَا صَامَ إِذَا شَمَّ ٣ / ٣٤ وَمُسْلِمٌ فِي الصَّوْمِ بِحَوِّهِ — بَابُ الصَّائِمِ يَدْعِي لِفُطْعَامٍ أَوْ يِقَاتِلُ فَيَقْلُ إِلَى صَائِمٍ ٣ / ١٥٧ وَالتِّرْمِذِيُّ بِحَوِّهِ فِي الصَّوْمِ — بَابُ مَا جَاءَ فِي فَصْلِ الصَّوْمِ نَحْمَةُ الْأَحْوَدِيِّ ٢ / ٤٧١ ، ٤٧٢ وَالسَّائِي بِحَوِّهِ فِي الصَّيَامِ — فَصْلُ الصَّيَامِ ٤ / ١٦٣ وَابْنُ مَاجَةَ بِحَوِّهِ فِي الصَّيَامِ بَابُ مَا جَاءَ فِي فَصْلِ الصَّيَامِ ١ / ٥٢٥ وَأَحْمَدُ بِحَوِّهِ ١ / ٤٤٦ ، ٢ / ٢٣٢ .

(٢) سُورَةُ الشُّورَى الْآيَاتَانِ ٢٥ ، ٢٦ .

أما بعد :

عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، واعلموا أيها المسلمون أننا قد تسلل إلى مجتمعنا ما أفسد المجتمعات الأولى . المجتمع الإسلامي عندما بدأ كان مجتمعاً باصراً حياً ، كان الوحي فيه غصاً طرياً ، كانت النبوة ترشد الناس إلى المسالك الشريفة ، والمستويات العالية فيرتفعون معها ، ويدخلون الجهد في الاستجابة لها لأنهم يعلمون أن الحياة الحقيقية في الاستجابة لله وللرسول ﷺ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم . . ﴾ (١) لكن فساد الأديان يحيى من أن بعض أساس يتسبب إليها شكلاً ، ويرفضها موضوعاً ، يأخذ شارة الدين من فوق ، ولكنه في الخبيء ما يبسه وبين الله لا يعرف من الدين لا حقيقة ولا كيانه صالحاً

عندما حقر الإسلام بعض رجال الدين الأوائل قال في وصفهم : ليسوا رجال دين ، هم تحار دين ، يأكلون بالدين ولا يخدمون الدين ، يأكلون الجماهير ولا يهدون الجماهير قال فيهم ربنا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾ (٢) .

سبحان الله ، أحبار ورهبان ، مervوص أن تكون وطائفتهم أن يقتادوا الناس إلى الله ، وألا يرزؤوا أحداً في ثروته أو ماله أو ما يحرص عليه من دياه ، لكن هؤلاء الأحبار والرهبان عاشوا كما تعيش الطفيليات على الجسد الشري فهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله

إلى جانب هذا فإن جوهر الدين هو القلب السابح في معرفة الله ، الواعي لوجود الإلهي حوله ، الشاعر بالرقابة العليا ما تنفك عنه ليلاً أو نهاراً . هذا هو الدين ، وعندما يفسد الدين يأخذ الناس الغطاء الذي يظهر فوق تعاليم الدين ، أما الدين نفسه فيكون قد صاع من قلوبهم .

المجتمع الإسلامي الآن يصوم ، وله في صيامه تقاليد غريبة .
قد يقرأ القرآن واستمعت إلى سورة الرحمن ، والقارىء يقول :

(١) سورة الأنفال الآية : ٢٤

(٢) سورة التوبة الآية : ٣٤

﴿ كل من عليها فان ﴾ (١) هذا المستمع يقول : الله ، الله ، أعد ، ما هذا هل يعنى هذا الإنسان أن الآية تهدده باهلاك ، بفساء ، وأن الآية تشير إلى أن الوحود من حوله سوف يتلاشى ، ويعود إلى ربّه يبحثكم الطائع والعاصي ، والمؤمن والكافر ، ويشرح كل شيء مرة أخرى أمام الله ليست فيه ، ولتيبيض وجوه وتسود وجوه .

هل الذى يقرأ .. هل الذى يسمع يعنى شيئاً ؟

هذا نوع من التلاعب بالدين والقرآن ، ليس هذا إلا حفاوة بالعم أو حفاوة بشكل القرآن .
وتسالى رمضان للتسالى ؟ للسهر المحنون ؟ لنعو الفارغ ؟ لمعبث التافه ؟ .

ومن الذى يغسلى ؟ ربما عذر الفارغ إذا تسلى ، ... في الجاهلية التى لا ضوء فيها وجدنا شاباً من أصحاب الخمر والنساء ، عاش طول عمره صعلوكاً صليلاً هو : « امرؤ القيس » كان عاهراً ، لما قُتل أبوه شعر باصدمة توقظه من ذهوله فقال : « اليوم خمر وغداً أمر » .

الشاب المادح ترك محبه وأحد يعمل لإدراك ثأره ، والاقتصاص لمقتل أبيه ، فلما أعياه أن يدرك ثأره ، لأن قبائل العرب لم تسمعته قرر أن يذهب ومعه صديق له إلى بلاد الروم ، وكان الصديق محبصاً ورأى الشاب الناعم الذى عاش في الملذات ومحالسهها ، رآه يتعسف الطريق داهياً إلى عربة بعيدة هيكى ، فقال امرؤ القيس :

يكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقى أن لا حقاً بقيصراً
فقلت له لا تبك عيبك إنما محاول ملكاً أو نموت فنعلنا (٢)

والله لوددت أن المسلمين اتبعوا حتى هذا العربى في الجاهلية ، إنهم يقولون : وأنا أعرف - نحن قوميو عرب أو بعثيون عرب ، كونوا قوميين عرباً ، كونوا بعثيين عرباً ، كونوا عرباً ، أهذا المسك الذى يسلكونه والبلاد محتلة ، وأعداؤها جاثمون على صدرها ، وسواد الدل يقطر من وجهها ، ويراه أهل المشرق والمغرب فبتضاحكون منه ؟ .

هل هذا وقت التسالى ، التسالى إنما هى وظيمة القلوب الميتة

(١) سورة الرحمن الآية . ٢٦ . (٢) انظر ديوان امرئ القيس : ٦٥ ، ١٦ ط دار المعارف

والأعصاب الهللكة ، ولسير ساردة ، ومن يريد أن يعيش لا ليقول : اليوم
خمر وعداً أمر ، لا ، اليوم خمر ، وغداً خمر ، وبعد غد خمر .

لا بد أن نصحو ، لا بد أن نستيقظ ، ليالى العبادة لا تكون ليالى
سلبية ، ليالى العبادة تكون ليالى إقبال على الله .

شهر رمضان موسم طاعة ، ومواسم الطاعات جعلت معالم في حياة
الناس كي ينتهوا إليها لبدءوا من عندها صفحة جديدة ، ولذلك لا بد
لاستقبال الشهر من بية جديدة لمن أراد رصوان الله ، بية جديدة .. أن أغير
من حياتي كذا وكذا بالتحديد ، أن أحدد في حياتي كذا وكذا بالتعيين .
هذا هو مفهوم مواسم العبادة ، أما أن تحيىء لذهها الهجر وغياب
الحبيب فتتأوه ليستمتع الصوم أو القوام إلى تأوهاتها ، ويحتفل الناس بهذه
التسلية فهذا نوع من العبث الذى تهلك به الأمم !!..

إن الله أهلك الأولين لما لعوا بالعبادات ، وأخذوها شكلاً
ولم يتحركوا بها قسماً !! وحذرنا ربنا أن نحرق وراء هذه المسالك الطائشة
فقال : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ
الْحَقِّ ، وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١)

« اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دياننا الذى
فيه معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى
كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (٢) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا
غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٣)

عباد الله ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٤) .

وأقم الصلاة

(٢) : ١٠ مسلم والنسائى وأحمد

(٤) سورة النحل الآية ٩٠

(١) سورة الحديد الآية ٦

(٣) سورة الحشر الآية ١٠ .

اللعب بدين الله

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

١٩٧٣ / ٥ / ٢٥

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراح المبير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فإن جمهوراً كبيراً من المسلمين تسيطر عليه عقيدة الحر ، وعقيدة الحر هذه تعنى أن يتصور الإنسان نفسه لا قدرة له ولا إرادة ، لا حرية له ولا اختيار ، وأنه في هذا الكون أشبه بالريشة المعلقة في الريح ، تهبط بها أو ترتفع ، أو كما قال بعض الناس :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبطل بالماء وهؤلاء الذين تسيطر عليهم عقيدة الحر ، وهم للأسف جمهور كبير جداً من المسلمين ، يرون أن قيمة العمل صفر ، فربما اشتعل أحدهم بالعبادة ، ثم كان من أهل النار ، أو اشتعل بالفسق والفجور ، ثم كان من أهل الجنة !! لماذا ؟ لأنهم تصوروا أن الأمر جبر ، قدر ، شيء مكتوب لا دخل للناس فيه !! .

رمى الله بفريق من الناس في الحة ، ورمى بفريق من الناس في النار ؛ ولعل بعضهم يتصور أن هذا باب من التقوى ، أو لون من التسليم لله

فقد رأيت أحداً على معصية ثم حاولت أن ترخره لقال لك : ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه ﴾ (١) لا يقع في منكه إلا ما يريد ، أقام العباد فيما أراد ، لعل الله يهديه !!

هذا الكلام الذي انتشر في الأمة الإسلامية أوهن قواها وأسقط مكنتها ، وأدل جاسها ، وجعلها في دنيا الناس أمة متبلدة متحجرة ، يطلق أهل الأرض في فجاج الأرض ليملئوها نشاطاً وحركة ، وأولئك الناس كسالى واهتون لأنهم يرون أنهم مسيرون ، وأهم لا عزم لهم ولا إرادة ، وهم في دين الله كذلك ما يشطون إلى طاعة ، وما يجتهدون في خدمة الإسلام أو خدمة أنفسهم بشيء طائل ، لأنهم تصوروا أنفسهم آلات في يد القدر الأعلى ، وأهم يخطون ما سبق أزل أن كتب عليهم .

وعلى هذا النحو عاش المسموون في نوع من الإحساس الغامض بأنهم أشياء مسخرة ، وقد قلت : إن هذا الإحساس كان من أسباب ضياع المسلمين وسقوط دولتهم وإسهار حضارتهم .

هل هذا الكلام صحيح من الناحية الإسلامية ؟ .

هذا الكلام باطل كلاً وجزئاً ، من الناحية الإسلامية ليس له سند من دين الله في قليل أو كثير ، ولكن سبب شيوعه أن الأمة الإسلامية استولى على مقاليدها الثقافية نهر من أهل العلم لا يفقهون القرآن ، ولا يعرفون السنة ، ولا يدرسون التاريخ ، ولا يدركون شيئاً من سنن الله في كونه

القصور العلمي عند كثير من الناس الذين اشتغلوا بالتوجيه سبب هذا التخريب العقلي للأمة الإسلامية .

شيء آخر ، رغبة كثير من الناس في أن يجد فتوى لسقوطه ، أو عذراً لهبوطه ، أو مسوعاً لاحتوائه جملة ينفص الأمور من بين يديه أو من على كتفيه ليقول « وأبا مالي » !! هذا شيء كتب على وغلبت على أمرى .

رغبة الإنسان في الخلاص من المسؤولية تجعله يكذب على الله وعلى الناس ! هذا هو السبب في انتشار عقيدة الجبر ، وهي عقيدة قال علماء المسلمين الأصلاء الفقهاء : إنها كفر بالله !!

(١) سورة الأنعام الآية : ١١٢ .

هل هذه العقيدة نشأت بين المسلمين من فرط التدين ؟ لا ، لأن هذا الكلام في الحقيقة كلام البشر كبير قديماً ، فإن بعضهم جاء إلى لبي عبيد الصلاة والسلام وهو يعلم الناس ، ويصيح للأمة ، ويأخذ بيده إلى الخير جاء إليه بعض هؤلاء « الشطار » وقالوا له : لم تتعب نفسك ؟ الله قادر على أن يهديهم ، الله قادر على أن يصلح أحوالهم ، الله لو شاء لجعلهم صالحين . يحرمون ما حرم ، ويحلون ما أحل ، ويرى قوله تعالى يحكى هذه الأكذوبة ، فحاء في سورة الأنعام قوله ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا . قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ (١) .

وفي سورة أخرى ، اعتذر المشركون عن شركهم : ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون . أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون ﴾ (٢) .

أين هذا الكلام ؟ لا أصل له ، وفي سورة النحل : ﴿ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا ابلاغ المين ﴾ (٣) .

إن هذا الاعتذار بالحير أو بإرادة الله ، كلام في غاية السقوط والصلال ، وربما ذهب البعض إلى دين الله يأخذ منه كلاماً لا يفهمه يريد أن يمسك به الدين ، ربما يقرأ قوله تعالى ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴾ (٤) أو يقرأ قوله تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ... ﴾ (٥) .

يقرأ هذه الآيات ، فكيف يفسر هذه الآيات ؟

يجيء للآية : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ (٦) فبسرهما

(١) سورة الأنعام الآية : ١٤٨

(٢) سورة الرحرف الايتان : ٢١، ٢٠

(٣) سورة النحل الآية : ٣٥

(٤) سورة هود الآية : ١١٨

(٥)، (٦) سورة السجدة الآية : ١٣

بدماعه على هذا النحو ، كما قادري أن نجعل الناس جميعاً مهندين ولكنا قسمنا بعضهم للجنة وبعضهم لمار ، وسقنا هذا إلى مصيره ، وسقنا هذا إلى مصيره ، ونحن لا نسأل عما نفعل !!

هذا هو التفسير السطح السحيق الذي يتناول به على القرآن الكريم بعض من لا عقل به ، ومن لا دين به ، ليعسد به الإسلام ويشعب به على آيات القرآن : ومسرى من عشرات الآيات أن هذا كذب لأن معنى الآية :

﴿ وَبِشَيْءٍ لَّا تَبِينَا كُلِّ نَفْسٍ هِدَايَا ﴾ (١) أو ﴿ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (٢) .

معنى ذلك كما قال العلماء .. أن الله عز وجل يبين كان قادراً على أن يخلق البشر ملائكة ، ومعنى أنه خلقهم ملائكة أنهم لا يستطيعون معصية ﴿ لَا يَعصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٣)

ولو شاء لجعلهم حيوانات جميعاً فيسقط عنهم التكليف ، ولا يختلفون في شيء ولكن الله شاء غير هذا فما خلق البشر ملائكة ، ولا خلقهم حيوانات ولكن خلقهم حسناً يستطيع أن يرقى وأن يهبط ، يستطيع أن يستقيم وأن يعوج ، يستطيع أن يذهب يميناً بحريته وإرادته ، وأن يذهب يساراً بحريته وإرادته ، هكذا شاء أن يخلق البشر أصحابين للأمرين من رفعة وصعوبة ، من طاعة ومعصية ، هكذا شاء أن يخلقهم ، وبين في كتابه أنه خلق البشر هكذا ، إن الله خلق حقاً كثيرين ، خلق الحماد لا يحس ، خلق الحيوان يحس ويتحرك ولكن لا عقل له ، خلق الإنسان يحس ويتحرك وله عقل وشهوة ، خلق الملائكة تحس وتتحرك ولها عقل وليست هه شهوة ، وهكذا ، ونقول بأن جميع مخلوقات الله متحدة الخصائص والنصائص عبادة وجهل ، حالف الله بين صفات المحبوبين وكلف بقدر ما خالف ، ولهذا يصر موصحاً الحقائق ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ (٤) .

ويقول ميب الحريّة الإنسانية : ﴿ ونفس وما سواها ، فألهمها

(١) سورة السجدة الآية ١٣

(٢) سورة هود الآية ١١٨

(٣) سورة التحريم الآية ٦

(٤) سورة معصيت الآية ٤٦

فجورها وثقواها ، قد أفلح من ركاها . وقد حاب من دساها ﴿١﴾

ويؤكد حرية الإنسان وإرادته في آيات كثيرة فيقول : ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (٢) ويقول : ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها﴾ (٣) ويقول : ﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (٤) .

ربما حطر بسال بعض الناس أنى سبب بعض الآيات التى تقرر حرية الإرادة ومشية الإنسان واحتيره ، ولكسى تجاهلت الآيات التى تتحدث عن الإرادة العيا والمشية العيا ، وهؤلاء يتصورون أن القرآن يصرب بعصه بعضاً ، أو يكذب بعصه بعضاً ، وهذا جهل فاصح ، حقيقة هناك آيات كثيرة جداً ، لعل أقربها على الألسنة قول الله فى آيات كثيرة : ﴿يضل من يشاء ويهتدى من يشاء﴾ (٥) ﴿من يضل الله فلا هادى له ...﴾ (٦) .

آيات كثيرة فى القرآن الكريم من هذا النوع ، تقول لى : كما ذكرت آيات حرية الإرادة لم نسى هذه الآيات التى تجعل الإرادة العيا هى التى تهتدى وتضل ؟ وهؤلاء لا يعرفون أولاً معنى الإرادة العيا ، ولا يعرفون ثانياً العلاقة بين الآيات بعضها والبعض الآخر ، ولذلك نحن نشرح ذلك فى أناة ، وكل ما أرحوه أن يفتح المرء عقله دون تعصب لشيء سبق إلى دمه من الإشاعات التى تروح فى المجتمع الإسلامى ، أو من الحرافات التى تطلق فى الثقافة الإسلامية وليست لها بكتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ صلة .

الواقع أن مشية الله حتم ، ولا يمكن أن يتم إيمان ولا كفر ، ولا هدى ولا ضلال ، ولا طاعة ، ولا معصية إلا بمشيئة الله .

(١) سورة الشمس الآيات من ٧ - ١٠

(٢) سورة الكهف الآية ٢٩

(٣) سورة الأنعام الآية ١٠٤

(٤) سورة الإسراء الآية ١٥

(٥) سورة طه الآية ٨

(٦) سورة الأعراف الآية ١٨٦

هذا حق ، لكن ما العلاقة بين مشيئة الله ومشيتك التي قال الله فيها : ﴿... فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (١) ؟ ما العلاقة ؟ .

العلاقة كشفتها آيات كثيرة حد مثلاً قوله تعالى ﴿... فلما زاغوا أراج الله قلوبهم...﴾ (٢) فأتت تنحى إلى حيث تريد ، واقدر يكمل لك ما تريد ، فإذا قال الله ﴿... يضل من يشاء ويهدي من يشاء...﴾ (٣) فليس معنى قوله : ﴿... يضل من يشاء﴾ أنه يحىء إلى صانع نائب مرید وجه ربه نشيط في طاعته وفضله ، لا . هذا جهل ، لأنه يقول : ﴿... وما يضل به إلا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه...﴾ (٤) ويقول : ﴿... ويضل الله الظالمين ويعمل الله ما يشاء﴾ (٥) ويقول : ﴿... إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ (٦) .

فإذا قال : ﴿... يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ فمى يصل ؟ ومن يهدى ؟ .

هذا هو الجواب ، نفهم الجواب من القرآن ، لا من أدمغة الجهة . إن القرآن يقول : ﴿... إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله...﴾ (٧) .

هذا هو الذى يهدى ، ويقول في آيات أخرى كثيرة ، ما يقرر هذا المعنى : ﴿... قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدداً﴾ (٨) وفي الصلاة ، ويقول ﴿... ويزيد الله الدين اهتدوا هدى...﴾ (٩) ، ويقول : ﴿... ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى...﴾ (١٠) .

فمى تصور أن : ﴿... يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ أن الله يحدث في الكون موصى تسوى بين الصالح والطالح والعاقد والتقى ، وأن الأمر

(٢) سورة أنصف الآية ٥
(٤) سورة أنقره الآيات ٢٧، ٢٦
(٦) سورة عامر الآية ٢٨
(٨) سورة مريم الآية ٧٥
(١٠) سورة النساء الآية ١١٥ .

(١) سورة كهف الآية ٢٩
(٣) سورة طهر الآية ٨
(٥) سورة برهم الآية ٢٧
(٧) سورة الرعد الآيات ٢٧ ، ٢٨
(٩) سورة مريم الآية ٧٦ .

لا صابط له فهو رجل كدوب على الإسلام ، والله حل شبه يقول . ﴿ أم حسب الذين احتروا السينات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ (١) ؟ ليس من الذين أن يحىء أحد إلى آية من الآيات ليحبها ، ومن قديم حدث هذا ، فإن بعض الناس لعب بالطلاق ، فعضب النبي ﷺ عصياً شديداً ، حتى قال بعض الناس له : يقتل من فعل هذا ؟ وهو يقول : « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم » (٢) ؟ !

إن ناساً كثيرين من المسلمين يريدون أن يلعبوا بدين الله ، ومعنى لعب بدين الله أن يحىء الواحد منهم إلى آية لا يفهمها ، ويتصور أنها تحدم معصيته ، أو تخدم كسله ، ويريد أن يفسرها وفق هواه ، وبذلك يجعل القرآن متناقضاً يصرب بعصه عصاً ، وهذا لا يجوز

أريد أن أضرب لكم بعض الأمثلة التي تبين العلاقة بين إرادة الله وإرادتنا ، أو بين مشيئة الله ومشيتنا ، فإني أعجب كيف يتصور الناس أن الله يرمى بحفصة من الخلق في النار ، وبحصة من الخلق في الجنة ، ثم يقول بعد ذلك لعباده : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ (٣) كيف يتصور هذا وذاك ؟ .

هذا عجب من العجب ، لكن ما معنى إرادة الله حتى يفهمها جيداً ؟ إن إرادة الله ترحمتها أو تفسيرها أو توصيح معناها ، أي : ما يحكم هذا العالم من قوانين ، وما يسرى في مادته من حصائص بمعنى أن الله عز وجل خلق الهواء ، وخلق في الهواء مادة الأكسوجين التي تعين على الاحتراق ، فلولاها ما احترق شيء ، هل لو جاء رجل مجرم وأوقد النار في بيت من البيوت ، هل يقبل منه عذر أن يقول : أنا غير مدب لأن الهواء هو الذي أعاد على الخريق ، أو هو الذي جعل الخريق يلتهم البيت أو « اعيط » لا .

(١) سورة الحاثية الآية ٢١

(٢) عن محمود بن لبيد قال : أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطيقات جميعاً ، فقام عصباناً ، ثم قال « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم » حتى قام رجل وقال يا رسول الله ألا أقتنه ؟ رواه النسائي في الطلاق . الثلاث المجموعة وما فيه من التعيط ١٤٢ / ٦

(٣) سورة النساء الآية ٤٠

بداهة ، الإنسان مكلف بشيء في يده ، ومشية الله تشتمل بيقين ما يبدأ هو به ، لصرب الأمثلة :

هذا المسجد مدت فيه سلوك لكهرباء ، كان في الساعة السابعة مطعماً النور ، ساكت الصوت ، لا شيء فيه . الأسلاك ممدودة ، والكهرباء واصل ، لكن كى تنفع بالكهرباء و المكبرات أو في الإضاءة لابد أن تحرك بأيدينا مفتاح النور ، أو لابد أن نفتح أزرار المكبرات لكي تشتعل ، لا يمكن أن يصاء المسجد إلا بأمرين معا ، أن أحرك أنا المفتاح وأن يكون في السلك تيار ، فهو حركت المفتاح ألف مرة وليس في السلك تيار ما أصىء المسجد ولا تحرك المكبر ، وإذا كان انتشار موجوداً ، وأنا لم أحرك مفتاحاً ، فمن يصاء المسجد ، ولن يتحرك المكبر !! كذلك ما تفعله أنت من حير أو شر ، إنك تتوى أن تصلى ، هذه انية حريتك ، إرادتك ، لكن من الذى يستيقظ حياً حتى تذهب لكي تصلى ؟ من الذى يجعل قلبك يدق فلا يوقف حتى تتم الصلاة ؟ من الذى يستقى الأرض تحت قدميك فلا تحسب ؟.

إنه الله ، أنت تتوى ولكن لكي يتم ما نويت ، لابد وأن يتمم الله لك ما نويت وأن يقدرك ، خذ مثلاً من الحقول ، إن الرارع يذهب إلى العيط ويضع اسر ، هل يتظر أن يصح القمح أو القطر دون أن يصع الملاح بدرا للقمح أو القطر ؟ لا ، لابد أن يصع البذور وأن يتعهدها ، لكن هل يتم الررع بوضع البذر ؟ لا ، إن وضع البذر سب ، هدامفتاح للقدرة العليا ، ثم تبدأ القدرة العليا تتمم لك ما وضعت أنت بدرته .

أصرب لكم الأمثلة لموقف المسلمين من هذه القوانين ، موقف المسلمين من هذه القوانين يشبه موقف موظف الكهرباء عندما يذهب بالإبصال ويقول للمشترك أعطني المقدار المطلوب منك ، فيقول المشترك أنا لم أصنع شيئاً ، أنتم الدين أرسلتم التيار في الأسلاك !!.

هذا موقف المسلم الذى يريد أن يعصى ثم يقول الله : أما لم أعص أنت السب !!

هذا رجل لا يريد أن يدفع ثمن النور الذى استهلكه ، بحجة أنه ما كان يمكن أن يستهلك النور لولا أن التيار في الأسلاك !

أو تصوروا رجلاً يقاد للقضاء لأنه ررع دحاناً أو حشيشاً ، فيقول
القاصي له : لم زرعت الدخان أو الحشيش ؟ فيقول : أنا زرعت ؟ أبداً إن
الله هو لزارع ألم يقل في سورة الواقعة : ﴿ أفرايتم ما تحرثون أنتم
تردعون أم نحن الزارعون ﴾ (١) .

هذا موقف الأمة الإسلامية من قضية لقدر ، يريد أن تصع ، وأن يتحمل
الله عنها كل شيء ، فتسبب إليه ما هي مسئولة عنه ، وما هي مكلفة به
وما هي مؤاحدة عليه يقيناً ، وهذا شيء من الانتكاس في الفطرة ، ومن
اعبث بالدين ، والغريب أن هذا اللون من التصرفات لا يزال يملك عدداً
كبيراً من الناس ، تقول بلواحا مهم . أصع الله ، ودع ما أئت فيه ، فيقول
لث بلادة : الله يتوب على !! .

أين إرادتك ؟ لا ، لا إرادة ، أين حركتك ؟ لا ، لا حركة ، ولو قيل له إن بعض
مواد التكوين تورع بصف سعرها في مكان كذا ، شط وسار إليها بسرعة
ابرق .. ومادكر قدراً ولا حراً ولا إرادة ولا مشيئة ، ولا شيئاً من هذا كله

إن الأمة تريد أن تعبث بدينها ، وأن تأخذ فتوى من الدين على أن
عبيها قدر وجبر ، وهذا كذب على الإسلام !! .

لاحظت وأنا أقرأ القرآن الكريم في سور كثيرة ، أ العصاة يوم القسمة
يتمون لو يعادون إلى الدنيا لتكون هم حياة أرشد ، ومهبح أسلم ، وتقوى
أطهر ، ولكن ما يقل مهم هذا ، قلب : لو كان هؤلاء أحسوا أدنى
إحساس بأنهم عبيد على إرادتهم ، ودفعوا إلى العصية برغم أنوفهم لقاد
الله : إنك أنت السبب ، ولكم ما يحرمون على هذا مع حراتهم على الكثير ،
تأملوا معي قول الله في سورة الأنعام ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار
هالوا يا ليتنا برد ولا تكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ (٢)
يا ليتنا ، تمن ، هل القى بحاب ؟ لا .. ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وإنهم لكاذبون ﴾ (٣) هل هذا انتهى يقدر ويمكن أن يقول هؤلاء : إن
الله هو الذي مس لنا ما وقعنا فيه ؟ لا

(١) سورة الواقعة الآيات ٦٣ ، ٦٤ (٢) سورة الأنعام الآية ٢٧

(٣) سورة الأنعام الآية ٢٨

في سورة الحجر تقرأ قوله تعالى : ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ (١) .

في سورة إبراهيم قلها ﴿ وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك ونتبع الرسل ... ﴾ (٢) .

والجواب : ﴿ أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ﴾ (٣)

في سورة المؤمنون . ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ (٤) .

في سورة فاطر : ﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا بعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ﴾ (٥) .

يكون الجواب : ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من بصير ﴾ (٦) .

في سورة السجدة ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ (٧)

الجواب : لا ، ﴿ وبو شئنا لآتيناك كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ (٨) .

وكيف تملأ جهنم من الجنة والناس ؟ تملأ هكذا ممن يفعل الخير أو ممن يريد الهدى أو ممن يرفض معصية ربه ويريد أن يرضيه ويبعث مثوبته ؟ لا ، هذا الكلام من تحاريف الأمة عندما أرادت أن تعصى بهتوى ، وأن تصل بمعدرة ، وهيئات .

(١) سورة الحجر الآية : ٢

(٢) سورة إبراهيم الآية : ٤٤

(٣) سورة فاطر الآية : ٢٧

(٤) سورة السجدة الآية : ١٣

(٥) سورة إبراهيم الآية : ٤٤

(٦) سورة المؤمنون الآية : ٩٩ ، ١٠٠

(٧) سورة السجدة الآية : ١٢

ولذلك في سورة الرمر نقرأ قول الله تعالى وهو يلمت نظر الناس إلى أنه لا عذر ، لا شبهة ، يقول . ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِر الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بعته وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين* أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين. أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين * بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴿ (١)

لا عذر .. إن الاحتجاج بالأقدار على ما منح الإنسان فيه حق التصرف والاختيار أكلوبة قديمة .

إن الكلام في الأقدار يكون مقبولا ويكون حسناً وجيداً يوم يكون في أمرلا علاقة لنا به ولا حركة لنا فيه ، عندئذ يكون ما يصيب الإنسان مما يحزن أو مما يفرح ، ما يصيب الإنسان من حياة أو موت من شدة أو رخاء ، يكون ذلك قدراً يساق فيه قوله تعالى ﴿ قُلْ لَنْ يَصِيْبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢)

وبعض الناس يفسر الحسنة والسيئة تفسيراً سائياً فيشكر أن يرزق عز وحل ، عندما يقول . ﴿ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون . ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عموا ... ﴾ (٣)

المقصود بالحسنة والسيئة هما الخير والشر ، لكن بعض الناس يحىء للآية : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ (٤) فتصور أن الحسنة والسيئة هما العادة والطاعة ، هذا كلام ما قاله عالم ، ولا عرفه مفسر ، لأن الحسنة والسيئة هما هي

(١) سورة الرمر آيات ٣ - ٥٩

(٢) سورة التوبة الآية ٥١

(٣) سورة الأعراف آيات ٩٥، ٩٤

(٤) سورة النساء الآية ٧٩

الأحوال اسي تناب الأمم من شدة ورحاء ، من خير وشر ﴿ ولقد أرسلنا
إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والصراء لعلهم يتصرعون ، فلولا إذ
حاءهم بأسا تصرعوا ولكن قست لموهم وزين لهم الشيطان ما كانوا
يعملون ﴾ (١) .

البأساء والصراء هي الحسنة والسبئية ، كما ذكرت آيات كثيرة ، لكن
لنعم كما قلت يريد أن يعذب بالصواعس وأن يعث بها ، صحيح أن الله
يعلم كل شيء ، ويعلم ما مضى بداهة ، وما هو كائن بداهة ، وما سيكون
بداهة ، لكن ما صلة عدمه بعملك ؟ .

أجمع العلماء على أن العلم كالمراة تكشف فيه الحقائق ، ولكن
لا سلطان به عليها ، فهو وقف أمام مراة وانسمت أو اكأب فليست امرأة
مسئولة عن سرورك أو اكتشاك ، لأن المراة تسجل فقط ، وليست لها
القدرة على أن تصنع شيئاً

والعلم الإلهي مرأة سجلت ما يكون وليست للعمل خاصة التأثير
بالسلب أو الإيجاب ، بالإيجاد أو الإعدام في شيء من أحوال اساس .
الأمر يحاح كما قلت لكم إلى أن ندرك كتاب ربنا وسنة نبينا إدراك
حقيقياً حتى لا نعثر بديسا ، وحتى لا نتأخر في دنيانا أكثر مما تأخرنا
أقول قولي هذا وأستعمر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿ الذي يقبل التوبة عن عادة ويعفو عن السيئات ويعلم
ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويريدهم من فضله
والكافرون لهم عذاب شديد ﴾ (٢) .

(١) سورة الأنعام الآيات . ٤٣، ٤٢

(٢) سورة الشورى الآيات . ٢٦، ٢٥

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول
الله ، إمام الأنبياء وسيد المصلحين

الهم صل وسلم وبارك على سيد محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .
أما بعد :

إن الأمة الإسلامية لأسها عاشت في قوقعة من تفكير صيق صبعه لها
بعض الفاصرين أو بعض الجهال ، أصبحت في ديا الناس شيئاً يستحق
لرثاء حقيقة ، لفت نظري البعض إلى أن فصائح في انحلترا وقعت وجعلت
وزيرين يستقيلان . قلت : ما فهمت من هذا ؟ .

إن الصحافة في بلادنا تريد أن تجعل من هذه الأمور دريعة إلى أن ادسا
مئة بالفصائح ، وأن الشرق والعرب والقرارات كلها وأن المسلمين وغير
المسلمين وأن الدنيا عموماً مليئة بالفصائح .

هذا كلام سحيف وتفكير مصلل ، إن المعصية تقع في كل مكان ،
ولكن المجتمع المحترم هو الذي ينظر إلى المعصية فيحتقرها ، ويحتقر
صاحبها ، ويسقطه من مكانه مهما كان منصبه ، ويحاسبه حساب الملوك
مهما كانت وظيفته !! .

والجتمعات العربية بلغت هذا المستوى الباصح ، فهم يحاسبون رجالهم
حساباً شديداً على ما يرتكبون من أخطاء ، والحرية المكفولة هاك جعلت
أى صحافى يحاكم أكبر رجل في المجتمع ، ويرله على حكم الحق ، هذه
شعوب ارتقت كثيراً ، أما الأمة الإسلامية التي تفوقت دحل أهكار
صيقة وعصر في مسالكها وتصرفاتها فهي لا تدري ، وليت العرب
والمسلمين ، ليت الحكام المسلمين في أمة امتدادها بين المحيطين حوالى ثمانمائة
مليون من البشر ليت حكام المسلمين كحكام انجلترا وأمريكا ، وليت
اشعوب ها ، وفي العالم الإسلامي من الرحوة والقدرة والهيمة بحيث
تقول لأى رجل في منصبه : اذهب إلى بينك فقد توسخت !! .

لكن بطرت إلى الدين يتحدثون في الموصوع ، قلت سبحان الله !!
كأن جماعة من المرضى في مستعمرة الحدام يتناولون بالتسكيت بعض الدين

سقطوا في مباريات كمال الأجسام !! ما لكم وللتعيق على المباريات ؟ .

التفتوا إلى تصحيح جذامكم والحجاة من علمكم !!

إن أمتنا معتدة مختلة ، وهي كأى تمشى بلا وعى بلا قيادة ، وتلمح الواحد منهم بشيء غير قليل من اسحاف يسألك أما مسير أم مخير ؟ .

طبعاً هذا الذى لا يعرف أن له عقلاً ، وأن له إرادة ، وأن له قدرة ، وأن له احتيراً ، يدهى هذا الإنسان مسير !! ومن يسيره ؟ الحسن الأبيض الحاكم فى العالم ، الحسن الذى اخترع واكتشف ، هذا الحسن لى شعر بأن له إرادة ، طبعاً هو لى يحكم هذا العبي البليد الذى يتساءل أما مسير أم مخير ؟

يجىء الإنجليزى من « لندن » كى يشق طريقاً على ساحل البحر الأحمر ويستخرج السورول من رأس غارب ومن الغردقة ، لأنه مخير ، لأنه عاقل متحرك ، بينما يجلس المتسكعون من أهل مصر ليسأل الواحد منهم نفسه أنا مسير أم مخير ؟ طبعاً مسير ، وحاكمك هذا الذى جاء من بلده ليستخرج الخيرات من تحت قدمك وأنت بليد لا تتحرك ، تسأل إلى عقل أم ليس لى عقل إلى قدرة أم ليست لى قدرة ؟ .

ابق على هذا السؤال حتى يجعلك العالم كله قضيعة من الدواب تُمنطى وتركب ليستمتع بها أهل القدرة والدكاء !! .

لا أدرى ما لى وقع للأمة الإسلامية ؟ ما أسير فى بلد حتى يفاجئنى هذا السؤال ، نحن مسيرون أم محيرون ؟ ، وأنظر إلى هؤلاء اساس ، وكأنى أنظر إلى بعض الحشاشين المخدريين !! .

وأقول : لم أحيب هؤلاء ؟ ثم أجيبهم ؟ أفسدوا ديارهم ، وأفسدوا دينهم ، ومكوا العلم من أن يرتقى كثيراً جداً ، ويقيموا هم متحفين ، لأن عيباً تطاول على القرآن ودخل فى آياته ، وأمسك بآية أراد أن يفسرها تفسيراً يربح معصيته ويظلمه على قصوره وتحله ، ما هذا ؟ لا ينعى أن يظلم ديس على هذا النحو الدنيا كلها تقدمت ، تحركت ، البلد الذى نعتبه ظالماً لما قتل فيه « كيدى » رئيسه ، وقتله لا يزال حياً ، لأن المحاكمات تمشى وفق فوائين منها المجتمع واحترمها وحنكم إليها ، أنا ساحط على الأمريكيين وعاصب عليهم ، لأنهم ضدى وحيد ديبى وسدى !!

لكن يوم أرى المسلمين لا يحسون الارتفاع إلى مستوى حصومهم يغلسي
انقهر وأكاد أبكي!! ما الذى يجعلنا على هذا النحو من فساد التصور للأمور؟

إننى أريد أن نفهم دينا بوضوح ، وأن نتصرف فى ديننا بوضوح ،
إن ديننا هذا دين سهل ، إنه دين الفطرة : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾^(١) وبالله .. ما معنى أن تسيء الظن
بربك ، وتتصور أن ما يحدث ما هو إلا رواية تمثيلية مكنوية صنعها الله ،
وأرسل الأنبياء كذبا فى كذب ، وأرسل الماصحين والشهداء كذبا فى
كذب ، وقال للناس افعلوا ولا تفعلوا ، وهو يسيرهم على وجوههم بقهره
وقدره ؟ أى إهانة تلصقها بالله عند ما تهمه بالظلم والكذب ؟ وهو الذى
أرسل الأنبياء وقال لنا : ﴿ رِسَالًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى
اللَّهِ حِجَةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ ... ﴾^(٢) .

بالله .. لو أنه أرغمى على معصيته أما تكون لى الحجة عليه ؟ أقول له
لم تعدبنى وأنت أرغمتى ؟ وتسقط حجته ، لكن المسلمين أفسدوا الفهم
لكتابهم ، لا أدري عن عمد أو عن غباء ؟ هذا ما حدث ، ولا يزالون إلى
الآن يترحون فى بلادهم ، وسوف يتقون كذلك حتى تصح فهمهم فى
كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

« اللهم أصلح لنا دينا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا ديننا الذى
فيه معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى
كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر »^(٣) .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا
غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٤) .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٥) .
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

(٢) سورة النساء الآية : ١٦٥

(٤) سورة الحشر الآية : ١٠

(١) سورة الروم الآية : ٣٠

(٣) روى مسلم والنسائى وأحمد .

(٥) سورة النحل الآية : ٩٠

لماذا التسول !!؟

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

١٠ / ٨ / ١٩٧٣

الحمد لله رب العالمين ، والنعمة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، والسراج
المسير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين
أما بعد :

فقد اتفق أصحاب الفطر السليمة على أن الإنسان إذا تسول وكان لديه في
بيته ما يكفيه ويعبىه ، فهو شخص غريب الأطوار ، شاذ المسلك ، فإذا
احترف التسول مع وجود ما يكفيه قبيحاً وما يغنيه فهو شخص مريض يستحق
العلاج أو مجرم يستحق العقاب !! .

والأثم والجماعات في هذا القانون كالأفراد والأشخاص سواء بسواء .
فالأمة التي لديها ثروة معوية طائلة ، أو التي تملك تراثاً حضارياً حصيلاً
تعتبر أمة غريبة إذا نسيت ما لديها من كنوز ، وما تقتني من مصادر العنى
لمادى والأدبى ، ثم حاولت الالتحاق بجهة شرقية أو جهة عربية أو اضططعت
بدون من هذه الأنواع التي تلقب حياً باليميين أو حياً باليسار بعد أن شرفها الله
بصعة واحدة : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له
عابدون ﴾ (١) .

(١) سورة البقرة الآية ١٢٨

إن الأمة الإسلامية بالدات أمة أعاء الله عليها من المادى ء والقيم ، من المشاعر الباضرة فى قلبها ، والأفكار الدكية فى عقلها ، ما يجعلها تعصى ولا تأخذ ، وما يجعل يدها العيا لا السمل ، وكل ما تحتاج إليه أن تعرف بماسة ما عندها ، وعظمة ما زودتها الأقدار به .

ولذلك جاء فى القرآن الكريم تساؤل إكارى ، تساؤل فيه توبييح لأولئك الذين يتطلعون إلى شىء آخر غير ما لديهم ، وما لديهم كبير لانه تراث السماء ، وثروة حاتم الأنبياء ﷺ ، واسمعوا إلى هذا التساؤل فى كتاب الله عز وجل :

﴿ أفغير الله أبغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ﴾ (١) .

الكتاب مفصل لم يدع شيئاً ، قال تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (٢) .

يقول إمام من أئمة الفقه إن التشريع الإسلامى له أوصاف فى كل ميدان عمل فيه ، إنه تشريع يكون أحياناً مخيراً ، ويكون أحياناً منشئاً ، ويكون أحياناً مصلحاً .

متى يكون هذا التشريع مخيراً ؟

يكون مخيراً فى ميدان الاعتقاد ، أى فى أصول الإيمان ، هنا نجد الوحى الأعلى يحىء بحمل إحارية يقسية الحكم لا ريب فيها ، مثل قوله تعالى . ﴿ إن إلهكم لواحده ﴾ (٣) هذا خبر صدق ، ومثل قوله تعالى . ﴿ وإن الدين لواقع ﴾ (٤) أى أن الجراء حق .

فى ميدان العقيدة جاء التشريع الإسلامى بأخبار ، الصدق لبها وعواها قال تعالى : ﴿ ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ (٥) .

(١) سورة الأنعام الآية ١١٤

(٢) سورة النحل الآية ٨٩

(٣) سورة الصافات الآية ٤٠

(٤) سورة الناريات الآية ٦

(٥) سورة النساء الآية : ٨٧

فالتشريع في ميدان العقيدة محبر ، وفي ميدان العبادة منشيء ، أى يكون الإسلام صوراً لعبادات جاء بها ، كالصلاة مثلاً ، كونه من قيام وقراءة وركوع وسجود ، ورب على هذه المجموعة من الأقوال والأفعال آثاراً نفسية بعيدة المدى ، تشعر بعظمة هذه الآثار النفسية والاجتماعية عندما نعلم قول الله في الحديث لقسى ١٠ : «إني أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ، ولم يستطع على خلقي ، ولم يبت مصراً على معصيتي ، وقطع نهاره في ذكرى ، ورحم المسكين وابن السيل والأرملة ، ورحم المصاب ذلك نوره كور الشمس ...» (١) .

فالتشريع هنا منشيء لأنه يكون صوراً جديدة لم يألفها الناس من قبل ، كما يكون الطبيب مريضاً كيمائياً يكون به الدواء لعلل الأجساد عندما يصعبه من عناصر معينة

ويكون التشريع الإسلامي مصدحاً في ميدان المعاملات ، فإن الناس قبل الدين ووجوده كانوا يتراخون أو يتناسلون ، وكانوا يتبايعون فجاء الإسلام فوضع لهذه المعاملات شخصية كانت أو عائلية أو اجتماعية أو دولية ، وضع لها قواعد دقيقة .

فرفض في البيوع التعرير والعس ، وتعريض حقوق الناس للضياع ، ونزلت أطول آية في القرآن الكريم كى ترشد الناس إلى أحكام مالية ، في الديون وكتابتها ، والبيوع والتجارات وإدارتها وهى قوله تعالى

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قدامتكم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾ (٢)

هذه النواحي الثلاث : أن الدين محبر في ميدان العقيدة ، منشيء في ميدان العبادة ، مصلح في ميدان المعاملات العامة ، هى التى جعلت القرآن الكريم بعد أن قال الله رب العالمين : ﴿ أفغير الله أبغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً ﴾ (٣) قال مينا أن ابتغاء الحكم جهل وعجز

(١) ذكره الميثمى في المجمع وقال رواه البراء ، وفيه عبد الله بن واقد الخراساني صعبه النسائي وإسحاق بن إبراهيم الخورجاني وابن معين في روايه ، ووثقه في روايه ، ووثقه أحمد وقال كان يتهجرى بصق وأمر على من تكلم به وأثنى عليه خيراً وفيه رحاله ثقات ٢ / ١٤٧ وصعبه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢ / ٣٦٥

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٨٢

(٣) سورة الأنعام الآية : ١١٤

لماذا ؟ قال في الآية التالية مباشرة ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا
لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) .

فالصدق والعدل كلاهما جوهر الشريعة الإسلامية !! فمن حرج عليها
أو انتعدها ، أو طيب غيرها فهو يطلب شيئاً غير الصدق ، ويطيب شيئاً
غير العدل ، ولذلك يقول جل شأنه فيمن يصبون غير الصدق ويطبسون غير
العدل : ﴿ وَيَلْ لَّكُلْ أَفَّاكَ أَتَيْمُ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يَصِرْ مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا
هَزْوَاً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ . مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا
شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) والإفك
ضد الصدق ، والإثم ضد العدل ..

هذه حقائق نذكرها بين يدي ما سوف يشعل الأمة في الأيام
المقبلة ، بل ما بدأ يشعلها الآن من « ورقة الحوار » التي قدمها رئيس
الدولة إلى أمتنا كي تفكر في مستقبلها ، وتحدث بعض الناس فقال
ربما كان هذا لتفكير محطط لمصير أمتنا إلى نهاية هذا القرن ، وطبعاً
الصحافة عندنا لا تعنى القرن الرابع عشر للهجرة ، فإن التاريخ المحرق
أهم مع إهمال الإسلام كله ، إنما يقصد التاريخ الميلادي الذي استعنى في
الأمة العربية والإسلامية ، لأن الاستعمار العالمي هو الذي هيمن على
مقدراتها المادية والأدبية ، وفرض عليها أن تحترم تاريخه ، وأن تسنن
بتاريخها !! .

والمهم أن هذه « الورقة » عندما تدرس فإنما تدرس لأن مستقبل
الأمة القريب والبعيد مرتبط بها .

نحن نتبع ديداً عيباً بأفكاره ، حصياً بمبادئه ، ونحن نعلم أن الحق في
الإسلام يقتحم كل بدوة ويقدم على كل ماطرة أو مناقشة ، وهو يعلم أن
الحق طهيره ، وأن ما يمثل من ثقافة وما يحمل من قيم جدير بأن يثقل كل

(١) سورة الأنعام الآية ١١٥

(٢) سورة الحجرات الآية ٧ - ١٠

كفة يوضع فيها ، وكل ما يريد أن يحترم الحق ، قيل كلام في أن هناك أموراً ليست موضع مراجعة ، ليكر ، وهذه الأمور هي : الوحدة ، والحرية والاشتراكية .

وأما أريد أن ألقى صوءاً على الكلمات الثلاث التي قيل إنها ليست موضع مناقشة ، إن الكلمات اثلاث عدداً لها معاني شتى وهي فوق المناقشة عندما ترنكر إلى تعاليم الإسلام ، وعندما تستمد من ديسا ، وعندما تستقى من صابعا وحدها .

لكن الكلمات الرحراحة التي يحاول البعض أن يكسبها ميوعة لا تثبت بها في قالب ولا تنصبط بها مع مبدأ محدد ، هي كلمات عربية في ميدان التربية والتوجيه ولا تصح لشيء ، نحن نداهة نريد أمة واحدة : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (١) .

إن الأمة الواحدة هدها ، وعليها رُبياً ، وكان ذلك مثلاً الأعلى طوال تاريخنا ، بل نحن نعلم أن تمريق أمتنا كان الفكر الأول للاستعمار العالمي ، والقوى الشريرة التي تحتسى في طياته ، وتتحرك وراء قوائمه ، تمريق أمتنا عرص ، ونحن نُجمّع ، ولكن انتجميع على الإسلام ، أي عر في أن نتجمع على الإسلام ؟ .

إن أمة بنت إلى جوارنا لم تحجل أن نتسب إلى اليهودية !! فإذا كان غيرنا لم يشعر بأي استحياء أن يعنى التوراة والتمود ، فلم يستحي عندما نقول: يجب أن نعتنق الكتاب والسنة ؟ .

إن غيرنا لم يشعر باستحياء عندما أعاد الحياة إلى اللغة العبرية التي كانت جنة متعممة ركمت روائحها الأنوف ، رد إليها الحياة ، وتكلم بها دون حجل ، فما الذي يجعل اللغة العربية لغة مكورة في ميدان الثقافة ، مستعربة في ميدان التحاطب العام ؟ وما الذي يجعل هذه اللغة مقصاة في ميادين الطب والهندسة والعلوم ، وشتى آفاق الحضارة الحديثة ؟
إننا نريد الوحدة ، ولكنا نقول: من ثلاثين سنة أو أكثر أو أقل

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٢

اشتبكنا مع اليهود ، وبدأت هرائما تترى فما السبب ؟ من حقنا أن ندرس الأسباب ، من حق أى طبيب أن يدرس الجسم امعتل بين يديه ، وإذا شحص العلة بحق لا يباصل بصراحة لا بدجل ، فإن وصف الدواء يحىء سهلاً ، ونحن نريد أن نقول : إن اليهود انتصروا فى معارك كثيرة لأنهم اعتملوا صراحة على عقيدتهم !! أما نحن فإنا إلى الآن لا نريد أن نجعل الوحدة المشودة على الأساس الإسلامى اعد الذى نبت عليه ونمو فيه !! كلمة الحرية كلمة حميلة ، لكن ما المقصود بالحرية ؟ المقصود بالحرية ، حرية الفكر فى أن يبحث ، حرية الإنسان فى أن يحتفظ بكرامته ، ولست الحرية حرية الشهوة الحيوانية أن تطلق ، حرية بعض السفهاء من الرحل أو النساء أن يبيحوا تمريق الأعراض ، وأن يحصوا بدنا مفتوحة لإرضاء نزوات أصحاب النزوات ، كما قالت امرأة 11.

الحرية حرية العقل لا حرية الهوى ، تحديد لمفاهيم أمر لا بد منه ، إذا فلما الحرية بمعنى ذلك أن البلاد التى سرقت تحت الشمس يجب أن يطرد سارقوها ، وأن يبعدوا عن تراسها ، وأن تعود إليها كرامتها ، إذا قلنا الحرية ، بمعنى الحرية : أن أصحاب الذكاء لا يحور أن يتحكم فيهم الأعياء !! إذا قلنا الحرية ، بمعنى الحرية : أن اللسان الذى يدعو إلى الله يجب أن يأخذ الصمات كلها حتى يستطيع أن يقول الحق لا كما يقول المطلقون الساطل بل فوق ذلك بكثير .

هذه هى الحرية .

كلمة الاشتراكية أنا أحد استولى عليها ، لأنى أحد الكتاب المسمين الذين تداولت أقلامهم هذه الكلمة من ثلاثين سنة ، من أول كتاب صدر لى ، هل أنا محطىء ؟ حصانى بعض الناس ، هل أن مُصيب ؟ صوبى بعض الناس ، لكن أريد أن أذكر الأمر بأمانة حتى تعرف الأمور بدقة فأصف نمى و أصف الناس ، لقد كنت أكره الاستبداد وأتهم كلمة عمر رضى الله عنه وهو يقول لعمر بن العاص رضى الله عنه : « متى استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » !!

إسى حمى الأنف !! خلقى الله أحب الحرية لكل عباد الله !! وأكره كل فاجر من الحكام يستبد أو يطغى ، أكره العرعورية فى تاريخها كله .

ولذلك حاربته بكل ما لدى من طاقة ، فإذا كنت قلت : إن الشعوب تحكم بالديمقراطية فأننا قلت الكلمة ، أخطأت في نظر بعض الناس لأنى ستمت كلمة أحيية ، وأصبحت في نظر بعض أساس لأسى قررت حقيقة يحترمها الإسلام ، أن أتعبص للغة العربية ، وقد أكون محطاً عندما أقول كلمه الديمقراطية بدل كلمة الشورى الإسلامية ، لكن ما قصده هو محاربة الحزوت ، محاربة الصرعوية ، وعلى أول من استعمل في كتبه « الصرعونية الحاكمة » و « القارونية الكانزة » ، وهو تعبير في بعض كتبى ، قصدت به محاربة صوائف من الناس عبت المال من دون الله ، وأكنت الحق المعلوم للفقراء والمساكين ، كنت أريد أن أقف باسم الإسلام مدافعاً عن طبقات كادحة كانت كما قيل : تررع الفمح وتأكل الطير !! تررع الفطر وتعيش عارية !!.

قلت : أقف إلى جانب هؤلاء ، وجعلت شعارى : ﴿ في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ﴾ (١) .

وعندما قلت كلمة « اشتراكية » ، كنت أقصد أن أعترض هذه الكلمة امت الشيوعى الذى انطبق في أماكن كثيرة ، وأعزى القلوب والعقول من شأوا في كيف الاستعمار لا يعرفون دياً ، وم يتفقوا في مراحل التعميم المختلفة ما يجعل الإسلام واصحاً أمام أعينهم ، فاستعملت كلمة الاشتراكية ١ .

وقال بعض الناس بعد ذلك : أخطأت ، فقلت في نفسى : إذا كان الخطأ في استعمال كلمة فإن الحقيقة التى أقصدها جزء من تعاليم الإسلام ، والخلاف على العنوان شيء لا يساوى الكثير من البلاء ، ولهذا وصفاً لكل لعط فإن أقول : إذا كان شعار أمتنا : الحرية والاشتراكية ولو حدة ، فليقل قبل ذلك وبعد ذلك إن هذا كله في إطار الإسلام ، وأن ما حالف الإسلام من تعاليم أو تطبيقات فهو تحت الأقدام ، ولا كرامة ، وتوجيهات الله أعلى وأقرب ، وهى أولى عندنا بالتقديم على أى شيء آخر ، وبذلك نغلق الأبواب أمام الذين يريدون العبث بترائنا من ممارسة الاستعمار العالمى ، وما أكثرهم !!

(١) سورة النساء الآية ٧٥

في « ورقة الحوار » أريد أن يعلم ما يأتي : أن الأمم تبنى نفسها أو تهدم بنفسها ، فعراك الأقوياء أو صلحهم لا قيمة له ، إذا كانت الأمم لا تبنى نفسها ، إذا اصطبح الأمريكان أو الروس ، أو احتصم الأمريكان والروس ، فهذا كله لا قيمة له إذا كانت أمتنا داهية عن دينها وديهاها ، ونحن أولاً وقبل كل شيء الدين سى أنفسنا ، فإذا أردنا الساء واعتمدنا على الله ساندنا الله ، فلم يقف أمامنا حصار في اشرق أو العرب ، أما إذا سبنا أنفسنا وجهلنا حق الله عينا ، وانتظرنا من الصدق أو من الأمور العشوائية أن تساندنا ، فنحن أغبياء ولن نرعى عما الأرض ولا لسماء !!

إنا قبل كل شيء المسئولون عن أنفسنا ، إن أحداً لن يعكر لك . ولن يعمل لك ، ولن يموت بذلك ، أنت الذي تحيا ، أنت الذي تموت ، لا غير ، أنت بنفسك ، أنت وحدك ، وعلى ذلك ، فعلى الأمة الإسلامية أن تبنى نفسها على هذا الأساس : أن الله طهيرها والمدافع عنها يوم تقرر الاحتفاء به والإيواء إليه . ويوم تعتمد على كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ، ويوم تعرف قيمة التراث الميس الذي زودها الله به .

وأمتنا لكي تعرف هذه الحقائق يجب أن أوضح شيئاً في الدين عامصاً عند بعض الناس ، مع أننا تكلم فيه كثيراً ، إن بعض الناس يظن أن الدين حصم للدنيا ، وأن المتدينين يعيشون على هامش الحياة ، وإن الدين بلسفته لزراعة إلى الآخرة ، لمواجهة إلى ما وراء المادة ، هذا التدين بطبيعته يجعل أمة على آخر الطريق ، أو في ديل الركب الإنسانى وهو يتحرك إلى الأمام ، هذا كلام قد توصف به أديان أخرى ، أما الإسلام فإن وصفه بهذا الأسلوب جهل فاضح بحقيقة دين .

إن التمكين في الأرض فصل من الله على الناس وعلى الصالحين مهم خصوصاً ، فإن الله يقول عن يوسف بعد أن طلب أن يكون أميناً على المال متصرفاً في حرائه ، قال : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوا منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ﴾ (١) .

(١) سورة يوسف الآية . ٥٦

أى هذا التمكن فى الأرض جراء المحسين ، ثم يقول بعد ذلك عن
الجراء الأخرى : ﴿ ولأحر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا
يتقون ﴾ (١) .

ويقول الله عن دى القريين : ﴿ إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل
شئ سبباً ﴾ (٢)

التمكن فى الأرض نعمة ، التمكن فى الأرض لماذا ؟ المال ؟ بالعلم ؟
كلاهما مما قال النبى عليه الصلاة والسلام : إن التماس يكون فى هذا ، إن
الحسد يكون فى هذا ، الحسد بمعنى التماس ، لأن صاحب الرسالة ﷺ
يقول : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على مملكته و
الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها » (٣) .

العلم ، والمال كما قال شوقي :

بالعلم والمال يسي الناس منكهم لم ين ملك على جهل وإقلال
دينا دين العلم والمال ، سبى المال خيراً فى مواضع لا حصر لها ،
يكفى فيها قول الله تعالى

﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً ﴾ (٤) .

سماه خيراً فى قوله : ﴿ وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم ﴾ (٥)

سماه خيراً فى قوله : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ (٦) .

(١) سورة يوسف الآية : ٥٧

(٢) سورة الكهف الآية ٨٤

(٣) رواه البخارى فى الركعة — باب إتفاق المال فى حقه ٣ / ٢٧٦ ، ومسلم فى المساهرين —
باب فصل من يقوم بالقرآن ويعلمه ٢ / ١ ، والترمذى فى البر — باب ما جاء فى الحسد تحفة
الأحوى ٦ / ٦٦ ، وابن ماجة فى الزهد — باب الحسد ٢ / ١٤٠٧ ، وأحمد ٢ / ٩ ، ٣٦ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٨

(٥) سورة لقمة الآية ٢٦٢

(٦) سورة العاديات الآية ٨

يقول عمرو بن العاص رضى الله عنه بعث إلى رسول الله ﷺ وأتته فأمرني أن آخذ عليّ ثيابي وسلاحي ثم أتته قال . ففعلت ، ثم أتته وهو يتوصاً فصعد في البصر ثم طأطأ ثم قال : « يا عمرو إلى أريد أن أبعثك على جيش فيعصمك الله ويسلمك وأرغب لك رغبة صالحة من المال » قل فقلت يا رسول الله إلى لم أسلم رغبة في المال ولكي أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ فقال . « يا عمرو يعماً بالمال الصالح للرحل الصالح » (١) .

إن حضارة الإسلام قامت على المال الكثير والعدم الكثير ، وعندما مرّ الله على أهل مكة قديماً وهياهم لاستقبال الرسالة حاتمة قال في حقهم : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ (٢) .

كلمه أطعمهم من جوع تعني العدل الاجتماعي بالتعبير الحديث ، تعني الاشتراكية الصالحة بالتعبير الحديث ، تعني الشيع الموفور لكل الناس شيء تعبیر لعوى ، تعني ضمان الحق المعلوم والعدل المكتوب بتعبير الإسلام ، لكن الاقتصاد الكامل لا يكفى وحده ، فإن ابشر ليسوا قطيعاً من الحمير أو البغال يعيها أن تشبع وكفى !! لا .. لا بد مع الشيع ، مع كماله الضرورات البشرية لا بد من ضمان الكرامة لباس ، لا بد من أن آيت مطمئناً على مالى وعرضى ونفسى وولدى ، وهذا معنى : ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ (٣) .

النظام الاجتماعي الذي يؤمّر كل إنسان ، ويجعله يعيش آمناً على نفسه ، هو النظام الذي يسمى في العصر الحديث ديمقراطية ، فعلا ديمقراطية ، لأن رحل الشارع الآن يشتم رئيس الدولة في أمريكا ورئيس الدولة مهموم في الدفاع عن نفسه ولا يستطيع إلا أن يبحث عن محامير

(١) رواه البخارى في الأدب المفرد - باب مال الصالح للمرأة الصالح ٤٥ والحاكم وصححه في البيوع ٢/٢ ، وأحمد ١٩٦/٤ و ٢٠٢
(٢) سورة قريش الأيات : ٤،٣
(٣) سورة قريش الآية : ٤

يدفعون عنه ! وبعض مربرقه الصحافة ها يتحدثون عن هذا كأن ذلك
تأخر ، كأن التقدم هو في الفرعونية التي تحمل الناس يختنئون بالهار
لا بالليل في بيوتهم !! .

يسا يريد أن يعلم الكلمة كاملة ، قال لي صديق توفي رحمه الله ، كان
رقيق القلب ، يقول : وصعت حبوا للعصافير في نافذة بيتي ، ووقفت
أرمقها ، وأنتظر أن تجيء لتأكل فم تجيء ، فبحثت عن السبب وأدركت
أنى تركت باب النافذة مفتوحاً فحشيت العصافير أن ترل حتى
لا تصطاد !! فدهشت فأغفقت الباب فزلت العصافير لتأكل !! فعلمت أن
الشع لا يعنى عن الأمان !! وعرفت قوه تعالى ﴿ فليعبدوا رب هذا
البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾^(١) .

إن « ورقة الحوار » التي ستعرض عليها سوف تتناولها باسم الفكر
الإسلامي الحر ، وهذا الفكر الإسلامي الحر هو ما تحتاج إليه أمتنا كي
تهض من كبوتها وكي تسترد حسائرها وكي تمسح سواد العار الذي صبع
وجهها في معاركها المتلاحقة مع بني إسرائيل .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

الخطبة الثانية

أحمد لله ﴿ الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم
ما تفعلون ، ويستجيب الدين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله
والكافرون لهم عذاب شديد ﴾^(٢) .

وأشهد أن لا إله إلا الله أمث الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول
الله ، إمام الأنبياء وسيد المصحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

(١) سورة هود الآية ٤٠

(٢) سورة النور الآية ٢٠

أما بعد .

عباد الله : أوصيكم ونصي بتقوى الله عز وجل ، واعلموا أني أوصيكم
بخلق في المتديين ، خلق كرية نصي ، وهو السببية ، كأنما ينتظرون من
الأقدار أن تساعدهم وهم لا يريدون أن يساعدوا أنفسهم ، ستعرض
« ورقة العمل » على الناس ، وأريد أن أقول : إن المتديين يجب أن
يسكلموا ، يجب أن يقولوا رأيهم ، صحيح مصت على مصر فترة كان التدين
فيها جريمة ، وكان الجن سيد الأخلاق ، وكان ناس كثيرون يفرون من
كلمة الحق لأنهم يخشون معبتها ، لكن الذين فعلوا هذا في السجون الآن
قبح الله وجوههم !! لا أريد أن يحس المتديون ، لا أريد أن يصرود بالطريق
وبالميدان وبالكلام من لا شرف لهم ولا خلق من الرجال المعروفين والنساء
المعروفات الذين يحاربون المصيبة ، ويريدون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين
والمؤمنات ، لا أريد أن يصرود هؤلاء بالحو ، على المتديين أن يتكلموا ،
ورئيس الدولة قال : إن جو الحرية سيتوفر لكل متكلم ، ويجب
على المسلم أن يتكلم ابتغاء وجه الله و بصرة ديه ، ابتغاء تسييم الإسلام
لأولادنا كما تسميهم من أبناء ، فإن ممارسة الاستعمار العاني وهم يعملون
في كل بلد عربي وإسلامي ، ويتفقون أوامرهم من سادتهم ، هؤلاء يجتهدون
لحو الإسلام ثقافياً ، وقانونياً ، وأدياً ، وفي كل ناحية ، يجب عندما تعرض
« الورقة » ألا ندع ميدياً إلا وطئناه بأقدامنا وقلنا فيه ما يرضى الله .

هذه حقائق يجب أن تعرف ، نحن أمة على مفترق طريق ، وإذا كان
مستقبلياً سيصنع لعشرين سنة فما يجوز أن يصنع المحامون والمحاميات عن
البعايا في شارع الهرم .. لا يصنع تاريخنا ولا مستقبلنا رجال ونساء
حربت قلوبهم وأفكارهم من الدين وقيمته ، هؤلاء يجب أن بقدرهم
قصرهم ، أنا شخصياً نمتي نصي بالاردراء المطلق هؤلاء كلهم ، وإذا كان
بعض الناس يعبرون بالصق على هذه الأفكار أو هذه المبادئ فإن هذا
التعبير لا ينقصني فيما أقول وفيما أكتب !! إني أحتقر من أعماق قلبي
ممارسة الاستعمار العاني ، وفي كتاب لي جعلت عنوان أحد أبوابه « في عالم
العال » وذكرت أسماء معروفة مرموقة في بلدنا سحبت عينا ما فاته صد
الإسلام ، وضد القرآن وضد السنة .

ورقة العمل ستلقى قريباً ، بحسب أن يتقدمها المؤمنون كنداية لحركة قوية في عودة الأمة إلى إسلامها تشريعاً وأدباً وتقديراً وتعليماً وتربية ، هذا معنى أحب أن يعرفه ، أنا متماثل ، أحس أن المستقبل للإسلام ، أدرك أن قوى الشر وإن كان يقبضها بملأ أكفاف المجتمع فهي كالصنادع الصغيرة التافهة المعروسة في الطير التي تموت تحت أي قدم !! ومع ذلك فهي تملأ الليل بقيقها !! هي ضفادع ، سوف تختفي جتماً من تاريخنا ، ومن حياتنا ، وأنا متماثل ، وكما وحدث الباء في هذا المسجد يمضي في طريقه ، كلما شعرت بأن يوماً ما يقترب ليكون هذا المسجد عربياً عن الصورة الأولى التي ألقاها ، كان غارقاً في القمامة ، كانت القمامة من أسفله إلى سقفه ، حتى قيص الله رجلاً صالحاً هو « محافظ القاهرة » ففعل ما فعل ، ومضى في طريقه إلى أن يبسى هذا المسجد . يريد أن يعود المسجد كما بدأه الفاتح الكبير عمرو بن العاص رضى الله عنه مدرسة إسلامية تشع الأنوار وهدايات ، يريد أن يعلم الناس أن القاهرة ليست عاصمة الصعيد والدلتا والوجه البحرى وانقلب ، لا ، القاهرة عاصمة العالم الإسلامى .

يريد أن تعود القاهرة بدورها التاريخى في هذا المجال ، وأنا أعلم أن هذا المسجد من أكثر من نصف قرن وضعت المؤامرات لسحقه وجعله مقبرة ، وللأسف الآثار المصرية أدت دوراً غير مشكور في هذا المجال لكن على كل حال الأمور بدأت تأخذ طريقها إلى الخير .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اعفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ .

وأقم الصلاة

١ رواه مسلم والنسائى ، أحمد

٢ سورة الحشر الآية ١٠

(٣) سورة النحل الآية ٩٠

في موكب الحج

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، لرحمة لمهداة ، والسعة المسداة ولسراح المتير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ولتابعين .

أما بعد :

ففي قمة الصالحات التي يقوم المسلمون بها في عشر ذي الحجة أداء مناسك الحج .

إن هذه المناسك مشهد ضخم ، وميدان رحب للعباد الذين جاءوا من كل فج عميق يرضون بهم ، يرجون رحمته ، ويخافون عذابه

يمكن أن يقال: إن مئات الألوف اتى ربما بلغت مليونين من الأنفس ، ربما يقال إن هذه الحشود امتكافة يمكن أن تكون مظاهرة متلاطمة الأمواج ، الهتاف فيها ليس ببشر ، إنما الهتاف فيها لرب الأرض و لسماء لا يملأ أديك إلا طين صحم من كل ناحية بين تنبيه وتكبير وتقديس وتمجيد ، الحناجر تشق باهتاف لله وحده طلباً لرصاه ، وانتظاراً لحده ورعية في ثوابه ، ورهبة من عقابه .

﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قوس الزور. حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما حر من السماء

فتحفظه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق. ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴿١﴾.

ناس جاءوا من حور البحر الأبيض والأسود والأحمر ، من شطآن المحيط الأطلسي وهندي وإهادي ، من أعماق القارات الخمس ، من كل شبر يطلع عليه نور الشمس ، أو تُحل فيه هدأة الليل ، وقد تنبأ نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام إلى أن ديه سوف يتشر مع انتشار الطل والصوء على ظهر الأرض ، وصدقت النبوءة (٢) .

جاءوا من كل مكب ، كلما صعدوا ربوة لبوا أو كبروا ، وكلما هبطوا وادياً سوا أو كبروا ، وكلما لاقوا فوجاً لبوا أو كبروا ، وكلما لقي بعضهم بعضاً لبى وكبر . كل شيء لله ، هناك معارض رراعية أو صاعبة أو تجارية يحيشها الرواد تشد عيونهم السبع المعروضة التي يهتمون بها ، لكن المعرض انقام الآن في الأماكن المقدسة ليس لشيء من الدنيا .

إن كل شيء يدفع إلى الهواف لله تكبيراً وتمجيداً وتلبية تتجاوب أصداؤها في كل مكان .

نريد أن نتساءل أصحيح ما يقال من أن أعمال الحج أعمال مبهمة أو عمصة ، وأن الله جل شأنه اخبر الناس بما يعقلون فسمعوا وأطاعوا ، فاحترهم بما لا يعقلون حتى يشير به كيف يسمعون وكيف يطيعون ١٩ .

والجواب : هذا كلام بعيد عن الصحة ، والواقع أن لأعمال الحج جكماً عرفها من عرفها وجهلها من جهلها .

إن لأعمال الحج جكماً يسعى أن تُدرس بأناة ، وأن تُعرف حقائقها

(١) سورة الحج الايات من ٣٠ - ٣٢

(٢) يشير فضيلة الإمام - حفظه الله - إلى قول رسول الله ﷺ « يبلى هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بحر عزيز أو يدل دين عزاء يعز الله به لإسلام ودلا يدل به لكهر »

أخرجه أحمد عن محمد بن النضر . وكان تميم الداري يقول : قد عرفت ذلك في أهل نبي ، بعد أصاب من أسمهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان منهم كافر الدن والصغار والحرية ٤ / ١٠٣ . والحاكم في الفتن والملاحم وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ٤ / ٤٣١ ، ٤٣٦ . والطبراني في المعجم الكبير ٢ / ٥٨ وقال في الجمع: رواه أحمد والطبراني وأحمد رجال الصحيح ٦ / ١٤

حتى يدرك الناس أن الإسلام ليس دين أوهام أو أصعاث أحلام ، هذا دين كل شيء فيه له حكمته وله معناه .

الطواف بالبيت وهو ركن من أركان الحج ، ما سبه ؟ سبه واضح ، هناك أربع نَقط نذكرها في هذا المجال :

النقطة الأولى : هذا البيت أول بيت وضع للناس مُتعبداً للناس في أعماق انقارات كنها ، لم يُس قبله بيت سعادة ، فمن حق أول بيت أقيم ليكون قبعة للتوحيد ، ومثابة للموحديين ، وملتقى للمؤمنين المحضيين ، من حق البيت الأول على ظهر الأرض أن تكون له مكانة خاصة ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيْكَةً مَبَارَكاً وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

إن مسجدنا هذا شَرَّف وحدثت معالمه ووضعت دعائمه وعرفت حدوده وأركانه ، منذ قام إبراهيم وإسماعيل بالبلاء ، و إلى الآن البيت راده الله تشريفاً وتكريماً ، يحجته الرواد من كل أفق ، والحجاج من كل فج ، يطبّرون إليه كما تطير الحمام إلى أركارها ، في أفئدتهم حير ، وفي قلوبهم مشاعر ملتاعة .

النقطة الثانية : أن المسلمين في المشارق والمغارب ، في الشمال والجنوب يؤلون وجوههم شطر هذا المسجد في كل صلاة تقام في القارات كلها ، ومن حق الدين اتحدوا المسجد قبعة لهم أن يبعثوا كل عام مهم الوفد المستطيع لكي يرى قبلته ، كي يحج إليها ويرورها .

وأعرف أن أساذاً يحمل الذكوراء في الهدسة ، كان عصواً في مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين (٢) ، وضع كتاباً يُس فيه أن مكة في وسط المعمور من أرض الله ، وأثبت هذا بحملة معادلات حبرية وجغرافية ، وما ألفه علمياً في هذا الموضوع متداول الآن بين الناس .

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦

(٢) هو الأستاذ الدكتور / حسين كمال الدين رحمه الله وقد أمضى نصف قرن من الزمان في ظل جماعة الإخوان في عمل وجهاد في ميادين الدعوة ، ومن أبرز ما قدمه من عمل نافع هذه الجيوب والجدول التي أعدها معرفة اتجاه القبلة للصلاة ، وكذا موافقت الصلاة الخمس وحدث في أي مكان على سطح الأرض ، وأثبت علمياً أن البيت الحرام يقع في مركز الحرم المعمور من الأرض

كأن أم الصرى ثم حصبه ، وكأثر المصير حول الكعبة دائره محدوده ، لكن هذه الدائرة سداح وتتسع ولا تزل تداح وتتسع حتى تشمل الأرض كلها وهي تنح في صلواتها لله رب العالمين تجمعها قبة ، وما يعد المسمون قلة ولا يعرفون أن هناك حجراً له كرامة ، إن كل حجر في الكعبة لا يصير ولا يسمع وليس البر في التمسك بحجة من الجهات ، ولكن هذا تطيم وصعه الله ليوحد بين الوجوه والقلوب والصوف ، ولا يسمح شيطان أن يبرق الناس إلى وجهات شتى .

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (١) .

النقطة الثالثة : أن هذه الأمة الإسلامية إنما ولدت فى لتاريخ إثر دعوة صالحة مستحابة للأنبياء الذين وضعوا حجر الأساس فى هذا البيت العتيق ونهضوا به وأعلوا دعائمه

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٢) .

﴿ ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ هى أمتنا .

﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾ هو رسولا ﷺ صاحب الإمامة العامة فى محراب العادة لخلق الله كلهم ، صاحب الرسالة الخاتمة التى لا معقب عليها ينسخ أو تصحيح .

فمن حقنا ، وتبيننا وأمتنا وتاريخنا نتيحة دعوة فى بقاء هذا البيت ، من حقنا أن نزور هذا البيت .

(١) سورة البقرة الآية : ١٧٧

(٢) سورة البقرة الآيات من ١٢٧ ١٢٩

النقطة الرابعة . أن الله عز وجل أراد أن يُكرّم الأمة العربية ، أو أراد أن يُكرّم الجنس العربي ، ثم يكرّم الجنس العربي ؟ بدمه ؟ لا فارق في عدم الطلب بين دم العربي ودم الرنحى ودم الأمريكى ودم الأوربى ، تركيب الدم وحرمانه فى العروق والقوايين اتى تحكّمه واحدة ، فلا فصل لدم على دم .
هل يكرّم الجنس العربى بالخلد أو باللون ؟
إنما كُرم هذا الجنس العربى ؛ لأنه حمل الرسالة الخاتمة .

ویرجد دجالون فى عصرنا وكذابون لا دين لهم ، ولا شرف ، رعموا أن الجنس العربى له شرف خاص بغير الإسلام !! والعرب من غير الإسلام مجموعة أصفار لا وزن لها ولا قيمة ولا كيان .
إن الله شرف الجنس العربى برسالة الإسلام وعندما أمر الناس فى كل شبر من أرضه أن يتجهوا هذا البيت العتيق قال لنا - نحن الذين نقرأ القرآن وننطق باللغة العربية - أنا فعلت هذا تشريفاً لكم .

كنت أقرأ الكتاب العربى من قوله تعالى . ﴿ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون لباس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واحشوني ولأتم نعمتى عليكم لعلكم تهتدون . كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويركيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ (١) .

وقفت كرجل يشتعل بالعلم وحرفته الدراسة ، قلت : ما معنى « كما » ؟ أحدث أنأمل فى الكلمة ، وأدبر ما قبلها وما بعدها ، فوجدت المعنى واضحاً ، يعنى : أنا شرفتكم بأن تلقى وجوه الناس عند كعبتكم ، كما شرفتكم من قبل بابتعاث أسى منكم ، فعلت هذا كما فعلت ذاك ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ﴾ .

وجهها الناس إلى قنبتكم تشريفاً لكم وإتماماً للنعمة عليكم كما شرفناكم بابتعاث النبى اخاتم منكم عبیه الصلاة والسلام .

(١) سورة البقرة الآية ١٥٠ . ١٥١ .

وفي سورة أخرى يقول الله سبحانه عليه الصلاة والسلام . ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون ﴾ (١) .

شرف لك ولقومك وسوف تسئلون عن هذا الشرف .

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ (٢) .

استيحة مطلوبة . ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ (٣)

هل اعرب ذكروا الله وشكروه ؟ لا ، العرب ذكروا أنفسهم فنسيهم الله ، ولم يشكروا ولي العمة ، بل شكروا من صممهم ، من طمهم ، فأدلمهم الله بين يديه !! .

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ (٤) .

اذكروا ديني الذي شرفتم به ، اذكروا الكتاب الذي أنزلته بلسانكم .

إنني أشعر بعجيرة يوم أرى إداعات عالمية تخدم لعنبا محرقة وبقدرة وبحكمة وبذكاء ، وهي لعات ليس فيها من رسالات السماء شيء .

أما اللعة التي اختارها الله وعاء لكتابه ، فقد أهملها وتبرسا بها ، وأصبح الخطأ فيها علامة تقدم ، وأصبح خطاب الجهلة بها لا حدود لغلطه ولا لما فيه من اضطراب .

كل الناس يحترمون لعنتهم ويصبطون قواعدها إلا هذه اللعة لا حرمة لها ، يخطئ فيها من يشاء ولا تثريب عليه .

(١) سورة الرحرف الآية : ٤٤

(٢) سورة البقرة الآية ١٥١

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٢

(٤) سورة البقرة الآيات ١٥١، ١٥٢

أول ما بأحده من الحج هذا الطواف وهذه الحكمة فيه ، أربع نقط
حددت لماذا نرتبط بهذه الكعبة .

هذه واحدة ، شيء آخر السعى بين الصفا والمروة ، ما معناه ؟ لم
تكلف به ؟ لم يمثل نفس النور الذي كانت تمثلها هاجر ؟ .

المعنى واضح ، إن الإنسان مادي ، جسي ، والأسباب الحسية هي
التي تملكه أو هي التي تحكمه . يوم يكون في يده مال يقول : مالي في
يدي ، فهو يعتز به ، لكن يوم يكون هذا المال وعداً في العيوب ، وأملاً في
المستقبل ورجاء عند الله ، فإن قلبه يضطرب ويقول : ليس معي شيء .

وجاء في الحديث : « ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ، ولا في
إصاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أو ثقتك
بما في يد الله ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها ، أرحب منك فيها
لو أنها أبقيت لك » (١) .

لكن أنا ضعيف ، ضعيف جداً ، ما في يدي هو الذي أستوثق منه ،
أما ما في يد الله فإنه لا يؤمن به إلا الأقوياء ، الرزق غيب ، ولا يؤمن
برزق الله إلا أصحاب الإيمان الراسخ ، النصر غيب ، ولا يؤمن بنصر الله
إلا أصحاب الإيمان الراسخ ، والتوكل على الله عندما تكون الأسس فيه
تعليق النفس بأمل عند الله ، هذا النوع من الإيمان قلما يوجد ، لكنه عُدّة
المصلحين ، كلما أظلم الليل عليهم ، ولم يجدوا بصيصاً من نور اطمأنوا
إلى أن فجرًا سيحییء فهم ينتظرون بريقه بثقة .

يلمح هذا اليقين أو هذا التوكل عندما نجد أن إبراهيم عليه السلام
كُلف بأن يُسكر امرأته هاجر وابها الرضيع إسماعيل قريباً من البيت
العتيق ، تركهما إبراهيم ، وانطلق إلى أين ؟ مكة صحراء جرداء ، جبال

(١) أخرجه ابن ماجة في الزهد - باب الزهد في الدنيا . قال هشام . قال أبو إدریس الخولاني ،
يقول : مثل هذا الحديث في الأحاديث كمثل الإبرير في الذهب ١٣٧٣/٢ ، والترمذي في الزهد -
ينب ما جاء في الزهادة في الدنيا . وقال هذا حديث غريب لا يرويه إلا من هذا الوجه ، وفيه حمز
ابن واقد صكر الحديث . تحفة الأحودى . ٧ / ٣ ، ٤

تشبه الكف التي تمتد من الأصابع ، ثم لا شيء ، الرجل ماذا يقول ؟
سكت ، لكن تكلمت المرأة ، قالت له : الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ،
قالت : « إداً لا يصيحا !! » (١)

كيف ؟ لا شيء هنا إطلاقاً ، السماء والرمال والجبال الصم .
يختبر الإيمان لآخر رمق ، بدأ لرصيع يتوى من العطش ، وبدأت الأم
تحس بأن المستقبل يُظلم أمامها ، وبدأت تحرى بمساً وشمالاً ، ثم أحبرها
الملك أن نجدة جاءت وغمز بجناحه الأرض فتفجرت رمزم ، وشرب
الرصيع ، وشربت الأم ، وبدأ الخير .

أستغرب عندما أنظر إلى دنيا الناس ، وإلى الغيب الذي لا يعلمه
إلا الله ، أكاكت المرأة مع رصيعة هذا تدرك أن ابها هذا سيكون من دريته
نبي خاتم ؟ .

سيكون من دريته شعب كبير ؟ .

سيكون من أثره حضارة تظلل الأرض برحمتها وسناها ؟ .

ما كانت الأم تدري شيئاً من هذا ، ونحن البشر علمنا قاصر ، علمنا
محدود ، ولكن الله ذا العلم الواسع يدري ما يصنع لعباده ، ويختبرهم في
حدود علمهم القاصر وسعيتهم المحدود وقدرتهم الضيفة ، وهذا هو
الاحتبار الذي يتحدد باستمرار ، الاحتبار مستمر ، أثيق في الله وفيما عنده
وفيما عيّه عا ؟ هو عنده واقع لأن الله يستوى في علمه الماضي والحاضر
والمستقبل ، الصفحات كلها مكشوفة أمامه ، أما أنا فلا أدري إلا اللحظة
التي أنا فيها ويعيب عني ما وراء ذلك ، وأنسى ما كان قبل ذلك .

من ها يحيى الاحتار ، فإذا كيف الناس أن يفعلوا ما فعلت أم
إسماعيل فلكى تتجدد في مسالكهم عواطف الانكال على الله ، الثقة في
الله ، الإيمان بأن ما عنده أهم مما عدى ، ما عدى قد يُحرق ، قد يُسرق ،
لكن ما عنده لا حرق ولا سرق .

لذلك يجب أن نعرف معنى هذه الشعيرة في مناسك الحج

(١) قصة مهاجرة إبراهيم بابه إسماعيل وأمه هاجر إلى أرض مكة والحوار الذي دار بين إبراهيم
وهاجر ، وتفجر رمزم ، رواها البخاري في كتاب الأنبياء باب يزفون النسلان في المشي . من
أبر عيس ٤ / ١٧٢ ، ١٧٣

ثم يلتقي الناس في عرفه ، وهو لقاء مهيب ، ولقاء عريب لأن الناس فعلاً جاءوا من كل مكان شعناً عبثاً ، ليس هناك ما يميزهم من أمة ولا من مُلك ولا من سلطان ، وحدث بينهم شارات لا تفاوت فيها ، في ملابس الإحرام ، ثم جمعهم في هذا المكان طاعة الله ، والحوار في هذه الساحة بدعاء ، الشئيد الذي يتردد باستمرار هناك :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير » (١) .

ويروى عن الحسين بن الحسن المروزي قال : سألت سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء يوم عرفة فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » فقلت له : هذا ثناء وليس بدعاء .

فقال : أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين أتى عبد الله ابن جُدعان يطلب نائه ؟

فقلت : لا ، فقال : قال أمية :

أذكر حاجتي أم قد كفاي	حياؤك ؟ إن شيمتك الحياء (٢)
وعلمك بالحقوق وأنت قرم	لك الحسب المذهب والساء
حليل لا يُغيّره صاح	عن الخلق الحميل ولا مساء
وأرضك كل مكرمة بنتها	بنو تيم وأنت لها سماء
إذا أثني عليك المرء يوماً	كفاه من تعرضه الشاء (٣)

ثم قال سفيان : يا حسين ، هذا مخلوق يكتب بالثناء عليه دون مسألة ، فكيف بالخالف (٤) ؟

(١) في الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان أكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، رواه أحمد . الفتح الرباني ١٢ / ١٣٠ وقال في المجمع : رواه أحمد ورجاله مؤثرون ٣ / ٢٥٢ وقال في الجامع لصغير : رواه أحمد ، وروى له بإسناد صحيح التقدير ٥ / ١٦٧ ، ١٦٨

(٢) يعني أن حياءك يكفي في قضاء حاجتي لأن الخلق يستحي أن يكلف قاصده ذكر حاجته فيقصيها له قبل أن يسأله إيّاها

(٣) يعني أن المدح يكفي في بيل الحاجة منك بدون التعرض لمطالبتك

(٤) انظر أمية بن أبي الصلت : حياته وشعره : ١٥٢ وتجرید الأعالي ١ / ٩٩٥ ومهابة الأرب

٣ / ٢١٤ والقرم : السيد

كأن الفقير إذا جاء إلى غني هم يقل له أكثر من . « الحمد لله الذي أعطاك وأعماك وقواك » .

فهذا الشاء معناه : أنسى محتاج إلى ما عندك .
وهو عندما يقف بين يدي الله يذكره بأسمائه الحسنى ، إن كان مُطلماً
فمن أسماء الله .. « السور » فهو يُبِير له الطريق .
إن كان حائراً فمن أسمائه « الهادي » فهو يبصره بسبيل الرشاد .
إن كان فقيراً فمن أسمائه : « العي » فهو يفتح له من حرائر العطاء .
إن كان جهولاً فمن أسمائه « العليم » فهو يهب له العلم والمعرفة ،
فحين عندما تتحقق بأوصافها من ضعف وفقر ود بين يدي الله فإنه يعطيها .

ولذلك يقول ابن عطاء الله :
« تحقق بأوصافك بمنحك أوصافه » .
« تحقق بالدل يُعزك ، تحقق بالفقر يعنك »

والواقع أن يوم عرفة يوم من مفاخر الإسلام ؛ لأن المسلمين في هذا المكان يحتشدون ما يعرف بعضهم بعضاً إلا هذا ، كيف ؟ قرر لهم وقت معين ومكان معين ، فالمسلم الذي يعيش على شاطئ الأطلسي في الرباط أو في دكا أو في لاجوس في نيجيريا يلتقي بالمسلم القادم من أندونيسيا أو الفلبين .

ولذلك كان هذا اللقاء الجامع نقطة استعلال لرؤساء الإسلام وقادته كي يوجهوا المسلمين في اليوم المشهود إلى ما يهمهم .
ولذلك وقعت حجتان في أيام السي صلى الله عليه وسلم حجة أبي بكر رضي الله عنه بالناس ، وحجته صلى الله عليه وسلم .

فأما حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس فقد تقرر فيه إلغاء المعاهدات غير المتكافئة الواقعة بين المسلمين وغيرهم ، وتقرر إلى جانب هذا . تنظيم اجتماع الداخل للأمة الإسلامية من المشركين ، ومع صفوف العراة بالبيت العتيق .

واصطق المبادون وسط مصارب الخيام ، ومحامع الحجيج ، ومسقيات
الناس يقولون : « ألا لا ينحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت
عريان » (١) .

هذا حَجٌّ ، فأين هذا المعنى من حج المسلمين الآن ؟
إن الحج أصبح شبحاً ، وأصبح شيئاً أقرب إلى الصورية منه إلى دعم
تعاليم الإسلام وحراسة الدولة ، ورفع راية الحق ، وتحديد المواقف مع من
يعبثون بهذا الدين ، ويبيتون لأمتة الضياع .

ثم حج النبي عليه الصلاة والسلام بعد ذلك حجة الوداع ، وكان
يشعر أن هذه الحجة آخر لقاء بينه وبين الناس ، ولذلك كان يقول :
« أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا ،
مهدا الموقف أبداً » (٢) .

فماذا يريد ؟ أت يودع أبناءه همادا يريد ؟
يلقى في آذانهم آخر ما في قلبه من حب ومن نصيح .
« تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً فمرايينا ، كتاب الله
ومنه نبيه » (٣) .

« أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم
كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم
عن أعمالكم وقد بلغت » (٤) .

وأنظر إلى الأمة الإسلامية الآن فأجد العجب ، ما رأيت هذه الضراوة
في الحرب عندما كان لعرب يشتبكون مع اليهود . سبحان الله !!
ما هذه الدماء المسفوكة ؟ .

إن الطواغيت قادت الناس إلى مهلكهم ، والعيب عيبا ، واجهل
جهلا ، وكما قيل :

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك ١٨٨/٢ ،
وأحمد ٢٩٩/٢

(٢)، (٣)، (٤) جزء من حديث طويل رواه ابن هشام في السيرة ٦٠٤، ٦٠٣/٤

ما يندع الأعداء من جاهل ما يندع جاهل من جاهل من نفسه (١)
 إنما نخرب بيوتنا بأيدينا ، إنما نمزق أرحامنا بأيدينا .
 إذا كان خلق أصحاب رسول الله ﷺ أهم أشداء على الكفار رحماء
 بينهم ، فحق مسمى العصر الحاضر أهم أشداء على المؤمنين رحماء بالكافرين !!
 أى مسلك هذا ؟ أى بلاء هذا ؟
 كانت الحجّة الأخيرة حجة الوداع مليئة بما يمكن أن يسمى
 بالتقرير الحقيقى لحقوق الإنسان ، وحرّيات الشعوب ، وعالمية البشر ،
 والقواعد الإنسانية السنية ، وحسن العلاقة بين الرجل والمرأة ، وأمور
 أخرى كثيرة .
 آسف إذ أقول : إن المسلمين أجهل الناس بها ، وأبعد الناس عنها ،
 لأن الأمة الإسلامية بحاجة ماسة إلى أن تعرف دينها معرفة صحيحة .
 أقول قولى هذا وأستعصر الله لى ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
 ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من
 فضله والكافرون لهم عذاب شديد (٢) .
 وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول
 الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .
 اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
 والتابعين .

أما بعد :
 عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ولعلم أن أمتنا تحتم
 الآن القرن الرابع عشر لها ، ويوشك أن تستأنف قرناً جديداً .

(١) من شعر صالح بن عبد القدوس — نهاية الأرب ٣ / ٧٩ .

(٢) سورة الشورى الآيات : ٢٥ ، ٢٦ .

إن مرَّ الباني والنهار لا قيمة له بالنسبة إلى من فقد ذاكرته ، وفقد وعيه ، ونسى تاريخه .

إن الأمراض التي تشيع أحياناً ويُقل أصحابها إلى مستشفيات الأعصاب أو مستشفيات المحانين أمراض فقدان الذاكرة .
ويقول « شوقي »^(١) رحمة الله :

مثل القوم نسوا تاريخهم كلقيط غي في الناس انتساباً
أو كمغلوب على ذاكرة يشتكى من صلة الماضي انقضاباً^(٢)
لا يحس المسلمون استقبال القرن الحديدي إلا إذا عرفوا أخطاءهم ووضعوا
أيديهم عليها وقرروا أن يتوبوا إلى الله منها

كيف نعرف هذه الأخطاء ؟ وكيف نتوب منها ؟ .

إن ذلك يحتاج إلى عدة حُصص أو إلى عدة محاضرات ، نسأل الله أن يُعينا
على إلقائها إن شاء الله .

« اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والعسمة من
كل بر ، والسلامة من كل إثم ، نسألك ألا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ، ولا همأ
إلا فرجته ، ولا حاجة هي لك رصاً إلا قضيتها بأرحم الراحمين »^(٣) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا
غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾^(٣) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(٣)

أقم الصلاة

(١) اشوقيات ٢ / ١٨ طبعة دار الكتب العمية - بيروت

(٢) أخرجه الترمذى في النور - باب ما جاء في صلاة الحاجة ، عن جابر بن عبد الله وقال هذا حديث
عريب في إسناده مقال . تحفة الأحودى ٢ / ٥٨٩ ، ٥٩٠ وابن ماجه في الإقامة باب ما جاء في صلاة
الحاجة ١ / ١٨٩

(٣) سورة الحشر الآية ١٠ .

(٤) سورة لعل الآية ٩٠ .

اليهود في ميزان القرآن

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

١٩٨١ / ٥ / ٨

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً رسول الله الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فحديثنا في هذه الجمعة ، عن بني إسرائيل .. فإن القرآن الكريم تناول بني إسرائيل في أماكن كثيرة ، حتى قيل إن أحداً لم يذكر في كتاب الله لا من الأنبياء المرسلين ، ولا من الملائكة المقربين ، كما ذكر موسى عليه السلام في كتاب الله ، فقد ذكر نحو مائة وثلاثين مرة .

كما أن قصة بني إسرائيل تكررت في القرآن الكريم كما لم تتكرر قصة أخرى عن الأمم الأولى ، عن الأقسام الذين تلقوا الوحي واستمعوا إليه إما استماع طاعة وإما استماع معصية .

لا بد أن يكون لهذا التكرار سبب ، ولا بد أن يكون لهذا التناول المستمر من حكمة قصد إليها الشارع الحكيم .

وقد اجتهدنا في معرفة هذه الحكمة ونتمسها من مظاهرها الكثيرة فوجدنا أن القرآن الكريم يتحدث عن بني إسرائيل في مراحل من تاريخهم ، فمرة تباركهم بالمدح وإعلاء الشأن والتنويه بالمكانة .

ففى سورة الدخان مثلاً يقول رب العزة : ﴿ ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين . من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين . ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ (١) .

والعبارة واضحة فى أنهم كانوا يوماً ما الشعب المختار ، وأن اختيارهم لم يكن عن محازفة أو عن إثارة فيه محبة ، بل اختيارهم على علم .

وفى سورة الحاثية يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين . وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ﴾ (٢) .

فبين فى هذه السورة أن الله أكرمهم ومحبهم ورحمهم بميرات أدبية ومادية كثيرة ، والسورتان ، مكيتان .

فى القرآن المدنى نقرأ قوله تعالى فى سورة المائدة : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ﴾ (٣) .

وفى سورة البقرة : ﴿ يا بى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين ﴾ (٤) .

فى القرآن الملكى ، فى القرآن المدنى ، وجدنا هذا الحديث الذى ينزه مكانة بنى إسرائيل ، ويعلى شأنهم . ما السبب ؟ .

السبب أنهم فعلاً بدعوا تاريخهم بداية حسنة فقد احتضنوا عقيدة التوحيد ودافعوا عنها وتحملوا اللاء فى سبيلها وبدلوا جهوداً كثيرة ليقبوا عليها وليعرضوها على الناس ، وتفاوتت صور العرص فبغ العرص الحميل أعلى مدى له فى موقف يوسف من المسحوبين معه ، فإنه أفهمهم من هو ؟ قال هم : إنه من أسرة إسرائيل أو أسرة يعقوب ، إنه من أسرة آمنت بالله

(١) سورة الدخان الآيات ٣٠ - ٣٢

(٢) سورة الحاثية الآيات ١٦ ، ١٧

(٣) سورة المائدة الآية : ٢٠

(٤) سورة البقرة الآية : ٤٧

الواحد ، وصدقت باليوم الآخر ، وكفرت بالوثنيات السائدة ، وإله هو
أحد الدير ورثوا تلك العقائد وعاشوا من أحدها ، يقول يوسف في السجن
لمن رأوا فيه رأياً حسناً

﴿ لا يأتكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتكما
ذلكما مما علمني ربى إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كاهرون ، واتبع ملة آباءى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن
نشرك بالله من شيء (١) .

يعقوب أبوه ، إسحاق جده ، جده الأعلى إبراهيم : ﴿... ما كان لنا
أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر
الناس لا يشكرون ﴾ (٢) .

ثم أحد يهاجم الآهة الوثنية لتي احرعها لناس وعبدوها من دون الله .
﴿ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ (٣) .

يعقوب كان حريصاً على أن يورث التوحيد لأولاده ، ويعقوب هو
الملقب بإسرائيل ، وإبراهيم كان حريصاً على أن يورث التوحيد لأولاده ،
وبعد هذا في القرآن الكريم : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما
تعبدون ، إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية فى عقبه
لعلهم يرجعون ﴾ (٤) أى ورث أولاده وأعقابهم هذه العقيدة .

المعنى بمسه عد يعقوب : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت
إذ قال لبيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم
 وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾ (٥) .

إذن كان هو إسرائيل في صدر تاريخهم من المرحل الأولى من حياتهم ،
كانوا أمساء على دعوة التوحيد ، تحملوا في سبلها المتاعب ، فلما صبروا على
المتاعب التي فرصت عندهم أو احتبروا بها مكهم الله وجعل أقدامهم راسحة

(١)، (٢) سورة يوسف الايتان ٣٨، ٣٧

(٣) سورة يوسف الآية ٣٩

(٤) سورة الرحرف الآية : ٢٦ ٢٨

(٥) سورة البقرة الآية . ١٣٣

في العالم ، وذكر هذا في كتابه عندما قال ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون
بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ (١) .

أى جمعوا بين الصبر واليقين في علاقتهم بالناس وحراستهم للدعوة .
وفي سورة الأعراف يقول : ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارك الأرض ومغاريها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على
بنى إسرائيل بما صبروا ... ﴾ (٢) .

كان الصبر والتحمل ، كان اليقين والإخلاص ، كان الصدق في
معاملة الله ، كان كل ذلك سبباً في أنهم مكسروا ، ثم ماذا ؟ يذكر الله
مرحلة أخرى لبنى إسرائيل .

أساس هذه المرحلة أن التاجر إذا بحج لأنه بدأ عمله في تجارته مشهوراً
بالصدق والأمانة والنظافة والنظام ؛ فإنه لا يبقى مستديماً لجاحه إلا إذا
بقى مستديماً للأسباب التي أنجحته .

أما أن يترك الصدق إلى الكذب ، والنظام إلى العوضى ، والنظافة إلى
القذارة ، ثم ينتظر أن تبقي له تجارته نامية ، أو أرباحه واسعة ، وسمعته
نقية ، فهذا مستحيل .

وبنى إسرائيل لما بلغوا مكانهم التي بغوها بالصبر واليقين ، كان يجب
عليهم أن يستصحوا هذه الاخلاق حتى يبقى لهم تفضيل الله الذي ترو
عليهم ، لكنهم لم يبقوا على هذه لأخلاق ، سرعان ما أخذوا يتحولون .
لكي يبقى الإنسان عائماً في البحر أو سابحاً في الأمواج يجب أن
تضرب أذرعته بقوة إلى الأمام حتى لو عاكسه التيار ، فسيبقى عائماً ،
لكن إذا انكسرت أذرعته ، أو توقف سبحة فسيسقط في القاع !! .

الذي حدث أن بنى إسرائيل تغيروا تغيراً عجيباً ، فلما تغيروا تغيرت
الأوصاف التي كانت لهم وتناولهم القرآن بشكل آخر ، ففي سورة المائدة
يقول الله سبحانه وتعالى عليه ﷺ : ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تقفون
منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون

(١) سورة السجدة الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٣٧ .

قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغصب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ، وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون ، وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ، لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴿١﴾ .

تعبروا إذن ، بعد أن كانوا يؤمنون بالله الواحد ، وبعد أن كانوا يصدقون باليوم الآخر ويستعدون للقائه ، وبعد أن كانوا يحاربون الأصنام ، ويحاصمون أهلها ، وبعد أن كانوا يتحمنون بصبر وجلد الأذى في سبيل الله ، تبهرت هذه الصفات بينهم ، فأصبحوا شعباً غليظ الرقبة ، قاسى القلب ، زاهداً في الآخرة ، مقبلاً على الدنيا .

أخذ القرآن يصف التعير لدى وقع عليهم ، بعد أن كان هناك إيمان بالآخرة ، وصفهم القرآن فقال : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ... ﴾ (٢) .

حب الآخرة يستدعى في أحياء كثيرة أن تنزل عن ثروتك لله لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وهؤلاء يعبدون المال ، وعرف هذا في مسالكهم ، حتى أن الأدب الإنكليزي على لسان أديب الإنكليزية الكبير « شكسبير » عندما كتب روايته « تاجر البندقية » كان يقدم اليهودى التاجر على أنه مراب مصاص للدم لا يرحم محتاجاً ويقرض لا ابتغاء آخرة ولكن طلباً لدنيا يحرص عليها إلى حد الاستماتة !! .

ويندر حقيقة أن التعير الذى حدث في شمائل بنى إسرائيل أو التحول الذى وقع في أحلاقهم كان جذرياً ، بمعنى أنه إلى الآن لا يُعرف في شمائل اليهود أنهم يقودون إلى تقوى ، أو يعرفون الناس بحق الله ، أو يذكرون أحداً بالدر الآخرة !! .

يمكن أن يكونوا عابرة في شئون المال . يمكن أن يكونوا عابرة في

(٢) سورة البقرة الآية : ٩٦ .

(١) سورة المائدة الآيات : ٥٩ - ٦٣ .

شئون السياسة ، يمكن أن يكونوا عباقرة في دغدغة العرائز والإثارات الجنسية وخلق مباريات في عالم الحمال أو عالم الرياضة ، تجعل الشعوب تنبه عن رشدتها ، وتعمد وعيها وتنطلق كالحيوانات المخمونة لا يربطها هدف ولا تشدها عاية نبيلة !! .

يمكن أن ينحج اليهود في هذا كله ، لكن في ميدان الدين والخلق والعفة والروحانية والشمائل الرفيعة والخلق الرقيق أصبحوا لامكانة لهم !! .

فكانت النتيجة أن نُعوا على لسان داود وعيسى بن مريم ، وكانت النتيجة أن قال الله الذي مسحهم المآثر الأولى ومدحهم بما قال ، كانت النتيجة أن عاقبهم على التعير الذي وقع جذرياً في سيرهم وأحوالهم فقال : ﴿ وَإِذْ تَأْذَنُ رَبُّكَ لِيُعَذِّبَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) .

ومن الغباء أن يحسب أهل جيل أن الفلك سُمرٌ ، وأن من ارتفع اليوم ستبقى رفعتة له غداً .

ومن الغباء أن يظن الناس كتاب التريخ صفحة واحدة تبقى ماثلة أمام الأعين .

إن لتاريخ صفحات متتابعة يطوى منها اليوم ما يطوى ، ويشتر منها غداً ما ينشر !! .

هنا ما بُدَّ من أن نفهم العبرة ، العبرة أن الله جل شأنه يختبر بالربعة والوضاعة ، يختبر بالزلزلة والتمكين ، يختبر بالخوف والأمن ، يختبر بالثروة يعطيها وبالفقر يرسله ، يختبر بالضحك والبكاء !! .

﴿ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾^(٢) يختبر بالأميرين ، وعندما يختبر هو عالم مخلقه ، ولكن القاصي لا يحكم بعلمه ، إنما يحكم بين العباد بما يظهر من أمرهم حتى تنقطع الأعدار ، وتحرس الألسنة التي مرست على الخذل ، فإن ناساً سوف يبعثون

(١) سورة الأعراف الآية . ١٦٧

(٢) سورة النجم الآيات ٤٢ ٤٤

يوم القيامة وهم مشركون . ويقولون لله : ﴿ والله ربنا ما كنا
مشركين ﴾^(١) .

فما بد من إقامة الدليل على الناس من عملهم هم .
يعطى المال ويقول لصاحبه : أعطيتك المال لا لأنك عبقري ، لأن
عباقرة يمكن أن يموتوا جوعاً !! لكني أعطيتك مالاً أختبرك !! .

محد اقتصادياً كبيراً مثل (قرون) يقال له : إن الله مَوَّلَكَ ومسحك
اعرف حق الله فيما آتاك ، اتق الله فيما بسط عليك من رزق ، اطلب
الآخرة بما أوتيت في الدنيا ، لا تس الله .

يصيق الرجل بالله وذكر الله ، ورقابة الله وتقوى الله ، ويقول لهم : ما هذا
بعطاء الله ، هذه عقبريتي أ !! ﴿ إنما أوتيته على علم عدى ﴾^(٢) .

هذا المال لم يأتني منحة من السماء دكائى وعقبريتى وتحربتى وحبرتى
بشئون الأسواق والمال هى التى جعلتني كذلك ، فكان هذا الشعور بداية
الدمار الذى طواه !! ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض .. ﴾^(٣)

هذا اختبار سقط فيه رجل من بنى إسرائيل ، اختبار آخر لرجل من
بنى إسرائيل هو « سيمان » اختبار بالسلطة . فإن سيمان وهوى فلسطين
طلب أن يحاء له عرش « بلقيس » وجرى له عرش بلقيس ، ونظر الرجل
العظيم فوجد أن سلطانه واسع ، وأنه أوتى سلطة فى القوة غير عادية ،
فهل اعتر؟ لا ، تواضع لله ، وقال : ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر
أم أكفر . ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنى
كريم ﴾^(٤) .

الحقيقة أنه بالنسبة للأفراد أو بالنسبة للجماعات ، كلما يختبر ، وثق
أبها الإنسان أن حطت من أقدر الله كبير ، وأن مالك من جهد محدود !!
وأنك إذا كنت حسن انصوت فلأن الله رودك بأوتار لم يرود بها غيرك ،
وإذا كنت واسع الدكاء فلأنه رودك بكداً فى تلافيف المحم يرود به غيرك !

(٢) سورة القصص الآية : ٧٨

(٤) سورة النمل الآية ٤٠

(١) سورة الأنعام الآية . ٢٣

(٣) سورة القصص الآية - ٨١

وإذا كنت ، وإذا كنت .. ما من شيء تسمير به في حقيقتك إلا وهو عطاء أعلى لا دخل لك فيه ثم تختبر بعد ذلك في هذا الذي أعطيته اختباراً دقيقاً ، ترى أترد الفصل لصاحبه وتعرف الحق لله وتقف موقف العبد الذي يستحي ممن منحه أن يبذل نعمه في معصيته أم ماذا تكون ؟
هذا بالنسبة للأفراد ، وكذلك بالنسبة للدول والجماعات .

هل قص الله علينا قصص بني إسرائيل تسليية للمسلمين ؟ لا ، إنما هو توعية للمسلمين ، كأنه سبحانه وتعالى يقول للمسلمين : هذا تاريخ من سبق ، يقرأ عليكم وحيأ معصوماً ، وتتلوه في الصلوات وفي محالس الرحمة قرآنًا يذكر الناسين ، ويوقظ الغافلين ، لكي تتعلموا .

فهل تعلمت الأمة الإسلامية من تاريخ بني إسرائيل أن تستبقي أسباب المدح وأن تستبعد وسائل القدح ؟ .

مرة أخرى ، وفي محبة من محبي إسرائيل تألم اليهود وقالوا لموسى : ﴿ ... أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ (١) .

هذا كلام خطير ، كأن موسى يقول لقومه قد تستخفون ، وعندما تستخفون وتمكوب بظفر الله ماذا تعملون ؟ هل هذا الكلام قيل لبني إسرائيل وحدهم ؟ لا ، نجد في سورة يوس أن الله سبحانه وتعالى يقول للمسلمين : ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا يؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ، ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ (٢) .

الكلام واحد للفتتين ، الكلام واحد للجسين ، الكلام الذي قيل للحسن العبري من ثلاثين أو أربعين قرناً قبل للحسن الإسلامي أو للحسن العربي من أربعة عشر قرناً .

وإنما نتساءل كيف هوى اليهود ؟ هؤوا بحب الحياة ، هؤوا بالحرص على المال ، هؤوا من شاهق لأهم لم يأمرؤا بالمعروف ولم يهؤوا عن المنكر ، هؤوا من شاهق لأن الشخصية الدينية التي تميرؤا بها وكرمؤا من أحبها تلاشت في حلالهم وامتحت من خصالهم ! .

وص الحمقى أن صده أخرى ربطهم بالله هي صلة النسب للأنبياء ، فهم

(١) سورة الأعراف الآية ١٢٩ .

(٢) سورة يوس الآيتان ١٣٠ ، ١٣١ .

كما يقولون أباة الأنبياء وأباة الأسياط ، ولا شيء من هذا له قيمة عند الله ؟
نظر إلى المسلمين فوجد فعلاً أن الأمة الإسلامية في عصرنا هذا تخالف
العصر الأول .

في العصر الأول لما نزل قوله تعالى : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ . . ﴾ (١) سارع جمهور الناس إلى توقيع العقد ، بل قالوا . نعمت الصفقة . . نفوس هو خالقها وأموال هو رازقها ، يأخذ هذا ما يعطيا عليه الجنة ! .

نعمت الصفقة . هو المتفصل أولاً والمتفصل آخراً ، نظر إلى المسلمين الآن ، فمادام يجد ؟ يجد شيئاً آخر ، يجد حياً غريباً للحياة ، حياً ديباً للحياة ، حرصاً غريباً على المتع ، دهولاً عن الإسلاميات التي شرف بها الأولون ، العرب الأولون . ما كانوا يشرفون إلا بالإسلام ، أما الآن : فإن اسم الإسلام يوشك أن يحتفى ، والأمة تحب المال والمتع ، وعُرف هذا في تصرفاتها على نحر غريب ! كيف ؟ .

يقول أعداء الإسلام لأنفسهم: ما يجد الأمة الإسلامية في وضع أبعد لها عن الله ، وأناى عن تعاليم دينها منها في هذا العصر !

ويقول علماء القانون : إن القانون لا يحمي المعفل ! .
حدث يوم كانت القدس في سلطة الأردن صدرت أوامر للمسيحيين في القدس أن يشتروا الأرض من المسلمين ! كيف ؟ قيل لهم اشترؤا بأى سعر ! إذا كان المتر بمائة جنيه فادفعوا ألفاً ! .

وهذا شيء يومر الكثير على العالم الصليبي ، إن العالم الصليبي ظل مائتي سنة في العصور الوسطى يحارب من أجل الاستيلاء على القدس ، وبدل في هذا ملايين القتلى ، وبدل في هذا قناطير مقطرة من الذهب ! .
فإذا وجد المسلمين قطعاناً بلهاء تعيش في القدس يمكن أن يشتري من أى مسلم أرضاً !

يرى المسلم أن بيته الذى ورثه يساوى ألف جنيه ، يعرضون عليه مائة ألف ! فيبيعه ! .

ووجد العلماء أن الأرض الإسلامية تتحول إلى أرض صليبية بثمان مائة دراهم معدودة ، فأصدر علماء المسلمين الفتوى هناك بأن من باع أرضه لصليبي فهو مريد عن الإسلام ! .

(١) سورة التوبة الآية : ١١١ .

القدس التي حاول هؤلاء الاستيلاء عليها في قتال ظل مائتي سنة يراد
الآن أن تؤخذ بغير قطرة دم ! لماذا ؟ .

أمة تحب المال ، وأنا أعلم أن شراء الأرض في فلسطين مرّ بأدوار ،
هناك أفنديات ورثت اقطاعات صحمة ما رأتها ، باعت الأرض لليهود
فحولوها إلى مستعمرات عسكرية ! وهناك من باع أرضه طلباً للمال
وحده ، وهناك مؤمن أعطشت أرضه حتى بارت وهو حريص على أن
لا يبيعها ! الناس مختلفون .

الذي حدث عندما دخل اليهود فإن الشمس الذي دفعوه للأرض أحبوه
من اللاجئين والمهاجرين ، أخذوا كل سوار من ذهب ، وكل حلية تحملها
امرأة ، أو رجل ، واستردوا المال الذي دفعوه للأرض ! القانون لا يحمي
المعطلين !

وإذا كانت الأمة الإسلامية في أماكن كثيرة يقال لبعض الصليبيين فيها
اشتروا الأرض في مكان كذا ، فإن هذا مقصود منه تحويل دار لإسلام إلى
دار كفر أو أرض الإسلام إلى أرض كافرة ! .

وهذا نوع من حب الدنيا الذي قال فيه نبينا ﷺ : «يوشك الأمم أن
تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل . ومن قلة نحن
يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكم غناء كغناء السيل ، وليسر عن الله
من صلور عدوكم المهابة مكم ، وليقدفن الله في قلوبكم الوهن . فقال
قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » (١)

حب الدنيا .. ناس تبيع أرضها لأجل مال ، رأيت أموالاً كثيرة
نحوت إلى أطعمة في بطون الآكبر ، ثم تحولت إلى فضلات في المحارى ، ثم
مات أصحابها ودفنوا في مزبلة التاريخ ! ثم تنتظر جهنم أولئك جميعاً إلى النار
وبئس الفرار ! .

أهذا تصرف ترضاه أمة لنفسها ؟

إن الله سبحانه وتعالى حكى لنا تاريخ اليهود في أحوالهم لكي نتعلم أن
أمتنا عزها في الإسلام ، وفي إرضاء الله ، وفي أداء حقه سبحانه وتعالى ،
فإذا تنكرت لكتائبها وسنة نبينا ﷺ وعشت لشهواتها وأهوائها فلن تحصد
من وراء ذلك كله إلا الضياع .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

(١) رواه أبو داود في الملاحم باب في نداعى الأمم على الإسلام ، حون الميود
٤٠٤/١١ ، ٤٠٥ وأحمد ٢٧٨/٥ .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ^(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق أمين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

أيها الإخوة .. ألقت النظر إلى أمر ما يجور أن يسي : هذا العصر عصر الأديان ، هذا العصر الذي يعيش فيه ، عصر نمسك أصحاب الأديان بأديانهم ، بل أكاد أقول إنه العصر الذهبي للأديان كلها ما عدا الإسلام ! .

فإن اليهودية من ثلاثين قرناً ، من ثلاثة آلاف عام ما كان يمكن أن تكون لها دولة أصبحت لها دولة ، هذا عصر ذهبي لها ، حتى الهندوكية التي تقدر الأبقار وتحترم القرود هي في عصرها الذهبي الآن .

كل صاحب دين يذكر دينه ويملاً فمه به ، لكن وجدت أن مؤامرة عالمية إعلامية تتوابع بأن يسي العرب الإسلام ! العرب بالذات ! .

فمثلاً نسمع إداعات أجنبية تقول : إن الخط الفاصل بين الشطر المسيحي لبيروت والشطر الإسلامي لبيروت حصل فيه كذا وكذا فهي تذكر المسيحية والإسلام .

أما الإداعات العربية فتكلم عن المسيحيين بوصف أنهم يميئون .. انعزاليون وكيت وكيت .

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٠ ، ٢٦٠

أما الوصف الذي يطهرون به ويعتزون به ، ويعرفون به فلا يراد
إظهاره ، لماذا ؟ يجب أن يعرف هذا .

نذكر قصة أيرلندا الشمالية و إنجلترا بطريقة معشوشة .
المعروف أن السجين الذي مات متحرراً بعد أن ظل حائماً ستة أسابيع
أو تسعة أسابيع وهو يرفض أن يتناول طعاماً إلا ما يعدي به عن طريق
الحقن . هذا كاثوليكي . والكاثوليك هم الذين يقومون بالثورة ضد
إنجلترا ، وأنا أسمع اليوم أن بروتستانت في إنجلترا أقاموا قداساً في كنيستهم
الكبرى ذكروا فيه القتل الذي سببته دمهم الجيش الجمهوري الإيرلندي
الكاثوليكي .

حرب ديبية بين البروتستانت الحاكم والكاثوليك الذين يريدون الحكم ،
لكن يطوى هذا حتى لا يفهم المسلمون أن الناس تتمسك بأديانهم .

« ساحم بيحس » وهو رجل بولندي كذاب جاء إلى الأمة التي
لا وارث لها والأرض التي لا صاحب لها وأحد فلسطين ، يريد أن يقول :
إن تحالفاً بين اليهود والمصري هو الذي يهيئ الصراية في لبنان . والرجل
كاذب بدهة .

الصراية في لبنان قائمة منذ أربعة عشر قرناً ما أهلكها أحد ، وكان
المسلمون يستطيعون إهلاكها ، ولكن أبوا تكرباً ، لماذا لا يذكر هذا ؟

والنتيجة أن الأمة الإسلامية يراد أن تنسى ولأعها لديها فيما عابد البقر
يتعصب لديه ، وتابع كل دين أرضي أو سماوي يتمسك بدينه ، وبطريقة
ما يراد أن ينسى المسلمون دينهم أو عوائده أو تربيته ، لماذا 11 ؟ .

إن أمتنا يجب أن تكون أكثر يقظة وأكثر صحوة
الواقع أني أنظر إلى أحوال المسلمين في عوصم كثيرة ، وأرى شيئاً
عريباً . فلسفة الرجل أو فلسفة كرة القدم ، فلسفة قدرة ، أي فلسفة في
كرة القدم ؟ ومع هذا فإن من الكويت وأخضع إلى القاهرة عشرات
الألوف من قطعان الأعمام تنطلق هيا وهياك بحون ! .

هذا هو ولعب ، فكيف تصيب صلاة الجمعة وصلاة العصر ، وصلاة

المعرب من أجل أن مائة ألف يتخرجون على ملعب كرة ؟ هذا أمر عجيب ١١ .

اليهود يرفضون لأنهم يقدسون السبت أن تنتهك شرائع السبت ، بينما الأمة الإسلامية ببساطة تنتهك شرائع الجمعة وشعائرها لأنها تريد أن تنع ! أخذت ضماناً من القدر بأن سسه الكوبية لا تتأثر من اللاهين والاعيين ؟ هذا مستحيل ، وفي حديث : « إن الله عز وجل يحل يميني للطعام فإذا أحده لم يفته ، ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ (١) .

على المسلمين أن يصحوا حتى يدركوا أن فهمهم لديهم على هذا النحو انتحاهل لا يقدمهم إلا إلى الدبح وإلا ليكونوا علماء للدفاع الأقوياء !! وعندما أنظر إلى أمتنا وهي تائهة في هذا الخيال ، أسمع كلاماً عربياً ، يأتي إلى سائل آرر أبو إبراهيم أم عمه ؟ كلب أهل الكهف من رُمست أم من الخلترا ؟ سماع القرآن من الإداعة حلال أم حرام ؟ .

يعنى الأمة الإسلامية تشعل نفسها بأمور تحتاج إلى أن تراجع فيها قلبها وعقلها ، فبها إذا مصت في هذا الطريق فإنما تمضي إلى قبرها لا إلى بصرها ! إننى أنة المسلمين إلى أن يجدوا فإن الأيام لا تلعب !

« اللهم أصح لنا دينا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصح لنا ديننا الذى فيه معاشنا ، وأصلح لنا آخرة التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (٢) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٣) .

عبد الله . ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٤) . أقم الصلاة .

(١) رواه البخارى فى التفسير - تفسير سورة هود - ٩٤/٦ ومستم فى كتاب البر باب تحريم الظنم

١٩٨ و بن ماجة باب يعقوبات ٣٣٢ ٢ ولاية قم ١٢ من سورة هود

(٢) رواه مسلم والنسائى وأحمد (٣) سورة بقره الآية ١٠

(٤) سورة بقره نحل الآية ٩٠

القمة الأولى في تاريخ البشرية !!

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فقد استحرت الله تعالى ، ورأيت أن أجعل خطب الجمعة في شهر ربيع كنه حديثاً عن السيرة النبوية ، وإبراراً للشمائل المحمدية .. قلت ذلك شيء نراعم به أعداء الله ، وحصوم النبوة الخاتمة . فإن الاستعمار شرفه وغريبه ، وإن ستماسة الاستعمار عرباً أو غير عرب ، يظنون الإسلام ديباً خارجاً على القانون ، ويظنون المسلمين أمماً متخلعة ينبغي التخلص منها ، ويظنون النبوة الخاتمة نبوة دعوية آن الأوان ليسهاها الناس !!! .

ما بدّ في وجه هذا الافتراء العليظ ، وهذا الادعاء الكدوب .. ما بدّ من أن نجو الحقائق ، وأن نوضح لباس ما هو الجهاد المحمدي ؟ وما هي أبعاد الشخصية الكبيرة التي تفردت في تاريخ الإنسانية كنه .. تفردت على أساقمة شماء تؤجها الحلال والمحد ، ويسعى أن يعرف الناس حقيقة هذه النبوة ، وقتلها العالي .

ولنبداً بتلاوة الآية الكريمة :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) .

كلمة الصلاة هنا تعنى مزيجاً من الشاء والمحبة ورفع الشان والدرجة .. ولذلك قال العلماء : عُدِيت بـ « على » يصلون عليه : يشون عليه ، ينوهون بعظمته .

وهذه الكلمة وردت بالنسبة إلى أعمال صالحة قام بها أصحابها فاستحقوا بها الصلاة وبالنسبة إلى جمهور المؤمنين عموماً .. فمثلاً الذين يصرون على مصابهم ، ويتحملون بجلد بلواهم .. هؤلاء لا يحرمون من عناية القدر وعطاه ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾^(٢) .

الذين يخرجون الحق المعلوم ، ويكتبون وساوس الشيطان التي تأمر بالبحل والكرارة ، ويسطون أيديهم بالعطاء تفرجاً بالكرب ، ودعماً للجهاد .. هؤلاء أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يأخذ صدقاتهم ، وأن يصلى عليهم ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾^(٣) .

أى يجب دعاءك لهم وصلاتك عليهم .

ورب العالمين يحب أهل الإيمان ، ويتولاهم بالسدد والتوفيق ، تحبط بهم فى الدنيا ظلمات شتى .. فهو يخرجهم من الظلمة ، ويسط فى طريقهم أشعه تهديهم إلى العايه الصحيحه ، وترشدهم إلى الطريق المستقيم .. هذا المعنى فى عمومه ذكرته الآية : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ...﴾^(٤) .

ثم جاءت آية أخرى تقول : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٦

(٢) سورة البقرة الآيات ١٥٦، ١٥٧

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٣

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٧

ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً ﴿١﴾ .

لكن الصلاة التي يستحقها الصابرون على مصائبهم ، والصلاة التي يستحقها المؤتون لركواتهم ، والصلاة التي يخرج بها أهل الإيمان من الظلمة إلى الصوء ، ومن الخيرة إلى الهدى . هذه الصلوات كلها دون الصلاة التي حص الله بها نبيا محمداً عليه الصلاة والسلام ، لماذا؟ لأن صلاة الله وملائكته على سبه محمد ﷺ تنويه بالجهد الهائل الذي قام به هذا الإنسان الكبير كي يخرج اساس من الظلام الذي أطبق عليهم في القارات كلها ، وشرّد حطوهم ، وأفسد بالهم وأصاع لهم ، وجعلهم سواء كانوا أتباعاً لأديان أرضية أو سماوية - لا يعرفون قليلاً ولا كثيراً من هدايات الله . بل إما صدوا ضللاً بعيداً ، وإما شاب هدام من السموم والأوبئة ما يجمعه شراً لا خير فيه !! .

إن ظلمات القطبين لا تستطيع شكات الكهرباء بمصابيحها المحدودة أن تزيجها ، ولا أن تبدد عماها !! .

إن ظلمات القطبين تحتاج إلى كوكب كالشمس تتعرض به فيبدد العيرم ويذهب الكسف المتراكم !! .

وكذلك العالم ما كان يمكن أن يهتدى أو أن يرعوى أو أن يرشد إلى الحق ويعرف طريقه ولو تحمل ذلك ألف داعية وألف مفكر وألف فيلسوف ، كان أولئك جميعاً سيوعون بالعجز ، ويرجعون بالخزيان .

إما الذي يستطيع تنديد هذه الجاهليات ، وإذهاب تلك المظالم والظلمات ، هو الإنسان القد الذي اختاره الله ورباه على عينه وقال له : ﴿... فإنك بأعيننا ...﴾ (٢) .

هذا الإنسان هو وحده الذي كان يستطيع أن ينقل العالم أجمع من الضلال إلى الهدى !! .

أكد هذا المسمى قوله جل جلاله : ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل

(١) سورة الأحزاب الآية : ٤٣

(٢) سورة الطور الآية : ٤٨ .

الكتاب والمشركون متفكين حتى تأتيهم البينة ﴿١﴾ .

ما كان أهل الكتاب ولا كان المشركون يسمعون عن ضلالهم ،
يمارقون غوايتهم وحيرتهم وعوجهم وشرودهم ، ما كانوا يستطيعون
الانفكاك من مواريث العفلة وتقاليد العمى ؛ إلا بعد أن جاء هذا النبي
الكريم ﷺ وأخذ يحمل حملاته الصادقة على تقاليد جاهلية ومواريثها
الرائعة مسترشداً في ذلك كله بالوحي الذي ظل يرسل عليه قرابة ربع قرن .
﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم
البينة . رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة . فيها كتب قيمة ﴾ (٢) .

فيها مكتوبات ذات قيمة ، قيمتها من أنها هي الحق الذي لا ريب فيه ،
هي الصواب الذي لا حصة معه ، هي الظاهر الذي لم يلوث بأهواء الأرض
ولا إفك البشر ولا شهوات الصائعين المحرومين من معرفة الحق !! .

كان ذلك السبى كما قرر ذلك المصنفون الذين لم يتبعوا دينه ، ولكم
درسوا تراثه قالوا : « إنه القمة الأولى بين عظماء الناس !! » .

والمؤلف الأمريكي (٣) الذي ذكر مائة من قمم التاريخ ومن عظماء
الخلق والذي جعل القمة الأولى في هؤلاء العظماء محمداً عليه الصلاة
والسلام كان هذا المؤلف رجلاً ملهماً صادقاً عادلاً .

المقياس الذي وضعه لهذه العظومات المحتملة وترجيح عظيمة على أخرى
هو : مدى التغيير الذي أحدثه هذا العظيم في دنيا ، ولقد وازن ، ثم بعد
مواربات عميقة ودقيقة ، انتهى إلى أن الأثر الروحي والفكري والخلقى
والسياسي والحصارى الذي تركه محمد عليه الصلاة والسلام في العالم ليس
له نظير أبداً !! .

ومن هنا اضطر مع مقدمات العقل والمنطق ، ومع موارد الإنصاف
والعدالة أن يقول : إن القمة الأولى في العالم هي محمد عليه الصلاة
والسلام .

تغيير حاسم تركه هذا النبي في العالم .. تنعت عناصر هذا التغيير ،

(١ ، ٢) سورة البينة الآيات ١٠ - ٣

(٣) المؤلف الأمريكي هو مايكل هارت وكتابه : « مائة . تقويم لأعظم الناس أثرًا في التاريخ »

وقد نشر هذا الكتاب في مصر بعنوان « الخالدون مائة »

وأخذت أتأمل فيها وأتروى في عرصها ، فوجدت عدة عناصر لا بأس أن
أحدث عنها بإجمال .

العنصر الأول : رفض النبي عليه لصلاة والسلام أن يتعرف عظمة
الخالق بالتأمل في ذاته ، فإن معرفة ادات العليا باكتشاف هذه ادات
مستحيل ، بل إن معرفة الروح الإنساني مستحيل .

قد أحفظ لقرآن ، أين هو من دماغى !!؟ أين مكان الذاكرة ؟
لا أدرى ، فإذا كان الإنسان لا يدري ما حقيقته هو فكيف يعرف حقيقة
من نفع من روحه في ملايين الخلق !!؟ .

الآن خمسة آلاف مليون من الخلق تتحرك على ظهر الكرة الأرضية
كل له عقل ، كل له فؤاد ، فيه أياأس والرجاء ، فيه الحزن والفرح ، فيه
الإقبال والإدبار ، دحك من هذا الحسد وما يحتاج إليه هذا الحسد في دورة
الدماء ، وفي تنفسه بين الحين والحين ، وبين حاجته إلى الإمداد المستمر ،
دحك من هذا كله ، فإن الأرض وما عليها تكاد تكون صمراً في الكون
الكبير !! .

إذا كان الإنسان أعجز من أن يعرف نفسه فكيف يعرف حقيقة
الله !!؟ .

إنما يستطيع أن يلمح شعاعاً من عظمة الوجود الأعلى عندما يتدبر في
الكون ، ويتعرف على عظمة الخالق من عظمة المخلوق ، وهذا هو ما انفرد
القرآن الكريم به ، فليس في الدنيا كتاب كالقرآن تحدث عن الملكوت
وآفاقه ، وعن المادة وأسرارها ، وعن القوانين التي تحكم هذا العلم ، ثم من
حلال هذا عرّف الناس بربهم !! .

هذا شيء لم يعرف في كتاب ديبى ولا مدنى قبل كتاب محمد عليه
الصلاة والسلام : ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل
الظلمات والنور . . ﴾^(١) ﴿ إن الله فالح الحب والنوى يخرج الحى من
الميت ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون ، فالح الإصباح

(١) سورة الأنعام الآية : ١

وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حساباً ذلك تقدير العزيز
العليم ﴿١﴾ .

بطرة في الكون . ﴿ فائق الحب والنوى ﴾ من سوة ترميها بأصبعك
على الأرض فتدخل القدرة العليا في هذه السواة ، فإذا حلة تتكون يصعد
عليها عدة أشخاص فتحملهم !! .

من فلق السواة عن هذه السحلة ١١٩

من فلق السحلة عن هذه السنابل ولوز القطر وغير ذلك ١١٩
وهذا من عجائب الكون في الرراعة وحدها .

نظرة أخرى ﴿ فائق الإصباح ﴾ الصوء يشق الطلام ، وكيف
يشق الصوء الطلام ؟ أثر أصابع القدرة وهي تدفع بالكواكب شرقاً
وغرباً ، وتحرك هذا الكون الذي وصفه فلكي كبير بأنه كون راقص !!

كل شيء فيه يتحرك ، ومع الحركة شروق وغروب ، ومع هذه
الحركة يعلق الليل عن الصبح وتظهر الصحوه الكبرى !!! .

هذا نموذج في كتاب مشحون بالكلام عن الكون

أعرب ما يؤسف الإنسان أن الكتاب المشحون بالكلام عن الكون ،
وأن الكتاب الذي قال لأتباعه : هذا الكون يدل على الله ، وهو في الوقت
نفسه مسخر لكم ، ترتفعونه وتتمعون بحيرات الله الظاهرة والباطنة فيه :
﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبع
عبيكم نعمه ظاهرة وباطنة ... ﴾ (٢) .

كان المفروض أن يكون المسلمون أسبق الناس إلى غزو الفضاء
بتوجيهات هذا الكتاب ! ولكن المسلمين سَكِرُوا بحمرة السطحة حياً ،
وحمرة الترف والدنيا المنقلة حياً ، وحمرة العفة والعناء في فهم النصوص
حياً وحمرة السطحة التي تمشي وراء اللفظ ولا تعرف أنه وعاء للمعنى !!
كل هذه الحمول جعلت الأمة الإسلامية في وضع تنظر فيه إلى عراة الفضاء

(١) سمع الأعمام لأجاب ٩٥ ، ٩٦

(٢) سورة لقمان الآية ٢

وكأنهم جن ١١ بل بعضهم يستنكر أو يستعرب لأنه لا يدري عن الكون شيئاً ، ولم لا يدري عن الكون شيئاً ١١٩ لأنه لا يعرف عن الكتاب شيئاً ، إنه لا يدري عن القرآن شيئاً ، ذلك الكتاب الذي فجر الطاقة الإنسانية في البشر ، هذا الكتاب ذهل عنه أهله .

العصر الثاني :

لترك هذا العصر ولنتنظر إلى عصر آخر .

تحدث هذا الكتاب عن الإنسانية كعصر متأسك يتورع عليه اليوم والأمس والعد .

نظر القرآن إلى الماضي فأخذ يسوق قصصه ، ويرجي عبره ، ويسرد أمام أعين ما كان من الأحيال الماضية والقرون العابرة لتعلم من تحارهم ويستفيد مما وقع لهم ، وكان أعرب ما أظهره في هذا : أن الحضارات المترفة تنفصح ، وأن المدنيات العائثة تزول ، وأن أنصار الحق وإن بدوا ضعافاً ، فإنهم يسمون في مغارسهم كما تنمو الشجر في معارسها ، لو دسها بقدمك أول ما تبت لماتت ، ولكها تظل تنمو وتنمو حتى تتحول أشجاراً باسقة ، لو ركبها عدد من الناس لحملتهم ١١١ .

ثم أهل الباطل الذين يبدعون طعنة جارية ولا ترال الأيام تلح عليهم ورس الله تعمل عملها ضدهم حتى تجعلهم تحت الرغام ١١١ .

﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ (١) .

الصراع بين الهدى والضلال ، بين الحق والباطل اتسعت له قصص الأنبياء ، وقصص المصلحين في كثير من سور القرآن الكريم

وتوفيت وأنا أعجب أمام بعض الآيات التي لاحظت فيها كلمات صارمة ، ما تكون إلا من رب العزة ، يقول الله لنبيه ﷺ في سورة الأنعام ، والنبى ﷺ مشتبك مع بعض أعدائه في صراع حياة أو موت ، ورسالة الإسلام ملتزمة في ميادين شتى بين أتباع صغاف ، وصلال أقوياء يريدون إشاعة الفسنة ، وتأجيج الشر والجاهلية يقول الله له محمد ﷺ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا

(١) سورة هود الآية : ١١٧

ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴿١﴾ .

كلمات الله هنا قوايه الكونية التي سطرها في الأزل ، فهي كتاب العلم الإلهي ، ليست كلمات الله هما كلمات القرآن الكريم لا ، إنما المفصود كلمات لإيجاد والإعدام والرفع والخفض ، والإعزاز والإدلال ﴿ لا مبدل لكلمات الله ﴾ لا بد أن تخضع الرسائل لهذه الأطوار التي يتم فيها صهر المؤمنين وإنصاف الكافرين ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ... ﴾ (٢) .

لا بد من هذا التراخي ﴿ لا مبدل لكلمات الله ﴾ ثم يقول له : ﴿ وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبغى نفقاً في الأرض أو مسلماً في السماء فتأتهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ﴾ (٣) .

وقفت عند الكلمة الأخيرة ويكاد شعر رأسي يقف !! ثم وجدت أن رب العالمين مخاطب أعزاً لحمد ﷺ من قبل هذه اللمعة الصارمة ، عندما قال نوح : ﴿ ... رب إن انسى من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعطيك أن تكون من الجاهلين ﴾ (٤) .

لرب العزة أن يتناول عباده - من الأنبياء فمن دونهم - بما يريد من أساليب التزكية والتأديب والتربية والتعليم !! .

وهذا مسلك يدل على أن القرآن ليس من عند محمد ﷺ أبداً ، إنه من عند رب محمد ﷺ الذي يقول له : ﴿ فلا تكونن من الجاهلين ﴾ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ (٥) .

(١) سورة الأنعام الآية : ٣٤

(٢) سورة الأنعام الآية : ٤٢

(٣) سورة الأنعام الآية : ٣٥

(٤) سورة هود الآيات : ٤٥ ، ٤٦

(٥) سورة يوسف الآية : ٣

هذا رب محمد ﷺ يتحدث إلى محمد ﷺ ، وهذا كلام رب العالمين الذي يجب أن نستمع له وأن ننتفع به .

عصر ثالث: يتصل يوم الناس هذا ، هذا العصر هو كيف يعيش يوماً ؟

كان اليهود يقولون : الجنة حكر علينا وحدنا !!

كان النصارى يقولون : الجنة حكر علينا وحدنا !!

وجاء الإسلام يقول : لماذا يحرم الجنة من أسلم لله وجهه وأخلص له قلبه وأحسن له عمله !!؟

ما ينبغي أن يحرم ، ولذلك لما قالوا : ﴿ ... لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (١) .

إنني أغتاظ أحياناً عندما يحىء السطحيون فيسألونني عن أمور لا قيمة لها ، قلت : وددت لو سألتهم كيف تُشيع الأمانة بين الناس ؟ كيف يجعل كل امرئ يتحمل مسؤوليته ؟ كيف يتراحم المؤمنون ويسوق بعضهم الخير إلى البعض الآخر ؟ كيف ينسلحون عن الأمانة التي تجعل الواحد مما يدور حول نفسه ؟ .

شيء آخر .. مستقبل الإنسانية .. إن القرآن الكريم يتحدث كثيراً عن الغد الذي نريغ منه ، لا نفكر فيه ، يتحدث القرآن عن الآخرة ، وحديث كثير من المتدينين عن الموت والآخرة يحتاج إلى مراجعة .

إنهم يفكرون في الحسد وحده ، يقولون لك : القبر مكان الظئمة .. مكان اللود . هذا مكان الحسد . أعجبني وأنا أحدث أحد الناس عن شهيد للإسلام في هذا العصر فقال لي في هدوء وثقة : لعنه الآن يسبح في أهار الجنة !! لعنه الآن يمرح في طلال المعيم !! لعنه الآن مستريح في حوار ربه يبقى من الرضا ما تقر به عينه أو ما لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر !!

(١) سورة البقرة الآيتان : ١١١، ١١٢

قلت له : أحسست .. هذا هو الجواب .

إن الحديث عن الدار الآخرة كما وصحه الإسلام ، ما يتناول القبر هذه الطريقة ، وإنما يتناول الروح ومستقبله عند الله ، ويعرض حواراً بين مسلم مؤمن بالآخرة وبين شيوعي أو وحدى أو مادي ، سواء كان من عرب أوروبا أو أمريكا أو أى بلد في العالم .

والمادية الآن لها شقان : شق مسند شيوعي ، وشق ملحد آخر يدعى أنه من أتباع السيئ ، ولا سوة له ولا صنة له بالسما : ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم إني كان لي قرين . يقول أنك لمن المصدقين . أتدا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ﴾ (١) .

أين هو ؟ ﴿ قال هل أنتم مطلعون . فاطلع فرااه في سواء الجحيم ﴾ (٢) .

أى في وسط الجحيم .. في وسط النار .. في قعر جهنم .

﴿ قال تالله إن كدت لتردين . ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ﴾ (٣) .

هذا القرآن ، بحديثه عن الكون ، بنصصه التاريخي عن الأوائل ، بوصفه للمسلكت المستقيم في يوم الناس هذا ، بإعجاده لليوم المشهود يوم اللقاء ، بهذا غير محمد ﷺ وجه الدنيا !! .

وبعد أن كان التوحيد مطارداً ، أو مجهولاً هنا وهناك ، وطأ له الأكناف ، وفتح له الآفاق ، وجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، بالعم ، بالخلق ، بالأسوة الحسنة .

وما وضع سببه إلا يوم وجد ناساً يعلقون الأفواه المؤمنة ، بمنعومها الكلام ، أو يفتنون الصعاف بمنعومهم الإيمان ، عمدت وضع سببه لكسر القوة ومنعومها من أن تقيد العقول والضمائر ، إذا كانت في الأرض فراغة تقول للمؤمنين مقالة فرعون القديم ﴿ .. أمستم له قبل أن أذن لكم ... ﴾ (٤) .

(١)، (٢)، (٣) سورة الصافات الآيات من ٥٠ إلى ٥٧

(٤) سورة طه الآية ٧١

سبحان الله ولماذا تُستأذن حضرتك !!؟

من الذى سيطط على الضمائر ، وملكك مفاتيح القلوب !!؟
لا ، لن نقولها ، وسيقطع عنقك قبل أن نقولها !! .

هد ما فعله محمد عليه الصلاة والسلام لأنه نبي المرحمة ، ونبى
الملحمة ، نبي الدليل يعرضه متألقاً يشرح الصدور ، ونبى السيف إذا
جاء من يعترض الحق ويقول لمن اعتنقه: لا تعنقه ، أو يقول لمن عرف
حجته: لا تذكرها لأحد !! .

يقول له : لا .. سيسير الحق مقتحماً العقبات ، ومزيجاً العوائق ولو
أدى ذلك إلى أن تُسفك دماء الفتاين والماجرين .

قمة تفردت في العام كله من أزله إلى أبده في التاريخ القديم ، في التاريخ
الوسيط ، في التاريخ الحديث !!.

لا توجد قمة بشرية تفردت بأعلى الشمائل ، وأحلى الأخلاق ،
وأتعب الجهاد واستطاعت أن تقيم أعدل الحضارات وأركى المدينات ، ليس
إلا هذه القمة التي توجهها الله بالطهر والعفة والجمال ، وسميت في التاريخ
البشرى محمد بن عبد الله ﷺ .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ... الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون. ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿١﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

عباد الله .. أوصيكم ونفسى بتقوى الله عز وجل ، واعلموا أيها المؤمنون أن العالم الإسلامى الآن يفتتح القرن الخامس عشر الهجرى فى ظروف عصيبة وأزمات رهيبة ، وقضايا دقيقة ، ولكن مفتاحها وإن زعم الشرقيون والعربيون أنه لديهم فهو لاء وأولئك كذبة - إن مفتاحها بين أيدينا نحن !! .

فى الوقت الذى تُعبر فيه روسيا على أفغانستان ، والذى يغير فيه أتباعهم على المسلمين فى سوريا ، والذى يتعرض فيه المسلمون فى بقاء شتى للترويع ، فى هذا الوقت أحب أن أقول : إن المفتاح بين أيدينا نحن ، إذا تجمعنا واستندنا إلى ربنا واستمددنا منه واعتمدنا عليه وواجهنا عدونا بقوة .

إن آلام المسلمين لا تزال تتبع من أرضهم لا من عدوهم ، وإن شاء الله فى مساء اليوم سيعقد مؤتمر أرجو أن تحضروه لتتحدث فيه عن حقيقة الموقف فى أفغانستان ، عما يجب لأولئك المجاهدين من نصره فى أعناقنا .

(١) سورة الشورى الآيتان : ٢٥، ٢٦

« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا ديارنا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إياها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر »^(١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾^(٢)

عباد الله : ﴿ إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(٣) .

أقم الصلاة

(١) رواه مسلم والنسائي وأحمد

(٢) سورة الحشر ١٠

(٣) سورة النحل الآية ٩٠

هجرة وهجرة

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص
رضي الله عنه

في ١٩٧٣/٢/٢

الحمد لله رب العالمين ، واعاقبة لمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو
على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ،
والسراج المبر .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، التابعين
« أما بعد .. »

فإنه في العد أو بعده سيطع هلال المحرم ويبدأ العام الثالث والتسعون من
القرن الرابع عشر للهجرة ، وكان التاريخ الهجري هو التاريخ الفري الذي
نسجل به وقائعنا ، ونثبت به أحداثنا ، ونرتب عليه شؤوننا حتى زاحم
التاريخ الفري وزحرحه عن مكاته ، ومارال به حتى جعله تاريخاً ثانوياً ،
وجعل الهجرة وما يتصل بها أحفالا شكلية يحتشد الناس فيها بأجسادهم ، ثم
ينصرفون عنها ، وقد سبت الهجرة وصاحبها وتاريخها ، وما يترتب عليها وما
توحى به من عبر ، وما تنضح به من ذكريات وأحداث .

والواقع أن الصراع بين الغزو الثقافي صليبا كان أو صهيونيا ، هذا
الصراع اشتد مع لإسلام وتراثه خلال هذا القرن الأخير القرن الرابع
عشر للهجرة — ويتسم هذا القرن بأنه قرن الأحران والمذلة ، والهزائم
المحرية ، والوقائع التي ألحمت بالإسلام وأمتة عاراً بعد عار ، وبكبة بعد
أخرى .

ولعل الرائحة الكريهة التي تهب علينا الآن ، والتي يستشققها رواد مسجد عمرو بن العاص رضى الله عنه تذكركم بالوضع الذي آل إليه الإسلام كله لا هذا المسجد وحده ، فإن الروائح الممتنة التي تهب من الحلود حولنا ومن الحيف ، ومن القمامات ، ومن ، ومن .. كل هذا نوع من تذكير انقدر لنا بالوهدة السحيقة التي تردى فيها تاريخنا ، والأيام الكالحة التي تواجهها أمته والتي يختارها القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والله يعلم متى يكون الخلاص من العقبات والعوائق ، ومن هذه المحن الروحية والأزمات الثقافية والنفسية والاحتجاجية والعالمية التي تحمل دأمة الاسلامية إن مرور سنة على الإنسان وحده شيء حطير ، بل مرور يوم واحد على الإنسان شيء حطير ، لقد كان مما يروى عن الحسن البصري رضى الله عنه قوله : « ما من يوم بشق محرر إلا ويقول : يا ابن آدم أأخلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتروى متى بعمل صالح فإن لا أعود إلى يوم القيامة » .

فإذا كان مرور يوم له هذه الأهمية فكيف مرور عام ؟ إن طبيعة الإنسان أن يسي ، ولعل النسيان بعض ما يقيم الحياة الانسانية ويجعل الحس البقاء على طهر الأرض ، فلو استصحب الإنسان كل ألم نزل به ، وكل نكبة أقصت مصعبه لعاش مسهداً بل لكره العيش !!
وعندما أقسم « أبو حراش الهدلى » أن يذكر قتيله ، وأن يطلب ثأره قال :

هو لله ما أسى قتيلاً ورثته بحانب قوسي ما مشيت على الأرض (١)

استلرك الرجل فقال

بلى إنها تغفو الكلام (٢) وإيما نوكل بالأدنى وإن جل ما يمضي

الإنسان يذكر القريب ، ولكن كلما صرب الرمن بلياليه وأيامه بين الحوادث وصاحبها فإن الجروح تندمل ، والمعالم تتمحى ، ويشعل الإنسان محاصره .

لكن هل ما يساه الإنسان يساه الديان ؟

(١) انصر معجم ابنللك ٤١٣/٤ .

(٢) تغفو الكنوم : أى تمحى الجراح .

لا ، لا ، لا ، فإن الأفراد والجماعات تعمل ما تفعل وتترك ما تترك ،
ولا بد أن تواجه بما فعلت وبما تركت .

﴿ رتري كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون
ما كنتم تعملون ، هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستسج ما كنتم
تعملون ﴾ (١).

ما يمحو الله من كتب الحفصة إلا ما تمحوه التوبة ، فإن الإنسان إذا
تاب وصدق ما به وبين ربه فإن ما سحلت الحفظة يمحي ، وكأنما يولد
الإنسان من جديد !!

ونحن إذ نواجه عام حديداً نح أن نستقبله وقد فكرنا في صفحة
جديدة وقد فكرنا في أن نخط مستقبلنا على النحو الذي يرضى ربنا ويعر
جانبتنا .

إن الأوربيين يصنعون في منتصف أول يناير حركة تمثيلية يطفئون فيها
الأنوار ثم يضيئونها علامة الفصل بين عام مضى وعام بقى .

والحقيقة أن الأوربيين عيلوا الحاضر وقدسوا التراب ، ونسوا الله !!
وأن إطفاء الأنوار في أحماهم وفي أيامهم لا يعنى إلا انتهاز المتع الحرام ،
واستغلال الأوقات في معصية الله !!

ولكن المسلمين الذين يقدررون الوقت بالسنة لأنفسهم أفرادا أو
جماعات يحب أن يعلموا أن الوقت سلاح ينبغي أن يستغلوه لمصلحتهم
والأذبحوا به !!

إذا مرت السنون على المسلمين وهم على هذا النحو من الغفلة التي
ترى عليهم فإنهم سيدبحون ، ومر الزمى لن يكون لنا بل سيكون علينا !!
لذلك ألقت النظر إلى السنة المقبلة ، وإلى التريخ الحديد ، ألقت النظر
وأنا أين طبائع النفوس ، وطبائع المجتمعات وسنن الله في كونه .

من طبائع النفوس أننا نحن المسممين نسي ، بينما غفرتنا يذكر ، مع أن الله خلق الليل والنهار وبين أنه جعلهما يتعاقبان ليحتجرا الذاكر من الناس والشاكر من الجاحد ، وقال :

﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾ (١).

خلفة : أى يخلف أحدهما الآخر ، وقصة الحياة يريد الله أن يبين فى خواتيمها من الذى ذكر ؟ ومن الذى نسي ؟ من الذى شكر ؟ ومن الذى كمر ؟

والناس فيما رأينا ونرى نوعان .. نوع يعيش لنفسه ، لجسده ، وإذا امتدت حياته الجسدية فى أولاده فهو يعيش لنفسه ولأسرته ويكفيه هذا ، ما يفكر فى أفق أبعد ، ولا عاية أشرف إنه أشبه بحيوان مهذب !! ررق العقل فهو يسحر عقله فى خدمة هذه المآرب التى جعلها فى الحياة هدفه . وجعلها فى الوجود قيمته ومثله الأعلى !! بينما يوجد ناس لا يعيشون لأنفسهم على هذا النحو الضيق لمشوه اتشاهه ، بل يعيشون لأنفسهم ، ويوم يعيشون لأنفسهم فإنهم يكفلهم مصالح أنفسهم بأرقى وأجدى مما لو سخرها هم عقولهم وعزوماتهم فى خدمة أنفسهم !!

هناك ناس يقارنون بين دينهم ، صلاة ، زكاة ، حج ، جهاد ، أمر بمعروف نهى عن منكر ، إغماض البصر عن عورة مفضوحة أو سوءة مكشوفة !!

إنه يفكر ويوازن ، وكل امرئ لا بد وأن يوازن ، لأنه يوميا يواجه الاختيار أيعيش لشهواته القرية ويومه الحاضر ودياره العاجية ، أم يعيش لربه ولغدده ولشرف نفسه وركاة روحه ونبل مستقبله ، كل إنسان يوميا يوازن وبعض الناس على عمل يطرح نداء الحق ، ويصمُّ أذنه عنه ، ويستمع إلى نداء العاجل القريب .

(١) سورة الفرقان الآية ٦٢

الله جل شأنه بين للمسلمين أن من أراد أن يعيش لنفسه وحدها ، أو لأسرته وحدها ، أو لأولاده وميرله ومصالحه ومعاشه ، وأصدقائه وعشرائه فإنه رما عاش ، ولكن بعيدا عن رعاية الله وقوله ورضاه ، بل سيعيش وقد باء بوصف الفسق ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١).

يوم يكون بقاءك في بيتك أحظى لديك من جهادك لربك ، يوم يكون حرصك على مصلحتك أقرب إلى صمرك من حرصك على دينك فقد خسرت الدنيا والآخرة

لما كان المسلمون في مكة يحبون لديهم ، ويحبون لربهم فإنهم لم يطل بهم التفكير عندما قيل لهم : كي تحلموا الإسلام اتركوا مكة ، اتركوا وطنكم الحبيب إليكم وادهموا إلى بلد ليست لكم به مصلحة ولا تجارة ولا دينا ، وهناك أسسوا للإسلام الوطن الذي يحيا فيه ، ويتعيش به ، اربطوا مصلحتكم الخاصة بمصلحة الإسلام الكبرى .

وكانت نتيجة هذا العرض أن جمهرة المسلمين في مكة عنقت بيوتها ، وتركت مصالحها ، وهاجرت إلى المدينة تريد أن تعيش لله ، وأن تعيش بالدين ، وألا تفضل مصلحتها الخاصة على مطالب الإسلام ، هذا اختيار يعرض على الأمم وعلى الأفراد كل يوم ، وهو يعرض على المسلمين باستمرار ، وعندما عرض على المسلمين جاء العرض في أيام من حق قادة الإسلام فيها أن يتساءلوا .

فإن النبي عليه الصلاة والسلام كلف باهجرة وعمره ثلاث وخمسون سنة !!

(١) سورة التوبة الآية ٢٤

كان قد نبىء على رأس الأربعين ، وبدأ يدعو إلى الله ويشرح الحق ، ويحارب الوثنية ، ويمحو ما حوته الجاهلية من خرافات ، وكان القرآن الذى نزل فى مكة يطمئنه إلى أن المستقبل له ، وأن عقوبة الصراع مع الوثنية لابد أن يكون انتصار التوحيد ، سمع فى سورة الصافات التى نزلت عليه فى مكة قول الله تعالى : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ (١).

وسمع فى سورة الروم التى نزلت عليه فى مكة قوله الله ﴿ وكان حقاً عينا نصر المؤمنين ﴾ (٢).

وسمع فى سورة غافر التى نزلت عليه فى مكة قول الله :

﴿ انا لننصر رسلا ، والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا يفع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ (٣).

سمع هذا كله خلال ثلاثة عشر عاما ولكنه فى نهاية ثلاثة عشر عاما يرى نفسه مضطرا أن يهاجر بليل محتفيا هو وصاحبه من أعين المطاردين الذين ملكوا ظهر الأرض ، ورصدوا الحواري المعربة لمسحىء بمحمد ﷺ حيا أو ميتا !! ما هذا ؟ أى حنام لهذا الجهاد بعد ثلاث عشرة سنة ؟ ولكن حل الجهاد طويل ، ومراحله موصولة ، والأمور لا تجري وفق تقدير المجاهدين . لا ، إنها تجري وفق تقدير الله وحده !!

عدما استعجل نوح وقيل له : ﴿ يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ﴾ (٤).

فى أعقاب عروة أحد وهرميتها المرة قيل لرسول الله ﷺ : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ (٥).

(١) سورة الصافات الآيات ١٧١ — ١٧٣ (٢) سورة الروم الآية ٤٧

(٣) سورة غافر الآيات ٥١ — ٥٢ . (٤) سورة هود الآيات ٣٢ — ٣٣ .

(٥) سورة آل عمران الآية ١٢٨

هذا نجد أن منطق المكافح الذي يؤدي ما عليه تاركاً لله حل شأنه أن يخط مستقبل الدعوة كما يشاء ، وأن يُست في مستقبل دينه بما يحب ، يرى أسبى عليه الصلاة والسلام بعد حطة المحرة تفيداً دقيقاً ، ومع التفتيد الذي وضعه نلمح أمرين .

الأمر الأول : أنه أفرع جهد البشر في إحكام الحطة ، ما ترك للصدف ثقب إبرة !! أحكم الحطة تماماً ، المدينة المورة شمال مكة ، والمسافر إليها يأخذ طريق الشمال كي يصل المطاردين اتخذ طريق الجنوب .

الأمر يحتاج إلى رواحل قوية ، جاء براحتين قويتين أعلفهما وراحهما حتى تستطيعا تحمل متاعب الطريق ووعناء السفر !!

الطريق يحتاج إلى رجل حير لا يعرف الطرق الممهدة فقط بل يعرف الطرق الجانية التي يمكن أن تسلك حتى يمكن الفرار من المطاردين .

والخير بالطريق رجل مشرك ، استعان به ولا حرج ثم ما أحس عصاصة في أن يحسب كم ستتشح قریش وتحاول العثور عليه بأي طريقة حوالى ثلاثة أيام ؟ يختفى إذن في العار ثلاثة أيام !!

كيف يعرف الأخبار ؟ كيف يدرك وهو في جوف الغار ما تتجه إليه قریش في محططاتها وأحوالها ؟

إذن تنتجى إليه الأخبار عن طريق راعى أبى بكر وبعض الأعداء عن طريق بنت أبى بكر !!

ويكون راعى العنم ماحياً للآثار حتى لا يترك لبقافة وعراف الطريق أين احتبأ المطاردون الكفار !! كل ما يمكن من جهد البشر فعله !!

احترام قانون السبية ، هذا هو منطق الإسلام .

يوسف عندما قال لحكومة مصر على عهده : بدحر الخبواب . قال في الحب : ﴿ فذروه في سنبله ﴾ (١) لماذا ؟ حتى لا يستطيع السوس أن يبال منه .

قانون السبيبة لا بد من رعايته ، وقد قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ﴾ (٢) .

الأمة لا بد أن تكون مستعدة حتى في أثناء الصلاة !! ومع حرص الإسلام على قانون السبيبة ، وتنفيذ النبي ﷺ له بدقة فأنا لا أعرف أمة استهانت بقانون السبيبة ، وحرجت عليه ، وعشت بمقدماته ونتائجه كالأمة الإسلامية !!

رعمت باسم التوكل أن كل شيء يمشي بطريق الموضي وبديهي كان لا بد أن تجنى المر من هذا الجهل !!

النبي عليه الصلاة والسلام أحكم الخطة ، ومع إحكام الخطة يرى شيئا من لطائف الله ، أو من نسائم الرحمة يحىء للمجاهدين وهم في مراحل الجهاد فيهن الصعب ، ويملاً قلوبهم بنور الأمل !!

حدث هنا مع يوسف وهو غيّل عندما احتطمه إخوته : ﴿ فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتبشهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ﴾ (٣)

ألهما يوسف وهو غيّل أن هؤلاء الإخوة سوف يجيئون يوم ما ، متى ، لا يدري ، فيونجهم على هذا الذي يصعبونه معه الآن !! وتحقق الوعد الإلهي بعد عشرات السنين !! وجاء إخوة يوسف وهم جياع يقولون ه ﴿ يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجشنا بضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين . قال هل علمتم ما فعلتم يوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ﴾ (٤) .

(١) سورة يوسف الآية ٤٧ .

(٢) سورة النساء الآية ١٠٢ .

(٣) سورة يوسف الآية ١٥ .

(٤) سورة يوسف الآيات ٨٨ — ٨٩ .

وكانوا اخوة على كثرة عددهم على درجة من الغباوة ، ولأمر ما كان يعقرب متعقب القلب يوسف ، كان يوسف ذكيا بقيا ، أما هؤلاء فكانوا أصفارا وان كانوا أجساما كبارا .

﴿ قالوا أئنك لأنت يوسف ﴾ (١).

أخيرا عرفوا مع أنهم جاءوا إليه مره ومرتين ولكم لعائهم ما عرفوا !! تحقق الوعد ليوسف بعد عشرات السنين ، لكن عندما كان يصنع به ما يصنع كان الإلهام يرل على قلبه يقول له : اطمئن ، المستقبل لك !! هذا الذى حدث أيضا كان يحدث لسي صلى الله عليه وسلم ، فهو فى طريقه من مكة إلى المدينة كات بوارق الأمل سمع أمام عيبيه وبصيرته عليه الصلاة والسلام ، ويقول علماء التفسير : برل فى الطريق بين مكة إلى المدينة قوله حل شأنه .

﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكتهم فلا ناصر لهم ﴾ (٢).

وقوله حل شأنه : ﴿ إن الذى فرص عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾ (٣).

إذن كان يدرك وهو ذاهب من مكة إلى المدينة أن الله ما خدله ، وأن مرحلة الجهاد الحديدة هي طريق النصر ، وفعلا كانت طريق النصر ، ولذلك كان تعبير القرآن عن المحرة أنها نصر .

﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثلثي اثنين إذ هما فى الفار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ (٤).

لا أريد أن أقص قصص المحرة فطالما استمعتم إلى هذا لقصص ولكى ألقت النظر إلى أمرين . إن ترك الوطن من أجل عقيدة دافعة ، أو من أجل عاية دبية يراد تحقيقها أمر حدث فى القرون لأخير ، ولكنه بيه وبين هجرة المسلمين الأولين بون بعيد .

(١) سورة يوسف الآية ٩٠

(٢) انظر البدر المنثور للإمام السيوطي ٤٨١/٦ والآية من سورة محمد صلى الله عليه وسلم ١٣

(٣) سورة القصص الآية ٨٥ . (٤) سورة التوبة الآية ٤٠

إن اليهود بدوافع دينية خالصة تركوا البلاد التي يعيشون فيها كي يقيموا مملكة الله أو دولة إسرائيل في الأرض المقدسة على انقاض فلسطين المسلمة !! بدوافع دينية احتقر اليهودي الروسي اللغة الروسية ، واحتقر النظام الروسي واشترى الروسية ، وقرر أن يدع روسيا إلى فلسطين كي يقيم مملكة إسرائيل .

واحتقر اليهودي الأمريكي الأرض الأمريكية والمصالح الأمريكية ، وقرر أن يدع اللغة الإنكليزية ، وأن يحترم اللغة العبرية ، وانضم اليهودي الأمريكي إلى اليهودي الروسي إلى اليهودي من اليمن إلى اليهودي من مصر الذي كان يسكن هنا في « السكاكيني » أو في « الفحالة » .

انضم هؤلاء وباسم الدين اليهودي ، وباسم التوراة ، وباسم اللغة العبرية ونحت علم إسرائيل كان هذا التجمع الديني ، أو كانت الهجرة ، هجرة ثلاثة ملايين من أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا إلى أرض فلسطين: هذه هجرة باسم الدين (١)

نكر الفارق بين الهجرة الحديثة وبين الهجرة الإسلامية الأولى ، فارق كبير

أول الفوارق أن المسلمين الذين هاجروا كانوا دعاة توحيد لله وإصلاح للأرض ، كانوا يلعبون أو يعملون الدنيا أن الله رب العالمين لا شريك له ، وأن الناس يحب أن يسلموا وجوههم إليه وأن يحبوا على ظهر الأرض وفق الخطة التي رسمها لعباده !!

فهم أصحاب مثل عينا لا نظير لها في الأوين والآخرين !! أما الذين جاءوا إلى أرض إسرائيل فصلتهم بالله معشوشة والدوافع التي جاءت بهم وإن كانت دينية إلا أن ما فيها من باطل أصعاف ما فيها من حق ، وما يكتشفها من ظلم ليست معه شائبة عدل

هذه واحدة ، والفارق الثاني أن الذين خرجوا من مكة لم يكن لهم على

(١) عندما انتخب إسحاق ماعون برئاسة الدولة في الكيان الصهيوني في أيار (مايو) ١٩٧٨ ، قال

إن مهمته هي تعزيز الإحساس بالوحدة في دولة تتكون من شعب جاء من ١٠٢ دولة ويتكلم ٨١

لغة !! انظر مجلة الدوحة ص ٢٧ عدد ٨٥ يناير ١٩٨٣ م

ظهر الأرض نصير !! كانت الدنيا تصيق بهم ، كان أهل الملل والحل يكرهونهم لأن توحيد الله على السحو الركي الراقى الذى شرحه القرآن لم يكن معروفا لا فى الكتب المقدسة المتداولة يومئذ ولا فى تصيقات الأمم التى تنسج أديانا أرضية أو سماوية !!

كان الناس كما قال رب العالمين: ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ . (١)

عصبت الدنيا من أولئك المسلمين ، فكان المسلمون يخرجون وهم على وصف نبيهم ﷺ الذى وصف به « المتوكل » . (٢)

كانوا متوكلين على الله ، ليست هناك يد تحميهم إلا يد الله ولا كنف يأوون إليه إلا كنف الله ، ولا طهير يلتمسون العره عنه إلا الله !!

أما اليهود عندما خرجوا من هذه الأراضي الكثيرة التى تركوها إلى فلسطين ، فإن الانتداب البريطانى على فلسطين كان يمهّد لهم الطريق ، كان الأسطول البريطانى فى بحار العالم يحميهم ، وأخيرا فإن الدولة الكبرى فى العالم تحميهم .

الفارق بعيد بين المحترتين ، وإنما ذكرت أن هناك شها ما لأن الدافع دينى عند أولئك اليهود يبين .

ومن لعب الاستعمار العالمى بالأمة الإسلامية أنه خلق على تراب الأرض الإسلامية ناسا رهدوا المسلمين فى دينهم ، زهدوهم فى تقاليدهم ، رهدوهم فى تراثهم ، رهدوهم فى تاريخهم ، بل يقول أولئك الناس

(١) سورة يوسف الآية ١٠٦

(٢) « عن عطاء بن يسار ، قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قلت أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة ، قال أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى انقرآن : « يا أيها النسى إن أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرراً للآمين ، أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل ، ليس يفظ ولا عبط ولا سحاب فى الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به ، كلمة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعياً عمياً ، وادناً صماً ، وقنوباً معلماً » رواه البخارى فى البيوع باب كراهية السحب فى الأسواق ٨٧/٣

للمسلمين . دعوا للإسلام فإن المسيحيين تركوا المسيحية ، وإن اليهود تركوا اليهودية وإن الوثنيين تركوا الوثنية ، وإن العالم ترك أديانه كلها فاتركوا أيها المسلمون دينكم كما ترك الناس أديانهم .

والحقيقة المرة أنه في هذه السنة التي نعيش فيها الآن ، والسنة التي نفتتح بها عاما هجريا جديدا نقول بكل قوة وبكذب كل مُدَّعٍ زعيم نقول :

إن العصر الحاضر هو العصر الذهبي لليهودية وللمسيحية وللوثنية وإن الناس عادوا جميعا إلى أديانهم يتششون بها ويقاثلون من أجلها ويريدون فرصها على غيرهم ، وإن الكلام الذي يقوله أوثنتك الأفاكون للمسلمين دعاية مأجورة أخذ ثمنها إما بالمقود الروسية أو المقود الأمريكية أو المقود الأوربية أو الشهوات المنولة لهؤلاء العملاء .

والمقصود الإجهاز عن الإسلام وتاريخه حتى لا يبقى له وسم ولا رسم !! .

فلنستيقظ ولنبدأ عامنا الجديد بيقظة .

أقول قولي هذا وأستمع الله لي ولكم .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تعملون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿١﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .
وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .
أما بعد .

عاهد الله أوصيكم ونصي بتقوى الله عز وجل . واعدوا أيها المسلمون أن كلاً ما يستطيع أن يترك ثواب المحبرة ، إذا تدبرنا قول نبينا عليه الصلاة والسلام :

«العبادة في الهرج كهجرة إلى» (٢)

الهرج يعنى عندما تكثر الفتن ، وتشيع الجهالة ، وتنتشر الآثام ، وتعدب الرديلة ، ويصح فيها العفاف مستعرباً لعدة التهتك ، ويصح فيها الحفاظ على الصلاة مستعرباً لأن إصاعة الصلاة تقيد وعرف عام ، ويصح فيها المتشبهت بالإسلام متهماً ، لأن ترك الإسلام باب الوجهة وباب الوصول !! عندما يكون الأمر كذلك فإن تشييت المسلم بدينه ، وتركه هذه الأعمال كلها ، وحسناره لله ولما عنده واعتصامه بالإسلام ، كل هذا يعطيه ثواب المحبرة !!
لأن المحبرة لم تكرم لأنها سمر من مكان إلى مكان ، فما أكثر الذين يسافرون لمحبرة لم نكرم على أنها سمر ، وإنما كرمتم على أنها انتقال نصي ، انتقال روعي انتقال فكري ، استقاء للإسلام عن أرض الله عن طريق أن نكون نحن جسراً يعبر الإسلام عليه حيث يريد !! .

والحرب المعلنة على هذه الفكرة حرب شعواء !! .

(١) لآيك ٢٥ ، ٢٦ من سورة الشورى

(٢) رواه مسلم في الفتن ، باب فصل العبادة في الهرج ٢٠٨/٨

وأنا أجمع في تحاربي العاجلة بين الأمور الكبيرة والصغيرة لأن هذا لا يموتني ودك لا يموتني عندما أقرأ اليوم برحالة الأهرام المشهور رحته في أوروبا وفيها نحو ثلاثة أعمدة عن النفيات الكاشفات للأفخاد وعن الحسن!!
أسأل لم يعرض هذا على العالم الإسلامي المهروم؟
قد يفكر حيوان متصر في أن يشبع شهوته لكن حيوان المهروم لا يجرى وراء شهواته على هذا النحو المسعور.

ونكس التفكير الذي يشر على هذا النحو مخطط به!! الذين أرسلوا راقصات ومغنيات إلى الحجة يسرون مع هذا التفكير.
هناك حرب جلية وخفية، الخفى منها أكثر من الحلى ضد الإسلام وأفكاره ورسائله ودعوته وخملته.

وإذا كان بعض الناس فهموا الفكر الناصري على أنه شيوعية فإن هؤلاء الناصريين يتشرون في كثير من وسائل الإعلام وهم لا دين لهم، ويحاربون الإسلام بصروة ومرارة وحث ودهاء، بينما المدافعون عن الإسلام جهة ما ترال بمرقه، ولا ترال قواها الضعيفة هي التي تتقدمها، أم أتبع ما فيها وأقلره فهو مقيّد مُستضعف لا حول له ولا طول!!
« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر »^(١).

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾^(٢).
عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(٣)

أقم الصلاة

(٣) سورة النحل الآية : ٩٠

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي

(٢) سورة الحشر الآية : ١٠٠

الزحف اليهودي لا يوقفه إلا الإسلام

خطبة يوم الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه
١٧/٨/١٩٧٣ م

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على
الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ،
والسراج المير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد ...

فإن المناسبات التي تمر بنا في هذه الجمعة وما يديها تفرض علينا أن
نتحدث عن بني إسرائيل .. والحديث عن بني إسرائيل له مصادر كثيرة ،
ولكن المصدر الذي نأنس إليه ، ويعتمد عليه ، ونعتقد أنه تضمن حملة
الحقائق الأولى والأخيرة في هذا الموضوع هو القرآن الكريم .. فإن هذا
القرآن حكى عن ماضي بني إسرائيل ومستقبلهم ما يكفى ويعى ، وفي هذا
يقول الله جل شأنه : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي
هم فيه يختلفون . وإنه هدى ورحمة للمؤمنين . إن ربك يقضى بينهم
بحكمه وهو العزيز العليم ﴾ (١)

(١) النحل : ٧٦ - ٧٨ .

والمراع بين العرب والمسلمين وبين بني إسرائيل قد يطول سين عددا
لا نعرف مداها ، لا ندرك بالصبط متى تنتهى الحرب بيننا وبين بني
إسرائيل ، لكننا ندرك عن يقين جازم بأن هذه الحرب تتوقف بقدر ما
يثوب المسلمون إلى رشدهم ويعودون إلى دينهم ، فإذا رجع المسلمون
مساء اليوم إلى دينهم فإن هذه الحرب تنطفيء صباح العد !! وإذا رفض
المسلمون اعتنار قضية فلسطين إسلامية ، وإذا ححلوا من الانتساب إلى
الدين ، وإذا بعدت الشقة بينهم وبين الإسلام ، وإذا استمر الشيطان
بإماتهم والصحت معهم فإن هذا الحرب لن تنهى بل ربما قامت لإسرائيل
إمبراطورية من افرات إلى النيل كما يؤملون !! والسر أن الحرب الدائرة
الآن يديرها الطرفان بعقيدة تستحق الدراسة والتأمل .. فأما عقلية بني
إسرائيل في إدارة هذا الحرب فواضحة . بنو إسرائيل يعتقدون أن الكون
والشمس والقمر خلق من أجل لأرض ، وأن الأرض خلقت من أجل بني
آدم ، وأن بني آدم خلقوا من أجل بني إسرائيل ، وأن بني إسرائيل هم
الحسن المقدس ، والشعب المختار ، والأمة السيدة الموهوبة التي ينبغي أن
يعنو الناس لها ، وأن يخصعوا لسلطانها .. وبناء على هذا افكر فإنهم
يعتبرون عودتهم إلى فلسطين وصلاً للماضى الذى انقطع وإحياء
لتاريخ الذى تحمّد أو توقف ، وهم يريدون أن يقيموا — كما يقولون
— « مملكة يَهُوه » التى يحكمون بها الناس حساب رب إسرائيل وبني
إسرائيل .. فالجرب في وهمهم وعزمهم وحركاتهم وسكناتهم حرب ديبية
تُمدّها أفكار واصحة في أدمعة القوم ، ومشاعر مُرتبة في أنفسهم
وأفئدتهم ، وهم ماضون في هذا الطريق إلى هابته .. بدهة استطاعوا بما
يعطيه الدين من تعصب ، وما يعطيه من رعة في النفقة ، ورعية في
البدل ، وقدرة على التحمل ، استطاعوا بهذا كنه أن يكسبوا كل المعارك
التي خاضوها صدنا .. وبديهي أن يضم إليهم الخاقنون على الإسلام من
المستعمرين الذين هاجموا الأمة الإسلامية في الحروب الصليبية الأولى
انضموا إليهم أخيراً وتشابكت أدرع الجميع في كيل اللطعات لنا ونيل
من يبتعون منا !!.

العقلية التي دارت الحرب ضدنا هذا وصفها .. أما نحن فإن عدداً كبيراً من الناس رفض رفضاً باتاً أن يصف الهجوم اليهودي على أرضنا بأنه هجوم ديبى وقال : إنه هجوم سياسي .. وهذا الكلام كلام عريب لأنه يعتمد على جهل مطلق ، هؤلاء الذين أقاموا بعض المعاهد الاشتراكية وبعض القيادات الفكرية في بلادنا صوروا الحرب — عن عمد — أنها حرب سياسية ، وأن الذين لا دخل لهم في هذه الحرب .. فإذا سألتهم : أنعرفون شيئاً عن اليهودية ؟ قالوا : نعم نعرف ، درستم العهد القديم وقرأتم فيه كيف وضعت خريطة إسرائيل الممتدة من الفرات إلى النيل ، وكيف قيل لسي إسرائيل : إن هذه أرضكم ويجب أن تأخذوها ؟ درستم هذا ؟ لا .. قرأتم بعد العهد القديم اشلمود ؟ لا .. قرأتم تاريخ اليهود أولاً في العهود القديمة ثم في العهود الوسيطة ؟ لا .. فإذا كنتم جُهالاً فما الذي يجعلكم ترمضون على الناس حهلكم ؟ تصور رجلاً يقول لك : أنا عالم بالإسلام فإذا قتلت له .. تعرف القرآن ؟ قال : لا .. تعرف السنة ؟ قال : لا .. تعرف الفقه الإسلامي ؟ قال : لا .. فما علمك بالإسلام ؟ لكن القيادات الفكرية العبية في العالم العربي فرضت نفسها وأقنعت ولا تزال تقنع العرب أن الحرب التي يواجهونها حرب سياسية أو استعمارية أو ما إلى ذلك من عناوين مكذوبة .. وهم قد عرفوا الآن كيف كانوا أعمياء ، وأدركوا — وأرجو ألا يفوت الوقت ليدركوا — أن الحرب الدينية التي أدارها أعداؤنا بروح ديبية يجب أن يقف بإرائها الإسلام يحتل الحجة المقامة وبدأ يقاوم ويبرض نفسه .

شيء آخر قاله بعض الصغار من المرتقة في ميدان الإعلام قلوا : إن إسرائيل العوبة في أبدى الاستعمار يضرب النظم التقدمية في العالم العربي .. وهذا سخف ، فإن إسرائيل قسمت المملكة الأردنية وأخذت نصفها ، كما أخذت سيناء وهي ضعف مساحة الوجه البحري ، وأخذت مرتفعات الجولان ، وكان السر يتعب لكي يصل إلى هذه المرتفعات !! أحد اليهود كل هذا دون مقاومة تذكر ، ودون بدل أو تصحية تُسَد المدافع وتعل شأهم . الأمر ما يستدعي حرباً ضد النظم التقدمية ، فإن النظم التقدمية يوم تصبغ للإسلام وبرفض مبادئ العلم والإيمان فإن هذه النظم في الحقيقة تكون عميلة

إسرائيل ، بل إن إسرائيل إنما أقامها « لورد بالفور »^(١) وبعض الرعماء العرب الذين كرهوا الإسلام هم الذين شاركوا في إقامة مُلك إسرائيل العريض الآن .. لابد أن تُعرف الأمور ، وبعد إلى كتابنا محاكم إليه دعاوى القوم ومواقفنا منهم . هؤلاء ادعوا — كما سمعتم — أنهم شعب مختار وأهم جس مقدس — الله جل شأنه خلق الناس قاطبة ، ولم يشيء علاقة خاصة بينه وبين جس من الأجناس .. « كلكم بنو آدم ، وآدم خُلق من تراب »^(٢) فإذا كان قد شرف شعبا في بعض العصور أو رفع قدر أمة في بعض الأرمة فإن ذلك إنما تمثل من حقائق الإيمان ولما تبدل في الدفاع عن العقائد الصحيحة والعصائل الواحة .. فإذا كان القرآن قد حمّد لى إسرائيل — قديماً — بعض مواقف الخير وقال فيهم :

﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾^(٣) .

(١) في نوفمبر سنة ١٩١٧ م أصدرت المجترة على لسان وزير خارجيتها إد داك « بالفور » إلى « روتشيلد » الرعيم الصهيونى هذا التصريح المشهور بتصريح « بالفور » وبهذه
 واردة خارجية في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧
 عزيزى لورد روتشيلد أعلمكم بسرور أن حكومة جلالة كلفتى بإطلاعكم على التصريح التالى
 المرافق لمرعيت اليهودية الصهيونية والذي عرض على الوزارة موافقت عليه إن حكومة جلالة تنظر
 بعين الرضا والقبول إلى إنشاء وطن قومى لشعب اليهودى فى فلسطين ، وستتخذ كل ما لديها من
 الدرائع لتحقيق ذلك عن أن لا يجرى شيء يمس حقوق عبر اليهود المقيمين فى فلسطين المدنية والدينية
 أو يمس ما لليهود من الحقوق والمقام السياسى فيما سواها من الممالك . أرجو أن تطلعوا الاتحاد
 الصهيونى عن هذا التصريح

صديقكم المخلص

أرثور جيمس بالفور

انظر كتاب دراسات فى التوراة ص ٤٦ للأستاذ عطية إبراهيم من مطبوعات المؤتمر العاشر لجمع
 البحوث الإسلامية نوفمبر ١٩٨٥ م

(٢) ذكره فى الفتح الكبير وعزاه إلى البرار ٣٣٠/٢ وصححه الأبيان فى صحيح الجمع

٨٣٨،٢

(٣) الدخان ٣٢٠ .

فإنهم اختيروا أو فصلوا على عالم زمانهم .. والسبب : أنهم دعوا إلى التوحيد في دينا مبيحة بالوثنية وتحملوا في سبيل ذلك تضحيات شتى . ولكم لما جحدوا رسالتهم ، وعُحِرت مسالكهم ، وفشا عدوانهم سقطوا من عين الله ووقع لهم ما وقع .. وهذا كلام يحتاج إلى تفصيل .. عندما كانوا قديماً في هذا الوادي ووقع عليهم من العذاب ما وقع ، يحكى القرآن الكريم هذا الحوار : ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذكرك وآهلك قال سنقتل أبناءهم وستحيى نساءهم وإنا فوقهم قاهرون . قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وانعاقبة للمتقين ﴾ (١) ماذا كان رد بنى إسرائيل على موسى لما قال لهم هذه الكلمة . ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ﴾ ؟ كان الرد هكذا : ﴿ أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾ (٢) فكان حوار موسى : ﴿ قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ (٣) فإذا أهلك الله عدواً استخلف بعده من شاء من الشعوب فإنه لا يستخلف هذه الشعوب لتفعل ما تريد ، لا .. بل ليظهر ما تفعل ، فإن كان حيراً باركها ، وإن كان شراً لعنها .. هذا الكلام يقال لبنى إسرائيل في وصوح كما يحكيه القرآن الكريم — أوثق الصحائف التي امتلأت بالوحي الإلهي وطلت معصومة من الانحراف والخطأ حتى هذا القرن وما بقيت السماوات والأرض ، لن يوجد كتاب في القارات الخمس يمكن أن تقول وأنت واثق موقر : إن هذا وحي الله إلا هذا القرآن !! كتاب مصنف ﴿ عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ هذا الكلام الذي حكاه رب العالمين في صدد بني إسرائيل سمع نظيراً له بالنسبة إلى الأمة الإسلامية ، فإن الله يقول للمسلمين : ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظنموا وجاءتهم رسلهم بالبينات

(١) الأعراف : ١٢٧ ، ١٢٨

(٢ ، ٣) الأعراف : ١٢٩

وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين . ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لنظر كيف تعملون ﴿١﴾ (نفس الكلام الذي قيل لبي إسرائيل قيل للمسلمين !! إن الله لا يحب ولا يظلم ، وهو ينظر للشعوب ماذا تصنع ؟ ثم يصنع بها ما تستحق . ﴿٢﴾ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴿٣﴾) .

ماذا فعل بنو إسرائيل ؟ نذكر نماذج قليلة مما فعلوا لرى على صوء هذه النماذج ماذا فعلنا نحن ثم يدرك أبعاد الرأع القائم بيننا وبين غيرنا .. إن الله يحب لعباده أن يعيشوا آمين مكحولى الحرية ، مصونى الدماء والأعراض والأموال ، حقوقهم فى ضمانات موثقة لا يجرؤ أحد على العدوان عليها .. تستوى فى هذا جميع الأمم .. عندما أرسل النبى ﷺ معاد بن جبل رضى الله عنه حاكماً قال له : « اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب » (٣) .

قال العلماء : والمظلوم هنا ناس ليسوا بمسلمين .. فدعوة المظلوم ولو كان كافراً يستمع الله لها فكيف إذا كان المظلوم مؤمناً ؟!! لذلك فإن لله جل شأنه أحد الموثيق على الأمم القديمة والحديثة ألا تطلم ، ألا تسجن أحدادون سب ، ألا تُحرح أحداد من داره وتنتزعه من بين أهله دون علة واضحة ، يقول الله بالنسبة إلى بنى إسرائيل . ﴿٤﴾ وإد أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خسر فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى

(١) يوس ١٣ ، ١٤

(٢) هود . ١١٧

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه لبحارى فى الركاة — باب أحد الصدقة من الأعياء وترد

فى لفقاء حيث كابو ١٥٨/٢ ، ١٥٩ ومسم فى الإيمان — باب الدعاء إلى الشهادة وشرائع الإسلام ٣٧/١ ، ٣٨

أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴿١﴾ هذه المواثيق أحدثت على من قبلنا وتوحد علينا ، لأن الله يقول يا ﴿٢﴾ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور . يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴿٣﴾ لكن بني إسرائيل في تاريخهم أكل بعضهم بعضاً ، صدم بعضهم بعضاً ، اعتقل بعضهم بعضاً ، أسر بعضهم بعضاً ، سجن بعضهم بعضاً ، فعوقبوا ، عوقبوا .. الأمة العربية الآن لأنها خرجت على مواثيق السماء ، وابتعدت عن هدايات الله ، وجدنا فيها العجب من شهر مضى — تقريباً — قرئت محاكمة قُدِّم فيها نحو ثلاثين شخصاً إلى محكمة ما ، وحُكم عليهم بالإعدام خلال ساعة ، وتُقَدِّم المحكم خلال ساعة أخرى !! محوس الأرض لا يمعنون هذا ، هذا الذي يفعله العرب في استرخاض الدماء ، واحتياح المقدمات لا يفعله محوس الأرض !! بأى وجه نقف أمام الله نسأله ونطلب منه ؟ لا بد أن نعقل ، إن الله لا يخفى شعباً ، لم يخفى ؟ عندما قال اليهود والمصري : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ ﴿٤﴾ رفض القرآن هذا : ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ﴾ ﴿٥﴾ ونحن المسلمين بشر ممن خلق ، إن ظلمنا عوقبنا ، إن أسأنا انتعد الإحسان عنا . يجب أن نعقل .. الأمة اليهودية أحدها أمها طست أمها شعب مختار . لماذا ؟ لا اختيار هنالك . الاختيار أن ترشحك مواهبك لعمل ، فإن قمت به كنت أهلاً للتكريم والتشجيع ، وإن سقطت عنه كنت أهلاً للطرد والإبعاد . هذه سنة الله . فعندما طن ليهود أنهم أولاد يعقوب ، وأن هذا السب فخر ذاتي ، رفض الله هذا منهم ، ليس عندي نسب ، وعجَّب من فعلهم عندما قال لنا نحن المسلمين وهو يحكى ما فعل هؤلاء : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من

(١) البقرة : ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) المائدة : ٧ ، ٨ .

(٣) (٤) المائدة : ١٨ .

الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريقاً منهم وهم معرضون ﴿١﴾ (رفضوا أن يُحكم الله في خلقه ، رفضوا أن يُحكم الوحي في شؤون الناس ، رفضوا أن تكون شرائع السماء أساساً لإصلاح الأرض ، ماذا تريدون ؟ نختلق نحن أحكاماً ، سندع نحن قوانين ، نشرع من عندنا قصاء ، أما ما فعل الله وشرع فإن هذا لا خير فيه ، لا أثر له ، هذا شيء رجعي غيبي يسعى لإخلاق من . ﴿٢﴾ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات ﴿٣﴾ هل هذا صحيح ؟ إن هذا الذي قاله اليهود قال مثله المسلمون ، فهم يعتقدون أن أمة محمد خير ، وأن أمة محمد لا تعذب ، وأن أمة محمد من حقها أن تحمل قرآن محمد وسنة محمد ﷺ ثم نال الحمة !! لماذا ؟ وبأي حق ؟ هذا غير صحيح : ﴿٤﴾ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وجرهم في دينهم ما كانوا يفترون . فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿٥﴾ كلمة « نفس » تعني البشر عرايا من كل نسبة ، عرايا من كل زعم ولون ، الناس يعودون إلى ربهم بشراً ، مهوساً ، ويقدر ما ركى الإنسان نفسه بالتقوى يسحو ، ويقدر ما أهأها يكبر !! لكن الشعب المختار الذي طرأ أن انتسبه للأسياء يعطيه حقاً سقط من عين الله ولعن ، وجاء بعده الآن من يقولون : نحن عرب ، وبالأفصح بكلمة « عرب » و « اليعث العربي » و « اقومية العربية » من أنتم ؟ إن كنتم مسلمين فدا كتاب الله وتلك سنة رسوله ﷺ ، وكما قال القائل :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتحروا بنيس أو تميم

ما معنى أن أنتسب لعروبة ترفض الإسلام ، وتكره الإيمان ، وتحقد على محمد ﷺ ، وتأتي العودة إلى سنته ، وتأتي تشرف برسائله ؟ بلادة

(١) آل عمران : ٢٣

(٢) آل عمران ٢٣ ، ٢٤

(٣) آل عمران : ٢٤ ، ٢٥

هذا الذى صنعه بعض الناس بيسا فى الأمة العربية الكبرى هو الذى صنعه اليهود عندما عصب الله عليهم وقال فيهم ما قدر . ماذا قال ؟ قال : إن هناك أدكياء أو علماء بعدهم الشهوات والأهواء ويدلون فى طلبها ، فهم بالنسبة إلى الأقدار التى يرفعونها ، والمآرب الخسيسة التى يحتبسون فى إطارها أشبه بالخنازير التى تنجس على القمامة ، قال تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب هل تقومون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون قل هل أبتكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغصب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾ (١) .

إن اليهود عادوا إلى فلسطين .. الحقيقة أنهم لم يعودوا بقواهم الذاتية قدر ما عادوا لأن المسلمين شخّنت وجوههم ، وغاصت مابيع الإيمان فى ثربتهم ، واقطع تيار الإيمان الذى يمدّهم بالقوة فلما حاء اليهود وانتصروا . لم يكن انتصارهم محرراً لهم بقدر ما كان هذا الانتصار خريباً لنا . إن اليهود فى كتابهم الذى بدرسونه الآن وهو العهد القديم لا يمشون شيئاً إطلاقاً مما تشواق إليه الإنسانية ، ما الذى تشواق إليه الإنسانية ؟ تشواق الإنسانية إلى محراب واسع تتقى فيه ألوان الشر أمام رب واحد تسبح بحمده ، وتهتف بمجده ، وتركع وتسجد فى ساحته ، وتستمد الهدى منه ، ويعلم كل إنسان أن الله هو الذى يديه يوم الدين ، وأن البر لا يبلى ، وأن الذنب لا يُنسى ، وأن الديان لا يموت !! هذه القصائل والمثل ما يصور العهد القديم شيئاً منها !! إن الأسفار الخمسة التى تُمثل التوراة وهى دستور الحكم فى إسرائيل ، أو دستور القيام الموحود الآن دولياً ومحلياً لنى إسرائيل ، إن هذه الأسفار الخمسة ليس فيها شيء يعنى الإنسانية ويُشبع جوعها الروحى ، كل ما فى الأسفار الخمسة أن هناك شعباً مختاراً مقدساً أودى ويجب أن يملك وأن يحكم العالم بامتيازته الشخصى ، بقداسته الذاتية ، بكبريائه العصرية .. هذا شيء غريب ، ليس هناك فى أسفار التوراة ما يحكم العالم حكماً راشداً ، إن حاجة العالم

(١) ثلاثة - ٥٩ ، ٦٠ .

إلى القرآن ، والقرآن كتاب شرف الله العرب فأنزله بلغتهم ، وجعلهم بهذا الميراث السماوي قادرين على أن ينقلوا هداية الله إلى الناس .. هل يعرف العرب أن شرفهم بالإسلام ؟ وأن كرامتهم بالقرآن ؟ وأن عظمتهم في الانصواء تحت لواء النبي العربي محمد ﷺ ؟ يوم يعرف العرب في هذه المنطقة — في مصر وسوريا والأردن والحريرة وكل من ينطق باللغة العربية — يوم يعرف العرب أن فخرهم وتاريخهم ويومهم وعدهم في الإسلام ، ويوم يقررون مجد أن يعودوا للإسلام قسواً وتعاليد ، وتعليماً وتربية ، موصوعاً وعنواناً ، تاريخاً قديماً وحضارة معاصرة ، يوم يعرف العرب هذا ثم يديرون المعركة مع بني إسرائيل ومن وراء إسرائيل فكما قلت لكم : لو قررنا هذا مساء اليوم فإن صبيحة الغد ستشهد يوم النصر

الأمر كله في الصراع القائم بين إسرائيل والعرب مرتبط بحواب واحد : هل سيعود العرب إلى الإسلام ؟ هل ستكون قضية فلسطين إسلامية ؟ هل سيركل العرب بأقدامهم التشريع الوافد — القانون الاستعماري — ويحيثون بدله بقوانين الإسلام وتعاليم الإسلام ؟ هل سيحترمون لغتهم العربية ويجعلونها لغة التحاطب ، ولغة العلم ، ولغة الكتابة ، ولغة التأليف ، ولغة عالمية لأنها لغة رسالة عالمية ؟ هل سيعرف العرب أن قدرهم ليس من عروبته ؟ العروبة وحدها لا تنشيء شرفاً ، ولا تُكوّن جاهاً ، ولا تحبب أصحابها قدراً ، بل على العكس ستهبط بهم أسفل سافلين ، إذا لم يعد العرب إلى الإسلام ، ويبدأ براعهم مع إسرائيل بأخذ هذا الطابع الديهي المقابل للطابع الديهي الإسرائيلي فإن المعركة لن تكون لنا .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويريدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿١﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد

فإن الله تفصل على العرب بالإسلام ، هدية احتسبها واختارهم لها ، فإن رفضوا الهدية عوقبوا وذلوا ، وإن قبلوا الهدية استراحوا وأراحوا .

لما تحدثت سورة الجمعة عن الرسالة الحاتمة : ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لهي ضلال مبين . وأحرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (٢) بعد هذا بين أن قيادة العام لا تمتد بالادعاء ، إن أى سيارة تفقد الوقود لا بد أن تقف في الطريق ، لأنها تسير لا توقودها . والأمم إما تسير بقوة تمدها بالطاقة والحماسة ، وتعربها بالانطلاق واجتياح العقبات .. والأمة التي تفقد مؤهلات الرعاية تُحى — يقيأ — عن الرعاية ، لأن الله قال — مبيناً لِمَ نُحَى بى إسرائيل — قال : ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ بئس مثل

(١) الشورى - ٢٥ ، ٢٦

(٢) الجمعة - ٢ - ٤

القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿١﴾ والقوم —
أعنى بنى إسرائيل — الذين لم يهذبوا أنفسهم لا يؤتمنون على تهذيب
الناس ، الذين لم يرتفع مستواهم لا يكلمون برفع مستوى الخلق
الذين قل فيهم : لهم لم يفقهوا التوراة ، ولم يحسوا الأحاديث ،
بل هم قد أصبحوا كالدواب الساقطة للكتب ، والسواب المائلة للكتب لا
تغير صائغها لأنها حملت كتباً ، إن الكتب تغير صاع الناس يوم يقرأونها ،
ويدرسونها ، ويتفقهون أنفسهم بها ، ويحسبون أخلاقهم بآدابها ، ويحكمون
عرائرهم بقيودها .. هذه طبيعة الكتب عندما تنشئ حضارة وتجعل أمة ما
قديرة على القيادة .. فليسأل العرب أنفسهم : هل ركوا أنفسهم بالقرآن ؟
هل شرفوا سريرتهم وعلايتهم بآداب الإسلام ؟ هل بقوا بيوتهم
وشرائعهم بتفاسيد الوحي وقوانين السماء ؟ لا .. بدأ يوم يتفقهرون فاعيب
عبيهم ، والدب دبهم . ﴿٢﴾ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم
فلها ﴿٣﴾ . ﴿٤﴾ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن
عمى فعليها ﴿٥﴾ إنا يجب أن نصبح من بومنا . لا يزال هالك نمر —
هم في طرى — تمائيل للعنوة .. هذا النمر تمتلئ به وسائل الإعلام لا
تقصه الجهالة ولا الحمافة .. هؤلاء لا يعرفون عن الصراع لعربى اليهودى
شيئاً ، لأنهم فارغون ، كل امرئ يقول لكم : إن الصهيونية شيء
واليهودية شيء اعلّموا أنه شخص جهول ، ما قرأ لعهد القديم ، ولا قرأ
كتب القوم ولا آمامهم ، ويريد أن يفرض جهله عليكم .. نحن الذين
قرأنا ، نحن الذين درسنا وعرفنا ، وهذه الكتب التى تجعل الحرب المعلنة
عبثاً دينية موجودة في تناول اليد من يريد أن يتعلم .. لكن القيادات العبية
في وسائل الإعلام العربية لا تريد أن تتعلم ، إنها متعصبة لجهلها ، ودعوكم
من حرفة النظم التقديمية والنظم الرجعية ، فإن اليهود إذا بقوا على وفائهم
لكتابتهم وتعصبتهم الدميم لمويرثتهم فإنهم سوف يحتجون النظم الملكية
والجمهوريّة معاً ، لأن كلا النظامين لا يعرف أن العرب وعاء الإسلام ،
وأن كرامتهم في انتسابهم لهذا الدين وحملهم لرسائله .

(١) الجمعة : ٥

(٢) الإسراء ٧

(٣) الأنعام ١٠٤

« اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا
التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة
زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر »^(١)

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف
رحيم ﴾^(٢) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى
القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم
عليكم تذكرون ﴾^(٣) .

وأقم الصلاة

(١) مسلم والنسائي وأحمد

(٢) العشر : ١٠

(٣) النحل : ٩٠

تأملات في سورة النوبة

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

٢١ / ١٢ / ١٩٧٣ م

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ولا عوان إلا على الظالمين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ،
وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهددة ، والنعمة المسداة ،
والسراج المير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فإن سورة براءة من آخر الوحى الذى نزل على سيدنا محمد ﷺ ، هذا
الوحى الذى ظل يهيم قرابة ربع قرن ، يرى الجزيرة العربية ، ويمهد للحق
مكاناً حصيماً في ربوعها . وهذه السورة تميزت بحاصة لم تُر في السور
الأخرى .. إن البسملة انتزعت من صدرها ، برلت هكذا : ﴿ براءة من
الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾^(١) . والسر في ذلك : أن
السورة المباركة أسيت وضعاً معلقاً بين المسلمين وخصومهم .. فإن لإسلام
مع الناظرين فيه واستمعين إليه حرية واسعة في أن يؤمنوا به إذا شاءوا ،
وأن يكفروا به إذا شاءوا ، لا إكراه ولا صعط ، هو دين يعتمد على

(١) النوبة ١٠٠

صلاحيته لسانه ، ووعى حقائقه التي تتجاوز مع مطلق المطرقة والعقل ،
ولذلك فإنه ما يفكر في القوة يرغم بها الآخرين ، إنه يعتمد على بيئة حرة
يستمتع الناس فيها ويشعرون بمسئوليتهم الأدبية بإراء ما يُلقى عليهم وما
يسمعون إليه ببصائرهم وأفكارهم .. ولذلك طالما قال — لم
يعارضوه — : ﴿ قل لا تسألون عما أجرنا . ولا تسأل عما
نعملون ﴾ (١) وعندما أراد المشركون نقل اللوحة والحدل في شخص
رسول الله ﷺ ومن معه كان الرد إلهي على لسان نبيه ﷺ : ﴿ قل
أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب
أليم ﴾ (٢) ثم يطمئن إلى أن استقل على متداد الأيام للحق الذي يُمكن من
أن يعرض نفسه ، وأن يُسمع الآخرين وجهة نظره ، وأن يسط الأدلة التي
رد الشبهات وتكشف لثرهات (٣) ، وذلك بقول ﴿ وإن كذبك فقل لي
عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون ﴾ (٤) .

لكن هذه الحرية 'تواسعة' فهمها أعداء الإسلام غلطاً ، فهموها
حصاً ، طوا الحرية ضعفاً ، طوا المرونة ميوعة ، طوا أن الإسلام إذا
يعرض نفسه هذه الأدلة وحدها ، ويدفع عن نفسه هجوم المعوقين
فقط ، طوا ذلك دليل ضعف ، ولهذا حاولوا النيل منه ، وفكروا في
أن يتلاعبوا به ، وأن يتخذوا طريقاً معشوشاً ، يستغلون الهدية التي
تفرض أو المسألة التي يسط المسلمون أيديهم بها ، يستغلون هذا للعب
بالإسلام والعبث به ، فنزلت هذه السورة ترفض كل هذه
محاولات ، وتكشف حياء أصحابها ، وتأمّر المسلمين أن يعاصروا
بالسيف من أي أن يستمع إلى الحق ، وأن يترك غيره يقتنع به إذا شاء .

هذه السورة بدأت بداية حاسمة صارمة ، تجمع التلاعب

(١) سبأ : ٢٥

(٢) تلك : ٢٨

(٣) لثرهات : الطريق الصغار عبر الجادة وسفرد ترجمه وهي كلمة هوسية معربة ثم

استعملت في لياطن

(٤) يونس : ٤١

والعبث ، ولذلك نُزعت معاني الرحمة من صدرها لأنها تضمنت انقصاص من المحرمين والتأديب للمعتدين .. وكان العرب المشركون — عُنَاد الأوثان — كانوا ثلاثة أصناف :

صنف عاهد المسلمين عهداً معشوشاً ، فهو يعطي الكفنة ولا يرتبط بها ، يُظهر أنه آمن بغيره وقبل الأمان منه ، وارتضى أن يعيش مساكناً ، ثم في الظلام ، ومن وراء ستار يبدأ يكيد للإسلام ، ويؤدى المسلمين ، هذا نوع عاهد ولم يرتبط بمعاهداته ، ونوع آخر عاهد — من المشركين — ووفى بعهده .

ونوع ثالث لا يدري أن هناك شيئاً يربطه بغيره ، أو أن هناك دعوة يبغي أن يحدد وضعه منها .

وصدر سورة براءة نزل يحدد موقف الإسلام من الفئات الثلاث .. فأما الذين تلاعبوا بالعهود فقد أُمِرَ المسلمون أن يصربوهم ، وأن يؤدبوهم ، وأن يعالحوهم بالسيف . ﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴾^(١) أما هو المطلوب ؟ لديكم مهلة أربعة شهور ، تفكرون فيها تفكيراً جاداً ، فإما كنتم رجالاً تحترمون كلمتكم ، وتؤدون حق الله عليكم ، وإما لا مكان لكم في هذا البلد ، وإما قطع الرقاب : ﴿ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين وأذان من الله ورسوله ﴾ إعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴾^(٢) هذا الموقف ممن ؟ ممن لعب بالعهود ، وعبث بالكلمات .

أما الذين عاهدوا واحترموا كلمتهم ، ولم يحاولوا إيذاء المسلمين

(١) التوبة : ١ .

(٢) توبة : ٢ ، ٣ .

وإسئل منهم فقد قال الله فيهم : ﴿ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ﴾ (١) الذين وعوا لهم الوفاء ، والذين عاهدوا لهم السيف ، وهذا تصرف حسن .

ثم بعد انتهاء الشهور الأربعة يُضرب المشركون ، من الذين يُصربون ؟ الذين نقضوا العهود وعبثوا بها ، قال تعالى : ﴿ فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلواهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ (٢) .

هناك ناس لا يدرون شيئاً ، لا صلة لهم لا بنقض المعاهدات ولا بالوعد بها ، هم ناس عاديون لم يدركوا عن طبيعة الدعوة الإسلامية شيئاً .. فما الموقف من هؤلاء ؟ الموقف من هؤلاء أن يؤمنوا على أنفسهم ، وأن يعاملوا بكرم وشرف ، وألا يروعوا ، بل يُتركون على سحبتهم إن شاءوا دخلوا في الإسلام وأقرب ، وإن شاءوا ابتعدوا عنه ، قال تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴾ (٣) هؤلاء الخيانة هم عذرهم ، أنهم على أنفسهم ، أبلغهم المكان الذي يطمشون فيه ويستريحون به ، فإن جاءوا بعد ذلك مؤمنين قبل منهم إيمانهم ، فالإسلام لا يعرف الحروت ولا الصعظ ، ثم يبدأ الوحي الإلهي يكشف عن السب في هذه المعاملة ، ويحدد مرة أخرى الموقف مما وفي بهوده وممن لم يوف بها ، فيقول جل شأنه ﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ﴾ — ويستثنى — ﴿ إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ﴾ (٤) ويؤكد أن نقض العهد إما كان مع من نقض عهده ، ولعب بكلمته ، وعبث بشرفه :

(١) التوبة : ٤ .

(٢) التوبة : ٥ .

(٣) التوبة : ٦ .

(٤) التوبة : ٧ .

﴿ كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمة يرضوكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون . اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً وصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون ﴾^(١) هل اعتديا عليهم ؟ لا .. هؤلاء هم الذين اعتلوا ، ولذلك فإن معاملتهم بهذا الحسم عدالة : ﴿ لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾^(٢) لا عهد ولا موثق ولا يمين ، إذاً لا كرامة لهم .

هذا المعنى الذى بدأت به السورة يقتضينا أن نعرض وجهة النظر الإسلامية في القتال ، فإن بعض العيشين ، بعض الجهال ، بعض المشترين والمستشرين لا يدرون جيداً — وربما دروا ولكنهم يعالطون — موقف الإسلام من القتال .. العلاقة بين لإسلام وبين سائر الناس — من وثنيين ، من كتابيين ، من ملحدين — العلاقة أساسها على النحو الآتى : نحن أصحاب دين يكفينا أن نعرضه على الخلق كلهم ، هذا الدين يعرض نفسه على كل من يبلعه ، على كل من له عقل ، نعرض دينا ثم نقول للناس : أترون أن قواعد هذا الدين سليمة ؟ أترون أن مبادئه راشدة ؟ أترون أن قيمه صحيحة ؟ فإن قالوا : نعم وآموا ، فهم منا ونحن منهم ، هم ما ونحن منهم ، لا يفضل أحدنا الآخر في شيء .. وإن قالوا : لا نؤمن بما جئتم به ، قلنا لهم : فلما تسأول معكم أنتم رفضتم أن تؤموا بما جئنا به أو بما عرضناه عليكم ، نريد أن نسألكم سؤالاً : هل تتركونا نعرض هذا الدين على غيركم ، وإذا قل العير هذا الدين هل تعترضون طريقه وتمنعونه من الإيمان ؟ فإن قالوا : لا : أنتم أحرار ، نحن كهرنا بكم ولم نصدقكم ، لكن جربوا حطكم مع غيرنا ، فإن آمس بكم آمس ، مالا به صنة ، ولا لنا عليه اعتراض ، إن كان موقفهم هكذا ، فلا سبيل لنا عنهم ، ولا كلام لنا معهم ، ولا يجوز أن نعرضهم بشيء يسوؤهم في أنفسهم أو أموالهم ، قر تعالى في هذا : ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما

(١) التوبة ٨ ، ٩

(٢) التوبة ١٠

جعل الله لكم عليهم سبيلاً ﴿١﴾ أما إذا قالوا لنا . لن نؤمن بكم ، ولن نسمع دعوتكم ، ولن نسمع لكم أن تعرضوا هذا الدين على غيرنا ، وإذا حاول أحد من الآخرين أن يدخل فيه اعترضنا طريقه بوسائلنا المادية أو الأدبية !! قل لهؤلاء . فيستوبسكم عداوة لا تنهى إلى آخر الدهر ، فأنتم ظلمة ، تكفرون وتصنون .. معنى الكفر : رفض الإيمان ، رفض شخصي للإيمان .. ومعنى الصد : أن تمنع غيرك من أن يدخل في الإيمان : ﴿٢﴾ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً . إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً . إلا صريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً ﴿٣﴾ هذا موقف الإسلام من أصحاب الأديان الأخرى ، أرى عاقل أن في هذا الموقف إخراجاً للآخرين ؟ نحن ندعو ، وهذا حقنا ، ومن حق من ابتعد عنا أن يبتعد ، لكن لا يجوز له أن يُكلم أهواها ، ولا يجوز له أن يقف من اشرح صدره بديت ويمنعه من الدخول فيه . هذه عدالة ، لكن — آسف — هذه العدالة لم ترض الكثير من الناس . هذه العدالة لم تسمح البغضاء من قلوب شحنت بالكره لله ولرسوله ﷺ . فرت سورة براءة تعامل هؤلاء المعاملة التي لا بد منها . المعاملة التي لا بد منها معاملة جاءت بعد اثنين وعشرين عاماً من بدء الإسلام . فإن الإسلام ظل يدعو على ما سمعته ، هذه السورة برلت في السنة التاسعة من الهجرة ، وقبل الهجرة ثلاث عشرة سنة ، معنى هذا أن السورة برلت بعد اثنين وعشرين عاماً من بدء الإسلام ، لو تأملنا لوجدنا أنه لم تبق إلا سنة واحدة ويذهب النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، أي أن سورة براءة نزلت قبل سنة من موت نبيها عليه الصلاة والسلام ، والله جل شأنه يعلم أن العرب سيتركهم من رباهم ، ومن دعاهم ، ومن جمع شملهم ، ومن رفع رايتهم ، سيتركهم بعد سنة . هذا شيء في عيب الله لا يعلمه الناس ، ولكن عالم الغيب والشهادة لدى يعرف

(١) النساء : ٩٠ .

(٢) النساء : ١٦٧ — ١٦٩ .

مى يسترجع نبيه ﷺ إليه كان عندما أنزل سورة براءة ، يعلم أنه سيسترجع نبيه ﷺ بعد سنة ، هل يسترجع نبيه ﷺ إليه والمجتمع العربى محتبط مضطرب تعيث فيه جرائم الفساد والفساق ؟ لا .. لابد إذا من تطهير هذا المجتمع من الشرك والفساق ، لابد من جعل هذا المجتمع نقياً بعيداً عن العش والتدليس .. هذا هو المحور الذى دارت عليه سورة براءة (تطهير المجتمع الإسلامى) هذا التطهير : عملية تنقية المجتمع من الشوائب حتى يستطيع هذا المجتمع المناسك بروح الله ، المستير بعقيدة التوحيد ، هذا الذى كُلف أن يقل دعوة التوحيد إلى العالم أجمع ، وأن يصدرها إلى القارات الخمس ، هذا المجتمع الذى كُلف أن يكون رائداً للإسائية وقائد للعالمين ، هذا المجتمع يجب أن يُبقى حتى يقدر على حمل الأعداء ، وحتى إذا رفع الراية لم يحىء من الظلام أو من وراء ستار من يعث أو يحاول نكيس الراية المرفوعة ، إذاً ترر سورة براءة لجعل المجتمع الإسلامى يبقى من الفسق ومن الشرك .. كيف ينقى من الشرك ؟ فى السنة التاسعة من الهجرة كان المشركون — على ما سمعتم — لا تزال لهم قُول متوارية ، حقيقة اهرموا فى معارك كثيرة ، ولكن ما تغلغل فى صدورهم من حب للأصنام ، ومن حين إلى الحاهليه ، ومن تمسك بمآثرها وما فيها من تقاليد ضالة ، كان ذلك موحوداً فى الأمة ، موجوداً فى الجزيرة العربية ، فكيف الطريق إلى غسل رمل الجزيرة من كل آثاره ؟ الطريق أن يرسل السى ﷺ على بن أبى طالب هذه السورة — بصدرها الأول — إلى موسم الحج ، وكان أمير الحج فى السنة التاسعة أبابكر رضى الله عنه ، فذهب على وأسع أنا بكر المهمة التى كُلف بها (١) .

سورة براءة يمكن أن تقسم قسمين متميزين من ناحية الموضوع ، النصف الأول أو الثلث الأول من السورة يطهر الجزيرة من الشرك ، من عبادة الأصنام ، من تقاليد الحاهلية القديمة .. الثثن الآخران من السورة يطهران الجزيرة من الفسق .

(١) نضر البحارى ٨١/٦

تطهير الحريرة من الشرك بدأ على هذا النحو : يذهب على بن أبي طالب رضي الله عنه ويقرأ صدر سورة براءة على الناس ويعاونه أبو بكر رضي الله عنه فيرسل مبادئ يرددون التعاليم الجديدة في الموسم الحامع ، ما التعاليم الجديدة ؟ .

التعاليم الجديدة :

« لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان »^(١) كانت الخاضعية تجمع بين ربيع كثير وحق قليل ، كانت بقايا من ديانة إبراهيم تحبها تحترم الكعبة ، ولكن رواسب كثيرة من خرافات الفكر الوثني كانت تسيطر على شعائر الحج ، فكان النساء يطعن عرايا وتقول المرأة كلاماً معيماً لا يقال^(٢) هذا كلام يجب تطهير المجتمع الإسلامي منه . ولذلك نزل في صدر سورة براءة : ﴿ ما كان للمشركين أن يعملوا معكم في أعمالهم وفي النار هم خالدون . إنما يعمل معكم مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾^(٣) وقد أمر المسلمون أن يمسحوا كل مشرك من أن يحج إلى البيت حاجاً بتقاليده القديمة وأوراره الأولى ، إن شاء آمن وطاف ، وإلا فلا تقبل هذه الدنيا حول البيت الحرام : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجدين الحرام بعد عامهم هذا ﴾^(٤) لكن هذا الكلام الحاسم به تبعاته ، ما تبعاته ؟ تبعات عسكرية ، وتبعات

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الودع يوم النحر في فطح يؤدب في الناس « ألا لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان » أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب لا يطوف بالبيت عريان ١٨٨، ٢ وموسم في كتاب الحج باب لا يحج لبيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ويهاج يوم الحج الأكبر ١٠٦، ٤

(٢) انظر صحيح مسلم في كتاب التفسير — باب في قوله تعالى ﴿ خلدوا حيث كنتم عند كل مسجد ﴾ ٢٤٣/٨ ، ٢٤٤
(٣) سورة ١٦ ، ٨
(٤) سورة ٢٨

اقتصادية ، فأما التبعات الاقتصادية فإن المسلمين في مكة أحسوا أن منع
المشركين من الحج سيجعل أسواق مكة تُقفر أو يقل الرواد وبالتالي إذا
ضعف موسم السياحة على هذا النحو قلَّت أرباح الناس في مكة ، هذا
أمر يتصل بالناحية الاقتصادية ، أمر آخر يتصل بالناحية الحرية ، أما ما
يتصل بالناحية الاقتصادية فقد قال الله فيه : ﴿ إنما المشركون نجس فلا
يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خصم عيلة ﴾ أى فقراً —
﴿ فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ﴾ (١) . وأما
الناحية العسكرية فإنه يقول للمسلمين . متى كنتم تنتصرون بقواكم
لخاصة ؟ متى كنتم تكسبون المعارك بالجهد المادى وحده ؟ إن المعرك
التي كسبتموها قديماً كسبتموها لأن الله رأى أن يرفع خسيستكم ، وأن
يُعلّي شأنكم ، وأن يعز جانبكم ، ولا فلو ترككم وحولكم وطولكم
وقواكم ما كسبتم حرباً .. ثم يقول للمسلمين : وقد كثرتكم يوماً وغرتكم
كثرتكم وظننتم أن كثرتكم سوف تغنيكم عن عناية الله وتأييد
السماء ، فماذا حدث ؟ انهزمت : ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
ويوم حين إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم
الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ ثم أنزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء
الكافرين ﴿ (٢) ﴿ أنزل جنوداً لم تروها ﴾ ما هي الجنود التي لا نراها ؟
شيء يعلمه الله ، ولكن الذى يتأكد منه المؤمن والكافر أن الواحى
العصية والعاطمية والعكرية يمكن أن تستقر وترشد وتضع أفضل
الخطط ، ويمكن أن تصدم وتضطرب وتفرج وتصع أسوأ الخطط ، يمكن
أن تصبر وتصابر وتتحمل ، ويمكن أن تُكِل ونضعف وتراجع وهذا كله
بين أصبعين من أصابع الرحمن ، ففى الحديث : « إن قلوب بنى آدم
كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يُصِرُّفه حيث
يشاء » (٣) .

(١) التوبة ٢٨ .

(٢) التوبة ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) رواه مسلم في كتاب القدر — باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ١١/٨

قد يجعلك حريشاً جنذا مقدماً تطفر بك الوقعات من نصر إلى نصر ، وقد يجعلك هيئاً قلقاً تترجع من مكان إلى مكان ، لكن هل معنى أن الله عز وجل قال «سأبصر» أن مدين كفوا بالقنار وحموا راية الإيمان يتواكلون أو يفرطون ؟ لا .. لقد أمر المسلمون في صدر هذه السورة بأن يستعدوا استعداداً أوله أن يعالوا الناس بما عندهم ، وأن يقبلوا لكل مخلوق : لقد قررنا أن نقيم مجمعا للإسلام ودولة تأخذ برها ولنفسها ما تريد ، فمن أراد أن يعترض فحس له بدرصاد ، ومن يكسر أو عحر أو علته الرهبة والخشية فلم يتحمل إقامة الدولة الحديدية فليعلم أنه صعب الإيمان ، بعيد عن دائرة الإسلام ، ولذلك يقول الله في الصفحة الثابتة من هذه السورة : ﴿ أم حسبكم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خير مما تعملون ﴾^١ الله لا يترك المؤمنين يحاولون أن يدعوا على خنيس ، أو أن يعيشوا في الأرض بوجهين ، لابد من مصرحه ، إما أن يكون مسلماً يؤمن بالدين كله ، وتحوطه من حوايه كلها ، وتهص مدافعا عنه دون قلق ، وإما أن تعلم أن الله لا يرصى عليك ولا يؤيدك .

هذا بالنسبة إلى الوثنية التي كانت تحج البيت مشركة وتطوف به عارية .. أما أهل الكتاب فإن الإسلام نظر إلى أهل الكتاب فوجدهم أنواعاً ، هناك أهل كتاب حققة فسدة لا يؤمنون بالله ولا نبيائهم ولا بما لديهم من صحائف ، هناك أهل كتاب يملأون الدنيا بالحقا ، ويستبيحون في أرضهم الزنا ، ويجمعون الاقتصاد قائماً على الربا ، هناك أهل كتاب لا دين لهم في الحقيقة ، وهؤلاء كلف المسلمون أن يعاملوهم معاملة فيها بأس ، لكن ما الدس هنا ؟ قال : يجردون من السلاح ، ويؤخذ منهم مال يعتبر « بدل عسكرية » ويقولون على دينهم في حماية الأمة الإسلامية . هذا المسلك أشرف وأعدل مسلك عرفته الدنيا ، لم ؟ أن سأصرب مثلاً صريحاً : اليهود يحاربون « مصر » الآن — ولأكر مصر بأفقط — كان في مصر نحو خمسين ألف أو ثمانين ألف يهودي ، إذا كلفنا اليهودي المصري أن يقاتل اليهود في إسرائيل ، فهل أنتظر أن يكون مقاتلاً محلياً حلاً

صوراً ؟ فإذا قلت له : ابق على ديك ، وعش في جوارى وادفع مالا هو ثمن ما أَدافع أنا به عن هذه الأرض وعمن يعيشون فوقها آمين ، أأكون بهذا ظالماً ؟ أى مسكك أشرف من هذا المسك ؟ لا أكلفه مقاتلة إخوانه في الدين ، ويعيسى عمال قبيل مثل ما يعين المسلمون بأنفسهم وأقل مم يعين المسلمون بأنفسهم ودمائهم ، هذا المال القليل هو الذى يسمى « حرية » والذى تحدث عنه بعض المسعورين من الخاقدين على الإسلام ، قالوا كلاماً مغشوشاً ليس فيه عقل ولا تقدير ولا عدالة ، لأن الله يقول : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١) أياً ما كان الأمر فإن هذه البحوث الفرعية ليست من مهبنا في لتفسير الموضوعى الذى حرصنا على أن يكون رسم صورة شمسية لسورة الكبيرة من القرآن .. وقد قلت : إن سورة براءة تدور حول محور واحد هو : تطهير الأمة العربية المسماة ، تطهيرها من الشرك ومن اسفاق ، وقد انتهى من هذا اثنتي الأولى في السورة ، بينما فيه كيف صهر المجتمع العربى الأول من الشرك ، ولما عود إن طال بنا لأجل إلى اثنين اباقين من السورة يرى كيف طهر الإسلام المجتمع الإسلامى العربى الأول من النفاق .

أقول قولى هذا وأستعمر الله لى ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿ الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد

عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، وادرسوا أيها المسلمون تاريخكم العابر والخاص ، القديم والمعاصر ، وتأملوا كذلك تواريخ غيركم ، فإن تاريخ غيرنا مليء بالمآسى ، إن الحروب الدنيوية لا يعرفها، التاريخ الإسلامى أبداً ، ولكن عرفتها أراض أخرى لوث أديمها بالدماء المرافقة بعرارة بسبب الاختلاف لا فى الدين فقط بل فى المذهب الدينى ، أما نحن فديننا بلغ من السماحة حدا لا يعرف لدين آخر أبداً .. لفت نظرى شيء — لو أنك احتبرت المثقفين عديدا من المدارس — لافى المدارس المتوسطة بل فى الجامعات — لو حدثتهم عن (شارل مارتل) ما عرف أكثرهم ماشارل مارتل ، والذى يقرره التاريخ أن شارل مارتل رجل فرنسوى أوربى هزم المسلمين فى معركة (بلاط الشهداء) (٢) فى الأندلس ، وكان سبب انهزام المسلمين أنهم تفرقوا قبائل وعصيات .

(١) الشورى : ٢٥ ، ٢٦

(٢) جرت معركة بلاط الشهداء بين مدينتى تور وروانيه فى الجنوب الغربى من باريس وهزم

شارل مارتل الأمير عبد الرحمن العافى عام ١١٤ هـ ٧٣٢ م

وسطروا العنائم وسوا وجه الله ، فهرمهم شارل مارتل ، وكانت الهزيمة عادلة ، وإن كان عدد من المؤرخين — لا أدري أهو حق أم هي أساطير ؟ يقول . إنه يمر بمقابر الشهداء المسلمين هناك فيسمع حلاها — أحياناً — أصوات الأذان !! لا أدري أهو حق أم حال ؟ لكنه على كل حال يعطى فكرة عن أن المسلمين الأولين قاتلوا من أجل : الله أكبر ، وتحت لواء : الله أكبر ، وهذا هو الذي جعل الناس يسمعون أو يتخيلون أن هؤلاء الشهداء لا تزال تُسمع بين أصرحتهم وقبورهم : الله أكبر !! هُرم المسلمون ، المعركة — طبعاً — لا تدرس ، ربما يدرس تاريخ بابلون ولا يدرس السر في هزيمة المسلمين في هذه المعركة .. لكن أوربا لا تنسى .. في الأسبوع الماضي هوجمت سفارة الجزائر وقتل عدد من الأشخاص وخرج نحو عشرين شخصاً ، وأعلنت الجمعية المستولة عن هذا الذي حدث أنها جمعية (شارل مارتل) وأنها تريد إحراج العرب من فرنسا ، وهم يشتعلون هناك غملاً !! نحن ننسى ، أما غيرنا فيذكر ، نحن أصحاب قلوب بيضاء إلى حد البله ، أما غيرنا فإن ضغائنه راسية في أعماقه إلى حد الخش والدهاء . ألا نرعى .. ألا نفكر .. ألا نتجمع حول ديسا . إن اليهود يتحدثون عن أن (مؤتمر جنيف) — لا أسميه مؤتمر السلام — سوف يُعطل يوم السبت لأن العمل يوم السبت لا يجوز عند اليهودية !! هل يحترم المسلمون دينهم وشعائهم ويعلمون أن هناك حلالاً وحراماً في دينهم فينبغي أن يُراعى هذا وأن تحترم حدود الله أم لا نفهم ؟ وإلى متى لا نفهم ؟

« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنائنا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر »^(١)

« ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم »^(٢) .

(١) رواه مسلم والنسائي وأحمد

(٢) الحشر : ١٠ .

عباد الله

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١)

وأقم الصلاة

★ ★ ★

(١) النحل ٩٠ .

الضغائن السوداء

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

١٩٧٣/١١/١٦

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عُنْوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسرّاح المبر ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فنحن نعلم أن المعجزة الكبرى لسيّدنا محمد ﷺ هي القرآن الكريم ، يرى كثير من المؤرخين والمصنفين أن المعجزة التي تلى هذا الكتاب هي مجموعة الرجال الذين رآهم محمد عليه الصلاة والسلام ، فأحسن تربيتهم وسكب من نفسه في أفئدتهم من مشاعر أيقين والإحلاص ما جعلهم نماذج حية للإيمان الراسخ والهداء إلى آخر رمق .

إن هذا الجيل من أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، الذين حملوا مبادئه ، ووفوا لها ، وكانوا حسراً عبرت هدايات السماء عليه إيليا ، إن هؤلاء الرجال طرار من الخلق يعجب ، وفي الحقيفة عندما أقرأ سير الكثيرين منهم أشعر بقصر وتضاؤل وأحس أنى أمام قمم داهية في الفضاء لا تُطاول !!

كنت أقرأ حياة رجل عادى اسمه غير معروف في تاريخ الأصحاب الذين ررقوا حطوطاً كبيرة من الشهرة اسمه « أبو عقيل الأيمى »^(١) .

(١) انظر طبقات ابن سعد : ٤٧٢/٣ ، ٤٧٣

في حروب الردة ظهرت بطولات فارعة قمعت الباطل وشرّفت الحق وحروب الردة طالت شهوراً ، وبذل فيها حملة القرآن الحقيقيون بذلوا فيها أنفسهم ، وأنا أقرأ في صفحة عادية من الصفحات التي لا تلمت النظر ، وجدت أبا عقيل هذا يصاب في معركة اليمامة بجرح ، مرق سهم قريباً من قلبه ، فكاد يفصل ذراعه اليسر عن مكبه !! ويتعير المؤرخين جرّاً إلى حيمة كي يُداوى فيها ، كانت المعركة - معركة اليمامة - تدور بطريقة مرعجة .. حرب بين كروفر .. بين إقبال وإدبار ، أتباع الدجال « مسيلمة الكذاب » استبدت بهم عصبية الجاهلية فهم يبدلون نفوسهم حتى لا يهزموا ، والمسلمون يريدون الإجهار على هذه الخرافة والانتفاء من هذا الدجل ، لكن الحرب كانت مداً وجدراً ، كراً وفرّاً .. كادت صفوف المسلمين تتصدع من هول القتال !! فعضب الأنصار ، وضائق نفوسهم أن تنور الحرب على هذا النحو ، قالوا : أحلصونا .. اجعلونا طليعة .. لا يريد أن يختلط بأحد في الصفوف المتقدمة .. وصاح صائحهم يالأنصار أحلصونا !! فأحدوا يتجمعون حول الصيحة .. وكان أبو عقيل جريحاً في الخيمة فظفر إليه عبد الله بن عمر وهو يتحرك ، فقال له : « إلى أين ؟ أنت رجل جريح تكاد ذراعك أن تسقط !! قال إلا تسمعهم ينادون على !! فقال له إنما ينادى يالأنصار ، قال وأنا من الأنصار ، والله لو كنت لا أستطيع أن ألبى النداء إلا حبواً لرحفت !! » .

وخرج بسيفه تحمله ذراعه اليمنى لأن الأخرى تكاد تسقط ، وخرج يقول هو الآخر يالأنصار ، كربة كيوم حين !! وكان يوم حين قد بدأ بداية سيئة لأن المسلمين غرتهم كثرتهم ، ثم لما انشكف الطلقاء والمرزقة ومن يكثر السواد ولا يصلحون في الجدد ، نادى النبي عليه الصلاة والسلام ندائين لم يفصل بينهما : « التفت عن يمينه فقال : يا معشر الأنصار ، فقالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال : يا معشر الأنصار ، فقالوا : لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك »^(١) فاجتمعوا عليه ، وانتصر بهم وحدهم !!

(١) رواه مسلم في الصلاة . باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ١٠٦/٢ ، وانظر سيرة ابن هشام « عزوة حين » ٢٨٨/٢

أبو عقيل رضى الله عنه يذكر الواقعة ويقول . كربة كيوم حين !!
وكر الأنصار في زحف قرروا أن يفخوا فيه أو يبلغ مداه !! وبلغ مداه
وقتل مسيلمة واقتُحمت صفوف الشرك ، وانتصر الإيمان !! ومرَّ عبد الله
ابن عمر رضى الله عنهما في الميدان فإذا أبو عقيل على الأرض فنظر إليه ،
فوجد به أربعة عشر جرحاً كلها بعدت إلى مقتل !! فقال : أبا عقيل . فقال
له ليث .. وسأله أبو عقيل وهو على الأرض لمن النتيجة ؟ فقال : للإسلام ،
وقتل عدو الله ، يقول ابن عمر : وكان الرجل يكلمني بلسان مُلثاث !! اعوج
لسانه لأنه يموت ، فأشار أبو عقيل بإصبعه وقال : الحمد لله ، ومات !!

عندما قرأت سيرة الرجل قلت : سبحان الله !! لقد كان جريحاً يستطيع
أن يقول : سقط عني التكليف لأني مريض ، ولكنه تحامل على نفسه وأبى إلا أن
يقاوم ، وعندما بدأ يودع هذا الدنيا لم يكن تفكيره في أهل أو مال ، إنما
كان تفكيره الذى شغبه وسأل عنه هو لمن النتيجة ؟ فلما علم أن النتيجة
لِلإسلام حمد الله ومات مستريحاً !! .

من ربي هؤلاء ؟ محمد عليه الصلاة والسلام والقرآن !!
ومحمد ﷺ لم ينته ما دام كتابه موجوداً ، وما دامت سنته
موجودة ، وما دامت النماذج التى تركها من بعده موجودة .

المهم أن نحس بحس الاتصال به ، التأسي به ، الاقتداء به ، الأخذ
عنه ، وهذا ما أريد أن أدور حوله الآن في كلمة اليوم .

أريد أن نعرف شيئاً عن طبيعة الدين الذى ربي أولئك العمالقة ، لا بد
أن نعلم أولاً أن ما عندنا هو الحق ، وأن ما عند غيرنا إفك وهوى وشهوات
وأساطير .

هذا المعنى أكدته القرآن كثيراً ، حتى تعلم أيها المؤمن أن ثروتك
لا غش فيها ، وأن مبادئك لا دحل فيها ، يقول الله لنبيه : ﴿ ... ولكن
اتبع أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولى
ولا نصير ﴾ (١) .

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠

أهواءهم .. وفي السورة نفسها يقول له : ﴿ ... ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ﴾^(١) .

ويقول : ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ﴾^(٢) .

ويأمره في سورة الأنعام فيقول له : ﴿ قل لا أتبع أهواءكم قد صلت إذا وما أنا من المهتدين . قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ﴾^(٣) .

هؤلاء أتباع الهوى ، غير ما يتبع الهوى ، أما نحن فالدين والعلم عندنا اسمان لشيء واحد !! ﴿ ... ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم ... ﴾^(٤) .

العلم عنوان أو اسم للوحي !! فهو مقارن أو مرادف لكلمة الدين ، الدين والعلم عندنا سواء ، وذلك لأن الحق معنا يقول الله لسيه في وصف هذا القرآن : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ... ﴾^(٥) .

لكن هل الحق يمشي في هذه الدنيا بقدرته النظرية ، أو ببدلته العقلية ، أو برهينه الدامعة ، أو بالصور السليمة التي يقدمها ؟ لا !! لم ؟ لأن أهل الباطل هم مواقف يحب أن نشرح ، شرح القرآن الكريم مواقف المبطلين أعداء الحق في أول أنهم يكرهون أي خير يصيبها !! ويريدون من أعناقهم أن تحيطبوا الشرور والآلام !! تأمل في قوته تعالى : ﴿ ما يود الدين كهرؤا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم ﴾^(٦) .

تأمل في قوته تعالى ﴿ وددت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم ... ﴾^(٧) .

تأمل في قوته تعالى : ﴿ إن يثقبوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ﴾^(٨) .

لكن هل وددادتهم أن تكفر انتهت إلى التمني القلبي ووقفت ؟ لا ،

(٢) سورة هود الآية ٢٩

(٤) سورة البقرة الآية ١٤٥

(٦) سورة البقرة الآية ١٠٥

(٨) سورة المسححة الآية ٢

(١) سورة البقرة الآية ١٤٥

(٣) سورة الأنعام الآية ٥٧، ٥٦

(٥) سورة الإسراء الآية ١٠٥

(٧) سورة آل عمران الآية ٦٩

إن هذا التمسى القبيى تحول إلى سلوك عملى ، كيف ؟ أخذ شعباً مختلفة ، فهم مثلاً يريدون أن تدمر المساجد فلا يذكر اسم الله فيها !! لم ؟ لم تكره المساجد ؟ ولم يكره أن ينعث من فوق مآذنها تكبير الله وتوحيده ؟ لكن هؤلاء وصفهم القرآن فقال : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ... ﴾ (١) .

شعبة أخرى إلى جانب كره المساجد وما ينعث منها ، شعبة أخرى هى كره الدعوة إلى الله ، مقت الدعوة إلى الله ، النظر إليهم بضيق ومحاوله التكبل بهم وإحراس أصواتهم !! ﴿ وإذا تلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يستطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ... ﴾ (٢) .

يكادون يبطشون بهم !! هل هذه الرعبة الجامحة في تدمير المساجد وإحراس الدعوة وقمت عند هذا الحد ؟ لا إهم لن يرصوا إلا إذا تركنا هذا الدين !! لماذا ؟ لأن الإسلام في الحقيقة عندما جاء العالم ، جاءه بعد ظلام طال ليله ، وبعد طم حملت الشعوب معارمه من الملل والنحل التى لم تغلح في تدديد الظلمة ، ولم تنجح في علاج الظلمة !! إن هذه الملل والحل ضاقت عندما وجدت ديناً جديداً يفتح حيث حابت ، وينجح حيث فشلت ، وكما يكره أدياء الطب الطيب الصحيح الناجح ، وكما يكره التجار الماشلون التاجر البقى الذى لا يعيش ، كما يقع هذا في الدنيا وعندما أتاع الملل الشردة يضيقون بالإسلام ويكرهونه ويعلمون أنه ما بقى يعرض نفسه ومبادئه ، ويؤكد الناس من أن يطلعوا على حقائقه فلا مجال لهم ولا بقاء لهم !!

ولذلك كان القرآن واضحاً عندما قال لصاحب الرسالة : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .. ﴾ (٣) .

هل يكتفون بعدم الرضا ؟ لا ، ﴿ ... ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ... ﴾ (٤) .

(٢) سورة الحج الآية . ٢٢ .
(٤) سورة البقرة الآية : ٢١٧ .

(١) سورة البقرة الآية : ١١٤ .
(٣) سورة البقرة الآية : ١٢٠ .

إسما ما يشتري الشر ولا يحب أن يملأ الدنيا بالقتال والحروب ، ما أظن
أن تابعاً للدين من الأديان يكرر كلمة السلام بلسانه كما تتكرر على السنة
المسلمين !! خمس صلوات يومياً يسلم المسلم فيها يومياً يميناً ويساراً ،
يذكر كلمة السلام ، ويحیی الناس بها في الفرص والناقلة في البيت والشارع
في كل مكان .

لكن ماذا نضع عندما نجد ناساً كثيرين وللأسف في طليعتهم أهل
الكتاب ، يحقدون علينا ؟ .

نحن نسمى أهل الكتاب في هذا العصر أهل كتاب ، وإن كانت
صلاتهم بكتبهم اضطرب ، ولكم ما داموا يعتمدون عليها ويظنون إليها
وينتسبون إلى ما فيها فهم أهل كتاب .

سألت نفسي قلت: اليهود يريدون محو ديننا ، يقول ييجن - الإرهاني
الإسرائيلي الذي يتزعم المعارضة الآن في إسرائيل ، وقد يكون حاكماً
قريباً ، وهو وإن كان زعيم المعارضة ما يختلف عن المرأة الحاكمة في قليل
ولا في كثير فإبهم أشربوا التعصب لليهودية والكراهة للإسلام - يقول
ييجن : إن الطريق أماننا صعب لأننا نريد محو الحصار العربية وإحلال
الحضارة العربية مكانها !! .

الأمر أمر استئصال ، الأمر أمر أن ديناً يراد الإجهار عليه وعلى أمته
وإحلال دين آخر مكانه !! هذه هي المعركة !! أسأل نفسي وأقول :
والدين من وراء إسرائيل ما لذي يجعلهم يؤمنون بإسرائيل ويدافعون عنها
ويتعصبون لها ويرسلون الأسلحة إليها ؟ المانع ؟ لا ، إن العرب في أرضهم
الواسعة ، وإن المسلمين في أرضهم الأوسع أسواق استهلاكية لا آخر لها
للسلع الأوروبية والأمريكية !! .

هل أسأنا نحن للأمريكيين ؟ لا إبهم قوم طهروا في التاريخ من قرن أو
قرنين على الأكثر ، ونحن قبل ذلك قد شققنا طريقاً في هذه الدنيا ، ولعنه
ظهروا يوم بدأنا نضعف ، فما الذي يجعل الأمريكيين يقولون: نتحمل شتاء
بارداً ، نتحمل المشى على أقدامنا ؟ .

الواقع الذي لا يذكره الكثيرون أن الأمر ليس عشقاً لليهود بقدر

ما هو كرهه الله ولمحمد ﷺ ، كرهه للقرآن والسنة ، كرهه لعرب والمسلمين ، كرهه لهذا الدين توارثوه ، ورضعوه من لبن الأمهات .

هذه الخفائق يحب أن تعرف ، لقد بدأوا يشعرون بأن تأييدهم لليهود سيجر عليهم متاعب ومع ذلك فإن كرههم للإسلام جعلهم يمحسون في سياسة الغدر والظلم والافتيات وإضاعة الحقوق ، ما الذى يسبب هذا كله ؟ نظرت في كتابها ، في تاريخها ، فوجدت أننا ما أسلفنا يدأشيرة ولا آئمة ولا معتة لأحد !!

هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وكان اليهود يسكنونها فعقد لهم المعاهدة ، ولكهم في ظل معاهدة كفلت حرية العقل والضمير ، وضمنت إقامة الشعائر الدينية لكل ذى محلة !! فى ظل هذه المعاهدة حققوا على الإسلام !! .

يقول مفسرو القرآن^(١) : إن رجلاً أراد إرغام ابنه على الإسلام ، وكان الولد نصرانياً وكان الأب مسلماً ، وجاء إلى النبي ﷺ يقول : أيدخل بعصى النار وأنا قادر على معه ؟ ولكن الرسول عليه السلام تلا الآية : ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾^(٢) .

هذا مجتمعاً ، شيء آخر ، حدثت قصة طريفة في هذا المجتمع^(٣) هذه القصة أن سرقة وقعت ، وكان جيران هذا البيت المسروق بعضهم مسلم وبعضهم يهودى ، وأسرعت التهمة إلى اليهودى ، ولكن الوحى نزل يقول : لا ، اليهودى برىء والذى سرق مافق يتظاهر الإسلام .

ودفاع النبي ﷺ عن المسم كان خطأ وقع فيه ونزلت الآيات تقول : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً ، واستغفر الله إن الله كان غفوراً رحيماً . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً ﴾^(٤) .

أى مثالية في الدنيا تنصف الدين لا يديون دين الدولة كما فعل الإسلام ؟ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٥٦

(٤) سورة النساء الآيات : ١٠٥ - ١٠٧

(١) انظر القرطبي ٣/٧٨٠ .

(٣) القرطبي ٥/٣٧٥ .

يُمكن التّرجيح أنّ درعاً فقدت على بن أبي طالب رضي الله عنه فنزل يوماً في السوق فوجدها عند يهودي ، فأمسك باليهودي ، وقال : درعي أنا أعرفها ، واحتكم إلى القاضي ، وكأن عبداً كان يطرأ أنه ما دام رئيس الدولة ، وما دام على بن أبي طالب المعروف بالشّجاعة والإيمان فإن كلمته ستصدق ، ولكن القاضي « شريك » قال له : يا أمير المؤمنين ألك بينة ؟ فسكت على ، لا دليل عنده ، قال : اليمين حصمك ، اليهودي يحلف ، وليس لك إلا هذا : « البينة على من ادعى واليمين على المدعى عليه » (١) .

يقول المؤرّحون : إن اليهودي دفع الدرع إلى عبيّ وقال له : هي درعك أخذتها منك مُصرفك من « صمين » وما هذه إلا أحكام أنبياء !! .

الرجل راعه أن تُطّبق العدالة عليه وهو حصم لأمير المؤمنين رئيس الدولة !! .

هذا هو ما نصّعه مع عبداً ، لكن اليهود مع العدل الذي عاشوا في ظله ، مع الحرية التي كفلت لهم إقامة الشعائر ، مع كل هذا ظلّ قلوبهم أسود !! .

وأقرأ سورة البقرة - وهي السورة التي نزلت أول ما نزل الوحي في المدينة فأرى أن اليهود بدلوا جهوداً عريية في إحراج النبي عليه الصلاة والسلام وفي تحريج دينه وأمته ، وفي مناقشة المسلمين مناقشات لا معنى لها ولا ضرورة لها ، فإن اليهود لم تمص عليهم سمة وقد وقعوا معاهدتهم مع النبي عليه

(١) رواه البخاري في الرهن باب إذا اختلف اليمين والمنتهى ١٤٥/٥ ويقول السرخسي في المبسوط معلقاً على هذا الحديث : « وقوله ﷺ ، ايمه على المدعى واليمين على المدعى عليه ، وإن كان من أخبار الآحاد فقد تلتته انعماء رحمهم الله بالقبول والعمل به فصار في حيز الثواتر ، وعد هذا من حوامع الكلام على ما قال عليه الصلاة والسلام « أوبيت حوامع الكلام واخترت في الحديث اختصار » فقد تكلم كلمتين استبطن العلماء رحمهم الله مبهما ما يقع دفاتر فقال قتادة في قوله تعالى ﴿ وَأَيُّهَا الْحَكَمَةُ وَفَصِلِ الْخِطَابَ ﴾ ص ٢٠ إن الحكمة السورة وفصل خطاب اسمه على المدعى واليمين على المدعى عليه ، فهذا دليل على أن ما ذكره رسول الله ﷺ قد كان في شريعة من قبله أ هـ انظر المبسوط للسرخسي ٢٨/١٧

الصلاة والسلام ، ومع ذلك فإن إخراجهم بلغ مداه ، أخذوا يبدون به لأنه يتبع قننتهم ولا يدين دينهم ، وأحد القرآن الكريم يقول لليهود : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون ﴾ (١) ، ولكن لا وفاء ، ما يعرفون الوفاء .

وجاءت غزوة بدر وانتصر المسلمون فيها ، وكان انتصار المسلمين بعد سنة ونصف من إمصائهم المعاهدة مع اليهود ، المعاهدة لا تزال جديدة ، فماذا كان مسلك اليهود ؟ سلكوا مسلكاً غريباً ، أخذوا يحقرون النصر الإسلامي دحل اندية ، ويقولون للمسلمين لا تغتروا أن لقيتم ناساً لا يعرفون القتال فانتصرتهم عليهم ، أما لو التقيتم بنا لعلمتم أننا نحن الناس !!! .

لكن هذا الاستمرار لم يؤثر في النبي ﷺ أو المسلمين ، وسلك اليهود مسلكاً آخر ، أخذ شعراؤهم يرسلون القصائد رثاء في قتلى قريش وتأيناً لصرعى الشرك والوثنية !! انصم اليهود إلى عادة الأصنام في صراعهم مع عبادة الله الواحد ! لم هذا ؟ هذه طبيعتهم .

إنني أريد من هذا السياق شيئاً ، أريد أن نعم حقيقة لا ريب فيها : يستحيل أن يوفى اليهود بعهد !! يستحيل أن يحترموا كلمة !! .

لن ينتهي القتال معهم في شهور أو في سنين قلائل ، إن الحرب حرب طويلة المدى ، وهي تحتاج إلى ما لا بد من شرحه : قلنا وما رلنا نقول . إن اليهود جاءوا فلسطين وهم يرون أنفسهم أولاد الأنبياء !! نوع من الخنوع الديني أو اندروشة الديية ، نوع من التعصب للدين بدأ بكاء عند جدار « المبكى » والكاء هنا شيء حطير ، يقول علماء التاريخ : إن الأمم لا تثور إذا ظلمت إنما تثور الأمم إذا شعرت بالظلم !! أما إذا مات شعورها فلا قيمة لها ، وكما يقول المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح عميت إسلام (٢)

(١) سورة البقرة الآية ٤٠ .

(٢) ديوانه . ٣٢٧/١ .

إنما يتحرك من يشعر بالظلم ، نحن فقدنا « الأندلس » هل شعرنا
بفقد الأندلس ؟ لا ، أما هؤلاء فقد أشعروا أنفسهم أن هنا أرضاً فقدوها
وأحدوا يكون عليها !! البكاء بالدموع تحول إلى قطرات دم ، تحول إلى
احتلال للأرض .

هذا ما تصعه الأمم ، هؤلاء جاءوا بعقيدة دينية ولذلك يستحيل أن
يقضى عليهم وأن تجث جنودهم ، إلا بالعقيدة الدينية التي يريدون محوها ،
وأنا أعتبر حائناً ساقطاً من عين الله كل إنسان ملك سلطة أو ملك قلماً
وجعل العقيدة الدينية ذات مكانة ثانوية في التوجيه الأدبي أو المادى !! .

وكان الله جل شأنه أراد أن يقول لنا : سمعتم لكذبة الذين قالوا لكم :
إن الهزيمة السابقة كانت للتأخر في التكنولوجيا ، لا.. كان معنا أسلحة أكثر
مما معنا الآن ، إنما انتصرنا لأن « الله أكبر » كانت في المعركة الأولى
حرمة !! أما الآن فإن الأبناء عندما كانت تحيى - وأنا كنت في المغرب -
كان التكبير يعطى على هدير المدافع !! كانت كلمة « الله أكبر » تأخذ
مداها في سفوس وفي الصعوف !! استدار المفتاح الدينى في القلب العربى
فانفتح !! .

« أبو عقيل الأنيسى » والد الجنود مجهولين ، لرجال تربوا في
المساجد ، بضباط وقواد ليست لهم أسماء لامعة ، ولكم وصلوا قلوبهم
بكلمة الله ، وبسنة رسول الله ﷺ ، فكانت الأمة - برغم الكتابات التي
ملأ طيها الأدان وهي مسحدة - كانت سليمة الجوهر ، الطبيعة المؤمنة
رفضت كل مراودات الإلحاد ، كل إغراءات الشرك ، كل أكاذيب الإباحية
والفجور ، كل محاولات لصرف عن عقائد الإسلام وشرائعه وشعائره ،
فكان الشعار الدينى هو الذى قاد البصر ، وكان الله الذى يُضحك
ويُبكي ، وهو الذى يقول عن نفسه : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه
هو أمات وأحيا ﴾ (١) كأن الذى أضحك وأبكى يريد أن يقول
للمسلمين : أنا أستطيع أن أنصركم ، وأن تدمر كل عدد الضلال لى تأثق
في إعدادي وتأتى في تجهيزها ، أنا أضحك وأسوق البصر إذا أردت ، وأنا
أبكي وأسوق الهزيمة إذا أردت .

(١) سورة النجم الايتان : ٤٤،٤٣ .

أريد أن يعلم الناس أن اليهود يستحيل ما بقروا في هذه الأرض أن تكون لهم كلمة مأمونة أو عهد محترم أو دمة مرعية !! هؤلاء يستحيل ما بقوا أحياء أن يتركوا فلسطين !! .

لا بد من سحق هذه العصابة المعتمدة على دينها بأجيال ترى... يغذيها القرآن الكريم ، يغذيها مرنى الأبطال محمد بن عبد الله ﷺ صانع الرجال ، يغذيها بسنته .

لا بد من عقيدة دينية تعدى هذا القتال ، وعرف أنه ليس قتال أيام قلائل ، لا ، ما فسد في خمسين سنة أو أقل أو أكثر لا يصلح في خمسين ساعة أو في خمسين يوماً أو في خمسين شهراً ، لا ، الرمن جزء من العلاج ، وأمتنا محتاجة إلى علاج صويل ، لكن الذي أطلبه الآن هو : أعداء الإسلام مكرة مهرة وقد كسب المتديبون المرحلة الأولى ، لكنني أخشى عليهم أن تسرق منهم هذه المرحلة ، أخشى عليهم كتاباً مردوا على الضلال والمجون ، أخشى عليهم حكماً عاشوا بعيدين عن الله وعن الصلاة ، من باب الاعتراف بالواقع وأنا كنت في المغرب - سرى أن يكون رئيس الدولة هماً مجمعاً لا مفرقاً ، اجتمع العرب لأنهم شعروا بأن مصر تقاتل حقاً وأن أهلها مؤمنون حقاً ، وأن الوقوف إلى جوارهم دين ، وأن العدو عنهم خيانة ، أما قبل ذلك فقد تركونا لأنهم لم يجدونا أهلاً لأن يساعدونا ، كان حكماً فجرة كدية .

إننا لا نريد أن يستولى الضلال على حصيلة ما صممه الحق في هذه المعركة ، يبني بقاعدة الإيمان ، « الله أكبر » ليست صيحة تقال وينتهي الأمر ، « الله أكبر » صيحة تفتح بها الصلاة فمن لم يصل فإن صيحاته في الطريق لا تصلح ، ينبغي أن يتعم قول هذه الكلمة في صلاة تبدأ من مفتتح اليوم ، يصلي الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ (١) .

الرجل الذي يجلس في ديوانه أو على مكتبه ويشعر بأن الناس عبيد له أو لأبيه هذا لص !! ومرتبته الذي يأخذه سحت !!

(١) سورة النساء الآية : ١٠٣ .

الرجل الذى يحس فى ديوان أو مكتب يجب أن يعلم أنه حادم للأمة وأن سيده وسيد أبيه من قبله أبو بكر رضى الله عنه يقول للناس : « إلى وليت عليكم ولست بخيركم إن أحسنت فأعسيوني ، وإن أسأت فعوموني » !!

« الله أكبر » كلمة تفتح بها المدرسة لتكون التربية دينية ، لن نسمح بالحاد أبداً ، لن نسمح إطلاقاً لمن يشككون فى الله ، أو فى عصمة محمد عليه الصلاة والسلام « الله أكبر » كلمة تستقر فى المحاكم لتكون أداناً بأن شريعة الله عنوان العدل والفضل : ﴿ أفغير الله أتبغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ، وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ (١) .

إننا نريد أن يعلم الناس أن اليهود لا عهد لهم ، إهم شوا حرباً دينية هدفها سحق رسالة محمد عليه الصلاة والسلام على أساس أن إسرائيل الكبرى سوف تكون قضاء على قلب الإسلام ، وقلب الإسلام فى مصر !! وفلسطين ما هى إلا جناح من مصر صغير ، كانت مكملة له عبر التاريخ كله !! .

الآن يحىء رجل أمريكى ليقول : متى كانت سيناء مصرية ؟؟ إن هؤلاء الأمريكيين لديهم عقدة ، هم لا يعرفون كلمة « وطن » بمعناها الحقيقية لأهم جميعاً طرأوا على أرض لم تكن لهم ، هذا ألماني ، هذا إنكليزى ، هذا فرنساوى ، هذا استرالى ، هذا عربى ، تركو بلادهم وذهبوا إلى أرض لا تاريخ لهم فيها يأكلون فيها ويرتقون !! .

فكلمة « الوطن » عندهم كلمة مهمة لأن إحساسهم بها ضعيف ، هم قوم ليس لهم وطن .

وأريد أن نعلم قصة الحق الدينى ، إن « وايرمان » اليهودى يقول : إن « لويد جورج ، ولورد بلفور » عندما ساعدوا لم يكونوا يساعدون عن رشوة يقدمونها أو عمل يفعلونه بعيداً عن ضمائرهم ، لا ، إهم كانوا

(١) سورة الأنعام الآيات : ١١٤، ١١٥

يتقربون بهذا العمل إلى رهم ، ويرون أن إعطاء فلسطين لنا تصديق لتعاليم العهد القديم .. التي يؤمنون بها !! .

هذا ما يقوله : « وايزمان » اليهودي ، يقوله فيعتبر علماً وتاريخاً ، ونقوله نحن فيعتبر تعصباً !! .

يجب أن نعلم ما هنالك .. بهذه الجملة من الحقائق يمكننا أن نواجه معركتنا القادمة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون. ويستجيب الدين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد (١).

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

أيها الإخوة نحن كما قلت لكم لا نريد أن نحون ديننا ولا كتاب ربنا ولا سنة نبينا ﷺ ، وسبقول بعض الناس إن دولة كذا ساعدتنا ودولة كذا أبدتنا ، ودولة كذا وقفت إلى صفنا ، ليكن ، لكن ما علاقة هذا بأن نترك ديننا ونكفر بربنا ونرتد عن إسلامنا ؟ .

إن ما بين الروس والأمريكيين من خلاف اجتماعي وسياسي لا شك فيه ، وكلاهما يحبا على نمط اجتماعي لا صلة له بتنا بالتمط الآخر ، كلاهما له فلسفته العقائدية والأخلاقية لا صلة لها بالآخر ، ومع ذلك فإن الروس ما وجدوا حرجاً في أن يتعاونوا مع خصمهم لمصلحة ، وإذا كنا نحن مستعاون مع غيرنا لمصلحة فللمصلحة فقط ، ولا نقل من أحد أن يقول لنا: اكفروا لأن من ساعدكم كافر !! لا .

الله يعلم كيف استوردنا الأسلحة ؟ والله يعلم الكثير مما ينبغي أن يقال ، ولكن الذي يقال ويؤكد أن اعترافا بحميل من أسدى إليها الجميل ، لا يعني أن نحون ربنا وهو ولي نعمتنا الأول ، وهو الذي يبض وجوهنا في المراحل الأولى من المعركة ، وثبتنا فيما بقي من مراحل ، إن المعركة طويلة ، ولا أحب من المسلمين أن يتصوروها سريعة ، لا ، المعركة أطول

(١) سورة الشورى الآيات ٢٥، ٢٦

مما يظنون ، ولكننا عندما نصابر الأيم ، وعندما نرجع إلى ديسا بقوة
وحماسة فالمستقل لنا ييقين .

« اللهم أصلح لنا ديسا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التى فيها
معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل
خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شىء »^(١) .

﴿ ربنا اعصر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا
غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾^(٢) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(٣) .

أقم الصلاة

(١) رواه مسلم والنسائى وأحمد

(٢) سورة الحشر الآية ١

(٣) سورة النحل الآية : ٩٠

الباقيات الصالحات

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على
الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ،
وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والمعمة المسداة ،
والسراج المير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فإن الباقيات الصالحات هي هذه الكلمات : سبحان الله ، والحمد
لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر^(١) ، ومعنى أنها باقيات صالحات أنها
تصمت أوصافاً حسنة لله - وهو أهل كل كمال - تصمت نعوذاً حميدة
لدى الخلال والإكرام ، معنى بقائها أنها حالدة لا تفسى ، أنها مستمرة
لا تنلاشي ، قد تصف وطناً ، الوطن يروى ، قد تصف قصرًا ، القصر
يهدم ، قد تصف كوكباً ، الكواكب تاهل ويسى مساها وتنطفيء نارها ،
لكن ما انصم إلى الله ، ما أصيف إلى ذاته العليا ، ما انصف به رب العالمين
يبقى ولا ينتهى ، ولذلك سُميت هذه الكلمات : الباقيات الصالحات !!

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : خلوا جنتكم قبل يارسول
الله من عمرو قد حصر ؟ قال : لا . جنتكم من البار فقولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله
أكبر فإنها يأتى يوم القيامة منجيات ومقدمات وهي الباقيات الصالحات . رواه الحاكم في الدعاء
وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه ١ / ٥٤١ والساقى في عمل اليوم واليلة حديث
رقم ٨٤٨ في ثواب من سبح الله وذكره . الألبانى في صحيح الجامع الصغير وزيادته وقال : صحيح
٦١٢ / ١

وقد وردت كلمة : الباقيات الصالحات في موضعين من القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾^(١) الناس تسعى إلى هذا ، ولا عيب في أن يسعى الإنسان لأن يكون له مال ، وأن يكون له بنون ، وأن تكون له دنيا ، لكن العيب أن يعبد الإنسان ذلك كله من دون الله ، أو أن يصده شيء من ذلك عن ذكر الله ، أو أن يفهم أن الكلمة الراححة للإنسان هي ما امتلأ بهما والجاه ، فإن لكمة الراححة كما أتمت الآية المعنى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾^(٢) .

ووردت في سورة مريم نفس الكلمة . ﴿ قل من كان في الصلاة فليمدد له الرحمن مداً حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف حنئاً ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً ﴾^(٣) أى خير مرحعاً وعقبي ، وقد تكون كلمة : الباقيات الصالحات إلى جانب ما ذكرنا من شروح السة ها قد تكون متصمة معى أكبر ، أو معنى مُساوقاً في مدته ومنتهاه للكلمات الأربع التى ذكرناها كقوله تعالى ﴿ ما عندكم يفتد وما عند الله باق ﴾^(٤) فإذا ادحر الإنسان شيئاً عند ربه فهو من لباقيات الصالحات لأنه لا يمى ولا يعرفه روال .

نحب أن نتوقف قليلاً عند هذه الكلمات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

الكلمة الأولى : سبحان الله .. أى تريباً لله من كل مالا يليق بقدره ، إبعاداً لكل مُستقبح أو مستكر عن أن يتسرب إلى صفاته أو إلى دانه . لتسريح سربه . والله حل شأنه أهل كل كمال ، وقد وردت الكلمة في الكتاب العزيز بصاريفها كلها ، جاءت فعلاً

(١ ، ٢) الكهف ٤٦

(٣) مريم ٧٥ و ٧٦

(٤) البحل ٩٦

ماصياً ﴿سبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ (١) وجاءت فعلاً
 مصارعاً : ﴿يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ (٢) وجاءت
 فعل أمر : ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ (٣) وجاءت
 مصدرأ : ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ (٤) جاءت
 الكلمة بتضاريفها كلها ، لماذا ؟ لأن الخطأ اشترى بين الناس في تصور
 الألوهية وإدراك حقيقتها من ناحية الكمال والسمو والمجد
 والعظمة ، فهناك من أخطأ خطأ فادحاً فرغم أن الله بيا ، والله مره عن
 هذا ، ما يليق به ذلك : ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله
 إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما
 يصفون﴾ (٥) هناك من رغم أن الله حسد — تحسد — وهذا كذب على
 الله ، فإن حائق الأكوان ، حائق السموات التي يتيه العقل عندما يتصور
 الأرقام الفلكية التي تحسب عروب وشروق الكواكب في مداراتها الرحبة
 التي يستحيل أن يدرك شيئاً من مداها ، خالق هذا كله كيف يتصور أنه
 جسد أو جاء في جسد ، والعريب أن هذا الكلام الذي أقوله موجود في
 كتب لها قدامة — عند أصحابها — كنت أسأل نفسي كثيراً لماذا تحدث
 القرآن عن صيف إبراهيم المكرمين في أكثر من موضوع ؟ ثم عرفت بعد
 ذلك النسب لأني وجدت في «العهد القديم» أن إبراهيم كان جالساً عند
 باوطات ممراً — مكان في فلسطين — فسمح أشخاصاً قادمين من بعيد
 وسخ الله بينهم ، فأسرع إلى مقبلته ، وسجد بين يديه ، وقال له : إن كان
 لعدك نعمة في عيبك تتغذى عنها (٦) ما هذا الكلام ؟ الله يتعدى !!؟ هذا
 كلام عريب ، وكما ذكر العهد القديم هذا ذكر أيضاً أن الله كان يتمشي
 في الجنة فسمع خشخشة في الشجر فقال : من هناك ؟ قال : آدم ،

(١) اخشر : ١ والصف ١

(٢) الجمعة ١٠ والتعاب ١٠

(٣) الأعلى : ١

(٤) الروم : ١٧ .

(٥) المؤمنون : ٩١ .

(٦) انظر سفر التكوين الإصحاح الثامن عشر

فقال : لماذا أنت محتشئ ؟ قال : أنا عريان ، فقال : هل أكلت من الشجرة التي هيئت لك عنها ؟ قال : المرأة التي خلقتها لي هي التي أعترتني^(١) !! والله لا يدري شيئاً عن هذا كله ، ثم بعد صفحات يقول : وندم لرب عن حق الإنسان !! لأنه ما كان يدري أنه شرير على النحو^(٢) !! وبذلك كثر في القرآن الكريم الحديث عن تسبيح الله .. تربيته . سوء العقيدة على أن الله ﷻ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم^(٣) وليس في انقراص الخمس كتاب نزه رب العالمين ، وأبعد كل نقص عن ذاته وكل قصور عن صفاته كهذا الكتاب العزيز ، ليس في الدنيا كتاب غير القرآن الكريم تحدث عن الله بكل ما ينبغي له من إعزاز وتوقير وتكريم وإعظام !! .

هناك تسبيح يحيى ، بمعنى يسعى أن يُعرف لأنه قد يتصل بحياتنا العادية وملوكنا الذي نناشره ، يسعى أن نُحسن الظن بالله ، قد تقول : ومن الذي لا يحسن الظن بالله ؟ أقول لك إن الذي يحل لأنه يخشى الفقر يسعى انظر بالله ، وبذلك قال سيدنا رسول الله ﷺ لسيدنا بلال رضي الله عنه . « أنفق يا بلال ولا تُحش من ذي العرش إقلالا »^(٤) .

الظن بأن الله لا يُحيف على من ألقى طر سيء ، يسعى أن يُسبح الله عنه ، وقد ذكرت في القرآن الكريم قصة تشير إلى هذا المعنى وهي قصة أصحاب الحبة — الحديفة — الذين رأوا أن يحبوا ثمرها بعيداً عن أبطار الفقراء حتى لا يأخذوا منها شيئاً ، حلوا بحق الله في الثمرات التي صنعها الله ما صنعها أحد معه — محبوا بحق الله على المحتاجين من عباده . ﴿ فتنادوا مبشرين . أن اعدوا على حرثكم إن كنتم صابرين . فانطلقوا وهم يتخافتون . أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين .

(١) انظر سفر التكوين الإصحاح الثالث

(٢) انظر سفر التكوين الإصحاح السادس

(٣) الشورى ١١ ، ١٢

(٤) رواه البراء عن بلال وعن أبي هريرة والطبراني عن ابن مسعود وإساده صحيح : انظر

صحيح الجامع الصغير وزيادته ٣١٦/١

وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون . قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قانوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ﴿١﴾ التسييح هنا هو توحيد يقيس ، لكن إلى جانب : هَلَّا عرفت أن الله الذي خلق النمر يختبر صاحب ثمر في إحراج جزء منه ، وطاهر الإخراج أنه نقص ولكن التبيحة الأخيرة ثماء وريادة ومصاعفة ولذلك يقول الرسول ﷺ : « ما نقص مال عبد من صدقة » (٢)

هناك تسييح من نوع آخر . الحق قد يكون صعباً في عصور كثيرة ، ويختبر الله أصحاب الحق بأن يقفوا إلى جانبهم وهم صغار ، يختبرهم : ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ﴾ (٣) هذا اختبار ، يوماً ما كان اليهود قد أدلوا بثرواتهم وشمحو بأموالهم وملأوا الأرض فساداً ، عندما طعوا واعترفوا بقواهم وظنوا أنهم في حصونهم التي شيدوها يملأون الأرض فساداً ولن يعاقبهم أحد ، وأن الذي يمهل سيمهل ، قيل لهم : كذبتم ، الذي يمهل لا يمهل ، بش الظن أن تظن أن الله يمهل ، وبذلك جاءت سورة الحشر بمطلع التسييح حتى تعيد التوحيد وحسن الظن بالله لفوس الناس : ﴿ سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم . هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ﴾ (٤) أنا أبيه دائماً إلى أن العبرة لا يستطيعها كل أحد ، إنما يستطيعها أولوا الأبصار ، وبذلك قلت وما رلت أكرر القول . بأن الإسلام ما يتنوع من الشعوب الغيبة التي لا بصر لها ، إنما يتنوع الإسلام من شعوبها ثقافة وها إدراك ، وهو عندما ينزل في شعوب

(١) انقل . ٢١ - ٢٩

(٢) جزء من حديث أوله : « ثلاث أقسم عليهن » رواه أحمد ٢٣١/٤ والترمذي في الزهد - باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نمر . وقال . هذا حديث صحيح . . نعمة الأحمدي ٦١٦/٦ ، ٦١٧

(٣) الفرقان : ٢٠ .

(٤) الحشر : ١ ، ٢ .

متبلدة يبدأ ويرفع مستوها ويجعل بصرها حاداً حتى ترى ، وهو ما صعد القرآن الكريم عند من استمعوا إليه فلم يجروا عند قراءته صمّاً وعمياناً .

الكلمة الثانية : الحمد لله .. كلمة الحمد لها شعبتان في المعاني . شعبة تتصل بتمجيد الله وكشف انقباب الـدى تسحه الجهل على بصائرنا فلم يعرف ما يسعى لله من مجد وعظمة .. الحمد هنا مدح ، إما في الذات العليا مما يحب أن يُمدح ، هذا شيق من معاني المدح ، ولذلك فإن الحمد هنا يذكر في السراء والنصراء ، يذكر في كل حين على أنه بيان لما يحب لله من إحلال ، ولذلك بعد أن ينتهي الحساب ويستقر كل فريق حيث انتهى به عمله أو انتهى به فصل الله تأتي هذه العبارة : ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقصى بينهم باحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ (١) ، ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً﴾ (٢) الحمد هنا شعور بما لله من عظمة وحلال ومجد ، وهو الحميد ، جل جلاله ، أما الشيق الثاني أو المعنى الثاني من معاني الحمد فهو : شعور بالشكر بإزاء اسعم التي تهجر صباحاً ومساءً على العباد ، وفي الناس حدود فهم يرحون في فضل الله ، ما يطعم أحد إلا من حيره ، ما يشرب أحد إلا من سحاب هو الذي أثاره وكونه وهو الـدى أمرله ليروى به اطامثون ، ومع ذلك فإن الناس ترح في نعمة الله وقلماً تشكر رها على ما أنعم ، ولذلك كانت السنة الشريفة مُسببة إلى هذه النعماء انسية أو هذا المصل المحمود ، فكان رسول الله ﷺ يقول « من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر ذلك اليوم » (٣) شكر الله على أنعمه ، وفي الحديث القدسي : « يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهديكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا

(١) لمر : ٧٥

(٢) الإسراء : ٥٢

(٣) رواه أبو داود في لأدب باب ما يقول إذا أصبح وراد « ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته عون المعبود ٤١٣/١٣ والنسائي في عمل اليوم واليلة حديث رقم ٧ ص ١٢٧ ومن حياك وصححه (موارد رقم ٢٣٦١) وهو حديث حسن .

من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادى كلكم عارٍ إلا من كسوته
فامسكسوني أكسكم» (١) .

فهل يكتسى أحدنا ثم يذكر أن الذى وارى سواته وأبرر وجاهته وأتم
عليه زينته واستحق الشكر بهذه الجن هو رب العالمين !!؟ .

كان السبى عليه الصلاة والسلام إذا لبس ثوباً قال : « الحمد لله
الذى كساى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة » (٢) هذا بالنسبة
إلى لنعم الكثيرة التى تُحسُن انتشارها بيننا وإهمارها ليلاً ونهاراً .

هناك نعم ينساها أصحابها أو يسبونها إلى غير صاحبها ولو عقلوا
لنسبوا إلى أصحابها ، افرض أنك ذكى ، وأنت بدكائك خلعت
مشكلة عويصة ، أو انتهيت إلى رأى ناجح ، من الذى وهب لك الدكاء ؟
من الذى جعل تلافيف المخ كثيرة بحيث تستوعب وتحيط وتحسن الاستنتاج
هب أن صوتك خلو ، من الذى صنع الحبال الصوتية ووضع فيها العنوبة
والرقة ؟ من ؟ أنت ؟ أبوك ؟ أمك ؟ من الذى صنع هذا ؟ هبك قوى
البدن مُكتنز الجسد بالعافية متين الأعصاب ، تعمل أربعاً وعشرين ساعة
دون إعياء ، من الذى منحك هذا كله ؟ ولذلك يقول ابن عطاء الله
فى حكمه الجميلة : « من أكرمك إنما أكرم فيك جميل ستره ، فالحمد
لمن سترك ، ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك » !! .

هذا كلام جميل .. الفصل لمن منحك لا لمن مدحك .. هذا كلام
رقيق .. وابن عطاء الله من حيرة الدين تكلموا فى هذه الموضوعات ..
الفضل لمن منحك لا لمن مدحك .. ولو شاء لعراك فما تساوى شيئاً ..
هذا ما ينبغى أن يعرف .. وما ينبغى أن يدركه و أحوالنا وحياتنا .

الكلمة الثالثة : لا إله إلا الله ، فى الحقيقة لا ترتيب بين الكلمات
لكن هكذا رُويت ومع الرواية التى جاءت بها فإن لنبى ﷺ قال : « لا
يضررك بأين بدأت » (٣) لا يضر . التسييح والتحميد .. يجتمعان ،

(١) جزء من حديث طويل رواه مسلم عن أنس فى كتاب البر . باب نعيم الظلم

١٦/٨ ، ١٧ .

(٢) قال النووي فى الأذكار : رواه فى كتاب ابن السبى عن معاذ بن أنس رضى الله عنه

(٣) فى الحديث « أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله =

وهما مع التوحيد حقيقة متكاملة ، ولذلك تجدد الآية .
﴿ فسبحان الله حين تمشون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾^(١) وقت الطهيرة ووقت العشي — وهو وقت الأصيل — المساء بعد غروب الشمس ، أما العشي فهو وقت الأصيل ، والعدة وقت الصباح : ﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ﴾^(٢) آصال : جمع أصيل ، والغدو هو الصباح ، وصلاة العدة — كما تجيء في بعض السنن — هي صلاة الصبح .

كلمة لا إله إلا الله .. هي عنوان الإسلام ومدخله ، وإليها ضميمه أخرى تذكر بها غالبا وهي : محمد رسول الله ، فالاعتراف برسالة محمد ﷺ حقيقة لا يكمل دين إلا بها ، ولا يتم إيمان إلا بحقيقتها ووجودها ، ولكن هي إلى جانب ذلك علامة على صدق التوحيد ، بمعنى أن أدعياء التوحيد كثيرون ، فالذين يشركون يقولون : الله واحد !! والذين يثلاثون يقولون : الله واحد !! والذين يحسدون يقولون : الله واحد !! مزاعم ، أما التوحيد — بتعبير عصرنا: الماركة النقية ، العلامة المميزة التي تدل على أن التوحيد نقي — فهو ما جاء عن طريق محمد عليه الصلاة والسلام ، لأنه توحيد فعلا ، فقد كشف أن مادون الله عبد لله ، فليس هناك من تسرى إليه صفات الألوهية بثّة ، لا ملّك ولا بشر ، البشر من نبي فنزلوا عبدا ، والملك من جبريل — روح القدس — فارلا عبيد : ﴿ إن كل من في السماوات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ﴾^(٣) ولا يجزئ واحد من الملائكة أو من البشر أن يرغم نفسه بعض شارات الألوهية : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾^(٤)

« والله أكبر ، لا يصرف باسم تدنس » رواه مسلم عن سفيان بن عيينة في كتاب الآداب باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة وبما دفع وعنه ١٧٢/٦

(١) الروم : ١٧ ، ١٨ (٢) الأعراف : ٢٠٥

(٣) مريم : ٩٣ (٤) آل عمران . ٧٩ ، ٨٠

فلا الملائكة ولا الناس فيهم أحد يوصف بحرف من صفات الألوهية ،
 هيئات .. الله واحد أحد فرد صمد : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد .
 لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ﴾ (١) وقد تميزت القصة الأولى في
 البشرية وهي محمد عليه الصلاة والسلام بأنها أوصحت هذا بحلاء ويست
 أن الشر جميعا — وأولهم محمد عليه الصلاة والسلام ، لأنه في ترتيب
 العبودية بعد الأول ، وإنما كان في ترتيب العبودية بعد الأول لأنه كان في
 يقظته ومنامه . في صحته ومرضه .. في حربه وسلمه .. في انتصاره
 وهزيمته كان وثيق الصلة بهذا الإله الواحد ، لا يعرف غيره ، لما انهزم في
 أحد — وكانت الهزيمة مرة ، وبعثت من هزها لأعصاب المسلمين ما
 بلغت ، لكنه بعد السعين بطلا الدين قتلوا — قال : استنوا حتى أثنى
 على ربي عز وجل » (٢) وصف اسمين في أحد ورعه يشون على الله
 سبحانه وتعالى !! فهو ليس عبدا يحمد في السراء ويرهد في الضراء أو
 يرغب عن الله أو يقصر في الثناء ، لا ، هو عبد الله .

ولكلمة التوحيد ريادت كلها ثناء على الله . لا إله إلا الله وحده لا
 شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ومن
 «طرائف» (٣) التي تحرى على قلوب لعارفين أن واحدا من الناس سأل سمعان
 ابن عبيدة : ما أفضل الدعاء يوم عرفة ؟ فقال . « لا إله إلا الله وحده لا
 شريك له . فقال السائل : هذا ثناء وليس بدعاء ، فقال له أما علمت
 قول الشاعر (٤) :

(١) الإخلاص : ١ — ٤

(٢) رواه أحمد ٤٢٤/٣ والحاكم ١/٥٠٧ ، ٢٣/٣ ، ٢٤ وقال : صحيح على شرط الشيخين
 ووافقه الذهبي في موضع وقال في موضع آخر والحديث مع بضعة إسناده مسكر ١١ وقال الشيخ
 الألباني . والحديث صحيح فقط فإن فيه عيب في رقاعة لم يخرج له الشيخان نظر فقه آسره للشيخ
 المعزلي بتحقيق الألباني : ٢٨٣

(٣) انظر تجريد الأعلاني ١/ ٥٩٥ ونهاية الأرب ٣/ ٢١٤

(٤) هو أمة بن أبي الصلت حين أتى عبد الله بن جندب يطلب ماله . انظر أمة بن أبي

الصلت . حياته وشعره : ١٥٢

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياءُ
 إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناءُ
 ثم قال الحبيب الملهم لسائل : هذا مخلوق يكتفى بالشاء عليه دون مسألة
 فكيف بالخائق !!؟

الكلمة الرابعة : الله أكبر .. عندما ذهب الأتراك بحيش لهم في كوريا
 الخنوية يقاتلون عن العالم الحر — كما قيل — يقاتلون الشيوعيين هناك ،
 قالوا : كان هُناك الجيش التركي وهو يهجم : الله أكبر .. هذا هُناك
 تقليدي للأتراك .. وهذا الهُناك هو الذي ذكُّ أسوار القسطنطينية يوم
 كانت عاصمة للصليبية العالمية ، وهو الذي قاد الفيالق المنتصرة عندما كانت
 تحبب لها وهناك تُقلم أظافر الضالين المضلين ، الهُناك التقليدي بقي مع
 الجمهور ، مع العوام ، مع الفلاحين والعمال الذين جُندوا فلم يدركهم فساد
 المفسد الكبير : مصطفى كمال أتاتورك ، لم يدركهم ضلال المصلل
 الكبير مصطفى كمال أتاتورك ، فعلى سجيتهم قاتلوا وهو يقولون : الله
 أكبر ، أتدرون أيها المسلمون أن هذه الكلمة جعلت الناس في كوريا
 يستغربون ، لأن الحماس الذي كان يصحبها ، والحرارة التي كانت تنطلق
 معها ، والإيمان العميق الذي كان يبدو من نبراتها لفت أنظار الكوريين
 فجاءوا يسألون عنها وعن الإسلام ، وبدأ دخول الإسلام كوريا ، ويوجد
 الآن خمسون ألف مسلم في كوريا ، بدأ وجودهم مع الفرقة التي جُندت
 هناك ، ومن عام واحد أرسل إليها واعظ مصري يعرف الإنكليزية ، على
 بعقة دولة قطر ، يقول لي هذا الواعظ — بعد مجيئه — لو أن لنا حشداً من
 الدعاة لحولنا كوريا كلها إلى مسلمين !!

هذه كلمة : الله أكبر ، ررقنا الله العمل بالباقيات الصالحات ، وألهمنا
 ترديد هذه الكلمات ، والله ولي التوفيق .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله موفق العالمين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .
عبد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل واعلموا أيها المسلمون :
أن هذه الدنيا ممرٌ وليست مستقرا ، وكما جاء في صحيح البخاري :
« ارتحلت الدنيا مدبرة ، وارتحلت الآخرة مقلدة ، ولكل واحدة منهما بهون ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل »^(١) .

الإسلام يحتاج إلى عاملين لا إلى عاطلين ، يحتاج إلى من يعتقون فكرته ، ويخدمون رسالته ، ويستعملون للتصحية من أجله ، ويؤدون حق الله عليهم بأمانة وصدق . إن المسلمين في بداية القرن الخامس عشر — للأسف — في وضع لا يشرف الإسلام ، قلوبهم امتلأت بالشهوات ومرقتها الأهواء ، وأرى الدنيا كلها تنظر إلى العرب المتنافرين المتشاكسين الذين اشتد بأسهم بينهم وأحسنوا تمزيق بعضهم بعضا ، ينظرون إلى هذه الأمة باستهزاء وازدراء ، ما أحوج أمتنا إلى أن تنظف نفسها من دنس الشهوات ، وأن تعلم أن الدنيا التي تسعى وراءها ستبقيها في كل درب وسبيل في هذه الدروب انطلاق الوحوش في البرية ولن يعود بشيء ، ولكن إذا اصططحنا مع الله ، وأخلصنا قلوبنا له ، وتعرفنا الطريق لدينه ، ودرسنا كتابه وسنة نبيه ﷺ ، وأدينا ما علينا لله ورسوله فإن الله يكفل لنا الدنيا ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ﴾^(٢) .

أيها الإخوة : في ظلي أن هذا المسجد^(٣) من المساجد التي أسست على تقوى من الله ورضوان ، وفي ظلي .. بل ما أحسنه أن حماية الله هي

(١) هو من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخرجه البخاري في الرقائق .. باب في

الأمم وطوله ١١٠ / ٨

(٢) النحل : ٣٠

(٣) مسجد النور بالعباسية بمدينة القاهرة

التي حفظت لا حماس الضعاف أمثالنا ، فإن حماية القوى أهم من حماس
لضعاف ، حماس الضعاف لا يصنع شيئاً ، ولكن حماية القوى تصنع كل
شيء ، والحقيقة أننا اتجهنا إلى الله ، وسألناه الجدة ليته ، وكان حل
شأنه — في علمه السابق ، وفي قدره الماضي — كان قد تأذن ببقاء
المسجد ، وليس لبشر ما فضل .

لا أحد هنا يزعم أنه صاع للمسجد هنا شيئاً ، حاشى الدين بدأوا وصع
الأسس ورفع الدعائم والشرفات فبهم عند الله ماثبتهم ، والله المنة في أعناقهم
أن سحرهم لرفع حصص للتوحيد في هذا المكان ، المسجد دافع عنه الله ،
ليس لبشر فضل هنا — لا متكم ولا مستمع — إنما اختير الله ناساً هنا لكي
يبدو هل هم مخلصون لله أم لا ؟ ونجح كثيرون في هذا الاختبار ، على كل
حال نحن كما تصدينا للذين توقعنا منهم الصمد عن سبيل الله ، ولم نر حرجاً
أن نكشفهم ، نحن الآن نقول بكثير من الإصاف : إنا لما التقينا بالمسؤولين
الكبار وجدنا عثرة ، ووجدنا ترحيباً ، ووجدنا معاملة حسنة ، ونحن
شكر للذين تحمسوا للمسجد وأبقوه على وضعه ، وأقروا ما اتفقت عليه
إداره المسجد مع محافظة القاهرة عليه ، أقروا هذا ، نحن بشكرهم وبدعو
الله أن يزيدهم قدرة على إبرار المسجد وخدمته وجعله حصصاً للحق
والتوحيد ما بقيت المساجد في القارات الخمس تصلح منها الصلوات التي
تزد للعلم عقله الضائع وضميره البائس ، إن هناك عشرات المؤسسات في
الدنيا تتنافس على تخريب العقل الإنساني والضمير الإنساني ، وتريد إشاعة
أن الله عدد — قل أو كثر — وأنه جسد — قري أو ضعف — وما بقي إلا
هذه البيوت يصدر منها كل يوم خمس مرات : الله أكبر . الله أكبر .. إلى لا
إله إلا الله ... إنا محتاجون إلى أن تبقى هذه المساجد تؤدي رسالتها .

الهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا ديارنا التي فيها
معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل
خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر^(١) عباد الله :
﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾^(٢)

(١) مسلم والنسائي وأحمد

(٢) النحل : ٩٠

تأملات في سورة النور

خطبة الجمعة بالجمعية الشرعية (مسجد الفتح بالمعادي)

١٩٧٤/١٠/٢٥ م

الحمد لله رب العالمين ، وانعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراج المير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد

فمن سور القرآن الكريم سورة النور .. وهي سورة تميزت بالحمائط الشديد على كرامة الأسرة ، وقيمة العرص ، ودعغت جاب الشرف ، وفصنت ما ينبغي أن يلزمه المجتمع كي يحافظ على حرمان الله وحقوق الناس ، ورسمت للتقاليد الحسنة والاجتماعية صوراً دقيقة ألزمت المؤمنين بها ووقفهم عند حدود الله فيها .. ومع أن سور القرآن كلها مرلة من عند الله ، ومعروف أنها سور إلا أن هذه السورة وحدها دون سور القرآن كلها

تميزت بهذا البدء : ﴿ سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون ﴾ ^(١) والسبب في ذلك : أن السورة تدور حول مشكلات العريضة الجنسية وهي من أعتى العرائز وأقواها ولما كان ضبط هذه العريضة في مسارها وإطلاقها لا بد منه لضمان نفس شريفة ، وتخلق مستقيم ، وعفة شاملة مستوعبة ، ومجتمع نقي طهور فإن السورة بدأت هكذا .. ولا بد أن نعلم ابتداءً أن الإسلام دين العطرة — أى دين الطبيعة السوية المستقيمة .. يرفض التكلف والافتعال . وما أنزل الله من تعاليم في هذا الدين القيم هو لضبط العطرة وصمان أن تسير سيرةً حسناً .. لهذا كان للعريضة الجنسية تعاليم واضحة في هذا الدين . وكان لا يحرفاتها عقوبات محددة في هذا الدين .

وسورة النور تتحدث عن احترام العريضة وضبطها حتى لا تنحرف بمنة أو يسرة ، ثم التحذير من يدع حدود الله أو يترك العقوبات التي قررت تقريراً حاسماً في هذه السورة المباركة . القرآن الكريم لم يعتبر العريضة الجنسية رجساً من عمل الشيطان .. اعترف بها وجعل للتنفس الوحيد لها الزواج : ﴿ والمدين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ ^(٢) واعتبر الزواج عادة بل حياء في السنة أنه نصف الدين : « إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه فليتق الله في النصف الباقي » ^(٣) إداً الزواج فريضة اجتماعية لا بد أن تتواصى الأمة الإسلامية بتسييرها .. لكن ذلك متروك للرعى العام والضمير المؤمن .. وقد جاءت آيات في هذه السورة تتحدث إلى أولياء الفتيات ، وجاءت أيضاً تتحدث إلى من يريد الزواج أو من يقدر عليه ويطلبه .. في الآيات الأولى نقرأ قوله تعالى : ﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن

(١) النور : ١

(٢) المؤمنون : ٥ — ٧

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس . وإسناده حسن كما في صحيح الجامع للألباني

١٣٦/١ ، ١٣٧ .

يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم ﴿١﴾ ويشرح النبي ﷺ هذا التوجيه فيقول : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » ﴿٢﴾ و وكل ذلك — بداهة — إلى تقدير ولي الفتاة وإلى تصور الأسرة للنفقة وما يتصل بها .. والواقع أن هذا التقدير لا يمكن أن يثبت فيه قانون ، إنما الذي يثبت فيه مجتمع مؤمن ، والذي يثبت فيه رجال يتقون الله ويريدون أن يشيعوا العفة والقناعة في المجتمع . وإلى أن يتروح طالب الرواح ، وإلى أن يستكمل دينه ماداً يصنع ؟ يقول الله : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴾ ﴿٣﴾ فلا بد أن يستعفف .. وعبرة الاستعفاف تعطى أن المرء يتكلف أو يعاني أو يتعب نفسه ، ولا بد من ذلك في كبح الهوى وصبط الغريزة .. فإن الغريزة العاتية تحتاج إلى إرادة حديدية .. وهذا نجد أن الإسلام حارب الانحراف والجس بمحاربة بواده الأولى أو المقدمات التي تُغري به .. وكان في هذا ديناً عملياً .

في هذه السورة نقرأ قوله تعالى وهو يمنع الانحراف الجنسي : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ﴾ ﴿٤﴾ وكما قال أحد السلف : إذا سمعت الآية تقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فأعرها سمعك فإما خير تؤمر به أو شر تنهى عنه .. هذا النداء يستثير الإيمان .. لماذا ؟ لأن الإيمان هو الذي يخلق الصمير اليقظان الحي الذي يجعل الإنسان إذا قرع بيتاً ولم يجد الرجل فيه يرجع من حيث جاء .. لا يجوز بثقة افتتاح بيت ليس فيه صاحبه .. لا يجوز ديباً ولا مروءة وافتحام البيت وفيه المرأة وحدها فإن البيت حصنها ، وينبغي أن تبقى في هذا الحصن مصونة .. والإسلام

(١) النور : ٣٢

(٢) روى الترمذي في النكاح باب ما جاء فيمن ترضون دينه فزوجوه .. وقال حسن غريب تحفة الأحاديث ٢٠٥/٤ وابن ماجه ٦٣٣/١ والحاكم ١٦٥/٢ .

(٣) النور : ٣٣ .

(٤) النور : ٢٧ .

يرفض كل تقليد اجتماعي يتواضع الناس عليه لحمل الخلوة بالمرأة ممكنة .
يرفض الإسلام هذا لأنه بذلك — فعلاً يَسُدُّ أبواب الفتنة .

ثم توجيه آخر لا بد منه وهو : عص البصر .. فإن الإنسان إذا أرسل
عينه تتلصص على الأعراض من هنا أو من هناك فإنه يفتح أبواب الشر على
نفسه .. وقد قال شاعر قديماً :

والمرء مادام ذاعين يقلبها في أعين العبد^(١) موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالصبر
إن فتح باب الفتنة يكون بالعين المحمقة والصبر الطامع .. والإيمان
أساس — هنا — في كبح الهوى لأنه من الذي يعم حائنة الأعين ؟ من
الذي يعرف كيف ترسل بصره وما أسية الكرامة وراء هذه النظرة ؟ إن
الإيمان هو الأساس الذي لا بد أن يُثَبَّت في القلوب : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا
من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما
يصنعون ﴾^(٢)

توجيه ثالث وهو : مع المشيرات الحسية . ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن
من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها
وليصبرن بخمرهن على جيوبهن ﴾^(٣) ومعنى هذا : أن حسد المرأة عورة
يسعى أن يُؤارى أو أن يُدَارَى وما عدا الوجه والكفين يسعى ستره .. فلا
يجوز أن تلبس ملابس تصف البدن أو تُشِف عن مفاته أو تعري العيون
الحائمة باستدامة النظر إليه فإن هذا كله فتح لباب الفتنة . والإسلام عندما
يأمر بالعة وعندما يهي عن الفحش فهو يَسُدُّ الطريق ابتداءً أمام المشيرات
التي ينزلق بعدها القدم .. هذا كانت السورة كما قلنا سورة آداب جنسية إلى
جانب أنها ضمانات وحصانات للأعراض وللشرف وللقيم .. من ذلك في
أول السورة وآخرها أدب الاستئذان .. ففي أول سورة : ﴿ يا أيها الذين
آمَنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها

(١) العبد : الثعوبة ، وامرأة غيباء وغداة أي ناعمة

(٢) النور . ٣٠

(٣) النور . ٣١

ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم . وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله عما تعملون عليم ﴿١﴾ .

وفي آخر السورة يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴾ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك بين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴿٢﴾ إن الأولاد في البيت ينبغي أن يُعلموا أدب الدخول في العُرف .. هذا المعنى .. معنى أن الأسرة التي تسكن شقة وفيها عُرف يُنه على الأطفال في أوقات معينة ألا يدخلوا إلا بعد استئذان واضح .. هذا أدب إسلامي ينبغي أن يعرفه المسلمون وأن يلتزموه .. هذا أدب إسلامي لا ينبغي أن تتجاهله أو تزدريه لأنه من ضوابط العرض وصيانات الشرف التي تُرفى عليها الأسرة الإسلامية .

فإذا حدث بعد ذلك أن انحرف أحد فإن العقوبة الإسلامية هي الجَدُّ .. بإجماع المسلمين يُجلد الراى الذى لم يُحصَن .. أى لم يتزوج .. وجمهرة المسلمين على رجم المحصن .. والآية في هذا واضحة ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾^(٣) والجلد عقوبة للإنسان إذا هبط إلى ذرّك الحيوان . وكما أن الحيوان يُضرب بالعصا حتى يُنفذ الأمر الذى صدر إليه لأنه لا عقل له فكذلك إذا هبط إنسان عن منزلة العقل والصمير وارتكس في حمأة الشهوة وأصبح منقاداً لغريزته الحيوانية فإنه يتعرض للعقوبة التى يتعرض لها الحيوان .. لأنه

النور ٢٧ ، ٢٨ .

النور : ٥٨ ، ٥٩ .

النور ٢ .

أصبح حيواناً إذ يسطو على عرص كان ينبغي أن يصوبه .. إذ ينتهك
 حرمان لله كان يسمى أن يحفظها وأن يرعاها . فإذا هبط إلى مستوى
 الحيوان فهو مستحق لعقوبة الحيوان .. على أن الرجم الذي جاءت به
 السنة إنما جاء إحياءاً لشرعية قديمة . فالإسلام لم يتدع عقوبة الرجم لرائي
 أو الرائية إذا كانا محصين .. إنما هذه الشريعة شريعة التوراة^(١) ولا تزال
 برغم ما أصاب كتب اليهود من تحريف .. لا تزال هذه الشريعة موحدة
 إلى الآن تنص على رجم الرائي والرائية مادما محصين^(٢) ويقول أحد الأدباء
 تعميلاً لطريقاً هذه الحكم إن من هدم بيت الروحية برباه أو من هدمت بيت
 الروحية برباه يسفى أن تستقم أحجار السيوت كلها من جلده ومن يديه حتى يتعلم
 كيف يصون البيت !! ولذلك قال لقرآن ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين
 الله ﴾^(٣) .

وإلى جانب صيانة الأسر عن طريق منع العمل الرديء فإن الأسر يجب
 أن تصاد عن طريق رفض أى اتهام لا يتيق من هذا القليل ، والإسلام في
 هذا كان حاسماً .. فمن قذف إنساناً بالربا أو قذف أصله أو قذف فرعه
 الذى يتصل به ويمت إليه بسب وثيق فإنه يسمى أن يعاقب بالجلد ثمانين
 حدة . ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم
 ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴾^(٤) هذا

(١) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن
 رجلاً منهم وامرأته ربا فقال لهم رسول الله ﷺ « ما تخبون في لتوراة في شأن الرجم ؟ »
 فقالوا : نصحهم ويؤجلون فقال عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فشروها ،
 فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام ارفع يديك
 فرفع يده فإذا فيها آية الرجم ، فقالوا صدق يا محمد ١١ فيها آية الرجم ، فأمرهما رسول الله ﷺ
 فربما . قال عبد الله بن عمر : فرأيت الرجل يحنأ على المرأة بقية الحجارة « أخرج البهاري في
 كتاب المناقب — باب قول الله تعالى ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ ٢٥١/٤ ومسلم في كتاب
 الحدود — باب رجم اليهود أهل لمة في الزنى ١٢١/٥ ، ١٢٢ .

(٢) ففي سمر الشبه — إصحاح ٢٢ « إذا وُجد رجل مصطحفاً مع امرأة روجة بعل بقتل

الإنسان »

(٣) النور : ٢ .

(٤) النور : ٤ .

نوع من التأديب لا بد منه ، وقد نُمد هذا العقاب فيمن تطاول على مقام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . فإن بعض الناس تساهى ووقع في شرك أحد المنافقين الذين يكرهون انبياء الله ﷺ ويصبقون بدعوة الحق التي بُعث بها وحاولوا في حث وحسة أن يبالغوا من مكانة البيت النبوي فأشاعوا عن السيدة عائشة رصوا الله عليها كلاماً هي منه بريئة وهي فوقه ممرجل وقد نزلت براءتها من عند ذي العرش جل جلاله ، وبين أنها أعظم من أن تُلم بهذا وأكبر من أن يُلاك عرضها على هذا النحو ، وقيل للمؤمنين في هذا كلام يسعى أن يعرفوه وأن يحفظوه : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ (١) ثم يودب الناس : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾ (٢) حتى لو رأيت بعينك وأنت واحد فلا يجوز أن تتكلم لأن الله جل شأنه يريد أن يستر .. يريد أن يعطي فرصة للتوبة .. وفي الحديث : « من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موءودة » (٣) إن الناس قد يخطئون ولكن الله جل شأنه لا يعمل الناس خطأ يرتكبونه .. إنه يفتح لهم باب التائب وفرصاً لا حصر لها حتى يثوبوا إلى رشدهم ويستقيموا على الصراط المستقيم : ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴾ (٤) .

تلك الأحكام التي تقررت فيما يتصل بالانحرافات الحسية وبالثبم التي لا يسعى أن تحرى على لسان مسلم يحافظ على الأعراض .. هذه الأحكام يسعى أن نزعها وأن نحافظ عليها .. وسورة النور بينت أن رعاية هذه الأحكام تتطلب أمرين :

— الأمر الأول : الشعور بعظمة الله ، والإحساس بوجوده ..

(١) النور : ١١

(٢) النور : ١٢ ، ١٣

(٣) رواء الطبراني في الأوسط عن مسبة بن محمد روى الله عنه والعباء عن شهاب . ضعف

الألباني . انظر ضعيف الجامع ٢٠٥/٥

(٤) طاهر : ٤٥

ولذلك بعد أحكام الانحرافات الجسدية وجدنا هذه الآية الخليفة : ﴿ الله نور السماوات والأرض ﴾^(١) فإن الشعور بأن الوجود كله مشرق بنور الله ، وأن أدلة الوجود الإلهي ترحم كل شبر في فضاء لكون .. في فجاج الأرض . في آفاق اسماء .. وأن أدلة الوجود الإلهي ترحم بها كل ذرة من تراب في أرضها ، وكل ما بين السماء والأرض من فضاء لا نعرف حقيقته ولا اتساعه ، والسماوات وما عُبِّت به من أملاك .. كل ذلك مملكة الله الواسعة .. ولذلك بعد أن جاء بآية النور في سورة النور : ﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ﴾ والله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير ﴾^(٢) هذا المعنى لابد أن يدرك فإن الشعور بوجود الله .. ثم هذا الشعور صُرب له مثل : ﴿ الله نور السماوات والأرض مثل نوره ﴾^(٣) مثل نوره في قلب المؤمن ؟ هذا رأى لبعض الناس .. مثل نوره في آفاق الكون كله ؟ هذا رأى لبعض المفسرين .. على كل المثل حظير ويحتاج تفسيره إلى محاصرة مستقنة لكن المهم أن بعد صرب هذا المثل ، وبعد بيان أن الله في مملكته يسعى أن يطاع ، وأن كل شيء يسبح بحمده حل شأنه ، بعد هذا كله قيل للمؤمنين لا يحجروا أن تُهدروا أحكام الله ، ولا أن تكابروا في حدودها ، ولا أن تتعدوا عن تطبيقها ، لذلك قال حل شأنه ﴿ لقد أنزلنا آيات مبینات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾^(٤) ثم يقول في المنافقين حل شأنه ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون . وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ﴾^(٥) هذا التساؤل يعطى أن تنفيذ أحكام الله التي شُرحت في السورة من آيات الإيمان ، وأن ترك هذه الأحكام أو تعطيلها اتهام لله باحيف واتهام لديه بالانحراف .

(١) النور : ٤٦

(٥) النور ٤٧ - ٥٠

(١) النور : ٣٥

(٢) النور : ٤١ ، ٤٢

(٣) النور : ٣٥

كذلك رى كـا فى إقامة هذه الأحكام ما يُتعب بعض أو يصيق به البعض
أو يجزع منه البعض .. لكن هذا لا يحول فى خاطر مؤمن ، قال جل
شأنه : ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل
لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خير بما تعملون ﴾ (١) إن الدين
لا يؤدود حق الله ليست لهم طاعة بل ينعى أن يكونوا معدين لأحكام الله
كلها .. وهذا مالا بد منه حتى نستقيم على أمر الله .
أقول قولى هذا وأستعفر الله لى ولكم .

★ ★ ★

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الدين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿١﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد

فإن هذه السورة بينت أن إقامة أحكام الله لأبد منها وأن الدين يدعون الصاعة لله وفي الوقت نفسه لا يقيمون أحكامه يكذبون على الله .. ولكي يكونوا صادقين حقاً يجب أن تكمل طاعتهم وألا يكون هاك محار للاخفاف والعصيان والحدود في تصرفهم ، ولذلك تقرب السورة

﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ (٢) هذا المعنى .. معنى استكمال الدين وجمع شعبه في سبوك واضح ربما أتعب الناس في عصر من العصور وقد أنعمهم أيام الدعوة الأولى .. فقد كان المجتمع ضائق الصدر بدعوة التوحيد .. وكان المجتمع ضائق الصدر بالصلوات والزكوات والعفة وقوانين الله في الأموال والدماء والأعراس وما إلى ذلك مما قرره الإسلام .. ولم يكتف أن يصيق صدره بن

(١) الشورى ٢٥٠ ، ٢٦

(٢) النور : ٥٤

صم إلى ضيق الصدر مناوأة الدعاة وتمكير صموهم وبث العوائق في طريقهم حتى كان أولئك الذين يعملون للإسلام لا يشعرون باستقرار ولا براحة ولا بطمأنينة بل دائماً يخالج قلبهم رَهَجٌ^(١) ويعمل في صدورهم قلق ويخطون في الأرض وهم يحشون أن يتخطفهم الناس ، فبيست السورة هنا أن الذين يدعون إلى أحكام الله ويستमितون في شرح دعوة الإسلام وأن الذين يتجمعون حول الحقائق الكيرة إن ضاق بهم اليوم ففي الغد متسع هم ، وإن شعروا بالحرج في يوم الناس هذا فإن الله أياماً تسوق الطمأنينة والبصر إلى من عموا له وسعوا في سبيله .. في هذه السورة يقول الله جل شأنه : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾^(٢) لكن الله يطلب أموراً حتى يتحقق بدل الخوف الأمن ، وبدل الاضطراب السكينة ، وبدل الهزيمة النصر . بطلب شيئاً .. يقول : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحون ﴾^(٣) لكن هل يمكن أن يجيء النصر بعد هذا ؟ يقول جل شأنه : ﴿ لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض وماوأهم النار وليئس المصير ﴾^(٤) لا تُهَوِّلَنَّكَ قوتهم .. لا يخلص قلبك أو استقرارك أو صلتك بربك أمهم يمكنون ما يزحم البر والبحر والجو

* * *

(١) الرَهَج : التبار

(٢) النور : ٥٥

(٣) النور : ٥٦

(٤) النور : ٥٧

إذ أحكام الإسلام كما شرحتها سور كثيرة .. وانحرافات الغريزة الجنسية كما شرحتها سورة النور يجب أن تقام .. وإقامتها إسعاد للمخلق ، وإعلاء للحق ، وسياح حول لشرف ، وتقويم عظيم للمثل الماصلة .. وإذا كان الغرب — أقصد بالغرب ما عدا الشرق الإسلامي من أنظمة أخرى ك Kafre علماء أو Kafre حقيقة وإن ادعت الإيمان عواناً ، إذا كان هناك خلاف رئيسي فيما يتصل بالغريزة فإن هذا الخلاف يسمى أن يجعل كلاً مئاً يعرف ما عنده وما عند غيره .. الخلاف حقيقي بين مبادئ الإسلام ومبادئ الحضارة العربية أو الشرقية ، فالإسلام يرى أن الغريزة الجنسية لا تحل لها حركة إلا في بيت الزوجية . أما أوروبا — شرقها وغربها — فتري أن الغريزة الجنسية تنرى وتتصرف كيف شاءت ، لا يصير أن يكون هناك رواج أو غير رواج ، والقانون الوضعي يقوم على هذه الطرة ، فهو يرى أن اتصال أى إنسان بى إنسان آخر — اتصال جنسى — ما دام على التراضى فإنه لا حرج ولا عقوبة !! اخلاف بين الدين وقلة الدين أو عدم الدين واضح فى هذا المعنى ، ولذلك يجب أن نحذر على أسرنا وعلى مجتمعنا ، وأن نطالب بإلحاح أن تسود تقاليد الإسلام وأن تُنفذ نعاليمه فى أحكام الأسره وفى غير أحكام الأسرة .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا ديانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١)

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

عباد الله

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٣) .

أقم الصلاة

(١) رواه مسلم والنسائى وأحمد .

(٢) الحشر : ١٠

(٣) النحل : ٩٠ .

معاصي القلوب .. ومعاصي الجوارح

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراج المير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه والتابعين .
أما بعد

فمن حق الله علينا أن نفعل ما يأمر به ، وأن نترك ما يهي عنه ، وأن نشكر نعمته إذا أصابتنا سراء ، وأن نسلّم لحكمته ونصبر على قضائه إذا أصابتنا ضراء ، من حق الله علينا أن يرانا حيث يحب ، وأن لا يرانا حيث يكره ، من حق الله علينا ونحن نعيش فوق أرضه ، ونتنفس في جوهه ، ونستظل بسمائه ، ونستمد بحيانا دقيقة بعد أخرى من إمداده ، من حق الله علينا أن نسيح بحمده ، وأن نصلي به ، وأن نكون عبيداً لذاته ببارك اسمه ، هذا حقه علينا .

المعصية شذوذ في الكون ، لأن الكون في مادته التي نسج منها وصنع منها العرش والعرش وما بينهما .. انكون كله يسبح بحمد الله ﴿ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (١) فالذي يعصى ربه هو شذوذ في الكون ، والشذوذ من حقه أن يُمحى ، وأن تسود القاعدة ، ولذلك يقول جل شأنه : ﴿ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ لنخسفهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ﴾ (٢).

(١) سورة العنكبوت : ٢٤

(٢) سورة النمل : ٩

وقد خلق الله هذه الدنيا واحترق بأن أحيانا في هذه الأرض إلى حين ، الحكمة من الإيجاد هي كما وصّح في سور كثيرة : ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴿ (١) وجاء في الأثر (٢) تفسير لهذه الكلمة : أيكم « أروع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله » لهذا خلّقا ، وما يتخذ أحد في هذه الدنيا ، رَوَوْا أن ملكا وبسكا كانا يسيران قريبا من مقبرة ، فقال الناسك لملك : هل تدري ما تقول المقبرة ؟ قال : لا ، قال : إنها تقول :

أيها الركب المحبون (٣)
 على الأرض المجدون
 كما أنتم كذا كنّا
 كما نحن تكونون

فأدرك الملك أن المقابر لا تقول ولكن الرجل يصحبه ، وكان الملك وثيا فعرفه الناسك دين التوحيد وحبره كيف يعبد ربه وكيف يخرج من رواية الحياة وقد نجح في امتحانها .

نحن إلى حين على ظهر هذه الأرض فيجب أن نؤدي رسالة الأحياء التي خلّقوا من أجلها وهي : طاعة الله ، ولكنا نزل أقدامنا ، ونقع في الورطات ، ونصيب من الذنوب مالا يسع أن نصيبه ، ما السبب ؟ السبب في ذلك أمور نحب أن نتدارسها حتى نعرف مواطن أقدامنا ونسير حيث نسير فلا نزلق ولا نقترف ما يغضب علينا رب الأرباب .

المعروف أن الإنسان يذهل وينسى ، طبيعة الخلق ، لما قُتل أخو أبي حراش الهنلي في بلدة اسمها « قوسى » قال (٤) :

فولله ما أنسى قتيلاً ررئته بجانب قوسى ما مشيت على الأرض
 حنف الرجل أن لا ينسى لكنه استترك وقال : إنه لا يمكن البر
 هذه الجبن ، لا بد من النسيان ، فقال :

بلى إنها تعمو الكلوم (٥) وإنما تُوكَل بالأدنى وإن جل ما يمضى

(١) الملك : ٢ ، ١

(٢) القرطبي . ١٨ / ٢٠٧

(٣) الحبيب . السرعة

(٤) معجم البلدان ٤ / ٤١٣

(٥) الكلّم : الجرح ، والجمع كلوم ركلام

نحسب ذكر القريب أما ما بُعدت به الأيام فحسب ساء هذه طبيعة البشر ،
ولذلك يحتاج الإنسان باستمرار إلى مذكر ، والبيئة التي تكثر فيها المذكرات
بإلله الباعثات على أداء حق بيئة سليمة صالحة ، أما البيئة التي تكثر فيها
المنسيات والمذهيات فهي بيئة فاسدة طالحة ، لا بد من مذكر ، ولذلك جاء في
القرآن الكريم : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

هناك مع النسيان ضعف العزيمة أو إهيار الإرادة ، والسبب قد يكون
شديدا وقد يكون خفيفا وفق الملابس التي تعترض الإنسان ، وقد قرأت
في كتب ألفها أطباء مسلمون صادقون قالوا : أحيانا تقرر بعض العدد
إفرازات غزيرة في الدم فتكون ساء في ثوران عضبي أو ثوران جنسي فتغيب
الإنسان عن هدفه ، وتدفعه إلى أن يقترب ما يدم عليه بعد صحوته وما
يضيق به بعد يقظته ، فهي أحوال قد تحطم الإرادة ، وهذه الأحوال تختلف
بين الناس ، فالعريزة الجنسية في الشاب قوية وفي الشيخ ضعيفة ، وهذا
يساق الحديث الشريف . « لا ينظر الله عز وجل يوم القيامة إلى الشيخ
الزاني ولا العجوز الزانية » (٢) لأن عامل العريزة في دمه أضعف من عامل
العريزة في دم الشاب ، وكذلك تقاس طاع كثيرة ونروات شتى ومسالك
تعترض الناس ، ومن هنا فإن الإسلام لما تحدث عن المعصية الأولى في الأرض
وهي التي اقترفها أبونا آدم بين أن هذه المعصية وقعت من آدم عقب تلاق
الأمريين : ضعفت ذاكرته حسى ، واشتد هواه ، وضعفت إرادته فعجز ،
قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (٣)
أبناؤه انتقل إليهم نفس الوضع ، انتقلت إليهم الأحوال التي كانت لأبيهم

وقصة الإنسية الصحيحة ليست قصة بشر معصوم ، فإن القول
بمعصية بشر — حاشى الأنبياء — مستحيل ، كلها خطاءون ، قال عليه
الصلاة والسلام : « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » (٤) .

(١) الباريات : ٥٥

(٢) قال في مجمع الزوائد ، رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه موسى بن سهل ولم أعرفه وبقي
رجاله ثقات ٢٥٥ / ٦

(٣) طه : ١١٥

(٤) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، تحفه الأحردي ٢٠٢ / ٧ وابن ماجه في الزهد ، =

قصة الخليفة كما قال آدم وحواء — بعدما ارتكبا ما ارتكبا ﴿ قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (١)

هو ينبه الإسلام إلى أمور نحب أن نستوعبها .. الأمر الأول : أن المعصية من مسمم يقط لا تكون ملازمة له ، بل تكون سحابة صيف عن قليل تَفْشَعُ ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ (٢) قد يحاول الشيطان أن يُعمى عليه الطريق وأن يهت في وجهه الدخان وأن يجعله لا يرى ، لكن سرعان ما تخرج — بفصل الله من روحه ومن قلبه ومن صنته بربه — ريح تبدد هذا لصبب وشعاع يكشف الطريق . ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ هذا النصر لا يسفى أن يطول أمده ولا أن يتطير الإنسان كثيرا حتى يبلعه ، بل يحب على عجل أن يعرف أنه خطأ ، وأن عليه على عجل أن يُرصى ربه الذى أغصبه وأن يصطليح معه بعدما أساء إليه ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم . وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبل المجرمين ﴾ (٣) والناس تتفاوت في نزوعها على عجل مما ألم بها أو مما أسفت إليه بقدر قوة الإيمان ويقظة القلب وصحة الضمير ، تتفاوت الناس في هذا ، ولكن وصية النبي : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (٤) كتبت علطا احم بالأستيكه العلط الذى كتبه ، يمحى ويُسى الله الحفظة ما فعلت ويشئ لك صفحة جديدة لا خطأ فيها

= باب ذكر التوبة ٢ / ١٤٢٠ وأحمد ٣ / ١٩٨ والحاكم في التوبة ٤ / ٢٤٤ والدارمي في الرقاق ٢ / ٣٩٢ ، قال ابن حجر في بلوغ ابرام ومسند قوى ، انظر سبل السلام ٤ / ٣٤٦ وحسنه الألبانى في صحيح الجامع ٢ / ٨٣٦

(١) الأعراف : ٢٣

(٢) الأعراف : ٢٠١

(٣) الأنعام : ٥٤ ، ٥٥

(٤) رواه مسلم ١٩٦ / ٨ ، ١٧

الأمر الثاني : أن الخطأ هو في جنب الله ، صحيح أنت الذي أصبت به ، وأنت الذي وقعت في عواقبه الوحيمة ، والله في الحديث القدسي يقول : « يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني » (١) .

لكن الله يحب عبده ، ومحبه لعبده تجعله يغار عليه ، ويريد أن يكون وصي الموضوع ، نظيف الشكل ، وهذا يستعجله ليتوب ، مصلحة الإنسان ذاته ، أما أن الله له مصلحة في هذا فلا ، إنه عني عن العباد ، ولذلك أول ما يحب الاستعمار ، استعمار الله جل جلاله ، لأنك أخطأت في حقه فيجب أن تستعمره ، والاستعمار أمر سهل ، ولكنه مرفوض عندما يكون من قلب غافل لاه ، ولذلك قال بعض الصالحين : استعمارنا يحتاج إلى استعمار !! لأنه يجب أن يكون من قلب متبذل ، أو من نفس في غمايتها مححونة ، إنما يُقبل الاستعمار عندما يكون الإنسان صاحي الفكر ، يقطان الصمير ، هذا هو الاستعمار الذي يقبله رب العالمين ، والله وحده هو العمار ، فما شاع في بعض الديانات من أن إنساناً يعصر أو أن إنساناً يستقبل الاعتراف ويعصو ، أو أن إنساناً سُمك دمه من أجل العفو عن خطايا الخلق فقد اقتناها بدمه ، هذا كله من الناحية الإسلامية حرافة : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبلنا ولنحمل خطاياكم وما هم ب حاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كنن يفترون ﴾ (٢) .

وما كان العصيان قدارة والتوبة اعتسلاً من هذه القدرة ومحو آثارها فإن تعميمات الإسلام في هذا واضحة « اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستر بستر الله وليتب إلى الله » (٣)

(١) رواه الترمذي في البر والصلوة عن أبي ذر ، باب ما جاء في معاشره الناس ، تحفة الأحودى ١٢٢/٦ وأحمد ١٥٣/٥ والدارمي في الرقائق ٤١٥/٢ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٨١/١

(٢) العنكبوت ١٢٠ ، ١٣ .

(٣) رواه الحاكم في التوبة . وقال صحيح على شرط الشيخين وم يخرجاه ٢٤٤/٤ ونهيهي في الأشرى ٣٣٠/٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٩٣/١

لا ليكشفـف لنا وساحته .. لعل هذا يكون أعون على التوبة ،
وأقرب أن يعود إلى ربه ، فإنه إذا فصّح نفسه بتيحج وحدث الناس بما ارتكب
فإنه يسجل على نفسه المآسى ، والناس لا تعين على توبة ، الناس إذا عرفت
بساناً معصية ربما إذا أراد التوبة قالت له : أم تكن تفعل كذا ؟!! اجعل ما
يسئ ويين الله معاملة تستعمره فيها من حطث ، فإن الناس إذا دخلوا في
هذه المعاملة كانوا ضدك أو كانوا عليك ، ولن تجد حاكباً أرق ولا أرحم
من جانب الله حل جلاله ، وقد جاء في الحديث الذى رواه
ابن حارى : « يُدلى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه ،
تعرف ذنب كذا ؟ يقول : أعرف ، يقول : رب أعرف مرتين ،
فيقول : سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم » (١) . إننا نبحث المعاصي
على أنها قادورات أو على أنها أمراض فأما أنها قادورات فقد جاء الحديث
أشرف يبين أنها قدارة ، وأما أنها أمراض فقد جاء في القرآن الكريم أنها
أمراض : ﴿ يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تحضرن
بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ﴾ (٢) المرض هنا الخراف العريرة
الحسية ، أو رعة الإنسان فى أن يبال أى امرأة تتكلم معه ، فأمرت امرأة
أن يكون كلامها صارماً وهجتها جادة حتى تقطع الطريق على أصحاب
العرائر المعوجة أن يفكروا فيها تفكيراً سيئاً ، وقد سمي الإسلام اردواح
الشخصية أو النفاق سماه مرضاً فقال فى وصف
المنافقين : ﴿ فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ﴾ (٣) فالمعصية أمراض
كما سماها القرآن أو أقدر كما يبت السه . والأمراض تتفاوت ،
والأقادر تتفاوت ، يقول الإمام العزالى فى الإحياء : هناك وساحة تصب
الإنسان فقليل من الماء يريد بها .. هناك سيئات يُلم بها المرء فالاستعمار
العادى يذهب بها ، ويُنقى القلب من آثارها ، لكن هناك معصية عبيطة
تحتاج إلى استعمار أعمق وتوبة أحر وعودة إلى الله أسرع وأصدق
ويتصور هذا فى واحد وقع على توبه « رقت » لو وقع تراب أو طين

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ، تفسير سورة هود ٩٣/٦ ومسلم فى كتاب التوبة

باب قبول توبة لقاتل ١٠٥/٨

(٢) الأحزاب : ٣٢

(٣) البقرة : ١

يروون بسهولة ، لكن « لرفت » الذى وقع يحتاج إلى مطهرات أخرى وإلى سوائى أخرى كثيرة حتى يمكن إزالة ما ترفعت من ثوبه أو من بدنه ، والمرفت باللغة العربية الصحيحة الإلقاء لدى كان العرب يزفونه ليقعوا فيه التمر ويصنعوا فيه الخمر ، على كل حال هذا استطراد ، المهم أن بعض الناس يرتكبون أموراً تحتاج إلى توبة غير عادية لأن وساحتهم غير عادية ، وكما قلت — قبل ذلك — التوبة لا تكون إلا إلى الله ، لا دخل لبشر فى هذا ، أذكر أنه جاءنى فى مكتبى — من نحو عشر سنين — فى ورارة الأوقاف فسيس إنجى — من ألمانيا — وتحدث معى فى المسيحية - هو بدهة ليس مشراً معى — لكنه حديث استطرادى ، وأنا فى شىء من المرح كنت أملأ قلمي الخبر ، وكادت الدواة أن تقع ، فقلت له وأنا أضحك : ما رأيك لو أن هذه الدواة وقعت على ؟ فقال : طبعاً الثوب سينسح ، قلت له . لو أنك غسلت ثوبك ألف مرة فهل ينظف ثوبى أنا ؟ فقال الرجل فى دهشة : لا . قلت له : أنا الذى أخطئ .. أنا الذى أنظف نفسى ، ما يصنع الآخرون شيئاً لى .. فأدرك فى الحال أنى أعترض على نظام النصرانية فى أن عيسى قُتل من أجل خطايا الحق^(١) !! قلت له : عيسى قُتل أو لم يقتل من أجل خطايا الخلق أم وسحت نفسى . أنا الذى أنظف نفسى . ما علاقة عيسى ومن هو أكبر من عيسى لى ؟ ما العلاقة ؟ من اتسح نظف نفسه .. من مرض سعى إلى علاج نفسه وشفى نفسه .

أنا من أيضاً خطيرة .. هناك أمراض يمكن أن تداوى بحبوب إسرين ، وهناك أمراض تحتاج إلى علاج مطول ، وهناك أمراض ربما بيعت أن تكون مرطناً قاتلاً ، ولذلك قسم العلماء الأمراض إلى أمراض قلوب وأمراض أبدان أو معاصى قلوب ومعاصى أبدان ، وقد تكلمنا فى هذا .. لكن الأمر يحتاج إلى إيضاح — وقبل أن أدخل فى شرح هذا . أحب أن ألفت النظر إلى أخطاء يقع فيها المتديون — وما أبرئ بهسى . فأول الخطائين . لكن من تجربتى وأنا أحاول إصلاح نفسى أعرض

(١) انظر رسالة يوحنا الرسول الأولى — الإصحاح الرابع

لتجربة وأعرض ما قاله العلماء في الموضوع .. معنى . إذا اتسحت يدك فهل يبقيا أن تغسل رجلك ؟ طبعاً لا .. اليد هي التي اتسحت فهي التي تنظف .. ولو وقفت في مجرى ماء طول اليوم يعمل قدمك ما تُظف يدك .. لأنك لم تنظف يدك .. كذلك الأمراض التي تصيب أساس أو لمعصبي التي تصيب الناس في أحلاقهم وأحوالهم .. هَبْ رجلاً مصاباً بمرض البخل .. ما الذي يجعله يُشفى من هذه العلة ؟ العطاء — لا غير — العطاء ، والعطاء هنا يبدأ تكليفاً كما قال عليه الصلاة والسلام : « ومن يستعفف يُعِفهُ الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله »^(١) . « إنما العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه »^(٢) . والتربية هنا لا بد فيها من معاناة وصلية بالواقع .. يعنى أن تعم السباحة يستحيل أن يكون في البر .. لا بد من أن يكون في الماء .. لأن السباحة على الأرض لن تعلم أحداً قط .. رجل بخيل .. تريد أن تنجو من رذيلة الشح عَوِّد نفسك العطاء .. أخرج الزكاة . أشعر قلبك بالعطف على المحتاجين والمساكين .. الرجل الذي أعطى للمفقر قال لأنه : كسراً يصف الحلقة .. وهو يقصد بالحلقة ما ذكره القرآن في سورة الحاقة وهو يصف صاحب النار فيقول : ﴿ ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ﴾^(٣) . سادس في التقييد بهذه السلسلة : ﴿ لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين ﴾ أعط المسكين تكسر يصف السلسلة (٤) II .

(١) رواه البخاري في الزكاة . باب الاستعفاف عن المسألة ١٥١/٢ ومسلم في الزكاة .. باب فصل التعفف والصبر ١٠٢/٣ .

(٢) قال في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير وفيه رجل لم يسم ، وعنه بن أبي حكم وثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان وصححه جماعة ١٢٨/١ .

(٣) الحاقة ٢٨ — ٣٤ .

(٤) وفي هذا المعنى وجدنا رجلاً كاتبي الرداء رضى الله عنه يقول لامرأته : يا أم الرداء . إن الله سلسلة لم تزل بغلي بها مراحل النار منذ خلق الله جهنم إلى يوم تلقى في أعناق الناس وقد جرد الله من ناصتها بإيماننا بالله العظيم محصى على طعام المسكين يا أم الرداء « الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ٣٥٠ .

هذا عطاء .. عثم نفسه العطاء .. يحىء رجل يريد أن يخدم الله .. يريد أن يحتال .. لديه مال كثير .. لكنه بخيل يحل حقوق الفقراء ويسمى المال .. ويصوم الإثنين والخميس . ما قيمة صيام الإثنين والخميس ؟ هذا احتيال على الله .. هذا كالذى يغسل قدمه ويده ملوثة .. لا يغسل يده .. غسل القدم هنا لا ينطفئ يده .. صيام الإثنين والخميس هنا لا يجعله سخيّاً أو كريماً .. دواؤك الذى يُشفى به مرضك هو العطاء فإذا كان جباناً وقال : أرى أولادى وأبتعد عن هذه المأرق ثم أعتكف فى المسجد طوال اليوم ، ما قيمة الاعتكاف ؟ لا قيمة له .. لا خير فيه .. دواؤك الذى يُشفى به مرضك هو قول الحق لا غير ..

هنا نجد أن بعض الناس من المتدينين يحبون أو يريدون أن يخدموا الله : ﴿ وما يخدمون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ ^(١) يفر من مرصه لكى يطيع فى ميدان آخر .. هذا تصرف ما يحوز أو ما يليق أولاً بخير فيه

ندع هذا الآن إلى ما يسمى بأمراض القلوب .. أمراض القلوب أغلبها أو فصيلة كبيرة منها — فيما رأيته — تعود إلى حب الذبوع ، حب الفخر ، حب العظمة ، الرياء ، الكبرياء ، أمور كثيرة من هذا النوع ممكن أن تكون أمراضاً للقلب .. من أمراض القلب التى أثرت عن أهل الكتاب الأولين : القسوة ، قسوة القلب ، ولذلك أنا قلت لواحد من الرهبان : هذا لذى يحبك معترفاً بده أقرب إلى الله منك . لأنه يشعر بالانكسار مع العصية التى فعلها .. أما أب فمعتز بنفسك تظن أن مفاتيح الجنة بيدك تدخل فيها من تشاء وتخرج منها من تشاء !! مرصك كالسرطان الذى لا دواء له .. هذا مرض قلب .

وأحب أن أقول . — وقانا الله وإياكم أمراض القلوب — إن أمراض القلوب تقع كثيراً بين العلماء وتقع كثيراً بين العباد .. وقد ألف ابن الجوزى كتاباً أسماه (تلبس إبليس) ذكر فيه كثيراً من أمراض القلوب التى تقع بين العباد والتى تقع بين العلماء ولعله اعتمد فى هذا على أحاديث وردت مثلاً ورد : « أن رجلاً قال والله لا يغفر الله لفلان » وأن

الله تعالى قال : « من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان ؟ فإلى قد غفرت لفلان وأحبطت عملك » (١) هذا رجل متعبد ، لكن قلبه قاس وهذا رجل متعبد لكه مغتر بنفسه وسىء الظن بصفات الله وبأعداد العباد .

هذا مرض موجود .. ولا حطت هذا المرض عند بعض الناس الذين يشتعلون بالحدل والقضايا التافهة .. وحدث ولدا يقول : إن الشافعي أفسد مصر !! قلت له : الإمام الشافعي أفسد مصر !! أنا فرغت لما سمعت الكلمة !! قلت : سبحان الله !! وأحد الولد يتحدث عن المذهبية والتقليد .. قلت له : يا بني إنك تترقى مرقى لا يعرفه أبوك ولا جدك .. وتدخل في ميدان مالك به صفة الإمام الشافعي أولاً : تميمه أحمد بن حنبل الذي قال — يوم مات الشافعي — كان الشافعي كالشمس لبدنيا والعافية للبدن فهل هذين من عوض !! لكن لا يعرف الفصل من الناس إلا دونه . لا يعرف فضل الشافعي إلا رجل مثله أما أنت فإليك تقول : الشافعي أفسد مصر !! الشافعي خالف أنا حبيبة في قضايا كثيرة ، وما في هذا ؟ لكن من باب الإيصال يقول الشافعي : الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة ! وهو الذي خالفه ، لا حرج في هذا ، الأنبياء اختلفوا ، والصحابة اختلفوا ، واحترم بعضهم بعضاً لأهم تفاوتت وجهات نظرهم في مرصاة الله ، والكل حسن النية ، لكن يحىء ولد يقرأ كتاباً — أنا لا أمه ، وأنا المحير أن يقرأ ثلاثة سطور من كتاب لي قراءة صحيحة — يحىء فيقرأ كتاباً فيجعل نفسه دياناً على العلماء وحكما بين الأئمة ومورعاً للصعة والمعصية على كبار الشيوخ .. ما هذا ؟ هذا مريض بنفسه ، عنده اعتزاز بنفسه ، هذا الاعتزاز هو نفسه الاعتزاز الموحود عند فرعون الذي قال لسحرة لما آمنوا ﴿ آمَنتم له قيل أن ذن لكم ﴾ (٢) سبحان الله !! يحتاج أساس لكي يؤموا بالله إذا عرفوا الدليل الصحيح إلى أن يطرقوا بابك وبقصوا بساحتك ويطلبوا الإذن منك أن يؤموا بالله ! لماذا ؟! من أنت ؟! هذه أمراض قلوب تنتشر بين بعض الذين يشتعلون بالعم الديني سواء كانوا علماء أو عيالا .. ونشأ عن هذا أن وُجد في البيئات الدينية تفرق مُر

(١) رواه مسلم في البر باب انبي عن تقيط الإسناد من رحمه الله ٣٦/٨

(٢) الشعراء ٤٩

يُحْشَى منه على مستقبل البقطة الإسلامية المعاصرة هـاك بقطة إسلامية فعلاً . وأنا وصعت يدى على هذه البقصة بين المحيطات وأنا أجوب العلم الإسلامى ، ولكن الدين يرصدون حركات الأمة الإسلامية لا حرح عليهم نبدأ أن يكون لهم سمسة وعملاء يروجون فى البيئة الدينية من أسباب البقرة ما يجعل الإنسان يعجب . أمس الأول وكنت أعطى درساً فى «الخوامدية» قال لى شاب . الجماعة اختلفوا قلت : فيم اختلفت ؟ قال فى حديث رسول الله ﷺ : «من رأى فى المنام فقد رأى حقاً» (١) قلت : سبحان الله ولم تختلفون ؟ لم تختلف الجماعة الإسلامية هـا من أجل هذا الحديث ؟ أنا أعرف أن ابن الحورى فى كتابه (صيد الخاطر شرح هذا الحديث على أن « من رأى فى المنام فقد رأى حقاً » أى رأى مثالى وأنكر أن تكون رؤية لشخصه .. ولعل السبب فى هذا أن ابن الحوزى وجد ناساً يقولون : رأينا البى ﷺ فى المنام فقال لنا . كذا وكذا فى أحكام الحلال والحرام . وأحكام الحلال والحرام لا تؤخذ من رؤيا أحد فى ممامه ولو ادعى أنه رأى الله ورسوله .. لأن الله فى كتابه فصل لقول ورسول ﷺ فى مسته وصح الأمر فلا تنتظر ممام أحد فى هذا .. المهم قلت له : يا بنى لا تفسدوا الناس علينا .. ما دخلكم فى هذا الحديث ؟ ولكن السمسة لمصلحة الاستعمار الأجنبى جعلت شاين فى « الأسكندرية » واحداً يعلق صوراً لآثار لدمار الذى صعبته « روسيا » فى « أفغانستان » فيجىء الآخر من ورائه ويمزق الصور ويقول : الصور حرام !! من الكاسب فى هذا ؟ الشيوعية .. من الكاسب فى هذا ؟ الإلحاد فإد كان الحدل أو مرض القلوب أو حب الظهور أو لإعجاب بالنفس أو الإعجاب بالرأى يكون سبباً فى هذا اللاء فهـا تصرف شيع لأنه مرض قلب ، مرض قلب قيل لأبى حنيفة : كلامك هـذا الحق الذى لاشك فيه ، قال : لا . لعله الباطل الذى لاشك فيه رأى صواب يحتمل الخطأ ورأى عبرى خطأ يحتمل الصواب !! هـذا كلام العلماء

(١) قال فى مجمع الزوائد رواه البقرى فى البصير والأوسط وفيه محمد بن أبى السرى وثقه ابن معين وغيره وفيه لى ، وفيه رجالة رجال الصحيح ١٨١/٧ . وفى البهارى : « من رأى فى المنام فقد رأى فإن الشيطان لا يتخيل فى رؤياه المؤمن جرم من ستة وأربعين جرماً من البوة » كتاب البصير باب من رأى البى فى المنام ٤٢/٩ «

.. لكن أن يجيء من يحاول تمريق الصف ، وتمريق الكلمة بأمر من هذا النوع فهذا مرض .. تركتهم في « بي سويف » متفرقين من أجل قصة خلق القرآن !! قلت . خلق القرآن قصة انتهت من اثني عشر قرناً !! من الذي يحييها الآن ؟ والله ما يحييها إلا عملاء لبني إسرائيل أو للشيوخ .. كلام غريب يبرق الفكر الإسلامي .. هذه أمراض قلوب كما قلت وليست معاصي جوارح . أمراض القلوب خطيرة لأنها متولدة من مرض إبليس الأول الذي قال لله ﴿ أنا خير منه ﴾ ^(١) أنا !! المحادل الذي يريد أن يصير رأيه ، الإنسان السفيه الذي يريد أن يُحمر الآخرين ويهبط إمكاناتهم لأنه يريد أن يرفع حسيسته مثل هذا إنسان مريض . سأل الله أن يرزقنا وإياكم العافية في الدين والدنيا .

(١) سورة ص ٧٦

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله واعلموا أنها الإخوة أو أعداء الإسلام حبشاء . ولهم يقظة عربية في أسيل مه .. وكما استطاعوا أن ينثروا لقطاً في السيئات اندسية تفرق الكمة فقد أثاروا لقطاً آخر في بيئات غير ديسية .. يريدون تمزيق الكمة .. قرأت لرحل — من ثلاثة أيام ، أستاذ في كلية الطب ، نشرت له « الأهرام » كلمة — يقول : إن ابن تيمية — صاحب كتاب السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية — يقول : « إن القرآن نزل وأمر الله الحديد — أي السيف — ليجلدهم به الحق فمن أتى هذا قوماه بهذا » هذا لكلام قاله ابن تيمية في كتابه لسياسة شرعية (٢) لكن ماذا يقصد به ابن تيمية ؟ يقصد ابن تيمية به وصف عمل الدولة الإسلامية الدولة تمتد قول الله . ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴾ (٣) فإذا رفض أحد حكم القرآن وأتى إلا أن يسرق وأن يسطو على كدح الآخرين ليعيش على البطالة والسطو أحداه وقطعت الدولة يده .. هذا ما يعنيه ابن تيمية لكن كاتب الأهرام عن حث ، عن عمه ، عن أي شيء ، نقل هذا الكلام

(١) الشورى : ٢٥ ، ٢٦

(٢) أنظر ص ٢٤ من الكتاب المذكور ط ثانية دار الكتاب العربي بمصر

(٣) المائدة : ٣٨ .

إلى محال الدعوة وقال : الإسلام لا يتصر بالسيف ، والإسلام لا صلة له بالسيف في نشر الدعوة .. ما علاقة نشر الدعوة — يا رجل — بوظيفة الدولة ؟ ما الذى جعلك تحرف الكلم عن مواضعه وتنقل نصا من هنا إلى هنا ؟ في نشر الدعوة يقول الله تعالى : ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ (١) في نشر الدعوة يقول الله تعالى : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ (٢) في نشر الدعوة يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ (٣) .

وللأسف تقوم أجهزة تنشر هذا الفكر الذى يقوله الكاتب — وهو فكر عميل للاستعمار العالمى — ويبيع الإسلام بين يدين .. نار الأتباع العهلة الذين يريدون تحريقه بالحلافات الخفيفة .. ونار الأعداء المكرة الذين يريدون جعله عقيدة لا شريعة .. وهم مهذا لا يريدون إماتة الشريعة وحدها إنما يريدون بعد أن تموت الشريعة أن تموت العقيدة بعدها !! وحساب من يقال هذا الكلام ؟! إذا كان لإلحاد قد أقام دولة تحكم باسمه .. وإذا كانت اليهودية قد أقامت دولة تجعل انولاءها والحكم باسمها .. فلحساب من يقال : الإسلام عقيدة لا شريعة .. ودين لا دولة ؟ لحساب هؤلاء بدهة .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (٤)

(١) الأنعام ١٠٤٠

(٢) الكهف ٢٩٠

(٣) البقرة ٢٧٢

(٤) مسلم والنسائى وأحمد

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا
للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (١) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ويهى
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٢) .
وأقم الصلاة ...

★ ★ ★

(١) الحشر ١٠
(٢) النحل ٩٠ .

اليهود في المدينة المنورة

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

١٩٧٣ / ٥ / ٤

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيد محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فقد كان اليهود في الجاهلية التي سبقت الإسلام في جزيرة العرب ، كانوا يُكونون لأنفسهم مستعمرات قوية حصينة في لمدينة المنورة ، وشمال المدينة إلى حير ، وأكثر المؤرخين يرى أن اليهود قدموا إلى هذه البقاع فراراً من الاضطهاد الذي كان المسيحيون يوقعونه بهم ، وأهم في جوف الصحراء وبعداً عن بطش الدولة الرومانية ، استطاعوا أن يحيا في هذه البقاع على ما يشتهون ، كانوا فلاحين مهرة ، وكانو كذلك تجاراً مهرة ، وعاشوا يتاجرون ويزرعون ، ويستغلون القبائل العربية استغلالاً للمصلحة اليهودية وحدها ، فهم يبيعونهم السلاح ، وهم يعاملونهم بالربا ، وهم حريصون على إشعال نار الفرقة بين العرب ، فإهم ما داموا مختلفين يكون استقرار اليهود في المدينة أبقي وأدوم، وهذه طبيعة اليهود !!

هل فكر اليهود أن يشرروا دينهم في الجزيرة العربية ؟ لا ، لأن اليهود

ليسوا دعاة إلى دين، اليهود يعتقدون أنهم أسرة مفضلة، أو شعب مختار، وأن من حقهم أن يسودوا العالم وأن يستعلوه !! .

وكما نسوا الدعوة إلى التوحيد فيهم اسساحوا اربا، وكذلك عطلوا حد اربا واستهانوا بحرمة نفسها، وحلائق اليهود في الاستهانة بالعتيدة وما ينسب عليها من فضائل وما تورثه من صميم يعاف الرذيلة وينفر منها، هذه الحلائق اليهودية لا تزال مع اليهود إلى الآن .

قلو أن اليهود فرصاً سادوا العالم وملكوه فهل سيقدمون لدين الله حيراً وهل سيرفعون تعاليم السماء رأساً ؟ أو يركون بها نفساً ؟ لا، هذا شيء لا يخطر ببالهم !! .

إن فكرتهم عن الله أنه احتارهم، وعن أنفسهم أنهم ينبغي أن يملكوا الأرض ومن عليها وما عليها !! .
هكذا عاشوا، وهكذا يعيشون .

وعندما ظهر الإسلام، وانتقل تحت الضغط والاضطهاد من مكة إلى المدينة وحده اليهود - على النحو الذي وصفناه لكم الآن - ناساً يسكنون بقاعاً حصنة، عية، قوية، محصنة، لهم فيها تاريخهم الحديدي، وآمالهم الأمراض، وهم يعيشون مستعدين فرقة العرب ووثيتهم كي يحبوا هم، ويمتدوا وتتمو ثروتهم وتكثر .

فلما جاء الإسلام - والإسلام دين إصاف - عرض على اليهود ما لا معدى هم عن قبوله، قال لهم : نقر حرية الدين، نعتزف بحرية العقل والضمير، لكل إنسان أن يعتق الدين الذي يحب، وأن يبقى عليه ما يشاء، ويبس ويبكم في المدينة حور، فسرع حق الحوار، ولسعاون في دفع أي عدو يفكر في الهجوم على المدينة بوصف أن لنا مصالح مشتركة فيها، فهي وطنا الذي يصمنا والبلد الذي يؤوبا !! .

ولم يجد اليهود بداً من أن يقبوا المعاهدة، لأن فيها الانصاف والعدالة، ولا معنى لاعتراض هذا انكلام، قلوا المعاهدة على مضض، أمضوها برضا ظاهر، ولكن صيقهم النسي بها بداً يظهر على مر الأيام، كيف طهر ؟ يتحدث القرآن الكريم عن تاريخ العلاقة بين اليهود والمسلمين على نحو يحب أن تدبره، فهو أولاً يذكر : أن اليهود كرهوا الإسلام،

وضاقت به صدورهم ، وهذا تصرف غريب ، فإن الإسلام دين توحيد ، والدين يحاصمونه عماد أصنام ، ولو أن اليهود يخلصون لله ولأنفسهم ، ولو أن عددهم حراماً للتعالم إلى ورثوها بينهم لقالوا : الإسلام أقرب إلى الوثنية ، وعبادة الله أقرب إلى ديسا من عبادة الأصنام ، ولذلك كان ينبغي أن يهشوا للمسلمين ، أو على الأقل يدعوا المسلمين وشأنهم ، لا حب ولا بغض ، ولكن القرآن يتحدث عن المشاعر النفسية لهم نحو الإسلام وبنييه فيقول : ﴿ ودد كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً ﴾ (١) .

ولماذا يودون وينتمون أن يرجع الموحلون كفاراً يعدون الأصنام ؟ قال جل شأنه : ﴿ حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ (٢) .

فماذا نصنع معهم ؟ قال : ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير ﴾ (٣) .

ووقع شيء آخر حكاه القرآن ، فقد ذهب وفد من بني إسرائيل إلى مشركي العرب في مكة يحرصهم على محمد ﷺ ومن معه !! فسأهم رعماء مكة من عبدة الأصنام وقالوا لهم : حدثونا أنتم أهل كتاب ، وحرء عما نحن عليه وما يدعو إليه محمد ، نحن أفضل منه أو هو أفضل منا ؟ فقال زعماء اليهود : بل أنتم خير منه وأفضل !!

وقص القرآن السؤال والإجابة عليه ، وهي إجابة فاجرة حتى أن بعض مؤرخي اليهود حاربوا هذه الإجابة ، وقالوا ما كان يسعى أن يكون رد اليهود هذا الأسلوب المرعج ، لأن تمضيل الوثنية عن التوحيد جريمة مسكرة !! قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للدين كفروا هؤلاء أهدى من الدين آمنوا سبيلاً . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً . أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴾ (٤) .

(١)، (٢)، (٣) سورة البقرة الآية ١٠٩

(٤) سورة النساء الآيات من ٥١ - ٥٤

وامتد شطط ليهود في معاملاتهم وعلاقاتهم بالإسلام ، كان يسعى أن يكونوا محترمين للمعاهدة التي أبرمت بينهم وبين المسلمين ، ولكن كيدهم للإسلام أحد يترديد ، ووصعوا خطة فيها شيء من المكر والدهاء ، قالوا لا بأس أن نهي عن أنفسنا تهمة التعصب ، وأن يدخل بعض ما في الإسلام على أساس أنه يتوسم فيه الخير ، ويطس به الحق ثم بعد قليل يرجع عنه ويرتد ، ويقول : ظهر لنا أنه دين لا يصلح ، لقد كنا غير متعصيين ، ودخنا فيه ، فلما اكشف لنا أنه باطل وصال تتركناه 11 .

هذه هي الخطة التي وضعوها ، قال تعالى : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يوفي أحد مثل ما أوتيم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (١) .

وصبر المسلمون على هذا التحدى ، وهذا المكر ، وتلك المؤامرات ، ولكن اليهود مصوا في طريقهم ، صريق العداوة ، يقولون : ما لهذا الرجل يتبع قبش ولا يدين بديننا ؟ .

وكان السبي عليه الصلاة والسلام في مكة يرى أن الأصنام المحيطة بالكعبة تمتع من اتخاذها قبلة ، فكان يتجه إلى بيت المقدس إشعاراً بأنه سبي له كتاب ، وأنه موحد ، وأنه يرفض الوثنية ، ولما انتقل إلى المدينة المنورة مهاجراً هو وأصحابه بقي الأمر على ذلك ، فكان اليهود يضيقون ، ويقولون مكنتين أو مكنتين : ما لهذا الرجل يتبع قلتنا ولا يدين بديسا ؟ .

فتمسى رسول الله ﷺ على الله ودعا دعاءً حراً أن يصرفه عن هذه القصة وأن يعرم له على قبلة أخرى ، وكان ينظر إلى الأفق متشوقاً إلى حبر يحيى من السماء يأذن له بالاتجاه إلى لقبة : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ﴾ (٢) .

(٢) البقرة : الآية ١٤٤ .

(١) سورة آل عمران الآيات ٧٢ - ٧٤ .

ولما تسافه اليهود ، وكثر لعصهم ، وتحدثوا عن تغيير القبلة حديثاً فيه شيء من العلوان والتحدى ، قال لهم القرآن الكريم : إن التعلق بالشكليات هو عمل التافهين من اساس ، وإن الأمر عند الله ليس أمر شرق أو غرب ، أو شمال أو جنوب ، إن الأمر عند الله أكبر من ذلك ، إن الله يقرب الإنسان إليه يوم يكون الإنسان صادق اليقين ، شريف الأخلاق ، حسن التعاون مع الناس ، صبوراً على الأساء والضراء ، مؤدياً لحقوق ربه ، يصلي له ويصوم ، ويزكي من أجله ويمتق ، يوم يكون الإنسان كذلك يكون عبداً صالحاً ، أما الشكليات فلا قيمة لها ، ما التعلق بقله ها أو هناك ؟ إنها أمور رمزية فقط ، قال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ (١) .

وحكى سبحانه سنة عاصر يتكون البر بها : ﴿ ... ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ (٢) .

ومضى اليهود فى تحديهم ، كان الكلام فى تغيير القبلة فى شهر شعبان شهراً هدا - كان الكلام والجدل الطويل حول بيت المقدس والمسجد الحرام ، كان فى شهر شعبان هدا ، فى رمضان وقعت معركة « بدر » وقال اليهود بعد أن رأوا النصر الحاسم الذى أحرره المسلمون ، قالوا للمسلمين : لا تغتروا أن وجدتم ناساً لا يحسنون الحرب فهم متموهم ، لئن التقينا بكم لتعلمن أننا نحن الناس !!! .

هذا النوع من التحدى غريب ، وانصم إليه أن شعراء اليهود أخذوا يرثون قتلى قريش فى معركة بدر !! .

وهذا تصرف مكر ، فإن المعاهدة المبرمة تحولت بعد ذلك كله إلى حبر على ورق !!

(١)، (٢) سورة البقرة الآية : ١٧٧

وإذا كان اليهود في المدينة يعاملون المسلمين على هذا لأساس ، فإن
الوفاء بالمعاهدة من جانب واحد يصبح نوعاً من الضعف !! .

ومع ذلك فإن النبي الكريم ﷺ والصحابة رضي الله عنهم من
حواله ، كانوا يصابرون الأيام حتى يقع ما لا بد من معاقبته ، فإن امرأة
مسددة ذهبت إلى سوق « بني قينقاع » تشتري حلية لها ، فسحر اليهود
بائعو الذهب منها وعنفوا شوكة بذيلها ، فلما قامت تعرت وانكشف
حسدها !! فصرحت ، فقام أحد المسلمين ورأى الوضع فقتل اليهودي
الذي صنع هذا ! فتألا اليهود عليه وقتلوه !! وبلغ الأمر النبي ﷺ فحشد
جده وهجمهم على سوق بني قينقاع ، وعلى القبيلة كلها وهي قبيلة
يهودية ماجنة ، وحاصرها حتى أكرهها على ترك المدينة^(١) !! .

هل في تصرف المسلمين بعد هذا كله ما يشتم منه رائحة عدوان ؟ لا ،
لقد صبر المسلمون حتى وقع ما لا يمكن السكوت عليه ، فعاقبوا تلك
القبيلة اليهودية ، وكانت الضربة مفاجئة وسريعة بحيث سقط في أيدي
القبائل اليهودية الأخرى فعجرت أن تصنع شيئاً !! .

والمعروف في تاريخ الطولات والقيادات أن محمد بن عبد الله ﷺ
كان يتمتع بعصل الله وتوقيفه - بعقريه عسكريه فريده لا بطيرها في
دنيا ناس !! فصر ب صرته وكل الحثيات معه ، ووقف عند هذا الحد ،
لكس اليهود أبوا أن يتعلموا درساً من هذا الذي حدث ، وفكر يهود « بني
النصر » في أن يقتلوا النبي عليه الصلاة والسلام^(٢) ، وانتهروا فرصة ذهبية
إليهم يطالبهم ببعض الالتزامات التي تفرصها المعاهدة المبرمة وقال بعضهم
لبعض : فرصة تاحت ما نرى فرصة مثلها ، لقد جاءنا حالياً ، وأوعروا إلى
أحدهم أن يصعد إلى سطح بيت كى يلقي منه حجر رحي على رأس النبي
عليه الصلاة والسلام وهو مسترسل لا يدري ما يبيت له ، فبتهوا منه !!
لكس النبي عليه الصلاة والسلام استبان من حركات اليهود وتصرفاتهم
ما ربه ، فانطلق مسرعاً وتوجه إلى المدينة ، ولحقه أصحابه فقالوا : نهضت

(١) انظر أمر بني قينقاع في سيرة ابن هشام ٥٧، ٥٦/٢

(٢) انظر أمر بني النصر في سيرة ابن هشام ١٤٣، ١٤٢/٢ وراى المعاد ١٢٨، ١٢٧/٣ .

ولم يشعر بك ؟ فأحبرهم بما همت به يهود ، وجرد عليهم جيشه ، وحاصر
بني المضير حتى كسر حصونها وحرق رروعها^(١) ، وأنزلها على حكم الله ،
وتركها تخرج من المدينة لاحقة ببني قيقاع !!

كان يسعى ليهود « بني قريظة » وهم بقية اليهود في المدينة أن
يستفيدوا من ذلك ، والحقيقة أن رئيسهم تعلم من الدروس التي مرت
كيف يكون وفياً !! فلما دخل عليه في حصنه « حبي بن أخطب » سيد
بني البصير ، ورعيم المتامرين ضد الإسلام ، قال له « كعب » رعيم « بني
قريظة » : يا حبي اذهب عني أنت رجل مشعوم ، إنكم عدرتم بمحمد
فأصابكم ما أصابكم ، وأنا مأمور من الرجل إلا وفاء وبرا فدعني منك !!
وأني أن يفتح له بابه ! وكفى اليهودي ظل يفرع الباب ، ويرسل الكلام ،
ويقول له : يا معقل جئت بك بعرا الدنيا ، جئت بك بعرب الحرية كلهم ، قد
حاصروا المدينة ولم يصرفوا حتى يجهروا على محمد ومن معه !! وأحد
يرأوده فإذا الرجل السيء المكوب يتع ما قيل له ، وينسى الوفاء والبر
الدين ميمير غيرهما من محمد ﷺ ، ويضم إلى أعداء الإسلام الذين حاصروا
الإسلام والمسلمين داخل المدينة في معركة كاد الإسلام فيها يرهق^(٢) !! قال حل
شأنه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود
فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله عما تعملون بصيراً . إذ جاءوكم
من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحاسر
وتظنون بالله الظنون . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ﴾^(٣) .
في هذا الوقت العصيب انضم اليهود إلى المهاجرين ، فلما نصر الله
المسلمين في هذه المعركة وهو نصر ما كان مرتقباً أبداً ، ما كان متوقفاً
على الإطلاق ! فلما انتصر المسلمون كان من الصيحي أن ينتهوا من قریش
والأعراب الذين حانقوها لتجهوها توالاً إلى بني قريظة يؤدبهم على عذرهم
والحيانة العظمى التي ارتكبوها معهم ، وانتهى الأمر بضرب رقاب
بني قريظة وهم بذلك حديرون !!

(١) عن ابن جرير ص ١٠٠٠ : قال حرق رسول الله ﷺ محل بني البصير ، وقطع وفي
البؤيرة ، فنزل ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ رواه البخاري في
كتاب المغازي — باب حديث بني البصير ١١٢ / ٥ ورواه مسلم في الجهاد — باب جواز قطع
أشجار الكفار وتحريقها ١٤٥ / ٥ والآية من سورة الحشر : ٥ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١٥٩ / ٢ ، ورواه المعاد ١٢٩ / ٣ ، ١٣٠ .

(٣) سورة الأحزاب الآيات من : ٩ - ١١

ثم انتهى اليهود من المدينة بانهاء بنى قريظة ، فلما قر من قر وبدأت المؤامرات تنبعث من « خير » اتحه المسلمون إليها ، وأنهم الوجود العسكري اليهودي تماماً في هذه لقاع^(١) .

أربع معارك متتابة مع قبائل اليهود المسلحة المحصنة المستعدة المعبأة ، انتهت جميعاً بهزيمتهم وانتصار المسلمين عليهم !! .

ها يحيى سؤال ربما روجه المستشرقون والمثرون ، ومن لف لفهم من الأفاكير والمضلين ، يقولون لم هذا القتال ؟ لقد كان قتالا دينياً !! .

والخراب : هذا ما يتصوره قصار النظر ، ومن لا عقل له ، فإن القتال في الحقيقة كان قتالا سياسياً عسكرياً ، ولم يكن قتالا دينياً بالمعنى المفهوم في عصرنا !! .

ما معنى هذه الإجابة ؟ معنى هذه الإجابة أن الإسلام ما كان عليه من بأس أن يُبقى اليهود إلى جواره يعيشون بديهم أبداً ، دون أن يُحرقوا ودون أن يُرهبوا ، لو أنهم لموا حدود الشرف والوفاء !! ولكم لما تبجحوا بقواهم العسكرية وظنوا أنهم هذه القوى يستطيعون سحق الإسلام ، اشتبك الإسلام معهم في حروب على النحو الذي سمعتم ، فلما قُتِم أظافهم ، وانتزع أنبياءهم ، وجردهم من الأسلحة التي استعملوها في العدر والخيانة ، قبل أن يبقوا في جريرة العرب مواطنين يهوداً يتبعون دينهم ، ويعاملهم المسلمون معاملة حسنة !!

يروى البخاري في الأدب المفرد : عن عبد الله بن عمرو أنه ذبحت له شاة فجعل يقول لعلامه أهديت لجارنا اليهودي ؟ أهديت لجارنا اليهودي ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما زال جبريل يوصيني باخار حتى ظننت أنه سيورثه »^(٢) .

جار يهودي .. رأى تميم رسول الله أن يكرمه وفق تعاليم رسول الله

ﷺ !!

(١) انظر سورة ابن هشام ٢٢٢/٢ وما بعدها ، ورواه المعاد ٣١٦/٣ وما بعدها .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد - باب يبدأ بخار ١٩ ، والترمذي في البر - باب ما جاء في حق الجوار تحفة الأحودى ٦ / ٧٢ ، وأبو داود في الأدب - باب في حق الجوار عون المعبود ١٤ / ٦١ . واسم جار يشمل المسلم والكافر والعابد والعاسق ، وقد حمه عبد الله بن عمرو عن العموم .

إن هذه الأقليات يوم تكون مجردة من القوة ، يوم تكون بعيدة عن الإيداء والبشر ، يوم تكون بريئة فلا تشتعل عميلة لأحد ، يوم تحب أن تبقى على دينها فقط فإن الإسلام يقبلها ، ويحسن إليها !! .

إن الإسلام يكره الغش والخديعة ، والتأمر ، والمعاملات الوضيعة !!
لعل التاريخ لا يعرف إنساناً مخالفاً في الدين يعيش في بلد كثرة مسلمة ، سيطرته مسلمة ، حكومته مسلمة ، ثم يقول : لرئيس الدولة ورجلها الأول وقد جاء يشتري منه شيئاً : لا أعطيك إلا بالثمن أو برهن !!

يهودي في المدينة قبل وفاة رسول الله ﷺ بمدة بسيطة ، جاء الرسول ﷺ يطلب منه بضاعة ، والرسول ﷺ يومئذ سيد الخزيرة العربية ، كانت جيوش الإسلام قد هزمت الرومان ، وخوفت الفرس ، وكسرت العسكرية اليهودية ومرغتها في الوحل ، وكسرت ظهر الوثنية عابدة الأصنام ، وجعلتها تلتقي السلم .

الرجل الأول الذي يملك كل هذه السطوة وكل هذه القوة يعطى محاميه في الدين الحق في كل شيء ، فيشعر اليهودي في المدينة المورة عاصمة هذه الدولة بأنه آمن على نفسه ، وعلى عرضه ، وعلى ماله ، وعلى أولاده ، وعلى حرياته ، وعلى كل شيء له ، وأنه يجد من نفسه الحرأة ليقول محمد لا أعطيك حتى تأتي برهن !! فيعطيه ﷺ درعه رهناً (١) .

إنما كان هذا ليعلم الناس طبيعة الأمة الإسلامية ، وأن الإسلام يرعى القلة بشرط ألا تكون حسيصة ، ألا يجحد الصنيع ، ألا تبت الشر ، ألا تكون عميلة لأعداء الإسلام ، وقطرة لانتقال العدوان إليه !! .

إن الإسلام دين شريف يحب الشرف ، ودين حر يمنح الحرية ، وقد دلل الأقليات في أرضه الواسعة حتى بطرت معيشتها !! .

إذن لم تكن الحرب التي ضاع اليهود فيها حرب إكراه اليهود على دخول

(١) يشير قصيدة الإسم - حفصة الله - إلى حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهودي بن أحول ورهه درعاً من حديد ، البخاري في البيوع - باب شراء النبي ﷺ بالسنة وباب الرهن وجوازه في الحضر واسم ٣ ٧٣ ٧٤ وقيل : بوي رسول الله ﷺ ودفعه موهوبة عبد يهودي بثلاثين يعنى صاعاً من شعير ، رواه البخاري في الجهاد - باب ما قيل لدرع النبي ﷺ ٤ / ٤٩

الإسلام . فإن الإسلام لم يكره أحداً على الدخول فيها ، ولكن الحرب كانت لمنع الذئاب من أن تتحد من أبنائها الحادة وسيلة لعض الآمين ، وترويع الدين يريدون أن يعيشوا هنا أو هناك بديهم وضمايرهم وأفكارهم دون حرج .

لكن اليهود ظلوا على حلالهم الخسيسة ، لقد استبقاهم الرسول ﷺ في « حير » على جزء من رراعتها ، وذهب إليهم الحاني كي يأخذ حق المسلمين من الأرض ، فإذا هم يحاولون رشوته ، ويريدون أن يشتروا دمه ، وينظر الرجل المسلم إليهم ، ويقول لهم يا معشر اليهود ، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ ، وماذا يحملني أن أحيف عليكم !! فلما رأى اليهود أمانة الرجل قالوا به: هذا هو العدل به قامت السموات والأرض^(١) . إذا كان العدل به قامت السموات والأرض فلم لا تعدلون ؟

فاصطر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد محاولات مختلفة من هذا النوع أن يحلّي اليهود من جزيرة العرب نهائياً ، وكان ذلك ، وعاش اليهود بعدئذ قنة في العالم الإسلامي ، ما أساء إليهم أحد ، لكنهم هم الذين أساءوا إلى ثقافتنا ، وإلى مجتمعنا ، وإلى أحوالنا !! .

وليس المعلوم أولئك اليهود ، إنما المعلوم من ظن السماحة تعني الفوضى !! ومن ظن الحرية للأديان تعني أن يُعرض الإسلام مباح هذه الحريات - لشتى المؤامرات الخسيسة .

إسألني البطر إلى أن قوى الشر في العالم تعمل ضد الإسلام بصراوة وقساوة ، وهي تنظر إلى غير المسلمين في العالم الإسلامي إلى أنه يصلح أن يكون عميلاً للاستعمار أو الصهيونية وتحول أن تجعل منه ربحاً في طهرها ، وحربة تشق أضلعها !! وعلى المسلمين ألا يكونوا مستعقلين ، عليهم أن ينظروا إلى غير المسلمين نظرة فيها ذكاء ، وفيها استئانة لما هالك ، فإننا نعامل بشرف من بطوى صميره على الشرف ، أما من ناع صميره للصهيونية والاستعمار ، ويريد انتهاز الفرص للتيل مافليعلم أنه بين قوم أيقاظ ، فإن نبي الإسلام

(١) انظر انغازي للواقدي: ٢ / ٦٩١ .

ﷺ يقول : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين » (١) .
 ألا فيترك المسلمون استرساهم وغسلتهم وسذاجتهم وليضطروا إلى
 الغيوم المقبلة مع الأفق .
 إن مستقبل الإسلام خطير ، تأمر عليه اليهود والنصارى في أوروبا
 وأمريكا ، تأمر الكل عليه لينالوا منه !! .
 فإذا لم نكن صاحين أيقاظاً فإن غير المسلمين ربما عبث بنا أو نال ما !!
 أقول قولي هنا وأستعمر الله لي ولكم .

★ ★ ★

(١) رواه البخاري في الأدب - باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٢٨ / ٨ ، ومسلم
 في الرهد - باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٢٢٧ / ٨

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون. ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿١﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، إمام الأنبياء ، وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

أيها الإخوة : اتبعاً لتعاليم بيينا واستفادة من التجارب التي مرت بنا بدأت أنظر إلى التاريخ نظرة أعلم بها ، وأعتبر بها ، فإن من لم يعتبر بماضيه ، لم يستفح محاضره ، ولم يضمن مستقبله !! نظرت فوجدت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أعدل حاكم ظهر في القارات الخمس !! يقتله كلب مجوسى متعمداً له بالظلم !! سبحانه الله . ما هذا ؟ ويتبين من دراسة التاريخ أن مصرع عمر رضي الله عنه لم يكن قتلاً فردياً من إنسان ظن كذباً أو صدقاً أنه ظلم ، لا ، بل كان مؤامرة لليهود فيها صلع ، فإن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه وقال له : رأيت في التوراة أنك ستقتل بعد ثلاث ليال !! ما دخل التوراة في مقتل عمر ؟ ما هذا الكلام ؟ والقائل يهودى !! لقد كان اليهود يعلمون ، وقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان وهو يتلو القرآن الكريم ، وعلم أن « عبد الله بن سبأ » وهو يهودى كان من وراء قتله !! وقتل على بن أبى طالب رضي الله عنه ، والأمر كذلك !! . الخلفاء الراشدون الأربعة أعظمحكام الإسلام يقتل ثلاثة منهم !! ما السبب ؟

لقد طهر لى أن التاريخ الإسلامى ينبغي أن يدرس بعناية ، وأن المؤامرات التي تحاك الآن ضد المسلمين كثيرة ، وأن الشغل في الظلام ، والمؤامرات في الخفاء وبيات الشر التي تعمل في جح الليل ، هذه هي التي

(١) سورة الشورى الايتان : ٢٥، ٢٦

تعمل الآن ضد الإسلام !! .

تسمعون في المؤتمرات الدولية كلاماً معسولاً ، وقرارات حلوة !!
ولكن العمل في الظلام هو الذي ينفذ ، والحقد على الإسلام هو الذي يمل
إرادته ، وبدأ هذا الحقد على فلتات الألسنة ، وفي تصريحات الساسة بدأ
يظهر .

إن الروح المتعصبة الحسيسة التي كانت تعمل في جوارح « بطرس
الناسك » عندما حرض أوروبا على العرب والمسلمين ، هذه الروح لا تزال
هي في قلب زعماء أوروبا من يهود ونصارى .

لكن أنا لا أحمل هؤلاء التبعة ، إنما أحمل التبعة أمراء المسلمين
وعلماءهم ، لماذا ؟ لأن مؤتمراً كمؤتمر « بال » يُعقد في نهاية القرن التاسع
عشر ، ويبدأ عمله فوراً في أوائل القرن العشرين كأن العرب والمسلمين
لا يدرون عنه شيئاً ، أو ينظرون إلى مقرراته ببلاهة ، أو لعلمهم هنا أوزاع ،
ربما عارك أحدهم الآخر على أنه صلى ورأسه عار ، وتحولت التوافه إلى
كباتر ، واشتغل المسلمون بهذه الصغائر واستباحوا فيها الدماء والأعراض !!
حتى جاء أعداؤهم فوجدوهم مشغولين على هذا النحو فسحقوهم !!
أين كنا يوم كانت هذه المؤامرات تقرر مصيرنا وتخطط لمستقبلها على
أنقاضنا ؟

يجب أن نبحث نحن المسلمين عن آثار العداوة ضدنا ، إنها في
صمت ، ودون ضجيج ، بل ووراء ابتسامات صفراء تعمل قوى كثيرة
بين ظهرانينا لنتتال الإسلام ، لتحقق قوائمه وتقاليده ، لتهين كرامته ، لترمى
بالعمامة البيضاء وحدها في الأقدار !! أما غيرها ولو كانت تاجاً على رأس
حادم البقر فيها كرامة !! .

لعابد البقر ، لسادن العجول كرامة من كرامة الدين المنتصر ! أما
الإسلام المهزوم فإن شاراته وشعاراته تداس ، أريد من المسلمين أن يتركوا
هذه الغفلة وألا ينظروا إلى التاريخ بهذه البلاهة ، وأن يفكروا في مستقبلهم
تفكيراً لا سداجة فيه ولا غفلة !! .

الأمر جد ، إن مستقبلهم ومستقبل أولادهم في مهب الرياح إن ظلوا
بهذه المثابة !! .

لقد عاملنا الآخرين بشرف ، ولكن الأمر كما قال الله تعالى : ﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور . إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط ﴾ (١) .

والله لقد رأيت وجوهاً في ١٩٦٧ عام الخزي والعار- متهلة في هذا البلد تصطبغ بالبهجة ، وتخرج من معابدها متهجة ، وكأن شيئاً لم يقع !! لم هذا ؟

أريد أن نخدم ديننا لا بالصياح العارغ ، ولا بالخطب الجوفاء ، ولكن كما يخدم أهل الخلد أهدافهم ، كما يبلغ أهل الخلد أغراضهم .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (٢) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٣) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٤)

وأقم الصلاة

(١) سورة آل عمران الآيتان : ١١٩، ١٢٠ .

(٢) رواه مسلم والنسائي وأحمد

(٣) سورة الحشر الآية ١٠

(٤) سورة النحل الآية : ٩٠

التصوّف ماله وماعليه

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، والسراج المنير ..

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد

فإن الثقافة الإسلامية بحر متلاطم الأمواج ، واسع الأبعاد ، يقف الإنسان بشاطئه فيجد أمامه من جهود الفكر البشري في فهم الوحي الإلهي وخدمته ، وفي فهم اللغة العربية وتوسيع دائرتها ، يجد من ذلك العجب العجائب ، وكما أن بحار العالم ومحيطاته كثيرة فإن الثقافة الإسلامية بحار شتى ومحيطات شتى .

أمس كنت أطلع كتاب « أنمخني » وهو كتاب يمثل فقه أهل الظاهر ، ووجدت الرجل — وهو عبقرى له جدل وله ذكاء — يشتبك مع أئمة الفقه كراً ووراً وطولاً وعرضاً ويخطيء ويصيب ، وليس هذا مستغرباً على الشر فكلما يخطيء ويصيب .. وقرأت في كتاب آخر لابن مفلح في الفقه الحنبلي فوجدت لوياً آخر من التفكير يخدم السنة بطريقة نمزج بين احترام الرواية واحترام الفكر وقرأت في كتاب آخر في مذهب الأحناف الذي يمثل مدرسة الفحوى والاستحسان والرأى والقياس وما إلى ذلك ...

وانتقلت في مكتبتى إلى بعض كتب التفسير .. والتفسير بحار متساوية الألوان . فهذا التفسير أثرى كتفسير ابن جرير الطبرى وابن كثير .. يعتمد هذا اللون من التفسير على الكتاب والسنة وعلى أوهام الصحابة والتابعين .. أى على الرواية والنقل .. هناك تفسير بلاعى يعتمد على التحليل الأدبى وضبط ألفاظ القرآن من ناحية الأداء البيانى وتصريف الكلمات وتركيب الحُمل .. هناك تفسير عقائدى كتفسير الإمام الرارى الذى يطرح فيه عقائد الإسلام ويتناول الفلسفات والمذاهب الأخرى .. هناك تفسير فقهى كتفسير القرطبى المالكى أو الخازن الشافعى أو الخصائص الحنفى .. هناك تفسير صوفى كتفسير ابن عَجِيبة . التفاسير كثيرة . الثقافة الإسلامية بحر متلاطم الأمواج .

دعائى إلى هذه المقدمة أى أحببت أن ألقى نظرة خاطفة على التصوف والتراث الصوفى ، وأن أكون مصصفا قدر ما أستطيع فلا أهادن خطأ ولا أتسع عورة ، ولا أستهجن صوابا ، ولا أغمط لأحد حقه ، اجتهدت فى هذا ، وفى الحقيقة قرأت فى التراث الصوفى لكثيرين .. لمتصوفين يحبون مذهبهم ويتعصبون له ، ويدعون إليه .. وقرأت نقاد يحملون على هذا اللون من الثقافة الإسلامية ويضيقون به . ثم يختلفون فبعضهم يصف فى يقده كما قرأت لابن القيم فى كتابه « مدارج السالكين بين منازل إياك بعد وإياك نستعين » الذى يرد به على كتاب « مارل السائرين » لشع الإسلام أى إسماعيل الهروى^(١) الصوفى — وفى الحقيقة أن الجدل بين الرجلين — هما — كان على مستوى عال من عمق الفقه وحس الحق وتحرى الحق والرغبة فى نفع المسلمين وإرضاء رب العالمين .

أول ما ألفت النظر إليه أن ما يسمى طرقا صوفية فى البلاد الإسلامية بينها وبين التصوف القديم بماله وما عليه خطئه وصوابه ، بين الطرق المعاصرة وبين هذا التصوف القديم مسافة شاسعة بل تكاد تكون العلاقة منقطعة .. علاقة الطرق الموجودة الآن بالتصوف القديم تشبه علاقة اليونان الذين يبيعون الخبز فى الأمراء أو المسكرات فى الخانات أو البقالة فى حوانيتها بالنسبة إلى سقراط صاحب نظرية المعرفة أو إفلاطون صاحب نظريه المثل أو أرسطو صاحب المنطق ..

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي الهروى الحلبى الصوفى المتوفى فى سنة ٤٨١ هـ

العرف بعيد بين صوفية العصر الحاضر والمتصوفين القدامى والمتصوفون القدامى أنواع ، فهم فكر فلسفى انتشر قديما وعُرف رجاله مثل : محبى الدين بن عربى ، وابن الفارض ، وابن سبعين ، وهذا اللون من التصوف كان موضع صيق من جمهرة المسلمين ورفضه أغلبهم لأنه تصوف فلسفى ، وتصوف فلسفى غلبت عليه عناصر مستوردة من فكر رواقى يونانى أو فكر هينى أو فكر بعيد الصلة بالإسلام ، وهؤلاء قد يقع الخطأ من أحدهم فيكون خطأ شنيعا ، ومن أخطاء ابن عربى — وهو فيلسوف صوفى — أنه يرى أن فرعون نجى وأنه من أهل الجنة !! الله يقول ﴿ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ . يَقْدَمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِي الْوَرْدِ الْمُرْرُودِ ﴾ (١) فكيف يقال عن هذا إنه نجى !!؟ الله يقول ﴿ وَأَتَّبِعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ (٢) ومع ذلك فقد قرأت رسالة للرجل يقول فيها : إن فرعون آمن ومات طاهرا لأنه عند العرق قال ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣) فالرجل آمن ومات طاهرا ... صاهرا !!؟ ما هذا يارجل ؟ آمن فى وقت لا يصلح فيه إيمان ، والله قال له ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٤) فخطأ ابن عربى هنا مع أخطاء أخرى تنسب إليه ويُعرف بها تحملا تؤيد جمهرة المسلمين في رفضهم للفلسفة الصوفية عموما لأنها بعيدة عن الإسلام .. بعيدة عن المنطق الدينى . بعيدة عن الصواب الفقهية التى لا بد منها لإدراك الحقائق .

لكى المسلمين عموما قبلوا التصوف السلوكى .. أى قبلوا تصوف الأخلاق والآداب والشمائل والذكر والعبادة ، ومن أئمة هذه الطريقة التربوية أو السلوكية : أبو الحسن الشاذلى .. وشيخ المذهب لون وأتباع المذهب بعد ذلك قد يخطئون ويصيبون ، أبو الحسن كان رجلا له فقه ، وله مع الله أدب ، وله مع الناس توجيه حسن

(١) هود : ٩٧ ، ٩٨

(٢) القصص : ٤٢

(٣) يونس : ٩٠

(٤) يونس : ٩١

وهو صاحب التوجهات اللصاف ، كان غنيا ، وعندما وضع أحد الدراويش يده على ثوبه فوجده سخيا فقال : يا إمام أهذا ثوب يُعد الله فيه ؟ قال له : ثوبى يمدى عنى بالعنى عن الناس وثوبك يمدى عليك بالفقر إلى الناس !! وأنى الرجل الكبير إلا أن يكون ثوبه حسا محالفا بدينك حقيقى انتصوفة ادين كانوا يلبسون المرقعات ويرون ذلك من باب التواضع لله أو الرهد فى الدنيا .. ابن عمر رضى الله عنهم — وهو متشدد فى معاملة نفسه — قال لمن استتصحه : الس ما لا يردريك فيه السفهاء ومالا يعيبك عليه العقلاء !! ملابس عادية مخترمة لاهى مرخرقة ولا هى سيئة .. وأيضا أبو الحسن هو صاحب الكلمة المشهورة — قال له تلميذه : أنا أترك الماء فى الشمس ، قال له : لم ؟ قال : أحارب نفسى مهى تشهى شرب البارد ، فقال له : انقل الماء من الشمس إلى الطل فإبتك إن شربته باردا فحمدت الله اترعت الحمد من أعماق قلبك !! كان رجلا عاقلا . من هذا المسلك مسلك الحسن جاءته حلوى فآخرة فأحد يورعه فانقبضت يد صوفى حرله وأنى أن يأكل ، فقال له الحسن : لم ؟ قال : نعمة جريلة لا أستطيع أن أقوم بشكرها ، فقال له الحسن : كل يا أحمق .. فى الماء العادى نعمة لا تستطيع أن تحوم بشكرها !! التصوف عاطفة .. والعواطف أحيانا تكون سائحة — غير مضبوطة — فلا بد من ضبط العاطفة .

التصوف السلوكى انتشر بين المسلمين وانتشرت طرقة ، وعرفه ابن خلدون بأنه : علم مُحدث فى الملة يتصل بأعمال القلوب والحوارج .. (١) وهو تعريف لا بأس به .. ما معنى أنه مُحدث فى الملة ؟ أكثر العلوم استحدثت عناوينها وإن كانت موضوعاتها قديمة ، بمعنى أنه ما يتصل بالإيمان وقضاياها والدفاع عنها — خصوصا عقيدة التوحيد وما يحمىها — فهذا علم مستقل به علم الكلام أو علم التوحيد أو علم العقائد .. وما يتصل بالعبادات من وصوء وصلاة وركاة وصيام وحج فهذا علم انفرد به فقه العبادات ما يتصل بالبيع والتحارات والشركات والكفالات والجوالات فهذا علم انفرد به فقه المعاملات

(١) انظر مقدمة ابن خلدون : ٣٩٢ ط ١٩٢٠م المطبعة الأثرية

تفسير القرآن له علم التفسير . السُّنة وما يتصل بتقويم السد ومعرفة الرجال انفراد به علم الحديث دراية . وما يتصل بالمتون وما روى عن النبي ﷺ انفراد به علم الحديث رواية .. فما يتصل بحب الله والصبر والشكر والخوف والرجاء والتوكل والورع وغير ذلك من المعاني فانفراد به علم التصوف ، وكتبت المؤلفات على هذا الأساس .

عند التأمل وجدت التراث الصوفي يُشبه منجماً مليحاً بفائس كثيرة وبتراب كثير وعشاء كثير ، وأن الذي يدخل هذا النجم قد يكون غيباً فلا يخرج إلا بقف من التراب ، وقد يكون دكياً فيستطيع أن يستخرج بعض الفائس وينفع بها !! وأشهد أن ابن القيم في كتابه « مدارج السالكين » وابن القيم تلميذ لابن تيمية وكلاهما خصم للصوفية — أشهد بأن ابن القيم كان مصعباً لأنه ما وجد حيراً إلا التقطه ونمّاه ، وما وجد خطأ إلا وردّ عليه بالحسنى ، واجتهد أن يعتذر لصاحبه إن كان له عذر ، وكان متواضعاً لله ، عمت نفسه ومكانته عندما قال . شيخ الإسلام حبيب إلينا والحق أحب إلينا مه ، ثم قال : إذا كنت قد أصبت بعض الحقائق التي لم يرها شيخ الإسلام فأنا مع شيخ الإسلام كالمهدد مع سليمان عندما قال له : « أحطت بما لم تحط به وجنتك من سبأ بنياً يقين »^(١) والمهدد هو المهدد وسليمان هو سليمان !! في الحقيقة هذا اللون من البحث عن الحقيقة والأدب مع الخصوم يحتاج إليه الكثيرون في مصرنا ، فإن أمتنا فقدت كثيراً من أدب البحث ومن حب الحق ومن تربيته للآخرين حتى يكون حبيباً إليهم ، وكثير من الذين عرفوا بعض الحقائق لم يحسوا عرضها ، وربما كانوا فتانين يصلون الناس عنها .

لقد قرأت كما قلت في الثقافة الصوفية شيئاً كثيراً فوجدت أن هناك أموراً ينبغي أن تأخذها من هذا التراث ، وقد تكون موجودة ضمن علوم إسلامية أخرى — لا بأس لكن التوسع فيها والحديث عنها كثر في التصوف وتناوله أولئك العلماء بعاطفة حارة ونفس ملتاعة ، وأحياناً كنت أشعر — والكلمة تخرج من مُرب كبير في ميدان التصوف ، أو من محب لله —

أشعر كأن الكلمة فيها فعلا نذع الأشواق ونور الحب والرغبة في مرصاة الله .. عليها من قلب صاحبها رواء يجعلها تصل إلى القلوب . التصوف من هذه الناحية يُقلل يقينا ، ماذا ؟ لأنه تدريب على مقام الإحسان .. الإحسان تعريفه : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (١) هذا كلام نظري ، لكن عند التطبيق كيف يتحول الإدراك النظري إلى حس حقيقي تشارك فيه المشاعر ويكاد الإنسان يلمس بيده ما يريد أن يوضحه للناس ، لأصرب لكم مثلا : المدرس عندما يشرح لطلابه في الفصل حقيقة من الحقائق إذا لم يكن هذا المدرس في دماغه من الوصوح والعمق ، وفي لسانه من القدرة على الأداء ما يتقل هذا الوصوح إلى القلوب والعقول فإنه سيكون مدرسا فاشلا . وكذلك جعل الناس يحسون بعظمة الله ويتبعثون إلى طاعته بعزائم صلبة وشوق ملحاح ، إن غرس هذه العقائد في النفوس لا يقدر عليه عالم نظري ، ولا عالم مُرتق ولا عالم من طلاب الدنيا ، إنما يقدر عليه رجل في قلبه حب مصعوط لله ، فهو إذا اتكلم تفجر هذا الحب على لسانه ووصل إلى القلوب ، ومن هنا استطاع أولئك الصوفية الأقدمون أن يؤثروا في الجماهير حتى دخلوا أدب اللغة العربية العادي ونقلوا منه مالا يصلح أن يكون إلا لله أبو فراس الحمداني — شاعر — مدح سيف الدولة بأبيات .. رفض الصوفية أن تكون هذه الأبيات في سيف الدولة ونقلوها في مدح الله .

فبتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبينى وبين العالمين حراب
إذا صَحَّ منك الودُّ فالكل هَيَّيْ وكل الذي فوق التراب تراب (٢)

نقلوها في معاملة الله ، والله أولى بها في الحقيقة ، الله أولى بهذه المساجاة وهذا المدح .. هم في هذا أشياء جدية بالتأمل . ولقد قرأت في هذا كتاب حكم ابن عطاء الله السكندري « رفضت الشروح التي حول هذا الكتاب ، لكى وجدت حكم الرجل من أنصر ما قرأت في حياتي .. في أدب السلوك ومعاملة الناس يقول :

(١) جزء من حديث طويل رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب الإيمان

« تحقق بأوصافك بمدك بأوصافه ، تحقق بذلك بمدك بعزه ، تحقق بعجزك بمدك بقدرته ، تحقق بضعفك بمدك بحوله وقوته » . وهذا كلام صحيح .. لأن الله لا يقبل إنسانا يحىء إليه شائخا .. أنت عبد مقبل على سيدك فلماذا هذا الشموح ؟ ويقول في هذا : « معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عرا واستكبارا » وهذا كلام صحيح .. ثم يعيب على الناس ما هم فيه فيقول . « اجتهادك فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك ، دليل على انطماس البصيرة » كفل الله لك شيئا وكلفك شيئا ، ما كفله لك تشغل به ، وما كلفك به تكسل عنه ؟ انطماس بصيرة ، وهذا كلام صحيح ، لأن الله يقول لبيته ﷺ حتى يتعلم العباد منه : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعنك ترضى ولا تمدن عينيك إلى ما متعا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى . وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى ﴾ (١)

تأمل « نحن نرزقك » يا أخى لو أن رئيس دولة — وما رئيس دولة ؟ قال لك : سأعطيك كذا ، فإنك تصدقة فوراً ، فكيف بملك الملوك ؟ لماذا ترتاب ؟ ما وجه الريبة ؟ لكن يقول لك : « نحن نرزقك » ترتاب . في التربية نجد أموراً تحتاج إلى دقة ، ولذلك لا يستطيع أولاً ينبغي أن يدخل في هذا الميدان من لا يحسنه .. من أوائل ما كتبه ابن عطاء الله : « ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه » كلمة غريبة ، وربما قرأها أحد الناس الآن فقال : هذا هو الخمول الدينى .. رجل يقول لتلميذه : ادفن نفسك في أرض الخمول !! طبعاً معنى الكلمة ليس كما يتصور قصار الفكر والنظر ، معنى الكلمة : لا تتقدم الصفوف حتى تضع ، لا تحاول أن تكون إماماً قبل أن تستكمل مسوغات الإمامة .. بعض الناس لأنه صنع قصيدة يريد أن يكون شاعر الغبراء .. بعض الناس لأنه كتب مقالا يريد أن يكون أديب الأدباء !! لا .. كما تختفى الحبة في التراب فلا تظهر مدة من الزمن حتى تستكمل قدرتها على الإسبات وإلخصاب والإثمار ثم تبدأ تشق طريقها لترى الشمس والهواء كذلك على

(١) طه . ١٣٠ - ١٣٢

كثير من المتعلمين ألا يستعملوا الشهرة وأن يعيشوا جوداً مجهولين
يستكثرون من المذاكرة والتحصيل ومن أمور كثيرة حتى يمكن أن يكونوا
نافعين .. أما الحبة التي توضع فوق ظهر الأرض فلا ثمرة لها ولا نتاج ،
ومادام حريصاً أن يرى من أول يوم فلا خير فيه : « ادفن وجودك في أرض
الحمول فم بيت مما لم يدفن لا يتم نتاجه » ويقول « ما بسقت أعصاب دُل
إلا على بذور طمع » وهي كلمة جليلة كلمة عظيمة ، وكما قال الشاعر :

ملكك نفسي مذ هجرت طعي اليأس حر والرجاء عبد
مادمت ترحو غيباً أو حاكماً فأنت دليل .. اليأس حر والرجاء عبد ..
مادمت ترحو فأنت دليل .. عندما تيأس من الخلق وتعاملهم على أن لا أمل
فيهم إطلاقاً فأنت ملك .

هذا فيما يتصل بالناحية الطبية في التصوف .. هناك نواح محيية .. ما
هذه النواحي ؟ النواحي كثيرة أكتفي بها بثلاثة أمور . الأمر الأول :
كثرة المبتدعات مع جراح العاطفة ، بمعنى أن دسا كثيرين احترعوا من
عندهم أموراً كنفروا الناس بها ، وعندما أنظر إلى لعبادات أجد أن الشارع
هو الذي استقل بتكليف الناس بها .. معنى الحكم الشرعي : خطاب الله
المتعلق بأفعال المكلفين .. ولذلك لا يمكن أن يصع حكماً شرعياً بشراً ، لأن
رب البشر هو الذي يكلف ، نشأ عن سوء التكليف عدداً-عدداً ما أحد
بعضنا يكلف البعض الآخر-نشأت مفارقات كانت من بين أسباب ضعف
الأمة الإسلامية الفكرية والفقهية ، يقول الله تعالى : ﴿ ولله الأسماء
الحسنى فادعوه بها ﴾ (١) هـ نص قرآني ، على رأسي ، ما معنى أن أدعو
الله باسمه الحسن ؟ واحد يقول لك : قل يا لطيف مائة ألف مرة بالليل ،
هذا تكليف من عدد واحد من الناس . المعنى الحقيقي للآية أصرب له
مثلي لتدرك ما انقصود شرعاً بهذا . عندما نأمل يوسف الصديق
أيامه التي مضت .. لما كان صملاً في أحضان أمويه ، لما احتطف ويص
عدداً رقيقاً بثمر خمس دراهم معدودة ، لما تعرض بعض النساء في القصور ،

لما أصبح واليا على شئون المال ، لما تربع على عرش مصر ، استعرض هذا كله ثم أعجبه القدر وتصرف الله معه فقال كما بين لنا القرآن : ﴿ إِنَّ ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴾^(١) ملاحظه اللطف الإلهي في تاريخ لبشر ، في حياة الناس ، في المسالك العادية ، اعبد الله بهذا ، بملاحظة اللطف لإلهي .. هذا في تاريخ البشرية .. أما في الأحوال العادية فعندما ترى التراب الميت تنزل عليه الميه من السماء فإذا الحبة المدفونة تخرج حاملة السكر والبرلال والدهون والفيتامينات والأملاح .. من صرع هذا ؟ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾^(٢) لطيف ، لطافة ، يبتغى أن تُدرس ، علم يُدرس ، الأسماء الحسنى لها معان كثيرة ، ممكن أن ألحظ معنى « الماء » كيف من على أي ، كيف من على ، كيف من على عبرى ، ألحظ المسمى الإلهي في كل شيء .. ولأني حامد العزالي كتاب اسمه « المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى » وهو كتاب لطيف .. يسعى أن يعرف الدعاة إلى الله الفرق بين أنواع التفكير البشري .. ابن حزم فيلسوف ، لكنه رجل مسأح لظاهر الحياة والتواريخ مع ذكاء غير عادي .. ابن تيمية فقيه لا يظفر له في حرية الفكر والأخذ من المنابع الأصيلة للإسلام ولكنه يحمل دماغ فقيه فقط ، بينما أبو حامد العزالي يحمل دماغ فيلسوف ، ولذلك فإن كلامه في التربية يكاد يكون المصدر الأول أو الأوحى في الثقافة الإسلامية وهذه طبائع الخلق .. من هنا أحب أن أقول للناس : من أعجبه من التصوف ما ذكرناه فليضبط نفسه بضوابط الشريعة ، فالبدع كلها مرفوعة ، هذه واحدة .

الأمر الثاني . ما يصل بقانون السبية من الظلم أن أقول : إن المتصوفة من أسباب انهيار الحضارة الإسلامية لأنها وهنت قانون السبية ، لأن هذا التوهين اشترك فيه علماء الكلام وخصوصا الأشاعرة واشترك فيه عديد من علماء الحديث .. الحقيقة أن قانون السبية قانون ملزم ، وأن ما يقع هذا القانون من خوارق هو شذوذ ، والشذوذ كما قيل :

(١) يوسف ١٠٠

(٢) الحج : ٦٣

يؤكد القاعدة ولا يهدمها ، فإذا كانت النار تحرق فالنار تحرق ، كون النار لم تحرق إبراهيم فليس معنى هذا أن النار تحلّف حريقها أو تهدم قانوها ، لا . إبراهيم وحده له معجزة خاصة ، وبقي القانون على امتداده يطبق على الكل ، فلورميت أحداً في النار فيسعى أن يُقصر على أني قاتل وما يسعى عنى أن يقال : النار كانت بردا وسلاما على إبراهيم ، لا .. هذا كلام لا يقال ، والقاعدة قاعدة .. من أسباب انهيار الثقافة الإسلامية أن قانون السببية دعى مع المتصوفين فإن كل رجل طيب فيهم جعلوا حوارق العادات تحشو حياته ، فهو يفتح الباب بعير مفتاح ، ويطير في الجو بغير جناح ، كل شيء سهل ، كانت النتيجة أن البحر أصبح طحينة كما يقولون ، ولم يبق في حياة البشرية شيء متماسك ، ووُحد هدى في كتب الفقه ، قرأت في الفقه المالكي ، وفي الفقه الحنفي — مع أن أبا حنيفة ومالكا من أئمة الرأي وليسوا من أئمة الأثر — ومع ذلك قرأت كلاما لا بد من رفضه ، وما ينبغي أن يقال أبداً ، ولا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ ، من ذلك قول المالكية في كتاب من حوالى ألف صفحة أعطتية حكومة قطر العام الماضي ، وكما تعلمون الذي يصلى الظهر في مكة يصليه قل الذين يصلونه في القاهرة بحوالى خمس وعشرين دقيقة لأن خطوط الطول التي تنظم الوقت لها دخل في هذا ، فين مصر ، وجرتش ساعتان فيجىء سائل في الفقه المالكي ويقول : لو صلى الظهر في مكة ثم طار — كيف طار ؟ وهذا الكلام من قرون — ووصل إلى المغرب فهل يصلى الظهر مرة أخرى لأنه وصل قبل وجوبه على أهل المغرب ؟ هذا كلام سخيف ، عيب ، أسقط العقل الإسلامى في ميدان الاختراع والميزياء والكيمياء وما إلى ذلك .. كلام لا يليق .. الطامة التي يقولها الأحناف أن رجلا في المشرق تزوج امرأة في المغرب وولدت دون أن يتصل بها ، كيف هذا ؟ يقولون : هو ابنه فقد يكون من أهل الخطوة !! هذا الكلام عيب أن يقال ، قانون السببية طحنه المتصوفون بكثير من حوارق العادات .. ويحيى رجل ببلاهة فيقول لك : هل تنكر حوارق العادات ؟ هل تنكر كرامات الأولياء ؟ وفرضا جدلا أن رجلا أنكرك هذا ، ابن حزم أنكرك هذا ودييه محموط ، وغيره أقربها إذا كانت مروية بسند صحيح ورفضها إذا كانت بعير سد صحيح ، فالمسألة فرعية

لا دخل لها في العقائد ، ولا دخل لها في الكفر والإيمان ، هذا أمر ثانٍ يؤخذ على التصوف . الأمر الثالث هو : ما يتصل بالدنيا ، الدنيا سلاح خطير ، يستطيع بها الإنسان بما لها وجاهها وسلطانها أن يخدم عقيدته وأن يرفع شأنها إذا كان مؤمناً ، إذا عبدها الإنسان أودت به ، وإذا سخرها في خدمة الحق رفعت مستواه وأعدت درجته ودهبت به إلى عليين ، انظر إلى رجل كعثمان ابن عفان رضي الله عنه أنفق على جيش واستطاع أن يجعل المسلمين يكسبون معركة .. وآلان نجد العجائب لأن المسلمين فقراء في النغال ، في سجلاديش ، في الصومال ، في أندوسيا ، نجد نشاط التبشير المسيحي يعرض اللقمة بسرقة العقيدة ، كيف ستهين بالدنيا : « نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ » (١)

هكذا علمنا رسول الله ﷺ ، ويقول الله . ﴿ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ (٢) التمكين في الدنيا .. ولاية منصب كبير هذا شيء عظيم ، يقول الله في يوسف الصديق — لما وُلاه شؤون الثمنين والأموال وأصبح على خرائث الأرض — تعديق القرآن على هذا : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعْهُ مِنْ حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبُ بَرَحْمَتِنَا مِنْ نَشَاءٍ وَلَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) سمي التمكين في الأرض رحمة ، هذا في الدنيا لأنه بعد ذلك يقول ﴿ وَلَا أَجْرَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٤) فلما جاء من قبح وجه الدنيا لبأس على كل حال خسرو المسلمون دنياهم ، فلما خسرو دنياهم وتمكن منها أعداؤهم ساوموهم على عقائدهم وشرائعهم وشمائلهم فكانت النتيجة ما نحن فيه ، الأمر يحتاج إلى إدراك للحقائق ، ولذلك فإن التراث الصوفي كله كالفقه ، ككثير من أبواب الثقافة الإسلامية المختلفة .. كل هذا يحتاج إلى عزيمة وحسن نظر ، والعصمة لكتاب الله ولما صح من سنة رسول الله ﷺ .. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد — باب المال الصالح للرجل الصالح : ٤٥ والمالك في البيع وصححه ٢/٢ وأحمد ٤/١٩٧ ، ٢٠٢

(٢) النساء : ٥٠

(٣) يوسف : ٥٦

(٤) يوسف : ٥٧

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد^(١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، إمام السنين وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبرك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد

أيها الإخوة لفتت نظري أمور — في هذا الأسبوع — تتصل بطريقتنا في تربية المسلمين وفي تهيمهم ما هنالك في دنيا الناس . نظرت إلى صور الشاين اللدين ماتا في (إيرلندا) خدمة لمذهبهما الديني وهو الكاثوليكية فراعني وأنا أنظر إلى الصور أن الصور كانت لشباب نسميه نحن (الخنافس) شباب وجهه صبيح ، متحرد من كل شيء ، شعره غزير يكاد يكون على مكبيه ، استغربت ، طور عمرى لا أعتز بالمظاهر ولا أهتم بالأشكال ، لكن حقيقة راعني أن المعتقد الديني الذي يرسو في قلوب شباب من هذا النوع ، فإذا أحدهما يطل تسعة أسابيع يرفض الأكل حتى يموت ويصاب بالعمى وهو الوسيم الحميل ولا يبان ، وكذلك شباب الآخر قصي ثمانية أسابيع حتى مات هو الآخر ، اهتمام غيرنا بالتربية التي تعرس في القلوب لا بد أن ندركه نحن ، لم ؟ لأن عدداً كبيراً من المسلمين لا يفكر إلا في الصور والمظاهر ويُعول عليها كثيراً جداً ، ولصور والمظاهر في معارك الحياة الكبيرة ليست كبيرة القيمة ، قد تكون الصورة صورة ، وكما يقول علماء قانون : الشكل لا بد منه حتى يُقبل الموضوع ، لكن مع هذا فإن ديسا اهتم بالقلوب قبل كل شيء وقال لنا . « إن الله تعالى لا ينظر إلى

(١) الشورى : ٢٥ ، ٢٦

أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن يظر إلى قلوبكم» (١) هذا شكل رأيته فأحييت أن أقول لاس كثيرين من البكائين على الأشكال : اهتموا إلى حاب الشكل بالموصوع وبالْحَقِيقَة ، هذه واحدة ، اهتممت أيضاً بمحاولة اغتيال (بابا روما) أن أكره الاعتيالات لأنها نجسة ، لا أحبها بطبيعتي ، وعندما جاء قاتل (كليب) بالرمح وقال له : الريح ورائك ، قال له : تعال إلي من أمامي ، لأن القتل عيلة ليس شرفاً ، أنا أحتقر هذا النوع من التصرفات ، لكن في الوقت نفسه أعجب لكل هذه الصحة العالمية التي اضططعت اصططاعاً وافتعلت افتعالاً ، باب روما لا يرال يرى أن القدس لا تُرد إلى العرب ، وباب روما لما ذهب إلى « الفلبين » قال للمسلمين : ضعوا لسلّاح ، وهم يقاتلون عن دينهم ، وما قال « لماركوس » القاتل دع الناس أحراراً يتديون بما يشاءون ، فالرجل أتفه من كل هذه الضجة ، أنا أرغص كما قلت أن يُغتال ، والاعتيال لا يصير قصية لأمة ، إسي أكره تكبير الصغار ، أكره تكبير الخرايين ، إسي أحترم الرجولة . كايُسُ طريق يؤمن بأن الله واحد أفضل من رجل على رأسه التاج يقول : إن الله ثلاثة !! .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (٢) .

﴿ ربنا اعمر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٣)

عباد الله

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (١) .

أقم الصلاة

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة في كتاب البر — باب تحريم ظلم المسم وخدله واحتقاره ودمه وعمره وماله ١١/٨ .

(٢) رواه مسلم والنسائي وأحمد .

(٣) الخشر : ١٠ .

(٤) النحل : ٩٠ .

تأملات في سورة محمد ﷺ

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين .
أما بعد :

فظفرتنا في هذه الجمعة إلى سورة القتال أو إلى سورة محمد عليه الصلاة والسلام ، كلا العنوانين اسم للسورة ، وهذه السورة تميزت في تاريخ الجهاد الإسلامي بأن الجيوش الزحفية تحب عَلم التوحيد كانت تعلو أصواتها بتلاوتها ، وكما بصرخ الفتية — الآن — بالنشيد الوطني — مثلاً — في بعض البلاد ، فإن الشيد الذي كان يعلو فوق هذه الفرق المقاتلة ، ويحدد هدفها ، وينظم خطوها ، بل يكون للموسيقى التي تشد الأعصاب ، وتدفع بالمجاهدين إلى موارد الردى وهم مبتسمون ، كان كثير من المقاتلين يقرأون سورة الأنفال أو سورة القتال ، وما نعرف في تاريخ الأولين والآخرين قتالاً أشرف ولا أركى ولا أظهر من القتال الذي حمل عبثه صاحب الرسالة الخاتمة أو أصحابه الذين جعلوا من أحسادهم حشوراً عبر عليها الإسلام إلى القارات كلها ابتغاء ما عند الله ، وانتظار مثوبة الآخرة ، واحتقاراً لعرض الدنيا وزينتها .

سورة القتال تُلقى عليها نظرة لئلا يرى بدءاً أن المحور العام الذي تدور عليه السورة هو : وصف أهل الحق وأهل الباطل وما يدور بينهما من نزاع حارٍّ أو بارد .. وبدأت السورة تذكر الفريقين من أول سطر فيها ، فتذكر أن الرضا الأعلى ، واليمن ، والفأل الحسن من نصيب أهل اليقين والإيمان ، وأن الغضب الإلهي ، وشؤم العاجلة من نصيب الذين آمنوا باحبت والطاغوت ، وكفروا بالله الواحد الأحد ، وتجهموا للرسالة وصاحبها ، يقول تبارك اسمه : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح باهم . ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ (١) .

﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ للكفر صور كثيرة ، أولها : إنكار الألوهية أصلاً كما يفعل الماديون والشيوعيون وناس كثيرون ممن انتشروا في فارات الأرض الآن ، لا يعرفون إلا ما يعرفه سقطة الأعراب قديماً عندما كان أحدهم يقول إن هي إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما يهلكها إلا الدهر !! تحول هذا إلى فلسفة عامة ، ودول مسلحة ، ومذاهب تدعى المعرفة وتنطلق باسمها أبواق ودعايات وإعلام وصحف إلى غير ذلك ، هذا نوع من الكفر .. هناك كفر آخر يؤمن بالله ولكن يراه حسداً (٢) ، عكس في نظره أب الله بجهل فلا يدرى ما يقع (٣) أو يندم على شيء صعبه لأنه كان لا يعرف عاقبته (٤) أو يأكل

(١) محمد ١ - ٣ .

(٢) انظر سفر التكوين الإصحاح ٢ : ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٨ ، ١٩ وسفر الخروج ٦ : ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٤ ، والشيء ١ : ٢ ، ٩ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٣ ، والثلاويين ٢٤ ، ٢٦ ، والعدد ١١ ، ١٥ ، ٢٢ ، ٢٨ ، ففي كل هذه المواضع نجد تجسماً ظاهراً مفصلاً .

(٣) انظر سفر التكوين الإصحاح ٣ .

(٤) التكوين الإصحاح ٦ .

مع الناس^(١) ، أو يتصارع مع بعض عباده^(٢) وهذا الكفر هو دين اليهودية الآن ، وما ذكرته عنهم هو تلخيص لما ورد في العهد القديم أو في سفر التكوين بآيات .. ثم هناك كفر آخر ، ناس تدعى أن الله إله أو بتاً ، أو صاحبة ، أو أنه ابن لشخص آخر^(٣) ، أو ما إلى ذلك مما لا أصل له ، وقد اشترك في هذا وثيو العرب وبصارى العالم ، والقرآن الكريم حاسم . ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً ذهب كل إله عما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾^(٤) سبحانه الله وتعالى . أى تتره وترفع عن أن يكون له ولد ، أو أن يكون ولد لأب ، أو ما إلى ذلك مما يقول الأفاكون وإن كثرت جيوشهم ، وكثرت اختراعات الفتاكة بين أيديهم ، فإن شيئاً من هذا لا يحول الضلال إلى حق .. هناك كفر آخر ، أن يعبد بعض الناس أصناماً أو عناصر من الأرض يظنون أن الله حل فيها ، أو جعلها مطهرات له ، كما يفعل الهادك في الهند ، أو كما يفعل البوذيون في جنوب آسيا وشرقها ، وهناك كفر — معروف أيضاً — وهو أن يؤمن أحد الناس بالله — كما يزعم — ولكنه يرفض طاعته ، والانقياد لأمره وسببه ، ويجادل في الأحكام التي جاءت من عبده ، ولعنه يتهمها بالرجعية أو بالقسوة ، أو بأن المرائض تعطل الإنتاج ، أو ما إلى ذلك مما يقوله كفار في البلاد العربية في عصرها الحديث .. وأعتقد أنه مما يدخل في باب الكفر إنكار السمة جملة وتفصيلاً ، وهو ما حمل رأيته الآن — بعض العسكر الذين يحكمون أجزاء من العالم الإسلامي . وأنواع الكفر كثيرة ، قد يكون الكفر مرضاً فتك بصاحبه فاسروى به ، وعاش في سوائه وانتهى أمره على هذا

(١) العدد الإصحاح ٢٨ .

(٢) التكوين الإصحاح ٣٢

(٣) متى ٢٨ ويوحنا ٢٠ ورومية ٨ ولوقا ٣ ، خروج ٤٥ ، تكوين ٦ ، تثنية ٣٢ .

(٤) المؤمنون ٩١ ، ٩٢

النحو .. هذا كفر ضرره محدود ، وإن كان كفراً .. لكن ههنا كفراً يرون أن ينقلوا الظلمة التي في قلوبهم إلى قلوب الآخرين ، الخرافة التي في رؤوسهم إلى رؤوس الآخرين ، مهمة هؤلاء أنهم إذا اعوججت الصراط بهم لم يكتفوا بضلالهم ، بل قرروا أن يعترضوا السائرين على الطريق المستقيم ، فهم يصنعون الألقام في هذا الطريق ، أو يعرقلون مسيرة أصحابه على أي نحو ، هؤلاء هم الذين سماهم القسراً في سورة كلها [الصادق عن سبيل الله] فمعنى لصد عن سبيل الله : أن تضع يدك في فم يقول الحق حتى لا يقول الحق ، أو تعترض بسططائك سائراً على الصراط المستقيم حتى تلوي عقه ، وتضل سعيه ، وتجعله ينتكس بأي أسلوب .. هذا هو الصد عن سبيل الله ، وهذا الكفر المزدوج ، أو الصلال المضاعف ، أو تحول الكفر من حيوان عاتٍ إلى حيوان فاتك .. هذا الكفر المزدوج المقرون بالصد عن سبيل الله هو ما شكاه المؤمنون منه قديماً وحديثاً ، هو ما أعلن القرآن عليه حرباً شعواء : ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً ﴾ ﴿ إن الذين كفروا وظلموا ﴾ - جمعوا بين الكفر والظلم - ﴿ لم يكن الله ليغفرهم ولا ليهديهم طريقاً . إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً ﴾ (١) قد يستطيع الكفرة الصادون أن يملكوا السلطة ، وأن ينووا الأمور ، ولكن إلى حين ، إلى أن تنهأ كتيبة الرحمن ، وتستجمع خصائص القيادة ، وتملك من الأسباب المادية والأدبية والعقلية والحضارية ما يجعلها قادرة على الوراثة فإذا هي ترث للفر ، ولكن ما بقي هؤلاء الكفرة الصادون ما بقوا يحكمون فالشوم في أثرهم ، ولجوار في أعمالهم .. وقد رأيت في قطر من الأقطار قتل حكامه عشرة من أئمة المساجد وأحرقوهم ، لأنهم رفضوا التسوية بين الرجل والمرأة في الميراث !! هذا وقع في الصومال ، ويريد الله أن الأنهار التي تجري في الصومال جفت !! ويريد الله أن أحكام ههنا يتسولون الأكل لمن حولهم ، وههنا !! ﴿ الذين كفروا واصلوا عن سبيل الله أضل أعمالهم . والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما

(١) النساء : ١٦٧ - ١٦٩ .

نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح
 باهم . ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا
 الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴿١﴾ تكرر هذا المعنى في
 اسورة ثلاث مرات أو أكثر ، فمثلا في أواخر السورة نقراً قوله
 تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من
 بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحيط أعمالهم ﴾ (٢) نفس
 المعنى الذى افتتحت السورة به ، لكن مع الريادة وهو وصفهم بأهم
 ﴿ شاقوا الرسول ﴾ ومعنى المشاقة : أن يكون هذا على شيق وذاك على
 شيق ، أو بتعبير العصر الحاضر : على طرفى نقيض ، ومعنى ﴿ يحادون
 الله ورسوله ﴾ (٣) معنى المحادة : أن يكون هذا على حد وذاك على حد
 آخر ، أى على طرفى نقيض ، وهذا الاختلاف أو الافتراق ليس عن
 جهل ، ولكن ﴿ بعد ما تبين لهم الهدى ﴾ هذه إضافة فى الآية التى
 جاءت بها السورة ، وذاك يعطى : أن على المسلمين ضرورة بيان الحق
 وإبلاغه لكل أدن ، وتوضيح حقائقه لكل لب ، وهناك تقصير شديد
 للأسف بين المسلمين فى هذا المجال .. وتكرر المعنى مرة أخرى فى
 السورة ، قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم
 ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴾ (٤) والآية الثالثة تفيد أنهم طالت
 أمامهم فرص الحياة ، وأتتهم النذر مما رعووا ولا اعتدوا ، ولكن تشبثوا
 بضلالهم حتى لاقوا حتفهم ، فلما ماتوا كانوا خطباءً لجهنم ، ما
 يصلحون إلا لهذا .. هذا موضع ثالث ، هناك موضع رابع تناول القرآن
 فيه هؤلاء على أحد معينين : ﴿ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا
 من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً ﴾ (٥) هذا التساؤل إما أن
 يكون عن بلادة و جهل ، وهو واقع بين الكفار حقيقة ، فإن باسم

(١) محمد ١ - ٣ .

(٢) محمد : ٣٢ .

(٣) المحادة : ٥ .

(٤) محمد : ٣٤ .

(٥) محمد : ١٦ .

من الكافرين سيطر عليهم الضلال فهم ما يعطون أى فكر لما يقال لهم ، بل هم كما قال القرآن فى السورة الثانية — سورة البقرة — ﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ (١) فقطعان العم أو قطعان الكلاب لا تسمع إلا صوت الراعى ، تسمع رُغاءً ، تسمع شيئاً لا يحرك منها فكراً ولا عقلاً ، هذا هو شأن لكفار : ﴿ ومنهم من يستمع إليك ﴾ لكن لا يفهم وحيه ، ولا يُلقى باله ليفهم ، ولا يسأل الفاهمين : ﴿ حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً ﴾ وقد يكون التساؤل سخرية ، أو لعاً ولهاوً ، أو استهانة بما قيل : ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ﴾ (٢) .

هذا فيما يتصل بحزب الباطل ، أو بأولئك الذين فقدوا وعيهم ، وعاشوا فى الدنيا لأنفسهم ، ولم يحيووا لربهم ، ولم يفكروا فى مرضاته ، ولم يضبطوا سلوكهم وفق هداياته .. هذا نوع من الناس هو الجزء الذى تحدثت السورة عنه فى نصف آياتها تقريباً .. أما أهل الإيمان فإن الحديث عنهم أخذ عدة مواضع فى السورة نفسها ، أول هذه الموضع : أن الله أمرهم بأن يكونوا أشداء على الكفار ، وبأن يعتقدوا أن نصرة الحق لها أعباؤها ، وربما اقتضت تكاليف ثقيلة من بذل الدم والمال ، وما بدأ من أن يدفع المؤمنون الصادقون هذه الضرائب التى كتبت عليهم ليصروا الحق .. وبدأ التشديد فى نصرة الحق ، وضرب المبطلين حيث كانوا بقوله تعالى : ﴿ فإذا لقيم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإماتنا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ (٣) ربما تساءل متسائل : لم هذه الشدة فى مؤاخدة الكافرين وملاقاتهم فى الميدان بهذا الأسلوب الصارم ؟

(١) البقرة : ١٧١ .

(٢) محمد : ١٦ .

(٣) محمد : ٤٠ - ٦ .

السب واضح ، ويجب أن يُشرح للمسلمين ، فإن الأمة الإسلامية أحياناً تشبه إنساناً مُحَدَّثاً لا يعرف ما يقع له ، وأرى أن المسلمين في عصرنا كأنما بلغوا بُنْجاً فهم لا يدرون ما يقع لهم !! القبيحة التي بها (عيسى أمين)^(١) في (أوغندا) ربما تكون أبيت كلها في صمت ، ما يتحدث أحد ، عشرات الألوف من المسلمين في شرق وغرب أوغندا ماتوا هناك في هلوء ، في صمت ، ما يتحدث أحد ، هذه واحدة .. عملية إبادة المسلمين في (الفلبين) ما يتحدث عنها أحد ، وهي تتم بقتل الألوف المؤلفة ، في هدوء ، ما يتحدث أحد .. عملية قتل المسلمين في (روسيا) لم يعرف العالم قصة نقل السكان ، يعنى أن يصدر أمر بقتل سكان (القاهرة) مثلاً إلى (أسوان) هذا شيء يحدث في روسيا .. سكان (القرم) — وهي دولة إسلامية — يؤمر بنقلهم إلى (سيبيريا) ويحاج بأخريين بدلهم ، من الآخسرون ؟ مسيحيون ، من الذين ذهبوا ؟ مسلمون !! حتى لا يفى المسلم مرتبطاً بمسجد إلى جواره أو بإسنان بينهما صداقة تُنقل شعوب حتى تُبتر من تاريخها ومن عقائدها ومن صلاتها بالزمان والمكان !! الحقيقة أن الباطل إذا ملك لم يلو عنانه شيء ، ولم يكفكف شره أحد ، ولكن المسلمين في آذانهم وقر ، ما يقرأون ، ما يسمعون ، ويؤحنون واحداً بعد الآخر ، شعباً بعد شعب حتى تلور الدائرة على قلوبهم فيطحن .. الواقع أن المسلمين الآن يعانون بلاء حسيماً في أقطار كثيرة .. والذي يغيظ في هذه المعارك التي يبید فيها الموحدون أن أحداً لا يصنع لهم شيئاً ، لأن الأمة الإسلامية أمام الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لا تعتبر أمة لها حقوق إنسان !! إذا قتل المسيحيون في (لبنان) هجرت الدنيا وماجت ، أما إذا قتل المسلمون فلا حرج ، ليست لهم حقوق إنسان ، حقوق الإنسان لغيرهم ، وهكذا ، ولذلك قيل لمن يعملون مجاهدين في سبيل الله : يوم تصطدمون بقوى الضلال فلا يكن في صدوركم مثقال من رحمة

(١) تولى رئاسة الجمهورية في أوغندا في يناير ١٩٧١ م ومن أقواله الشهيرة لا توجد دولة في العالم اسمها إسرائيل ، إن الإسرائيليين أنبتوا للعالم أنهم شعب محرم مجلة العربي ص ٢٩ العدد ٢٣٨ سنة ١٩٧٨ م .

هؤلاء ﴿١﴾ فإذا لقيم الذين كفروا فصرّب الرقاب حتى إذا أثخنموهم
فشدوا الوثاق فإما مّا بعد وإما فداء حتى تصع الحرب أوزارها ﴿٢﴾
الأسرى يؤسرون ، ثم بين جلّ جلاله أنه ما خلق الدنيا لتكون دار
استقرار ، أو دار متع وملذات لمن أحبوه وآموا به ، لا .. هي دار اختبار
لأحرار من الله قادر على أن يحسف الأرض من شرّكوب به ، الله قادر على
أن يحسف الأرض أو يسقط كسفاً من السماء على من يعاندونه ويرفضون
الخصوع لأمره ، ولكنه لا يفعل هذا ، لأنه يختبر المؤمنين بالكافرين ،
ويختبر الكافرين بالمؤمنين ، وكما قال في سورة أخرى . ﴿٣﴾ وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً ﴿٤﴾ إنها فتنة ﴿٥﴾ ذلك ولو
يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل
الله فلن يصل أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة
عرفهاهم ﴿٦﴾ سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في المسحّد يقول : « اللهم
إني أسألك أفضل ما توتّي عبادك الصالحين فلما قصي النبي ﷺ الصلاة قال :
من المتكلم آنفاً ؟ فقال الرجل . أنا يا رسول الله ، قال : إذا يعقر حوادك
وتستشهد في سبيل الله ﴿٧﴾ » يقتل في سبيل الله ، هذا عطاء ، هذا أفضل
ما يعطاه الرجل الصالح في هذه الدنيا ﴿٨﴾ والذين قتلوا في سبيل الله فلن
يضل أعمالهم . سيديهم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها
لهم ﴿٩﴾ .

هذا أول ما كلف به المؤمنون أو الصفة الأولى في أوصافهم ، الصفة
الثانية : إخلاص النية لله في العمل ، بمعنى أن القتال ينبغي أن يتمحض
لله ، وهذا شيء صعب في الحقيقة ، فهي اختاراق للنفس ، واختباراني لمن
حولى ، وبصرى بشئون الناس مؤمنهم وكافرهم وجدت أن عدداً كبيراً من

(١) محمد : ٤

(٢) الفرقان ٢٠

(٣) محمد ٤ - ٦

(٤) رواه ابن حبان . انظر موارد الضمآن ٣٨٧٠ وأورده الهيثمي وقال : رواه أبو يعلى والبرار
بإسنادين وأحمد بإسنادي الزوار رجاله رجال الصحيح خلا محمد بن مسلم بن خالد وهو ثقة ٢٩٥ / ٥

(٥) محمد . ٤ - ٦

الناس وما أبرء نفسي — تفكيره يدور حول نفسه ، ولذلك فإن خلوص
 الية لله ليس عملاً سهلاً ، إنه عمل كبير ، ولكي نعرف — مثلاً —
 عَماج من العمل الذي ليس لله : قرأت في كتب الأدب قصيدة لعمر بن
 مَعْدِيكَرِب — وهو شاعر في الجاهلية وشاعر في الإسلام ، ولعل القصيدة
 التي قرأتها له كانت أيام جاهليته ، أما بعد أن أسلم فقد كان رجلاً من
 المسلمين الذين شاركوا في جيوش الفتح^(١) ، وفي غسل الأرض المحررة
 من ظلمات الجاهلية ، وأدران الشرك ، لكنه في جاهليته بدأ قصيدته
 كلاماً حساً^(٢) :

ليس الجمال ممزور فاعلم وإن رُدِّيت بُردا
 إن الجمال معادن ومقابٍ أورثن مَحْدأ

فعلاً هذا كلام صحيح .. ثم قال :

أعددت للحدثان سابعاً وعداء عاكدي^(٣)

إلى أن يقول :

كل امرئ يجري إلى يوم الهياج بما استعدا
 لما رأيت نساءنا بفحصن بالمعزاء شدا^(٤)
 وبَدَت ليس كَأَها بئر السماء إذا تَبَدَّى^(٥)
 وبَدَت محاسنها التي تخفى وكان الأمر جدّا
 نازلت كبشهم ولم ر من نزال الكيش بُدا^(٦)

(١) انظر أسد الغابة ٤ / ٢٧٣

(٢) انظر ديوانه ص ١٦ تحقيق مطاع الطرايشي ط دمشق ١٩٧٤ م

(٣) يقول : هيأت لنوابي الدهر ، أي لدفعها درعاً واسعة ومرسأً صحيحاً جيد القلوة .

(٤) الأمعز والمعزاء : الأرض اعززة ذات الحجارة ، ومعنى يفحصن يؤثرن لشدة القلوة في

المعزاء حتى يصير به لآثارهن كالأفاحيص

(٥) ليس اسم امرأة وهي ابنة عم الشاعر

(٦) كبش الكنية رئيسها

هل هذا قتال لله ؟ لا .. هل لله في هذه الكلمات شيء ؟ .
لا .. إنه قاتل من أجل امرأة .. وكانت عادة العرب قديماً أن
النساء يخرجن وراء الجيش المقاتل ، حتى في غزوة أحد خرجت نساء
قريش وراء جيشها تُحرّض الكفار على القتال وتقول لهم (١) :

إن تُقبلوا نعالقُ ونفسرُ الفارق (٢)
أو تُدبروا نفارقُ فراق غير وامق (٣)

والله نساء قريش كن أشرف من نساء كثيرات الآن ..
المرأة تقول للرجل : إذا لم تكن رجلاً طلقتك ، ابتعدت
عنك !! .

الآن هناك نساء لا تدري إلا الجنس والمملكات والسقوط
الخلقي .. ليكن .. هل هذا القتال لله ؟ لا .. هذا نوع من غش النية
.. هل لله في هذه الكلمات شيء ؟ لا .. لا ليس لله فيها شيء .

موقف آخر لشاعر آخر .. عنتر بن شداد العبسي ، كان رجلاً
عريب الأطوار ، فقد وُلد أسود الحلد ، ومن سفاهة بعض الناس أنهم
يصيقون بالسود ، ما دخل الحلد الأسود في عظمة القلوب وقيم النفوس ؟
لا دخل بداهة في هذا ، لا من ناحية علم تشريح الأعضاء ، ولا من ناحية
الأفكار الإنسانية بتاتاً ، لكن أباه كان أحق ، ضاق بابه ، وجعله

(١) هذا الرجز لحند بنت طارق بن رياضة الإبادية قالته في حرب الفرس وتمثنت به هند بنت
عتبة — انظر السيرة النبوية لابن هشام ٦٨/٤ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط الخليل ١٩٥٥ م .
(٢) الفارق : جمع ثمرقة وهي الوسادة الصغيرة .
(٣) الوامق : الخب .

عدداً يشتغل بحب الماء من الآبار ، أو يخلب الشياه وما إلى ذلك ، فلما هوجمت القبيلة انهزمت ، وكان عترة رجلاً معروفاً ، قال له أبوه : قاتل ، قال له : لا .. أنا عبد ، العد لا يحسن الكفر ، إنما يحسن الجلاب والصّر ، قال : كُفر وأنت حرٌّ . فكر وقاتل وهزم الأعداء لكي يُثبت مكانته ، ولكي يثبت جدارته بالحرية^(١) هذا القتال هل لله فيه نصيب ؟ لا .. إنما القتال لله : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »^(٢) هذا هو القتال لله لتكون كلمة الله هي العليا ، على نحو ما قال الشاعر :^(٣)

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شيق كان لله مضرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يُبارك على أوصال شيو مُمزّع^(٤)

لكن هذه الية تحتاج إلى تهديد نفس ، ما يحصل الإنسان عليها إلا بعد أن يهذب نفسه كثيراً حتى يكون عمه لله وحده ، وهذا هو معنى الآية هنا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾^(٥) .

ثم جاء في أوصاف المؤمنين — أيضاً — أن ولاءهم لله في أثناء المعركة بارز ، فهو لا يعمل لخدمة تراب من تراب الأرض ، أو لإعلاء جنس من أجناس الناس ، إنما هو يقاتل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا ، من أجل أن يسود دين الله في الأرض وتختفى الطواغيت من على صعيدها .. هذا هو الولاء الحقيقي لله .. وهذا المعنى استشار النبي ﷺ في

(١) انظر ديوان عترة ص ٧ ، ٨ بيروت ١٩٦٦

(٢) رواه البخاري في الجهاد — باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٢٤/٤ ومسلم في إيماره — باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٤٦/٦ .

(٣) هو حُشيش الأنصاري ولآيات في صحيح البخاري كتاب الجهاد — باب هل يستأجر رجل ومن لم يستأمره ٨٣/٤ .

(٤) أوصال جمع وصل ، وهو المفصل أو مجتمع العظام . شلّو : عَصَوْ أو قطعة من

الحم ممرع مطع

(٥) محمد ٧

غزوة أحد ، ومع أنهم كانوا مهزومين وآخر المعركة كان مظلم الوجه سيء الطالع ، لكن رفض النبي ﷺ أن يسكت عندما قال أبو سفيان : اعل هبل ، فسكت المسلمون ، فعضب البسي ﷺ وقال : « أجيبوه » فقالوا ما نقول يا رسول الله ؟ قال : « قولوا الله أعلى وأجل » . ثم قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم — والعزى صنم حقر — فقال الرسول ﷺ : « أجيبوه » قالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم »^(١) وهو هنا ما قاله الآية : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾^(٢) .

صفة أخرى من صفات المؤمنين وهي تأميلهم في الجنة وبعيمها ، وقد يقال : إن نعيم الجنة حسي ، والتعلق بالحسيات مهانة .. هذا كلام فارغ ، لا قيمة له ، فإن الإنسان إنسان ، ومعنى أنه إنسان أنه جسد يأكل ، والقول بأن جسداً لا يأكل ضلالة أو خرافة ، والقول بأنه يكره المتع التي تُحصى بها وزيت له كلام غير صحيح .. كون الإنسان يترك متعة نخبثة لما عند الله من متع طاهرة فهذا هو السمو ، كون واحد يرفض الحرام أو يرفض الشح لأنه يستظر عد الله نعماً أوفر وأغزر فهذا هو الاكتمال ، ولذلك جاء في الآية هنا ما يجعل المسلم المقاتل لا يأسى إدفات متع الدنيا لأنه لن يعتمد شيئاً إن فقد الأكل والشرب أو النساء أو الرضا أو المتع المعنوية فسيجدها أمامه ، ولذلك ذكرت للمؤمنين هنا : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من نحر لذة للشاربين وأنهار من غسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم ﴾^(٣) هذا هو الوصف الإسلامى الحقيقى للمنع الحلال التي ينتظرها من ير كل بقدمه شهوات الدنيا لأنه يعلم أنها مُمهّدة له في الدار الآخرة ، فما هي إلا لحظات حتى يتقل من ضماً ووحشة — هنا

(١) رواه البخارى و كتاب المغازى — باب غزوة أحد ١٢٠/٥ ، ١٢١ .

(٢) محمد : ١١ .

(٣) محمد : ١٥ .

إلى رحيق محتوم ونعيم مقيم هناك .

بعد هذه المقارنة بين الفريقين تحدّد تحديد الهدف الذى من أجله دار القتال . ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ (١) هذه الكلمة يكابر فيها أربعة أحماس سكان الأرض ، ولكسا تثبث بها ثم يعلم أن الذى أمر أن يقول هذه الكلمة وأن يعلمها أساس عبد الله ، يطلب مغفرته ، ويرجو رضاه ، ويرسم من سنته نماذج لأهل الأرض الذين يوحلون رهم ، ويشنون أصلاهم ركعاً وسجوداً عندما يصنون له ، ويقفون محبتين قانتين يقرأون كتابه وهم يصلون له ، وهم ليسوا معصومين ، فهم يتبعون نبهم ﷺ في طلب الاستغفار من رب العالمين : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ (٢) .

هذا لجهاد خبله يطول ، وهذا الامتحان يتكرر كل يوم ، كل شهر ، كل عام ، إنه امتحان متكرر ، وما بُدّ من أن يثبت أهل الحق فيه لأن السورة هنا تقول : ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾ (٣) الاختبار لا بد منه ، ويقول الله لنبه ﷺ في هذه السورة : ممكن أن أعرفك المنافقين ولكن دع التكاليف تكشف عنهم فإن المنافق يتكاسل عن الصلوات ، يضيق بإعطاء المال في الجهاد والزكوات ، ومع ذلك ممكن أن يعرفك إياهم ، ووقع معلماً أن لنبى ﷺ — يوماً ما — خطب ثم قال : « إن فيكم منافقين فمن سميت فليقم ، ثم قال : قم يا فلان ، قم يا فلان ، قم يا فلان ، حتى سمى ستة وثلاثين رجلاً ثم قال : إن فيكم أو منكم منافقين فاتقوا الله » (٤) ودائماً في كل جهة تعمل للحق وفى كل ميدان يكون لله فيه جُند فإن هناك عيوباً بعمل صدهم ، أو ثَقَنَة كدَبَة أو صادقين يعشونهم ، المقصود أن المنافقين موجودون في كل زمان ومكان : ﴿ ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن

(١) محمد : ١٩ .

(٢) محمد : ١٩ .

(٣) محمد : ٣١ .

(٤) رواه أحمد ٥ / ٢٧٣ وأورده امشئى وقال : رواه أحمد والطبرانى وفيه عياض بن عياض

عن أبيه ولم أر من ترجمهما .

القول والله يعلم أعمالكم ﴿١﴾ ومعنى لحن القول : إعطاء الكلمة رنيناً خاصاً ، يقال : الأغنية تلحين فلان ، الكلمات كلمات عادية ، لكن إخراج الكلمة بطريقة معينة ، برّنة معينة ، هذا شغل الملحنين ﴿٢﴾ ولتعرّفهم في لحن القول ﴿٣﴾ فإن الذي يتربص بك السوء يقول كلاماً له رنين خاص يُعرف منه أنه غشاش :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم ﴿٤﴾

على كل حال هذه السورة — بما استمعتم من آياتها — كانت هي الشيد الذي يقرؤه ويردده ويصرخ به المؤمنون وهم سائرون إما ليجهزوا على أنقاض الإمبراطورية الرومانية ، وإما ليجهزوا على أنقاض الإمبراطورية الفارسية ، وكلتا الإمبراطوريتين كانت تجمع بين الخصلتين : الكفر بالله والصد عن سبيله .. أما محوس فارس فما كادت تبلغهم الرسالة التي بعث بها إليهم رسول الله ﷺ ليؤمنوا حتى مرقوها وأصدر « كسرى » خطاباً لرجال الشرطة بأن يبيحوا له بكتاب الرسالة ومن بعث بها ليقتل في « المدائن » ! طبعاً مُزّق مُنك الرجل ، قتله ابنه ، وضاعت الإمبراطورية الفارسية ، وذهبت في خير كان ... ومن الذي أضاعها وهدمها وأقام العدل الإسلامي مكانها ؟ العرب الذين أدهم الإسلام .. وجدنا « ربيع بن عامر » — بدوى من البدو — لما تنقّف بالقرآن الكريم وقف يقول لحاشية كسرى : « إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » هذا رجل تخرج من مدرسة القرآن .. ثم وجدنا الإمبراطورية الرومانية لما شعرت بأن الإسلام يزحف في الشمال ويريد أن يصل بطريق الدعوة إلى كل مكان في الشمال ، في الشمال من ؟ الرومان ، محتلون لمصر ، محتلون للشام ، محتلون لأماكن كثيرة ، فلما بدأ رحف الدعوة شمالاً بدأ الرومان يقتلون الدعوة ، بل قتلوا رجلاً يحمل رسالة من النبي عليه الصلاة والسلام

(١) محمد : ٣٠ .

(٢) من شعر ربيع بن أبي سلمى انظر ديوانه : ٣٢ .

إلى أحد أولئك الولاة^(١) ، والرسول لا يُقتل ، ولكنها استهانة بالإسلام ، فكانت معركة مؤتة ثم معركة ذات السلاسل ثم معركة تبوك ، والمنفت أن هذه المعارك — مع الدولة الرومانية التي تعتنق النصرانية — تُدرس للمسلمين بعبارة فما يقال : إن المسلمين قاتلوا الرومان ولا قاتلوا النصارى المعتدين المعوقين لسير الدعوة .. كل ما يقال . والتقى المسلمون بأعدائهم في مؤتة وقتل فلان وفلان ، وانتهى الأمر ، أى تدليس هذا ؟ أى تعليم هذا ؟ بعد غزوة تبوك عاد النصارى ورومان مرة أخرى لمحاولة صرب الإسلام وتهديد الدعوة في الشمال فاضطر أسى عليه الصلاة والسلام إلى أن يُعد جيشاً بقيادة أسامة بن زيد رضى الله عنهما ، الذى قُتل أبوه — زيد — في مؤتة ، الابن حل محل الأب .. أخرج فقاتل من قتلوا أباك أخرج فقاتل من عوقوا الدعوة .. أخرج فقاتل الدين صدوا عن سبيل الله .. ومات رسول الله ﷺ ولم يخرج جيش أسامة فأنفذه أبو بكر رضى الله عنه ، فتحس قاتلنا ، وما بقول إلا أنه قاتلنا ، ولكن من الدين قاتلناهم ؟ من الذين كانوا يقرأون سورة القتال — سورة محمد عليه الصلاة والسلام ؟ لقد كانت السورة — سورة القتال — تضم هذه المعاني ، وأحسب فيما أظن أن سميها محمد ﷺ كأنها لعرص أن النبي الذى يمثل غضب الأحرار إذا حاول عبث الأرض استعلاهم ، غضب المؤمنين أصحاب الحق إذا حاول المخرفون من عبدة الأوهام أن يشرّدوا يخطوهم كان محمد عليه الصلاة والسلام تجسداً لمقاومة الحق في هذه الدنيا أمام باطل امتأسد وطر أن أحداً لن يقاومه حتى جاء السبي العربى الخاتم ﷺ فقلّم أظافره ، وكسّر أظفاره ، وعرف العالم أن للحق رجالاً يحيون من أجله ويموتون في سبيله !! هذه سورة محمد ﷺ .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

(١) هو الصحابى الجليل : الحارث بن عمرو الأزدى كان يحمل كتاباً إلى عظيم بصرى .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون * ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكاكفرون لهم عذاب شديد (١).

أشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام النبیین وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين . أما بعد :

وأما أقرأ تفسير سورة القتال وأقارن بين تاريخ الأسلاف العسكري والثقافي وبين عصر الحاضر وحدث أمور هي كما قيل : شر البلية ما يصحك !! الإسلام الآن مظلوم بين نوعين من الناس : مخترفين من أهل الدين لا علم لهم ، وكذا بين ممن اشتعلوا بالكتابة والكلام عن الإسلام ولا علم لهم !! .

قرأت في كتاب عليه أسماء بعض الدكاترة ، لا أدري دكتور أطفال ، دكتور بنح ، دكتور دم ، دكتور « بلاء أررق » كلام فارغ مكتوب في هذا الكتاب ، ماذا قيل في هذا الكتاب ؟ حتمية تأويل آيات القتال في الإسلام ؟ قُبْح الله وجهك !! آيات القتال في الإسلام تُؤول كلها ؟ لماذا ؟ في أي ظرف ؟ في مقتلة المسلمين بأوغندا ؟ في مقتلة المسلمين بسوريا ؟ في مقتلة المسلمين بالفلبين ؟ « فطاني » فيها خمسة ملايين (٢) — في تايلاند — يُنَوِّخون الآن والعالم لإسلامي مُنَح لا يدري !! ويأتى واحد يكتب كتاباً عليه أسماء ثلاثة دكاترة يقول فيه : تُؤول آيات القتال !! كيف هذا ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ﴾ (٣) يعنى قتلوا الشهوت !! الله !! الله !! الكلام قلها : ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا

(١) الشورى : ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) هذه الملايين الخمسة تمثل ١٤ / ويتجمع معظمهم في الأجزاء الحسوية في المنطقة المعروفة

باسم « فطاني » التي تقوم بها ثورة للمحافظة على عقيدتهم

(٣) محمد : ٤

فَضْرِبِ الرِّقَابَ ﴿١﴾ رِقَابٌ مِ ٩ رِقَابُ الشَّهَوَاتِ ١٢ ﴿٢﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٣﴾ أَيْ قَاتِلِ الْهَوَى !! يَقُولُ اللَّهُ : ﴿٤﴾ لَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَيْتَهُونَ * أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُواكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمْ عَلَيْهِمْ وَبَشْفِ صُدُورِ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيَذْهَبْ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبِ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥﴾ هَلْ هَذَا قَتْلُ شَهَوَاتٍ وَأَهْوَاءٍ ؟ هَذَا كَلَامُ رَجُلٍ مَلْحُوسٍ اسْمُهُ . مِيرزا غلام أحمد ، فِي الْهَدْي ، فِي بَدَدِ قَادِيَانِ ، تَكَلَّمَ هَذَا الرَّجُلُ عَنِ الْإِسْلَامِ لِيُطْلِلَ الْجِهَادَ لِحَسَابِ انْجِلْتِرَا ، يُقَلِّ هَذَا الْكَلَامُ الْآنَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ وَيَمْضِي عَلَيْهِ بَعْضُ الدَّكَاتِرَةِ ؟ مَا هَذَا الْهَوَانُ الْعَكْرِي ؟ هَذَا كَلَامُ حَشَاشِينَ !! هَذَا الْهَوَانُ الْفَكْرِي يُنْشَرُ ثُمَّ يَحْدُ نَاسًا مِمَّنْ يَتَسَبَّبُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ يَقْعُونَ سُرُودًا أَوْ بِجَهَالَةٍ لَا يَدْرُونَ كَيْفَ يَرُدُّونَ عَلَى هَؤُلَاءِ ١٢ .

اللَّهُمَّ أَصْبَحْ لَنَا دِينًا الَّذِي هُوَ عَصْمَةٌ أَمْرًا ، وَأَصْلَحْ لَنَا دِينَانَا الَّذِي فِيهَا مَعَاشِنَا ، وَأَصْلَحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّذِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا ، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ حَيْرٍ ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ ﴿١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ .

عباد الله :

﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ .

أَقِمِ الصَّلَاةَ

(١) محمد : ٤ .

(٢) النساء : ٨٤ .

(٣) التوبة : ١٢٠ — ١٥ .

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَأَبُو أَحْمَدَ .

(٥) الحشر : ١٠ .

(٦) النحل : ٩٠ .

أسباب النصر وأسباب الهزيمة

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

٢٣ / ١١ / ١٩٧٣ م

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة والسراج المير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فقد اتفق علماء المسلمين على احترام قانون السبية ، وربوا عليه تلامذتهم ، وأشاعوه بين العامة والخاصة ، ويسوا لناس أن الله عز وجل رتب شؤون الحياة وأقامها على سس لا تحرم ، وقواعد لا تعوج ، وأنه جل شأنه لم يدع الحياة تمضي سدى بغير حكمة ولا على رسلها دون صابط يسدد طريقها ، ويوضح هدفها ، وعلى هذه القاعدة من احترام الأسباب والمسببات . يقول الله ﷻ عند القتال ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مِيلَةً وَاحِدَةً ﴾ (١) .

واحتراماً لقانون السبية يقول الله للمسلمين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) سورة النساء الآية : ١٠٢ .

خذوا حذرکم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً ﴿١﴾ .

أى قاتنو جماعات أو أفراداً وفق ما تملى به تعاليم الحرب ونظم القتال .
واحتراماً لقانون السبية رأينا يوسف عليه السلام يوصى المصريين
عندما قرروا أن يدحروا حيوتهم لأيام المجاعة ، قال : ﴿ فما حصدتم
فذرروه فى سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ﴾ (٢) .

ومعنى إبقائه فى سنبله ألا يتعرض للسبوس والله عز وجل يقول :
﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ﴾ (٣) فكان التطهير بالماء
لا بالوهم . المهم أن احترام قانون السبية شىء مقرر فى ديسا لا خلاف بين
المسلماء والمقهاء وغيرهم فى هذه الحقيقة .

ومع احترام قانون السبية ، فإن الله جل شأنه يقول لسيه ﷺ ولكل
مؤمن معه : ﴿ وادكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً . رب المشرق والمغرب
لا إله إلا هو فاتخذة وكيلاً ﴾ (٤) .

ويقول للمكافحين المجهدين الذين يقاومون الناطل ، ويقارعون
الخبوت : تحملوا واصبروا ، ويحزى على ألسنتهم هذه القول : ﴿ وما لنا
ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبيلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله
فليتوكل المتوكلون ﴾ (٥) .

ما السبب فى أن تؤمر بحترام قانون السبية ، ثم تؤمر بالتوكل ؟ !
الجواب واضح ، واضح جداً ، ومعروف عند علماء المسلمين
وعامةهم وحاصتهم ، ذلك أن الإنسان ليس ملك كل شىء فى جسمه فى
جسمه هو إن حركة أمعائه ليست ملك يده ، إن حركة غددده ليست
ملك يده ، إن دقات قلبه ليست ملك يده ، فإذا كان الله جل شأنه هو
الذى يملك هذه الحسد ودقات قلبه وحركات رئتيه رفيراً وشهيقاً ، فمعنى

(١) سورة النساء الآية ٧١

(٢) سورة يوسف الآية ٤٧

(٣) سورة الأنعام الآية ١١٠

(٤) سورة المزل الآيات ٩٠٨

(٥) سورة إبراهيم الآية ١٢

ذلك أنه قادر على أن لا يُتِمَّ للإنسان ما بدأه !! ولذلك يقول :

﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ (١) .

قد تعزم على شيء عزمًا مؤكدًا ، وتنويه بية موثقة ، ولكن الذي يملك دقات قلبك يوقفها !! .

هل تستطيع أن ترد الموت يوم يجيئك !!
لا ، ويحسم الموت كل شيء ، ليس ضرورياً أن يحول بينك وبين عرضك بالموت ، بل يستطيع أن يحول بينك وبين عرضك بتعبير نيتك !! وما أكثر ما نلاحظ في الدنيا أن الإنسان قد يكون حاراً وهو يبدأ مشروعاً ، ثم يفتر ، أو ناشطاً ، ثم يكسل ، أو مصمماً ، ثم تتراخي إرادته وتنكس عزيمته !! .

هذه مسألة معروفة ، ويقول فيها على بن أبي طالب رضي الله عنه :
« عرّفنا الله بفسخ العزائم ونقض العهود » .

شيء آخر لا تبلغ به الأسباب نتائجها إلا في حماية الله ورعايته إن هناك أسباباً كثيرة ليست ملك أيديت تقع فتعكر الأسباب التي تملكها ، احرص أنك خارج من بيتك لتصل إلى عملك ، إنك لا تستطيع أن تقول إنك تضمن الجو ، فقد يُمطر فتعطل المواصلات ، وقد تمضي في طريقك وفجأة يصطدم بك شيء فيمسك من الدهاب ، أو يسقط عليك شيء من أعلى فبصيبك ، ويقول في هذا الشاعر :

لا تلم كفى إذا السيف نبا صح مني العزم والدهر أرى (٢)
يفع كثيراً هذا ، ومن هذه الممارقات وهذه الملاحظات وجب على الناس أن يجمعوا كل ما يمكن من أسباب ، ثم يتوكلوا على الله لكي يُتِمَّ لهم ما نسقوا ، ويحفظ عليهم ما جمعوا ، ويبلغ بكل شيء هدفه الذي نطبهه . هـ .

هذه كما قلت حقائق تمهدت في ديننا ، وعرفها الأولون والآخرين ،

(١) سورة الأفعال الآية ٢٤ .

(٢) ديوان حافظ إبراهيم : ٢ / ٧ ط دار الكتب المصرية .

وعلى صوء هذا وقع كثير من الخير في الحرب الأخيرة التي دارت بين
أعدائنا^(١) .

ولست من هواة جمع الغرائب ، ولست ممن يتمشقون الخيالات
البعيدة عن الحقائق ، ولكنى اتصت بكثير واتصل بى كثير من الذين عبروا
القناة وقاتلوا اليهود ، واستطعت أن أجمع معلومات كثيرة .

مها . أن موجة من الإيمان الجارف والتعلق بالله والاستحجاد به ،
والتوكل عليه غمرت أفئدة لمقاتلين ، وانتقل الإيمان من قلوب واثقة إلى
قلوب كانت فارعة ، فانتظم الجميع فى موكب يعتمد على الله ، ولذلك
كانت صيحات التكبير فى صحراء سماء تتردد أصداؤها بين الوهاد
والجناد ، بين الآفاق الرحبة والصحراء الممتدة ، وكان لذلك أثره فى إقدام
الجنود وتحملهم التصحية .

إن حماس اليقين غمرهم ، فكان بعضهم يُحرج فما يُحس بحرجه ،
وكان بعضهم يتحمل المصاعب ساعات متتالية ، ومع ذلك فما بال الصنى
من أعصابه ولا أوهن من جلده !! .

وسمعا فى ذلك أن طياراً سقط فى لناد ، وأسرع إليه الأهالى ، فما
عرفوه عربياً قدموا إليه الماء والشراب ، فقال : إني صائم وأريد أن أعود إلى
دمشق كى أستأنف القتال مرة أخرى !!!

إن اليهود اكتشفوا الجو الجديد فى الجيش ، فقد كانت حيرتهم القديمة
أن المصريين أتباع شهوات وأحلاس أهواء ، فأصدر اليهود أمراً إلى جيش
من فتياتهم كى يدخل المعركة ويستسلم !! .

ونظر الجنود الذين كانوا من وقت قريب يرسلون صيحات التكبير
تشق أجواز الفضاء ، ووجدوا الفتيات اليهوديات أمامهم وهم شباك ،
فماذا صنعوا ؟ قتلوهن وأرسلوا الخث إلى الخائب اليهودى !! .

حتى يعلم أولئك أن الشهوات لا تفتك بجيش قرر أن يتصر معتمداً
على الله !!

(١) حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ م

وقال لى كثيرون : تحملنا البلاء فى « السويس » عندما حوصرت ،
وسألت بعضهم - وأنا أعرف السويس ، وخطبت كثيراً فى جامع
الشهداء - قمت له : كيف حال مسجد الشهداء ؟ قال : كاد اليهود
يصلون إليه ، وقاوموا وبذلنا جهداً إلى العصر ، وأمكن أن يسحبوا .

قلت : كيف غلبتموهم ؟

قال : والله ما ندرى !! قاومنا ومعا بعض « الدانات » الفارغة
والبعض الملىء ، وأمكننا أن نحدث شيئاً من الجهد انسحب هؤلاء من بعده
وقد أوقع الله الرعب فى قلوبهم !! .

قال : وعجننا الدقيق بماء الملح وتحملنا وكدينا شرب ماء المحارى لولا
أن الله فحر بئريس فأمكننا أن نرتوى ، وكنا قلائاً نكاد هلك عطشاً !! .

وقال لى آخر : إننا كما نصعد الحاجز الترانى - وهو حاجز متعب
ويحمل أحدا على ظهره حملاً ثقيلاً ، والتوت قدمى تحتى فتعت كثيراً ،
ولكى قاومت ، ونظرت فقلت : لو أن يهودياً أمسك بدقية لحصد أولئك
الذين يتسلقون ، فكيف أعماهم الله عما ؟ !! .

هذا شيء قاله المقاتلون ، وقال أحدهم : كنت أرسل القذيفة ،
وحدث فى ساعة أن أخطأت مرماها فتعبطت ، فإذا هى تصل إلى مكان
آخر سرى ، فيه لليهود أسلحة ، فتصجرت وضاعت !! .

كان القدر من وراء هذا كله ، وكان النصر من عند الله ، لكى
استغربت إذ وجدت أن كاتباً من اكتاب شر كلاماً تأملته ، وقلت :
يجب أن نعرف حبايا هذا الكلام وأن تكشف ، لأنه يقول فى منطق
لا تنقصه صراحة : إن جودنا قاتلوا وانتصروا ، وكان يجب أن ينتصروا ،
لا تدخل لشيء وراء جهودهم !! لا إله ، لا توفيق إلهى ، لا ملائكة ،
لا تثيت من ملائكة ، لا شيء من هذا كله ، هؤلاء انتصروا لأنهم جمعوا
الأسلحة واستطاعوا أن ينتصروا بها !! .

المقال الذى بين يدى ، مقال تصم ثلاث نقط . النقطة التى يُكر
فيها تدخل القدر ، يقول : « انتصروا بالعلم والإيمان ما العلم ؟ هو
الإعداد الصامت والدعوى والتدريبات الشاقة ، ما الإيمان ؟ هو الرعة

في تحرير الأرض ، الرعبة القوية في تبديد خرافة الحيش الذي لا يُقهر
النقطة التي يبني عليها انقال أن التفكير في أن هناك إلهاً أيدي أوقوى
الحند تفكير غير عقلي !! .

أريد أن أوضح أن هذا الكلام ليس حديثاً ، الكلام الذي كتبه أستاذ
الجامعة ها ليس حديثاً ، هو كلام لو تأملتم فيما ترويه العامة من نُكت
لعرفتم أن الرجل إنما يتبنى فلسفة « جحا » !! .

أنتم تعلمون أن « جحا » ذهب إلى السوق ليشتري بهيمة ، فسأله
سائل أين تذهب ؟ قال : إلى السوق لأشتري بهيمة ، فقيل له : قل : إن
شاء الله ، قال : لماذا أقول إن شاء الله ؟ الفلوس في جيبي والبهائم في
السوق !! .

لا إله ، ولا مشيئة ، تفكير « جحا » الذي يرويه العامة هو الذي
تبناه « فؤاد جحا » الذي يشتغل أستاذاً في الجامعة ، يقول : نحن
انتصرون ، لأن للأسلحة في أيدينا ولأن الرعبة متوفرة في إدراك النصر ، أما
الإله ، وأما القوى العيية فهذا كلام غير عقلي ، كدت أقول للكثيرين الذين
حاجوني أقرأت ما نشر ؟ كدت أقول لهم : رجل يهرر فلسفة « جحا »
ويريد أن يدرسها للناس ! لكن وجدت الأمر هكذا سيحعل الأمة يتنكس
انتكاسات خطيرة ، لماذا ؟ لأن وجدت اليهود يعمدون أولادهم ديناً ، ففي
« سفر التثنية » في الإصحاح رقم (٢٠) من العهد القديم ، يقول الله
ليهودي - كما يروي العهد القديم - إذا خرجت للحرب على عدوك
ورأيت خيلاً ومراكب قوم أكثر منك فلا تخف منهم لأن معك الرب إلهك
الذي أصعدك من أرض مصر - يعني نجاك من ظلم فرعون - وعندما
تقتربون من الحرب يتقدم الكاهن ويخاطب الشعب ويقول لهم : اسمع
يا إسرائيل أنتم قريبتم اليوم من الحرب مع أعدائكم فلا تضعف قلوبكم ،
لا تخافوا ولا ترتعنوا ولا ترهبوا ، لأن الرب إلهكم سائر معكم كي يخاصب
عنكم أعداءكم .

قلت في نفسي العهد القديم يقول لكل يهودي ادخل المعركة والله معك سينصرك ، ونحن هنا في مصر يكتب « فؤاد حنا » في صحيفتنا الكبيرة : أيها المصري ليس هناك إله ينصر !! .

يحاربنا هناك عدو يعتمد على الله ، ونحارب نحن هنا بتوجيهات أن الاعتماد على الله تفكير لا عقل !! .

هذه واحدة ، شيء آخر ، في العهد القديم في « سفر التثنية » أيضاً في الإصحاح رقم (٩) يقول الله : لأجل إثم هذه الشعوب يطردهم الرب من أمامك يا إسرائيل ، ليس لأجل برك وعدالة قبيل تدحس تملكك أرضهم ، بل لأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك .

معنى الحملة وهي حملة حظيرة - ليس أيها الشعب الإسرائيلي لأنك طيب أو تقى أنصرك ، بل لأن الشعوب التي حولك آثمة مديبة أو أملاكك أرضها !! .

هنا ما يقال هناك ، وهنا يبشر في بلادنا أنه لا إله ، وأن الحياة مادة ، وأن فلسفة « جحا » التي يُكتب المصريون بها أصبحت فلسفة يتناهاه أستاذ جامعي .

هذه واحدة أحببت أن ألفت النظر إلى المفارقة والتناقض بين الدولة التي تسي على الإيمان هناك ، وبين ناس من سماسرة الأقلام وعملاء الأعداء يشنعون هنا لنصريح القنوب من الإيمان وإشعار الناس بأنه ليس هناك إله نصر ، ولا ملائكة ثبتت . إذا قال الله : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الدين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾ (١) جاء تلميذ جحا ليقول لنا : لا ملائكة ، ولا رعب في قلوب . وهذا الكلام يسمى فلسفة عصبية ، والإيمان تفكير لا عقل ، ويبشر هذا الدعو في الصحف القليرة التي يصدرها الاتحاد الاشتراكي في بلادنا .

(١) سورة الأنعام الآية . ١٢

هذه هي النقطة الأولى في هذا المقال ، النقطة الثانية في هذا المقال أنه يقول : إسرائيل دولة رجعية ، لأنها تقوم على الدين ، أما الدول التقدمية فهي التي لا تقوم على الدين ، ويقول الرجل - ببلاهة غريبة - في وسعنا أن نستعمل الميول العلمانية القوية التي تسود المجتمعات العربية ، لكي نحارب إسرائيل بسلاح لن يكن شيئاً ، ولكنه في نظر العقول المستتيرة سلاح فعال !! .

إن الدعوة لإقامة إسرائيل سياسياً بدأت من خمس وسبعين سنة ، ولكنها في العهد القديم الموجود الآن بدأت من أربعة آلاف سنة ، فمن قال في العالم كله : إن دولة إسرائيل دولة رجعية ، لأنها قامت على الدين ؟ جاء نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هنا وقال : إن إسرائيل هي نافذة التقدم في الشرق الأوسط !! ورأبنا العجور^(١) التي تقود إسرائيل تذهب إلى أمريكا ، ورأيت صورة رئيس الولايات المتحدة وهو يحنيها وقسمات وجهه مسروره ، أساريره مستشرة ، كل حركة في يده وفي ذراعه وهو يرفع يده ويضعها بتوقير إلى جانب أذنه وفي أعلى رأسه احتراماً للمرأة التي تقود إسرائيل ، كل هذا يدل على مستوى الإعزاز والإكرام .

من قال إن قيام إسرائيل على الدين جعل أمريكا تحتقرها ؟ من قال إن قيام إسرائيل على الدين جعل أوروبا تحتقرها ؟ .

إن قرار مجلس الأمن الذي يطالب بتحقيقه يجعل لها حدوداً آمنة ، وقيمها طوعاً أو كرهاً على أنقاضنا .

إن روسيا التي لا تؤمن بدين اعترفت بإسرائيل وتستبقها إلى الآن .

وقد كتب « وايزمن » في مذكراته - وايرمن مهندس يهودي اخترع سلاحاً خطيراً وأهداه للجيش الإنكليزي ، وأخذ ثمنه اعتراف إنجلترا بوطن قومي لليهود - كتب « وايزمن » في مذكراته بتواضع ، يقول : لا تظنوا أن أنا الذي أقمت الوطن القومي اليهودي ، إن « لويد جورج » و« لورد بصور » وغيرهما من سياسة انكلترا كانوا يصعدون عن روح دينية عندما

(١) هي حولدا مائير التي كانت رئيسة وزراء إسرائيل .

أفروا بوص قومي لليهود في فلسطين ، كانوا يحترمون مقررات العهد القديم
التي يرجعون إليها !!

العام كله الآن يريد أن تبقى إسرائيل داخل حدود أكتتها من كيان
أكلا ، وقضمتا بأنياسها قصماً ، ولم يقل أحد إن إسرائيل فكرة رجعية ،
لا روسيا التقدمية ، ولا أمريكا اللاتينية ، ولا الولايات المتحدة
البروتستنتية ، لم يقل أحد منهم إن تعلق إسرائيل بالدين يعتبرها رجعية .

الذي يراد أن يقال إن الرجعية هي شيء واحد هي أن يتعلق العرب
بالإسلام .

لقد كتبت هذه الصحيفة أن اختراق « حط بارليف » مستحيل ،
محرر هذه الصحيفة كاد يلقي اليأس في قلوب المسلمين والعرب والمصريين
خاصة ، وأحد يصف السائر الترابي وطوايق الأسلحة وما زُودت به هذه
الحصون من عرائب الاستحكامات ، ومع ذلك فإن الذي حدث أن خط
بارليف صاع ، من الذي هدمه ؟ هل « هتلر » بترسانة الأسلحة التي
صنعها العملية الألمانية العبقريّة ؟ .

هل العبقريّة المصرية في صنع الأسلحة وصراب الاستحكامات هي التي
دمرت هذا الخط ؟ .

إن أسلحتنا دفاعية ، ولا يرال الناس إلى الآن يعجبون كيف أن فرقة
من المشاة المصرية هي التي تمزق فرقة المدرعات اليهودية ؟

هذا حارق للعادة جعل الناس يشعرون بأن قوى كبيرة تعمل معهم ،
وأن الإيمان رفعهم إلى مستوى كانوا به أهلاً للنصر ، إلا أن المشكلة الكبرى
أن الصحافة في بلدنا لا ترتفع إلى هذا المستوى من الإيمان ولا تحس أن
ترتفع إليه .

ولسأل أنفسنا السؤال الحاسم الأخير ، تقول : إننا بجمع الأسلحة
والرعية في القتال انتصرنا ، وتقول : إن أولئك المؤمنين لا يعرفون العقل ،
لماذا ؟ لأنه بلغ من هوسنا نحن المؤمنين أن قلنا : إننا إلهما سنة ١٩٦٧ ،
لأننا كنا ابتعدنا عن طريق التقوى ، هذا هوس منا ، كيف نقول : إن سبب
الهزيمة ابتعادنا عن طريق التقوى ؟

وأريد أن أقول : نعم كان سبب الهزيمة الابتعاد عن طريق التقوى ، لأن القيادة يومئذ كانت لا تتقى الله . إذا كانت تتقوى كما تصور « فؤاد جحا » هي الأنعام الذي يسيل ، أو حبات المسحاة التي تصطك في أيدي العافلين ، فما يقول أحد إن هذه هي التقوى ، انعدام التقوى كما درّسنا ودرّس لنا هو انعدام الشرف والأحلاق واليقين في الله والصميم الحى الذي يعصم عن الدنايا ، انعدام التقوى معناه : تسلط الهوى على الشخص فتحول الشخص به عابد نفسه ، يتحول الشخص به تبعاً لمعاصيه لا لقيمه ومثله .

في المعركة الأولى سنة ١٩٦٧ كانت تقوى الله حزيمة !! فُسّم العلم العربي قسمان : قسم تقدمي وهو القسم الذي يقترب من التيار الروسي ، وقسم رجعي وهو الذي يحرص على الكتاب والسنة ، ويتمسك بتاريخه وتراثه .

واطلاق الدخالون يطعنون في مدوك الإسلام ورؤساء الإسلام الذين ليسوا بدميين ، طعنا في دينهم وأمانتهم وشرفهم ، وهددا بتفحاحهم ! لماذا ؟ لأنهم مؤمنون ، ويبت الأيمان أنهم مؤمنون .

يقول الملك « فيصل » لمراسل الأمريكي أبا رحل كبرت سنى ، وأريد قبل أن ألقى ربي أن أصلى في بيت المقدس ، أريد أن أسترجه !! .

وهو الآن يقود مع شيوخ الخبيث الذين لم تُنتف لحاهم ، ولم تُخلق دقوهم يقودون جميعاً حرب الترو !! ما عيب هؤلاء ؟ لماذا حسرتاهم ؟ أكان هذا تقوى ؟ أكان هذا صلاحاً ؟ أكان هذا حلفاً ؟ أكان هذا صميم إنسان يتقى الله في شعبه ؟ ثم ماذا صنعنا في الحرب ؟ الحرب نحتاج إلى كفايات ، نحتاج إلى رجال ، لكنا كسحنا الكفايات ، من قدم الولاء والذل والملق لنا قربناه ، ومن كان رجلاً شهماً مؤمناً أبعدناه ، فإذا أكثر الجيش من دُرب ورُنى وتعلم يجرح ليشتمل في المكاتب والخارن والشركات ، ويبقى القليل الذي لا يحس شيئاً ، يقول وزير الحربية يومئذ وهو نزيل السحر الآن - عندما تعنت دحمت بيتى وشربت كأسين من الويسكى ! تعنة الله عليك ، أهنأ تقترب إلى الله لتنتصر ؟ .

وقائد آخر يهر ويقول : ذهبت إلى فلان لأضحكه !! لأن إضحاك
الرؤساء طريق القرب منهم !! أهده تقوى ؟ .

ثم ماذا ؟ ما وُصعت حصة !! الجيش الذى حرح ليقا تل لم توضع له
حصة ، لأن الله طمس على قلوب أولئك الرائيين الطائشين فلم يحسوا
شيئاً ، إن لصاعة الوحيدة التى أتقوها كانت صاعة الكذب !! .

ثم ماذا ؟ ثم يُرسل الراقصون والراقصات والمغنون والمعنيات إلى
الحبة !! .

شباب فى التاسعة عشرة وفى العشرين وفى الحادية والعشرين محرومون
موجودون بالحبة كى يستعدوا لقتال ، تُرسل إليهم امرأة تهر أردافها
ونهودها !! لم ؟ .

ثم تكون النتيجة أن تصرب طائراتنا كلها على الأرض ، لأن الدين
يركبوها ياموا بعد حفل ساهر راقص سيكبر !!

رب أصبح محرنات يطرقها المرقص المعبوب

وهذا ما حدث ، كانت تقوى الله معدومة ، فكانت النتيجة ما رأينا ،
كانت القيادة أيها الشيوعى فى يدك سنة ٦٧ ففضحتنا ، سعة آلاف سنة
تاريخ هذه الأمة ما قال أحد فى جيشها إنه حبان ، لكن لما توليت أنت
القيادة بكفرك وضلالك فضحتنا !! .

كان اليهود طول امتداد التاريخ حبياء ، من الذى جرأهم وعلمهم أن
يكونوا شجعاناً ؟ أنت بجيكت وخستك وما صنعت لأمتك !! .

هذا المقال من ثلاثة عناصر ، العنصر الأول : لم يقال:إننا اهرمنا سنة
٦٧ لانعدام التقوى ؟ هذا لا يجوز أن يقال ، وقد علمتم أنا اهرمنا سنة
٦٧ لأن القيادة كانت ماجة فاجرة ، تحمل الجيش المسكين عبئها ، ودفعنا
التمس عشرين ألف شاب قتيل على الأقل !! ولطح حين المصريين بالوحل .
لم ؟ لأن انعدام التقوى هو الذى قاد المعركة ، فإذا قادت التقوى المعركة
قلتم اليوم لا تقوى . ما هذا ؟ .

ويقول الكاتب كلاماً مضحكاً ذكره العلماء فى كتبهم ودرسه العيال

الصغار في الأهرم ، يقول . إذا كان الجيش قد اهرم لانهدام التقوى في سنة ٦٧ فهل كان اليهود أتقياء ؟ .

والجواب واضح ، فالصحابة بقيادة نبيهم ﷺ هُرموا في معركة « أحد » والدين هزموهم كانوا عبّاد أصنام ، فهل كان عبّاد الأصنام أقرب إلى الله من الموحدين ؟ طبعاً لا ، ولكن الله يحاسب كل فريق بميران خاص ، لكل إنسان حساب خاص .

عندما أرسل عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعليماته إلى قائده سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه في جهة فارس ، قال له . إلى أمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم .

لماذا لأن الله يحاسب كل إنسان حساباً خاصاً ، عندما أرسل شخصاً إلى الجامعة ويطرف في سلك الدراسة ، ثم يرسل حكماً عياً على هذا النحو ، فإن له حساباً خاصاً غير حساب رجل الشارع الذى ليست له تجربة ولا معرفة ولا ثقافة .
إن الله يحاسب بقدر ما يعطى من علم ، فإذا كان قد شرفنا بالقرآن والسنة فيجب أن نرتفع إلى هذا المستوى .

كتبت يوم أقصيت مراكز القوى وذهب عدد من الشيوعيين إلى السجن ، كتبت أقول : بعد أن أكد رئيس الدولة أن الحريات ستعود وأن الحقوق ستصان ، وأن القانون سيسود ، ولن تغل يد عن عمل شريف ، ولن يُكتم فم عن كلمة حق ، ولن يؤد لصغير أن يتطاول ولا المنحرف أن يبحر ، قلت : استقبلا هذه المعاني والأناس تكاد تختنق لما عراها من ضيق ، فكانت هذه الكلمات نسائم منعشة تتسلل خلال جو رهيب مُفْط ، كانت بوارق رجاء توحى بالخير ، أحس الشعب المصرى ، أحس القابعون وراء السجن الكبير أن العصاة التى تسومهم سوء العذاب بدأت تتلاشى ، وقلت يومئذ : إن إدلال الشعوب جريمة هائلة ، وهو في تلك المرحلة من تاريخ المسلمين عمل يهيد العدو ويضر الصديق ، بل هو عمل لحساب إسرائيل نفسها ، فإن

الأجيال التي تنشأ في ظلمات الاستبداد الأعمى تنشأ عديمة الكرامة ، قليلة
 العناء ، ضعيفة الأحذ والرد ، ومع احتفاء الإيمان المكين ، والخلق الوثيق ،
 والشرف الرفيع ، ومع شيوع النفاق والتملق والدناءة ، ومع هوان أصحاب
 الكفايات وتسحق الفارغين المتصدين مع هذا كله لا تتكون حمة صلبة .
 ولا توجد صفوف أيّية بأسلة ، وهذا هو أمل إسرائيل عندما تقاتل العرب
 لأنها عندئذ ستمتد في فراع وتشبك مع قلوب مخورة وأفتدة هواء ،
 والواقع أن قيام إسرائيل ونمائها لا يعود إلى بطولة مرعومة لليهود ، ولكنه
 يعود إلى عمى بعض الحكام العرب ارضى بجون اسلطة ، وإهانة
 الجماهير ، لو أنصف اليهود لأقاموا لهؤلاء الحكام تماثيل ترمز إلى ما قدموا
 لإسرائيل من عون ضخيم ونصر رخيص !!

سياء ثلاثة أصعاف الوجه لبحرى فقدتها القيادة الفاحرة في أربع
 وعشرين ساعة !! يم ؟ إذا كان الشيوعيون ، إذا كان المحدون سيتطاولون
 في هذه الأيام فإننا سنعري سوءاتهم ، سكشف عوراتهم ، سنفصح
 ما فعلوا بنا وبأمتنا .

إن الأمة خرجت من هذه المعركة تحترم الإيمان ، تحترم « الله أكبر » ،
 فإذا تحرك الآن من يريد أن يرد الأمة إلى الكمر ، ومن يريد أن يعث يوم
 ومستقبلنا على نقبل هذا ، وسموت دون أن يضيع الإيمان من بلدنا .
 أقول قولي هذا وأستعفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ... الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات
ويعلم ما تفعلون. ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من
فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿١﴾ .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً رسول
الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، لقد سهتكم إلى أن
معركة الإسلام بدأت ، وتفترب نتائجها ، سهتكم إلى أن انكسب الدى أحررته
قصايا الإيمان في هذه المعركة كبر ، وأن أعداء الإيمان سيبدلون جهودا
جعل الأمة ترتد عن دينها ، وتفقد أرباحها ، وأريد أن ألفت النظر إلى
شئ ، في زمان مصرى كان طريق الشهرة أن يُطعن في الإسلام ، وأن يُكر
وحدود الله ، وأن تُكر قداسة لقرآن ، كان ذلك أقصر طريق إلى الشهرة .
نرجو أن ينتهى هذا الوهم ، وأن تتعمم الأمة من الآن كيف تبصق على
طلاب الشهرة من هذا الطريق .

أمتنا بدأت طريق الإيمان ، وكل من يحاول أن يقف هذا المد من الإيمان
بالله واليقين فيه والعودة إلى كتابه وسنة سيده ﷺ يجب أن يتلاشى وأن
ينهى .

شئ آخر ألفت النظر إليه ، أنا لست داعية إلا إلى الله ولا أعمل
إلا لدينى ، والكلمة التى أقولها ، لأن لمصلحة أمتنا ، أنا أعمم أنه تحت عواص
الناصرية انطلقت قوافل محمودة للكفر والصلال بطعن في كرامتنا ووعينا ،
وفي الحرب ومن أعلوها ومن أوقفوا القتال إلى آخره .

(١) سورة الشورى الآيات ٢٦، ٢٥

أنا لا أعرف عنواناً إلا الإسلام ، لا ناصرية ولا كلام فارح ، الله ورسوله ﷺ وديننا ، لا شيء أكثر من هذا .

هذه واحدة ، الشيء الثاني ، أنا رجل أحترم ديني وما يوحى به ، والله الذي لا إله إلا هو أقول كلمتي الآن لمصلحة أمتي ، أقول ، إن بعض الناس قد يحاول إثارة شعب في الجهة الناصرية ، عمل مطاهرات ، عمل تقاسمات ، تعويق الطلاب عن الدراسة ، إرغام القيادة على أن تستأنف القتال ، كل هذا نوع من اللعب بمستقبلنا ، إن الإلحاد يريد تعكير الجو داخل البلد لمصلحة الإلحاد ، دعوا الأمور عمشى الآن في هدوء ، إنا نرقب ما تتعده القيادة ، الأمة العربية توحدت على أن الإسلام هدفها ، إن الأمة الإسلامية مستقبلها يتصل بهذه المعركة الآن ، فلا يريد أن يجرها الإلحاد إلى صفه ، عندما أقول : يجب أن تستظم الدراسة ، يجب ألا نسمع لأحد يقول إصراب ، أنا مهذا لا أتملق أحداً ، إنما هي مصلحة ديني وأمتي ، إن تحديد وقت القتال ليس إلينا .

أيها الإخوة استيقظوا إن الإسلام يُمكن به ، وإن الإلحاد حيث ، وإن عدونا عادر ، ولا أقبل حتى من رئيس دولة تريد أن تتحد معنا أن يقال ما أو أن يتهمنا بالخيانة باسم الناصرية ، هذا نوع من الخبال والمراهقة السياسية .

« اللهم أصبح لنا دين الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا ديننا الذي به صلاح أعمالنا ، وأصبر لنا همومنا ، وأملح لنا معاشنا ، وأصبح لنا آحرتنا التي إياها معادنا ، واجعل الحياة راحة لنا ، ولا تجعل الموت راحة لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .
﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

عباد الله :
﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ويهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٣) .

أقم الصلاة

(١) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي .

(٢) سورة النحل الآية : ٩٠ .

(٣) سورة النحل الآية : ١٠ .

أمهاتهم شقي ودينهم واحد

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص

رضي الله عنه

١٩٧٣ / ٦ / ٣٠

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على
الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله
الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ،
والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ،
والتابعين

أما بعد :

فقد سألتني البعض عن العلاقة بين الإسلام وما سبقه من أديان ،
وما نزل قبله من كتب ، وعن علاقة نبيه عليه الصلاة والسلام بالمرسدين
الذين قادوا قوافل الشر من قبله ، وهذا أساس إلى صراط الله المستقيم .
وذلك السؤال لمناسبة ما قرأه من شهادت سطرها المستشرقون ورددها
أتباعهم ممن لا يُحسبون إلا التقليد الأعمى ، ولا يقل الأفكار المستوردة
دون استبانة لحقيقتها .

قلت له : هذا سؤال يحتاج إلى إجابة مفصلة .. ولا بأس أن يطول
النفس فيها حتى يعرف حقاً ما العلاقة التي تربطها بغيرها ، وما صلة بيها

عليه الصلاة والسلام بإخوته المرسلين الذين سبقوه إلى رفع راية الحق وهدية البشر .

هناك محورٌ يجمع بين تعاليم الأنبياء كلهم ، وتدور عليه هذه التعاليم على اختلاف المكان والزمان .

أساس هذا المحور : أن الدين الحق يقوم على معرفة الله عز وجل معرفة صحيحة ، وعلى التصوع له حصراً مطلقاً . بمعنى أننا يجب أن نؤمن بالله وحده إيماناً راسخاً ، وأن نشعر بأنه ليس له نِدٌّ ولا ضد ولا صاحبة ولا ولد :

﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا ﴾ (١) .

مع هذه المعرفة الصحيحة التي جاء الأنبياء كلهم من لُذُن آدم - أول الأنبياء - ومن لُذُن نوح أول المرسلين إلى حاتمهم وكبيرهم وإمامهم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . كان هذا المعنى - معنى توحيد الله ، وأن ما عداه عبدٌ رِقٌّ له وحده جل شأنه - مستشراً على ألسنة الكل ، ونقله المرسلون كائناً عن كائناً .

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٢) .

إلى جانب هذا الإيمان الواضح .. لا بد من عمل صالح .. لا بد أن نحصع لوحى الله ، وأن نسير في الطريق التى رسمها الله لنا ، وأن نشع الخطة التى وضعها .. وفيها سعادتنا ونجاتنا .. وهذه الخطة .. خلاصتها :

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً ﴾ (٣) .

فلا بد أن نعيش صالحين مُصحين . ولا بد أن نعيش مؤدين للعبادات المطلوبة منا .

(١) سورة الإسراء الآية : ١١١

(٢) سورة الأنبياء الآية : ٢٥

(٣) سورة القصص الآية : ٨٣

وما شرع في الإسلام من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق هو صورة مُكررة لما بدأ شرعه على لسان الأنبياء الأولين من عقائد وعبادات ، ومعاملات وأخلاق .. فإن الطريق واحدة والهدف واحد !!

ولا بد وأن يجمع الناس بين الإيمان والصلاح .. بين اليقين والاستقامة .. بين صدق المعرفة لله وبين حُسن العمل بما أمر .. إذا جمع أساس بين هذين فهم مؤمنون حقاً

والجمع بين الإيمان والوصح ، والعمل الصالح لُخص في كلمة واحدة هي : الإسلام !!

يُخطيء بعض الناس فيتصور أن الله ديناً جاء به نوح ، وأن الله ديناً جاء به عيسى ، وأن الله ديناً جاء به محمد ﷺ .. لا .. الدين عند الله واحد .. أركانه ومعامله .. ما ذكرناه الآن .. هذا الدين الواحد له رجال يُلّموا معناه ، وشرحوا تفاصيله .. هم المرسلون .. والدين اسمه الإسلام . كلمة الإسلام وردت على لسان أول المرسلين نوح عليه السلام ، وعلى ألسنة من جاء بعده .. قال تعالى :

﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم عمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون . فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ (١)

هذا نوح يقول : ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ .

إبراهيم عليه السلام هو حدة الشجرة التي تفرع منها أشياء كثيرة على العصور والأمصار المختلفة .. الإسلام كان شعاره :

﴿ ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ (٢) .

ابنه يعقوب المنقب بإسرائيل يقول الله على لسانه :

(١) سورة يونس الآيات : ٧٢، ٧١

(٢) سورة الحج الآية ٧٨ .

﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾ (١) .

يوسف عليه السلام وهو أشرف أولاد يعقوب ، وأحدرهم بالاحترام .. يقول :

﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ﴾ (٢) .

سليمان عليه السلام يرسل إلى بلقيس يدعوها إلى الدين .
﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم . ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين ﴾ (٣) .

موسى عليه السلام كان يدعو إلى الإسلام :
﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمستم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين . فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين . وحجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ (٤) .

عيسى عليه السلام كان مسلماً يدعو إلى الإسلام :
﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ (٥) .

الأنبياء جميعاً كانوا يدعون إلى الإسلام . وصلة الإسلام الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بالنسبة للإسلام الذي جاء به الأنبياء من قبل صلة الإنسان بطبيعته !! فأنا وعُمري خمس سنين أنا وعُمري خمسون سنة !! كل ما هنالك أن العقل نصح ، وأن الجسم كبير ولكن أنا لم أتعير جسماً وكياناً !!

(١) سورة البقرة الآية ١٣٣ .

(٢) سورة يوسف الآية : ١٠١ .

(٣) سورة النمل الايتان ٢٠ ، ٣١ .

(٤) سورة يونس الآيات ٨٤ - ٨٦ .

(٥) سورة آل عمران الآية ٥٢ .

فحقائق الإسلام الأصلية موجودة في الرسائل الأولى .. ولكها في القرآن الكريم سمّت ، واتصحت ، وكثرت أدلتها ، وتلاقت البراهين عليها في وفرة وإحاطة لم تعرف في كتاب سبق .

والعقائد والعبادات والتعاليم التي استوعبها القرآن ، والتي تُمثّل الحقيقة الصحيحة للإسلام تجمعت عدد في سياق لا يدركه مخو ولا تعبير ، يكابر الرمز ، ولا يحرق لرمس أن يبال منه !! وهذا شيء يحتاج إلى توصيح .

أما أن القرآن أو تعاليم الإسلام هي ما مضى ، فقال جلّ شأنه : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ (١) . وقال جلّ شأنه :

﴿ ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ﴾ (٢) .

فإذا كان الإسلام دين الله ، وإذا كان الأنبياء السابقون مُدرسين في مدرسة باطرها أو مديرها محمد ﷺ والكل يسعى إلى حقيقة واحدة .. فما العلاقة بين القرآن الكريم وبين الكتب السابقة ؟ .

والجواب : لا خلاف بيننا نحن المسلمين في أن القرآن مُصدّق كل التصديق لتوراة التي نزلت على موسى ، والإنجيل الذي نزل على عيسى ، وللصحف التي نزلت على إبراهيم يقول الله في آخر سورة الأعلى : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى ﴾ (٣) .

فإذا ركّبي القرآن الكتب القديمة فعلى النحو الذي شرحنا . فالتوراة التي نزلت على موسى ، والإنجيل الذي نزل على عيسى ، والصحف التي نزلت على إبراهيم .. كل هذه الكتب موضع احترامنا ، والإيمان بها كإيمان بأصحابها جزء من تعاليم الإسلام ، وركن من أركان الإيمان .. في سورة البقرة في الآيات الأولى منها :

(١) سورة الشورى الآية : ١٣

(٢) سورة فصلت الآية : ٢٣٠

(٣) سورة الأعلى الآيتان ١٨، ١٩ .

﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك﴾ (١) .

هذه حقيقة لا بد أن تعرف .. لكن يحىء سؤال له خطورته ، أين صحف إبراهيم ؟ احتصب !! انتهت مع الرمس !! أين توراة موسى ؟ أين إنجيل عيسى ؟
نتساءل لنجيب أولئك المستشرقين الذين يتساءلون : كيف يمدح القرآن التوراة والإنجيل ؟ ويقول في التوراة :
﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ (٢) .

ويقول في الإنجيل :

﴿وقفنا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناہ الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين﴾ (٣) .

كيف يتحدث القرآن عن الكتب التي نزلت على أنبياء الله هذا الأسلوب الحميل اللطيف ؟ ثم كيف تُوفق بين ذلك وبين موقف المسلمين من هذه الكتب ؟ .

والجواب : أن التوراة التي نزلت على موسى كتبها الكتاتيون وإن لم يحفظها الحافظون !! لأن الكتاب الوحيد الذي حُمطت أحرفه عن ظهر قلب هو القرآن وحده !! أما ما عداه فما كان يُحفظ بهذا السق الفريد .

التوراة بعد أن تعرّص اليهود للشتمات ، وبعد أن دُمّر هيكلهم ومُرقوا في الأرض شر مرق احتصت وضاع تواترها ، ثم كُتبت مرة أخرى كتابة لا نستطيع أن نقول إنها طبق الأصل لما نزل على موسى !! لماذا ؟

الجواب : أن الله جلّ شأنه الذي وصف نفسه بالوحدانية المطلقة ، وبأنه :

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (٤) .

(١) سورة البقرة الآية ٤٠

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤

(٣) سورة المائدة الآية : ٤٦

(٤) سورة الشورى الآية ١١

وبأنه ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ (١)

لا يمكن أن تُقبل الصفات التي وُجدت له في التوراة التي كتبت أخيراً .. وكذلك الأشخاص الذين اُخبارهم لسليغ رسالاته .. وهم ما يُحتارون عادة إلا من أشرف الناس ما يمكن أن تُقبل الأوصاف التي وُصفوا بها في التوراة الموحدة الآن كيف هذا؟ يُوصف الله تعالى بأنه تعب بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام .. فاستراح في اليوم السابع (٢) والله عز وجل لا يتعب .. قال تعالى :

﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ (٣) .

وفي لتوراة الموحدة الآن أن الله لا يعلم ما يقع في الحمة ، ولم يعرف أن آدم عصي (٤) .

وفيها أيضاً أن الله ندم وبكى على ما فعل بـي إسرائيل (٥) وفيها كذلك أن الله دخل في مُلاكمة مع إسرائيل طالت طوال الليل (٦) كأن إسرائيل هذا يُشبه محمد على كلاً !! . هذا كلام لا يقال عن الله رب السماوات والأرض ... هذا كلام تافه .

ثم جاءت في التوراة صفات أخرى غريبة عن أنبياء الله .. منها أن إبراهيم قَدّم امرأته هدية إلى فرعون مصر كي يظفر بعصر الحمير (٧) . كأن إبراهيم هذا رجل ديّوث !!

وفيها أن لوطاً أسكرته ابتاه فرى سهما وأنجب من كل واحدة منهما قبيلة من القبائل (٨) .

وفيها أن داود احتال على قتل رجل من قوّاده أعجب بامرأته (٩) كلام فارغ لا أصل له وُجد في هذه التوراة .

(٦) تكوين الإصحاح الثاني والثلاثون .

(١) سورة الرعد الآية ٩ .

(٢) تكوين الإصحاح الثاني وخروج الإصحاح العشرون

(٣) سورة ق الآية : ٣٨ . (٧) تكوين الإصحاح العشرون .

(٤) تكوين الإصحاح الثالث . (٨) تكوين الإصحاح التاسع عشر .

(٥) خروج الإصحاح الثاني والثلاثون . (٩) صموئيل الثاني الإصحاح الحادي عشر

إلى جانب هذا .. فيها إلى الآن .. أن الراى يُرجم إذا كان متزوجاً (١)
وأن القاتل يُقتل (٢)

فهذه الكتب كما قال الله تعالى التيسر فيها الحق بالباطل . فيها حق .
ومنها باطل .. فيها حق ما نستطيع أن نُكره ، فيها باطل ما نستطيع أن
نُصدِّقه .

والعرب أن هؤلاء بالنسبة إلى مائديهم من حق لم يُقدوه !! وبالنسبة
ما لديهم من باطل تعصبوا له والنسوا حوله !! فكان فسادهم مردوجاً ..
ما بقى من حق أهل ، وما اختلق من باطل تُعصَّب له !! .

إذن مذح القرآن الكريم لهذه الكتب يرجع إلى أمرين :
الأمر الأول أن أصلها الذى نزل على موسى صحيح يقياً . وهو
موضع احترامنا ، ونحن نؤمن بموسى النبى رسول ، ونحن نؤمن بما أنزل الله
عليه .

ما لديهم من كتب فيه حق قليل ، وباطل كثير ، نسوا الحق الذى
لديهم ، وانتصروا حول الباطل الذى لديهم فحس يؤيد الحق ونكذب
الباطل ، ويعتبر كتابا المرجع الذى تُحاكم إياه الصحف التى بين أيدي
الناس .. فما وافق كتابا علمنا أنه صحيح .

فإذا وُجد فى هذه الكتب أن الرأى باطل لا يجوز ، وأن القتل مكر
لا يجوز .. فهذا كلام صحيح لا نكذبه .. وإذا وُجد أن الله واحد
لا نكذب هذا .. إنما نكذب ما يخالف كتابا .. إذ أن كتابا هو المرجع
المهم الحاكم المصدق على ما قبله من كتب .. قال تعالى :

﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً
عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾ (١)

بالنسبة إلى الإنجيل .. الإنجيل كتاب نزل على عيسى .. ولا يوجد
الآن فى دنيا الناس ما يُسمى إنجيلاً نزل على عيسى !! انتهى هذا الكتاب كما

(١) تثنى الإصحاح الثامن والعشرون

(٢) تثنى الإصحاح التاسع عشر

(٣) سورة المائدة الآية ٤٨

احتفت لصحائف التي برلت على إبراهيم وموسى ، وما يوجد من الإنجيل
فهو نُتف أو نُتد كتبها بعض التلامذة الذين حصروا عليه ، أو الذين
لم يروه ، وألّفوا سيرة أو قصصاً تصم حياته وبعض ما وصلهم من
تعاليمه !! .

وهذه الكتب كثرت .. وعلى كثرتها أو قلتها لا تُسمى إنجيلاً ،
وتسميها إنجيلاً نوع من التَّجَوُّر ، أو نوع من إطلاق الكلام بعير حقائقه ..
لأن ما نزل على عيسى غير موجود ، وما كتبه « مَتَّى ، أو يوحنا ،
أو لوقا ، أو ماركوس » لا يُسمى إنجيلاً .

لقد كتب « ابن هشام » سيرة لمحمد عليه الصلاة والسلام ، وكتبت
أما سيرة لمحمد عليه السلام .. فهل ما كتبه يحس أو غيرا يُعتبر قرآناً لمحمد
عليه الصلاة والسلام ؟ لا .. هذه كتب ألفها بعض التلامذة والأتباع
تضمنت بعض التعاليم .

فإذا نظرنا إلى الأناجيل التي تشيع الآن ، وجدناها قصصاً كتبها بعض
تلامذة عيسى عه تضمنت حقاً وباطلاً . فأما الحق فأن الله واحد كما جاء
في بعض النصوص !! وأما الباطل فأن الله ثلاثة كما جاء في بعض
النصوص !! .

فإذا مدح القرآن لتوراة أو الإنجيل فهو لا يمدح توراة وصف فيها
لوط بأنه سيكبر وزان !! .

وإذا مدح القرآن الإنجيل فهو لا يمدح إنجيلاً وصف فيه الله بأنه ثالث
ثلاثة !! أو أنه إسمان دخل بطن امرأة ثم قتل !! .

هذا كلام لا أصل له . وما يمكن أن يُعتبر القرآن متناقضاً .. لأن
الأمر كما شرحناه لكم .

نحن نؤمن بموسى وعيسى ، ونؤمن بالكتب التي تنزلت عليهما ..
فأين هي هذه الكتب !!؟ لا توجد إطلاقاً ، أو توجد وفيها خطأ
وصواب ، وفيها حق وباطل ، وفيها صدق وكذب .

وشيء آخر نحب أن يعرف .. سألني بعض العامة .. يقول لي : إنه

سمع إنساناً يقول : إنَّ الحى أفضل من الميت .. وعيسى حى وغيره مات !! .

وضحكت لهذا الكلام .. إن بعض الحمّالين فى المخطّات أحياء .. وبعض الأسياء ماتوا . فهل الحى أفضل من قمم الخليفة الدين ماتوا !!؟ كلام مضحك .. ومع هذا فأنا أحب أن أشرح الفكر الإسلامى فى هذا المجال شرحاً لا عوج فيه .

ربّما ورثنا بعض الأقوال ، وجهلنا أقوالاً أخرى بالنسبة إلى عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام . اتفقت كلمة المسلمين على أنه لم يُقتل ولم يُصلب !! وهذا نص حاسم فى قرآننا لم يختلف عليه .. ولكن هناك خلافاً لا شك فيه عند علمائنا .. إذا كان عيسى لم يُقتل ولم يُصلب .. فكيف كانت نهايته ؟ ها اختلف علمائنا .. قال بعضهم : مات موتاً طبيعياً كغيره من سائر الخلق وقال آخرون : بل رُفع رُفعاً لا ندريه .. كلا الرأيين موحود فى الإسلام .. فقهاء اظاهر فى تراثنا يروون أن عيسى مات ، ويستدلون على ذلك بظاهر القرآن الكريم ﴿ فلما توفيتى كنت أنت الرقيب عليهم ﴾ (١) .

وابن حرم فى كتابه المحلى : بشرح هذا فيقول :

كلمة الوفاة ليس لها إلا معنيان .. معنى الموت .. ومعنى النوم .. فمن قال : إن عيسى نائم فهو كاذب !! فهم يقولون لأنه مات !! وهذا رأى فى الإسلام . وكما اختلف العلماء هل يقرأ الإنسان حلف الإمام أم يسكب .. كذلك اختلفوا : هل عيسى مات أو لم يمّت ؟ كلا الرأيين موجود .. وليس هناك من حرج فى أن نرى أىّ الرأيين شئت .

الرأى الآخر : أن عيسى لم يمّت وإنما رُفع بطريقة لا ندري كنهها !! ويستدل هؤلاء بقوله تعالى : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ (٢)

ويرد ابن حزم (٣) ومن معه بأن الرفع ها معوى .. كقوله تعالى فى إدريس

(١) سورة المائدة الآية ١١٧

(٢) سورة النساء الآية ١٥٨ .

(٣) النظر المحلى : ٢٣/١ .

﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نياً . ورفعناه مكاناً
علياً ﴾ (١) .

وأما شخصياً عندما أناقش طائفة من أهل الكتاب تُوصف بالشجع
أحب أن أحرسها ، فأخلص من الأمر ابتداءً بأن أقول لهم : لقد مات
عيسى كما مات غيره من الدس ، ولا أريد الحاجة ، ولا أحب أن أسمع لعوا
كثيراً . لا يعيسى الآن أي الرأي أقرب إلى الصواب .. إما لدى يعيسى
هو : أن يعرف المسندون دينهم معرفة صحيحة ، وألا يقوموا عند ظواهر
بعض الآيات وقفة كما جاء أحد البسطاء إلى عبد الله بن عباس رضي الله
تعالى عنهما وقال له : إن القرآن يتشابه عيسى فقال له : ويحك ..
ما الذي يتشابه عليك فيه ؟ قال : هالك آية تقول : ﴿ وقفوهم إنهم
مستولون ﴾ (٢) وأقرأ آية أخرى تقول : ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس
ولا جان ﴾ (٣) فقال له ابن عباس رضي الله عنهما : إنها مواقف !! يقصد
ابن عباس أن المحرم قل أن تثبت التهمة عليه يُقدم إلى المحاكمة ويسأل ..
فإذا ثبتت التهمة بعد التحقيق وسبق إلى السحر فإنه لا يسأل . يعنى . قبل
أن يُتَّ في الحكم : ﴿ وقفوهم إنهم مستولون ﴾ . بعد الحكم :
﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ .

هذا وصف لموقف .. وذاك وصف لموقف آخر !! ولا تناقض
ولا تشابه .

فإذا قال القرآن : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ (٤)
فلا يقول أحد : كيف يقطع القرآن في المشئين مع أنه مدح الإنجيل !! هذا
شأن وذاك شأن آخر ، ولا تشابه ولا تناقض .
أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

(١) سورة مريم الآيات ٥٦، ٥٧

(٢) سورة الصافات الآية ٢٤

(٣) سورة الرحمن الآية ٣٩

(٤) سورة المائدة الآية ٧٣ .

الخطبة الثانية

الحمد لله : ﴿الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين ..

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، والتابعين .

أما بعد :

أيها الإخوة : مما يُذكر في مثل هذه الأمور أن كلمة « آية » ها معيان في الإسلام . فكلمة آية قد تكون بمعنى المعجزة الخارقة لعادة .. قال تعالى :

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها﴾ (٢)
فكلمة آية هنا : تعنى حارق العادة الذى يقترحه امشركون . وكلمة آية تعنى : الجمّل من القرآن كما قال تعالى ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ (٣) .

الآية ها غير الآية ههاك .. فيحىء بعض الناس ويقول : فى القرآن تناقض !! أين هذا التناقض ؟ .

يقول : فى إحدى السور قال الله :

﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر﴾ (٤)

(١) الآيات ٢٥ ، ٢٦ من سورة الشورى

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٠

(٣) سورة يوسف الآية ١

(٤) سورة البحل الآية : ١٠١

وفي سورة أخرى يقول : ﴿ لا مبدل لكلمات الله ﴾ (١) .

والجواب : أنه لا مُبَدِّل لكلمات الله في الآيات التي قال الله فيها .
﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٢)
أما حوارق العادات فتُبَدَّل فإن الله تعالى أيد موسى بمعجزة وغيرها ..
وأيد عيسى بمعجزة أخرى وغيرها ، وأيد محمداً ﷺ بآية أخرى ..
وهكذا .. فأين التناقض ؟ ولكنه القصور لعقلي . وطول اللسان ..
لا تناقض هناك ، وكذب المستشرقون والمبشرون . وإنما يحتاج المسلمون
إلى أن يعلموا دينهم ، وأن يعرفوا حقائقه فإذا علموا دينهم ، وعرفوا
حقائقه ، ثم مدوا أبصارهم في الكتب الأخرى لحمدوا الله عز وجل وظاهروا
وباطنو ، سراً وعلناً على أن الله تعالى جعلهم أتباع محمد ﷺ ولم يجعلهم أصحابا
للإفك والكذب ، والتناقض المصحح في لعقنت كما وقع في ذلك غيرهم .

الحمد لله على نعمة الإيمان وتوفيق الإسلام .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا ديارنا التي
فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إتيهم بعدنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في
كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (٣) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان . ولا تجعل في
قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إيك رؤوف رحيم ﴾ (٤) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٥) .

وأقم الصلاة

(١) سورة الأنعام الآية ٣٤

(٢) سورة الزلزلة الآيات ٨، ٧

(٣) رواه مسلم وأحمد ابن حنبل

(٤) سورة الحشر الآية ١٠

(٥) سورة النحل الآية ٩٠

تأملات في سورة الفتح

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه

١٩٧٣/٦/١ م

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد

فنستعين الله في هذه الخطبة ونتحدث عن سورة الفتح . والحديث عن هذه السورة يرجع بنا قليلاً إلى أحداث سبقتها . فإن المسلمين في السنة الخامسة من الهجرة تعرضوا لهجوم الأحزاب على المدينة ... كان هذا الهجوم كابوساً رهيباً نزل المجتمع الإسلامى وترك المسلمين داخله يترحمون تحت وطأة حصار غامت نتائجه وصحبته متاعب شتى.. فلما حلت نعمة الله بالمسلمين وانفضت جموع الأحزاب عن المدينة بقدرة الله وحده قال عليه الصلاة والسلام معلقاً على ما حدث : « الآن نفزوهم ولا يغزوننا »^(١) والمعنى : أن الوثنية في جزيرة العرب ومعها اليهودية فشلتا في ذلك المجتمع الإسلامى وخلع جنود التوحيد من تربته . وبعد هذا الاحتشاد الذى أعلوا له واستماتوا فيه ثم تبدد أمره وانتهى باليوار كيده .. بعد هذا نستطيع — نحن المسلمين — أن نُمسك بطرف المبادأة وأن نتحرك نحن لنؤدب غيرنا لا لتلقى الضربات منه : « الآن نفزوهم ولا يغزوننا »

(١) رواه البخارى في المغازى — باب عروة الخلق ٥ / ١٤٠

وبعد أن انفص الجمع من حول المدينة وأدب المسلمون « بنى قريظة »
تأديبا أوقع الفزع في قلوب الخوذة مصداق قوله جل شأنه ﴿فَإِذَا تَقَفُّهُمْ فِي
الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ . وَإِذَا تَخَافُنَ مِنْ قَوْمِ حِيَاةٍ
فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (١) .

والواقع أن ناسا من أهل الكتاب حاولوا قديما ويحاولون حديثا أن يبطعوا
الإسلام في طهره وأن يحوبوا الأمة التي لم تسيء إليهم ولم تُسلف شراً إلى
أحدهم . وحاولت أن تعيش معهم في وئام .. ولكنهم لطموا اليد المملودة
وأصروا على الخصام فكان ما كان .

وجاءت السنة السادسة من الهجرة والمسلمون باهون على دعوتهم ..
ماصور في طريقهم .. ماذا يريدون ؟ ماذا يجعل الناس صائقيين بالإسلام ؟
لم لا يكون الإسلام وجهة نظر لأصحابها ، يتركهم اناس بها دون غدر ،
ودون مقاومة حيثة ؟ .. إن المسيحيين يقولون : إن الله واحد ... وإن هذا
الإله الواحد جدير بكر صفات الكمان .. مره عن كل صفات النقص ..
هل هذه جريمة يعتبر أصحابها أهلاً لمحاصرة الناس ؟ ويقول المسلمون : إن
من حق كل مرء أن يعرف هذا الإله الواحد وأن يعبده دون وساطة
كاهن ولا شفاعة أحد من أهل الأرض أو السماء .. فهل هذه جريمة ؟ ..
ورأى بعض الناس أن الله اثنان .. وقال القرآن رداً على هؤلاء : ﴿وَقَالَ
اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّيْلَايَ فَارْهَبُونَ ﴾ (٢) حافوني
أنا وحدي ... ورأى البعض أن الله ثلاثة (٣) .. وأن الوالد قتل الولد اعتداءً
لخطايا الخلق (٤) .. وقل المسمون : يا عجباً !! كيف يكون القاتل والمقتول
شخصاً واحداً ؟ إن القاتل غير المقتول بذاته وإن الإله واحد ، ولا يمكن
أن يشق عنه من يقتله .. هل فكر الإسلام أن يُدخل هذه الأفكار في
أدمغة الناس بالعنف ؟ لا .. إنه يقول : ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن
يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مُلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ .

(١) الأنفال : ٥٧ ، ٥٨

(٢) النحل : ٥١

(٣) انظر الإنجيل متى الإصحاح الثامن والعشرون

(٤) انظر رسالة يوحنا الأولى الإصحاح الرابع

فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاع^(١) هذه
وظيفتك .. ماذا في الإسلام بعد هذا يضايق الخلق ؟ لكن الذي حدث أن
السنة السادسة بعد الهجرة جاءت .. والمسلمون متشبثون بإيمانهم ..
مستمرون على طريقتهم .. يدعون الناس بالحسنى إلى مبادئهم .. فمن
أجاب فهو أحوهم ومن رفض تركوه مادام يتركهم لا ينجسهم ولا يعندين
عليهم .. وحاول المسلمون في السنة السادسة أن يتحركوا في المجتمع
العربي .. في أي إطار يتحركون ؟ في إطار أهم قبيلة من القبائل العربية
جنس من أجناس الناس .. حرب من الأحزاب يريد أن يحيا كما يحيا غيره من
الخلق . ولهذا فإن النبي عليه الصلاة والسلام أعلن أنه سائر إلى مكة
ليؤدي عُمرة .. ومعنى العمرة : أنه سيطوف بالبيت لعتيق — تحية له —
وأنه سيسعى بين الصفا والمروة ، ويتحلى من عمرته ، ويعود إلى مدينته ،
ولا شيء أكثر من هذا وأحبر النبي ﷺ من استمع إليه في المدينة « أنه
رأى في منامه أنهم يدخلون المسجد الحرام ويطوفون به »^(٢) فخرج
المسلمون من مدينتهم مولين وجوههم شطر مكة يريدون أن يؤديوا
العمرة .. وقد ساقوا أمامهم « الهدي » هذا الهدى سيذبح لفقراء مكة
يأكلون منه ويتمتعون به .. فأى حرج ؟ ومصت قافلة العمرة في طريقها
إلى البيت الحرام .. وحدث أن فوجئت مكة بالمسلمين وهم قادمون لأداء
الستك والتقرب إلى الله بالعمرة . فاستقر قرارهم على أن يمنعوا
المسلمين .. وكان المسلمون قد استعدوا للعمرة ثم هم ليسوا بضعاف حتى
يُمنعوا .. ولم يعتزروا خارجين على القانون ؟ ولم يعتبروا صفوا من الخلق
يعامل على غير ما تقضى به القواعد المقررة في جزيرة العرب ؟ إن هذا البيت
الحرام يستوى فيه الطاريء عليه والمقيم عنده .. جاره والغريب سواء ..
وهو لكل وليس لواحد من المسلمين أو لجماعة من الناس أياً كان لوها ..
فلم يُصد الناس عنه ؟ ولكن النبي ﷺ لما رأى قريش قررت منعه أراد أن
يجل العقدة بالمفاوصات وجعه يبحاً إلى هذا الحل أنه وهو على ناقته متجه إلى مكة

(١) الشورى : ٤٧ ، ٤٨

(٢) انظر صحيح البخاري . كتاب الشروط — باب الشروط في الجهاد ٣ / ٢٥٢ .

حدث أن توقفت الناقة وقُيدت في مكانها فقال الناس « خَلَّاتِ الْقَصَوَاءَ ، خَلَّاتِ الْقَصَوَاءَ ، فقال النبي ﷺ : ما خَلَّاتِ الْقَصَوَاءَ ، وما ذاك لها بحق ، ولكن حبسها حابس الفيل »^(١) وحابس الفيل هو الله جل شأنه .. والفيل رمز لزحف الحبيشة على مكة يريدون تدمير الكعبة فيها .. ولكن الله جل شأنه دمر الحيش الراحف وقضى على الفيلة التي كانت تحمل الحد وانتهى الأمر .. ثم قال عليه الصلاة والسلام — بعد قوله ﴿ حبسها حابس الفيل ، والذي نفسي بيده لا يسألوني لحظة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم أياها »^(٢) . وهنا بدأت مفاوضات عسيرة شاقة .. تذهب الوفود وتحجى دون أن تصل إلى نتيجة — وأخيراً وبعد أخذ ورد انتهت المفاوضات إلى ما يأتي : أربعة شروط نسها النبي ﷺ وهي شروط عندما يستمع إليها تأخذنا الدهشة لما احتوت عليه :

أول الشروط : أن يعود المسلمون هذه السنة دون أن يدخلوا مكة معتمرين .. ويحيثون السنة المقبلة ليؤدوا العمرة قصاءً .. أما هذه السنة فلا يدخلون مكة .

الشرط الثاني : من كان يريد من مسلمي المدينة أن يرتد ويلحق بكفار مكة فلا يُحجر عليه ولا يمنع من اللحاق بمكة .. أما الذي يُسلم من أهل مكة ويريد أن يلحق بإخوانه في المدينة فلا يجوز أن يستقبله أهل المدينة بالترحاب بل يردوه .

الشرط الثالث : من أراد أن يدخل في حلف محمد دخل ، ومن أراد أن يدخل في حلف قريش دخل .

الشرط الرابع : تبقى هذه المعاهدة عشر سنين .

وعندما بدأت الكتابة وجاء مندوب فريش وأخذ النبي عليه الصلاة والسلام يُنثي : « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله »^(٣)

(١) (٢ ، ١) رواه البخاري في الشروط — باب الشروط في الجهاد ٣ / ٢٥٢ ، ٢٥٣ وخَلَّاتِ

الْقَصَوَاءَ : اسم لنافقة النبي ﷺ أي حُرِّت ونصبت

(٣) رواه البخاري في الشروط — باب الشروط في الجهاد ٣ / ٢٥٢ م

رفض مندوب مكة وقال : لا تكتب كلمة رسول الله ، ما نقرأ أنك رسول ، محمد فقط وكان الذى يتولى الكتابة على بن أبى طالب فأبى أن يشطب .. ولكن النبى عليه الصلاة والسلام شطب بيده لقب الرسالة . وبدأت المعاهدة : بسم الله الرحمن الرحيم .. فقال مندوب قريش : لا نعرف الرحمن الرحيم اشطب وقبل اسبى عليه الصلاة والسلام^(١) .. فلما فوجئ المسلمون بهذه الصلوص حيم عليهم الصمت وأحسد شئىء من الأسف والوجوم يشيع بينهم لقد تعيرت مشاعرهم النفسية .. خرجوا من المدينة وأملهم كبير فى أن يعصروا .. لكنهم صدموا ، ثم ما تضمنته الشروط من أن المسلم من أهل مكة يُسمع من اللحاق بإخوته فى المدينة بينما يمكن من ارتد من المدينة أن يذهب إلى مكة .. هذا شرط فيه إذلال .. وتحرك عمر بنى غضب يقول لأبى بكر : « لم يعطى الدنيا فى ديننا ؟ ولكن أبى بكر يقول له : « إنه لرسول الله وليس يعصى ربه ، فاستمسك بغيره ، فوالله إنه على الحق »^(٢)

هذه هى الملابسات التى نزلت فى أحوالها وأفعالها وأجوائها سورة الفتح .. نزلت سورة الفتح لنشرح مواقف ، ولتفسر مواقف ، ولتنبئ مستقبل ، ولتحسم الأمور فيما اشتبه على الناس من هذه القضايا كلها .. أول ما حسنته سورة الفتح من مواقف أنها فضحت النفاق .. فعندما خرج المسلمون بنوون العمرة من المدينة تحركت الرية فى قلوب صعايف الإيمان أو أدعياء الإيمان من المنافقين ورفضوا أن يخرجوا وقالوا : سيخرج ولن يعود .. إن هؤلاء الذين يريدون العمرة ستصربهم قريش ضربة تبدد جموعهم وتقص حشودهم وتنبى حاضريهم ومستقبلهم .. هذا ما وقر فى نفوسهم .. والمنافقون ناس أصحاب قرص .. يتحركون إن وجدوا نفعاً .. ويفرون إن وجدوا خطراً .. ويعتزلون عندما تحيى الأمور على غير ما يتخيلون ... ولذلك فإن السورة تحدثت عنهم فى قوله تعالى ﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب ﴾^(٣) بعد عودتك إليهم

(١) انظر صحيح البخارى ٣ / ٢٥٢ .

(٢) رواء البخارى فى الشروط . باب الشروط فى الجهاد ٣ / ٢٥٢ .

(٣) الفتح : ١١ .

﴿ شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً ﴾^(١) هو حبير بما في نفوسكم .. يكشف ما في نفوسكم ؟ يكشفه ﴿ بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإننا أعتدنا للكافرين سعيراً ﴾^(٢) لكن ما هو الموقف مع هؤلاء مستقبلاً لقد كشف ما صيهم فما هو الموقف منهم بعد ؟ ﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم ﴾^(٣) إن المنافقين عندما كانوا متوجسين من مستقبل المعركة اعتذروا وفروا .. لكن عندما يعمون أن معركة ما مضمونة يريدون أن ينضموا إلى جيشها المؤمن كي يحرروا ما يرتقبون من معام .. لكن لا .. يجب أن ينتبه المسلمون إلى هذا وأن يمسعوا أولئك من أن ينضموا إليهم أو يختلطوا بهم ﴿ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون أن يدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل نخسدون بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً ﴾^(٤) .

فيل للمنافقين : إن أردتم توبة فأخلصوا نفوسكم لله ، وعصوا نياتكم لله ، وتحملوا التضحيات في سبيل الله ، ولا تكونوا أصحاب مطامع كلما لاح برقها تحركتم وكلما خمدت ريحها هبطتم ﴿ قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تنولوا كما توليهم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً ﴾^(٥) .

هذا موقف فصح للمنافقين .. هناك موقف حُمد وأُثي على أصحابه

(١) المصح ١١ .

(٢) الفتح ١٢ ، ١٣ .

(٣) الفتح ١٥ .

(٤) الفتح ١٥ .

(٥) الفتح ١٦ .

وهو موقف المؤمنين .. فإنهم في أثناء المفاوضات كان عثمان بن عفان رضى الله عنه قد ذهب إلى مكة في محاولة لإقناع رؤسائها أن يتركوا المسلمين يحجون البيت — أى الحجة الصغرى يعنى يعتمرون — وعثمان كان رجلاً محبوباً إلى الناس ، وكان رقيقاً بيل الشمائل ، فعرض عليه أهل مكة أن يعتمر هو .. فعرض وقال : لا أعتمر قل رسول الله ﷺ والمسلمين .. ومكثت المفاوضات مدة واطلقت إشاعة أن عثمان قُتل .. فلما بلغ الأمر المسلمين قرروا أن يقاتلوا حتى الموت .. وبايعهم النبي ﷺ على هذا .. ونزلت الآية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١) وذلك لأن النبي ﷺ لا يبايع على منفعة خاصة أو محد شحصى إنما يبايع كى يُعبد الله في الأرض عبادة صحيحة .. فإن العبادات المزورة ملأت القارات والكهانة الكاذبة رُوت العقائد ها وهناك .. فكانت البيعة لله .. ولذلك كان الذى يعذر بها أو يحون إنما يعذر برب العالمين ويخونه .. وتكرر الثناء على أهل البيعة وإعلان الرصوان الإلهى عليهم في قوله جل شأنه ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ (٢) أى ظهر علمه ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَامٍ كَثِيرًا يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٣) .

هذه مواقف لطرفين متناقضين .. موقف المنافقين وقد كُشف .. وموقف المؤمنين من أهل الفداء والمجدة والتضحية وقد كُشف .. لكن الأمور تحتاج إلى تفسير .. كيف يطلق هذا العدد — نحو ألف وأربعمائة — ليعتمروا فيردوا دون قصدهم بسهولة على هذا النحو ؟ أهو ضعف من المؤمنين ؟ أهو ضعف من ناصر المؤمنين ؟ لا يمكن .. ومسحاً ومحققاً لهذه الشبهة تكرر في السورة معنى في عدة آيات .. هذا المعنى أن قوى الأرض والسماء بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يقول جل شأنه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٤) .

(١) انظر القصة في مسند الإمام أحمد ٣٢٢/٤ والآية ١٠ من سورة الفتح

(٢) الفتح : ١٨ ، ١٩ . (٤) الفتح : ٤

كيف يُغلب الله وكل شيء ملكه ، وكل شيء جنده ؟ كيف يُغلب ؟ ويتأكد هذا المعنى ويتكرر في قوله ﴿ والله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾^(١) ثم يؤكد هذا المعنى مرة أخرى فيقول في نفس السورة : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديبار ﴾^(٢) لو حدثت معركة لولى المشركون ، لماذا ؟ هذا هو السؤال ، ولم لم تحدث وتم الهزيمة عليهم ؟ توصلح السورة هذه المعاني فتقول : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً . سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تبدل سنة الله أبدياً ﴾^(٣) إن هزيمة الباطل أمام الحق لا بد منها ولن تتبدل سنن الله أبداً في نهاية كل صراع بين الحق والباطل .. لكن لم لم تقع الهزيمة للمشركين ؟ يقول الله : إهم كانوا أهلاً لأن تقع لهم الهزيمة .. لكن هناك سبب ، لماذا كانوا أهلاً للهزيمة ؟ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً ﴾^(٤) وقبل ذلك يبين سبحانه وتعالى لم لم تحدث معركة .. يقول : إنه كان في مكة ناس مؤمنون أخفاء .. ناس مؤمنون لا تعرفونهم .. كانوا يكتُمون إيمانهم ولو حدث أن وقعت معركة واستبيحت مكة وكان انتصار المؤمنين مؤكداً في هذه المعركة .. لو حدث هذا لقتل كثير من المؤمنين : ﴿ لم تعلموهم أن تطوهم ﴾ هذا المعنى — معنى أن هناك ناساً من أهل الإيمان أراد الله أن يصون دماءهم ، وأن يمنع عدوان إخوانهم عليهم وهم لا يدرون — هذا المعنى هو الذي جعل المعركة تتوقف . وعالم العيب سبحانه هو الذي رسم الخطة على هذا النحو .. لكن هل كانت هذه الخطة مفيدة للإيمان ولأهل الإيمان ؟ والجواب : ننظر إلى ما حدث كما كشفت الأيام وكما بيأت به سورة الفتح .. لقد بدأت

(١) الفتح ٧

(٢) الفتح . ٢٢ .

(٣) الفتح : ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) الفتح : ٢٦ .

سورة الفتح فقالت للمسلمين : الشروط التي ضيقتم بها .. المعاهدة التي كرهتموها ينطبق عليها قول الله تعالى ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (١) إن هذه المعاهدة فتح ميمن ١١ فتح ميس ، كيف تكون فتحاً ؟ .

والجواب : المستقبل كشف عن أن المعاهدة كانت فتحاً .. فإن المعاهدة ما كادت تمضي عليها ستة وستين حتى كان الذين يدخلون في الإسلام أضعاف من دخل فيه منذ بدأت دعوة الإسلام إلى أن وقعت قصة الحديبية أو نزلت سورة الفتح .. بدليل أن الدين اعتمروا مع النبي ﷺ كانوا ألفاً وأربعمائة فلما جاء فتح مكة في السنة الثامنة — أي بعد ستين من المعاهدة — كان الدين يشتركون في الفتح عشرة آلاف ١١ كيف تصاعف العدد ؟ والجواب . إن الناس تربصوا حين قرأوا المعاهدة ، وكانت نفوس كثيرة تشعر بأن الإسلام حق .. تشعر بأن التوحيد أفضل من الشرك .. تشعر بأن منطق العقيدة كما يعرضه محمد ﷺ في قرآنه هو أفضل منطق يُعرض به دين الله منذ نزل آدم إلى الأرض إلى أن يلقي الناس رهم ١١ لأنه منطق واضح ، ليس هناك أسهل ولا أعقل ولا أفضل من العقيدة ، كما يشرحها القرآن الكريم ١١ الله واحد .. لاناقصات ولا حرافات ولا أوهام .. نحن جميعاً عبده .. الرسل كلهم إخوة .. المؤمنون جميعاً يمثلون حزباً واحداً .. البشر إخوة .. أي شيء في هذا ؟ فبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً .. دخوا بكثرة فكان ذلك كسباً ، لأن الإسلام بمعاهدة الحديبية اعترف به اعترافاً قانونياً في المجتمع بعد أن كان أهله ينظر إليهم على أنهم خارجون على القانون أو مبعدون عن المجتمع .. شيء آخر .. فسر النبي ﷺ سماحه بأن من يترك المدينة مرتداً يخرج .. بأن من تركنا لا حاجة لنا به .. ما نستبقى بيننا من ترك ديننا .. فليذهب إلى حيث ألفت .. أما من ترك مكة موحداً وأكرهه أهل مكة على أن لا يلجأ إلينا فثقوا أن الله جاعل له مخرجاً وفرجاً .. وفعلاً فإن عشرات من المؤمنين الذين لفت النظر إليهم وأن الله أخر المعركة ، ومع الفتح في السنة السادسة بسهم .

(١) البقرة : ٢١٦ .

كثير من هؤلاء حرقوا واحتلوا مكانا على الشاطئء ضربوا به
تجارة قريش صربة قاصمة .. فذهبت قريش إلى النبي ﷺ في المدينة تقول
له : نازلنا عن هذا الشرط .. من ترك مكة مؤمنا بك وبرسالتك نرجوك
أقبله عندك !! أقبله عندك !!^(١) لكن يبقى الحديث عن المستقبل ..
الحديث عن المستقبل برلت السورة تقول للؤمنين : طمئنوا لقد سمعتم من
بيكم أنكم داخلون المسجد الحرام .. ثقوا أنكم داخلو المسجد الحرام ..
وماهى إلا سنة حتى دخلوا فى عمرة القضاء . وماهى إلا سنة حتى دخلوا
مكة وكسروا رأس الشرك فيها . ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
لتدحن المسجد الحرام إن شاء الله آمين مخلقين رؤسكم ومقصرين لا
تحافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾^(٢) النصر لا بد
منه .. وهو شيء تحقق للمسلمين .

ثم بيت السورة أن الإسلام سيكون مصير البشرية !! إن البشرية التى
تقدمت عقلياً سوف تهيئها إيام — حتماً — تشعر فيها بأن الإلحاد ظلمة ،
وأن الرعم بأن الناس ركبوا هكذا أجهزة مادية ومعنوية فى منتهى الدكاء ،
والأداء الخيد ، وفى منتهى الضبط .. إن تصور أن الإنسان خلق هكذا ،
التراب خلقه هكذا عقلاً عبقرياً ومواهب ومشاعر وفى منتهى الدقة
والخودة .. إن التصور أن التراب فعل هذا جنون .. إن الإلحاد صائر إلى
صياح وإلى انتهاء .. أما الإيمان فإن الناس سوف يبحثون ، وسوف
يقاربون ، وسوف يقول كل امرئ لنفسه : ترى من خلق هكذا الكون ؟
من خلق هذا الإنسان ؟ أهو واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفواً أحد ؟ أم هو إله يشغل ، ويتعب ، ويعمل ويندم ، ويلاكم ويهزم
كما تقول بعض الكتب ؟ إن مصير الإنسانية إلى أن الله الواحد — كما شرح
الإسلام ويين — هو الذى ينبغي أن يُعبد .. ولذلك قالت سورة الفتح :
﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيداً ﴾^(٣) .

(١) انظر مسند أحمد ٤ / ٣٢٢

(٢) الفتح : ٢٧

(٣) الفتح : ٢٨

وبدأت السورة تُشر بالفتح وتبشر بمعصرة الله . ومغفرة الله حل شأنه هي
 الحائرة الكبرى التي يتطلع إليها الأسياء ويتطلع إليها المؤمنون والمؤمنات ..
 وقد بدأت السورة فشرت النبي ﷺ وجماعة المؤمنين معه أن الله غافر لهم
 ما تقدم في ذنبهم وما تأخر : ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما
 تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا
 مستقيما ﴾ (١) قال العلماء : إن مراتب الناس تختلف .. هياك من يتورع
 عن المحرمات والمعاصي .. هؤلاء عوام المؤمنين ، هياك من يتورع عن
 الشبهات والريب .. هؤلاء أعلى درجة من أولئك ، هياك من يترك بعض
 الحلال المحض لأنه قد يكون قريبا من حرام محض فلكي يُحصن يقيه ويحمي
 إيمانه يتعد عن الحلال فهذا أعلى درجة من الصنفين السابقين . وهناك من
 ترتبط بصيرته بالله وينحى في حياته ومشاعره إلى الله فهو كما قيل :
 ولو حظرت لي في سواك إرادة على خاطري سهو قضيت برؤيتي (٢)
 هذا نوع آخر من الخلق أرق .. ولكن من هؤلاء على قدر درجته
 هموات .. وهموات الحسن الأعلى تعبر كمالات للحسن الأدنى .. وهذا
 معنى معصرة الله لسيه ﷺ أقول قولي هذا وأستعمر الله لي ولكم

★ ★ ★

(١) المصح ٢٤١٠

(٢) من قصيدة الثائية الكبرى لابن الفارسي . انظر ديوانه ٢٤٠

الخطبة الثانية

الحمد لله « الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد »^(١) وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين . وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأبياء وسيد المصلحين اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

عباد الله : أوصيكم ونصي بتقوى الله عز وجل .. لقد اخترت أن أفسر سورة لفتح لأن هناك مشابهة^(٢) بين المؤمنين قديماً — في أحوالهم وفيما يحيطهم من منافقين وكافرين — وبين المؤمنين في هذا العصر .

والواقع أن العالم العربي والإسلامي تتارعه الآن ثلاث قوى رئيسية.. قوة ترفض الإسلام علناً، وتستमित في أن تُحكم الأمة العربية والإسلامية حكماً علمانياً كما يقولون .. وقوة أخرى تريد أن تعود بالمسلمين إلى ماضيهم الأول وكتابهم الكريم وستتهم المظاهرة ، لا تنزل عن آية من آيات ولا ترخص في حديث من الأحاديث .. وهناك قوة ثالثة لا تريد أن تكون من هؤلاء ولا من أولئك ، تريد أن تنتسب إلى الإسلام ولكنها تريد أن تتخير من أحكامه أحكاماً تنفذها وأحكاماً تتركها ، عبادات تقوم بها ، وعبادات تنأى عنها .. والصراع قائم بين القوى الثلاث .. وألفت النظر إلى أن القوة الأولى لو نجحت وتحول العالم العربي والإسلامي إلى الإلحاد والمادية فمعنى ذلك أنه انتحر وأهّل التراب على جثمانه وانتهى تاريخه .. أما القوة الثالثة التي تريد أن تأخذ بعضاً من الإيمان وتترك بعضاً ، وتنتسب إليه انتساباً ولكنها لا تُوفى له الوفاء الواجب فسوف تؤخر الأمة الإسلامية عن

(١) الشورى . ٢٥ ، ٢٦

(٢) مشابهة . جمع شبه

بلوغ أهدافها ، وعن غسل العار الذى نزل بها ، ولن تنجو أمتنا أو تنجح إلا يوم تكون أزمته فى يد المؤمنين الذين يريدون الإسلام كله شكلا وموضوعا ، وعنوانا وحقيقة .

والله ولى التوفيق

« اللهم اصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر III (١) »

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

أقم الصلاة

★ ★ ★

(١) مسلم والنسائى وأحمد

(٢) الحشر : ١٠

بهذا كانت الكرامة... وبهذا كانت المهانة

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، أرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراج المير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد

فقد وجدت لو أن العرب يعرفون نصل الله عليهم وميته العظمى عندما حملهم رسالة الإسلام وشرفهم بالانتماء إلى هذا الدين ، ولكن العرب لم يدركوا هذا الفضل ، ولم يحسوا تلك النعمة فكان تفريطهم فيها كبيراً ، وكان غبنهم لها فادحاً .

كنت أقرأ الآيات التي تم فيها تحويل القبلة ، وتذيرتها لأعرف أبعادها وأدرك حقائقها ، في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَآتُم نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) وقفت طويلاً عند كلمة : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا ﴾

(١) البقرة : ١٥٠ ، ١٥١ .

حاولت أن أعرف هذا الحار والمحرور ، والارتباط بين الآيتين ، والمعنى المقصود ، وبعد لأي شعرت بأن المعنى قريب ، وأن الله تبارك وتعالى اسمه يريد أن يقول للعرب : إني رفعت شأنكم عندما جعلت الناس في القدرات كلها يتجهون إلى الكعبة المسية في حريرتكم ، عندما جعلت أجيال البشر على اختلاف الأنسـه والألوان يعتبرون المسجد الحرام في أرضكم القفلة التي يتوجهون إليها خمس مرات كل يوم ، فعلت هذا ﴿ لَأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أنا هذا أتم النعمة ونكس النعمة بدأت قبل ذلك ، بدأت عليكم أيها العرب سابعة شاملة عندما ابتعثت النبي الخاتم منكم وجعلت الرسالة الأخيرة فيكم وأنزلت لوحى القاطع بعبتكم ، نعمة لاحقة بعد نعمة سابقة تضاعفت بها أنعمى عليكم : ﴿ وَلَأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ . كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴿ بعد هذا كان لابد من تذكير الناس بحق النعمة ، ولقد قال الله للهود من قبل ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاي فَارْهَبُون ﴾ (١) إذا وفيتم عما كلفتمكم من عهود وعما وثقتكم من عقود فانتظروا وفائي وبري وفصلي ، كذلك يقول الله للعرب : بعد أن شرفتكم بالرسول الخاتم ﷺ وبالوحي المبين ، وبالقيدة العقلية والحقية للناس ، بعد هذا الشرف الذي رفع شأنكم وأعلى مكانكم ، بعد هذا الشرف أدوا حقى ، ولذلك بعد أن قال ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ قال ﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ﴾ (٢) .

أى كما ذكرتمكم بفصلى اذكروا حقى ، وكما تعظمت عليكم بعمى اشكروها ، ومعنى شكرها تقديرها ، ومعنى أن يهض العرب برسالتهم أن يعرفوا أن الله ربى محمداً ليرى به العرب وربى العرب بمحمد ليرى بهم

(١) البقرة ٤٠

(٢) البقرة ١٥٢

الناس ، فهم أمناؤه على وحيه وأساتدته بين خلقه ، وهم بالمصحف الشريف الذى احتصوا به والرسالة الحليلة التى تبقى إلى آخر الدهر المسار اهادى والشعاع المصىء ، هذا كله يكون للعرب شأنهم وتكون هم مكاتهم . لكن العرب للأسف حانو رسالتهم ، وفرطوا فى حقها ، وطبوا أهم بالانتماء إلى عمرو بن كلثوم أو حاتم الطائي أو عشرة العنسي ظنوا أنهم هذا يكونون شيئاً مذكوراً ، وهم هذا ما يكونون شيئاً لا مسياً ولا مذكوراً

ما الذى صعه الإسلام للعرب قديماً ؟ وما الذى يمكن أن يصعه العرب للناس الآن ؟ الإسلام صنع للعرب قديماً لكثير ، فقد ارتقى بهم عقياً ، وارتقى بهم روحياً ، أما الارتقاء العقلى فإن الثقافة القرآنية التى انتشرت مع امتداد الإسلام ، وبدأت من صحراء عذبها الأمية ، وتحول أصحابها مهاديات القرآن إلى أرقى من الفلاسفة ، وإلى أعظم من القادة والأئمة الدين ملكوا بواصى الثقافة فى كل دين ، هذه الثقافة القرآنية تحول العرب الأميون إلى أساتذة ، ونظروا فى كتب الإغريق نظرة الأستاذ إلى كراسات الطلاب ونظروا إلى آداب الفرس نظرة المشرف من أعلى على العامة الذين يحوجهم السمع القريب ، وبيع من عظمة الإسلام كما يؤكد علماء أوربا أن الفرنسيين والإنكليز والإيطاليين كانوا يرسلون أساءهم إلى جامعات الأندلس ، يلتحقون بها ، ويأخذون إجازاتهم العلمية منها ، وفى القرن الحادى عشر للميلاد تولى بابوية الفاتيكان خريجون من جامعات الأندلس^(١) تعلموا الثقافة ، واتسعت آفاقهم مع العلم الذى تقدم به الإسلام إلى البشر قاطبة ، لأن معنى كلمة مسلم ومعنى كلمة إسلام مهضة فكرية رائقة شائقة يطر الناس إليها بإعجاب ويودون أن يعترفوا من مابعها وأن يشرفوا بالانتماء إليها ، فكان العلم الإسلامى الذى قدمته هذه

(١) من هؤلاء الراهب الفرنسى جريردى أوراليك (٩٤٠ — ١٠٠٣ م) الذى قصد لأندلس ، وتتمد على أساتدتها فى أشيية وقرطبة حتى أصبح أوسع علماء عصره فى أوربا ثقافة بالعربية والرياضيات والفلك ، ثم نقلد فيما بعد مصب الببوية فى روما باسم سفسر الثانى (٩٩٩ — ١٠٠٣) استشرقون للعقوى ١١٠/١

الحصارة موضع التقدير ، بل أكد العلماء أن الهبة الأوربية ما كانت لتتم لولا ظهور الإسلام وقيام جامعاته الكبرى .

هذا من لياحية العلمية ، أما من لياحية الخلقية فإن المروءة والأدب والسماحة ورحمة الصغار وتوقير الكبار وإسداء العون للضعاف وتحسين الخس وتقبيح القبيح واحترام التقوى ، كل هذه المآثر كانت تنضج من مجتمع يبدأ مع الفجر يصلى لله ولا يأوى إلى فراشه إلا بعد أن يصلى لله ، فكان المجتمع المشغول بطاعة الله وتطهير البدن والروح ، كان هذا المجتمع يقدم لناس في المشارق والمغرب نمادح من الخلق العالى ، هذه النماذج هي التى فتحت الأقطار للإسلام ، خصوصاً التواصى بالمرحمة ، فإن المسلمين كانوا يزكون ويتصدقون ، وأيديهم كانت العليا ، ما تدع ثغرة للنساء والضرراء إلا سدتها ، ولا حاجة من حاجات البشر يبدو فيها الفقر إلا بدا فيها العون الإسلامى . وكان المسلمون يومئذ طول ألف سنة تقريباً سادة العالم ، فقدموا للناس مع العلم النضير الخلق الزكى والأدب العالى ، كان المسلمون كما قلت طليعة تقدمية فى كل مجال ، والذى أفاء عليهم هذا الفصل هو الإسلام .

ثم بدأ المسلمون يحذرون ويتعلون عن دينهم وتهتز ثقتهم فى وحيهم وتصطرب خطاهم بعيداً عن توجيهات الله ورسوله ﷺ فأصابهم ما أصابهم ، وبعد أن كانوا أمة طليعة فى العالم أصبحوا أمة متخلفة ينظر إليها الآخرون بازدراء .

عندما حدثت قصة « المفاعل الدرى » فى العراق بدأت أفكر طويلاً فى هذا الموضوع ، قلت فى نفسى المفاعل من صنع العقل الفرنسى المتقدم فى فهم الكون وتطبيق أسرار المادة على مرافق الخلق ، ما لذى جعلنا نتحول إلى تلامذة لغيرنا فى هذا المجال ؟ تأخرنا ، تأخرنا ، ثم بالمال الذى داوى جراحاتنا أمكن استقدام هذا المفاعل وهو فرسى الصنع ، ما بقى بعد ذلك إلا أن يُحمى ، إلا أن يحرسه من اشتروه ، ثم قرأت أن الدين أعاروا عليه كأنما كانوا يُغيرون على مدينة مفتوحة الدفاع أبه ، القذائف طائشة ، كأنه لا حُرَّاس هالك ، تغيّظت فى نفسى وقلت : أين هؤلاء

الحرس ؟ أكانوا يحششون ؟ أكانوا سكارى ؟ أكانوا نائمين ؟ أين هؤلاء المدافعون ؟ ثم بدأت أسخر من أحوال المسلمين ، قلت في نفسي : لو أن التربية الإسلامية سيطرت على تكوين هؤلاء لأدرك كل منهم معنى الحديث : « عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »^(١) لو أدرك هذا الحديث ورأى على قواعده نَظْلَ طول الليل يُقْبِ في الأفق ويحرس الأرض والسماء من أى عدو مُغِير ، لكن من الذى يعلمه هذا الحديث ؟ العرب نسوا رسولهم ، العرب نسوا كتابهم من يعلمه هذا الحديث ؟ لا أحد !! لو علم هذا الحديث ، وتقرب إلى الله لكان هدفه الذى يَصُوبُ إليه فى الصميم ، لأن الخطأ فى « مليمتر » عدد يَصُوبُ المدفع من أسفل قد يختلف بـ « كيلو متر » فى الأفق^(٢) ، فالذى يُسَدُّ القُب ، ويلهم الرشد ، ويصبط الأعصاب ، ويحرك الأصابع الله !! يوم أكون معه أقاتل من أجله كما يمكن أن الطائفة المعيرة تنتهكها قديعة مبي فتزل إلى الأرض !! لكن الله خلق عسى ، لأسى لا أعرفه ولا أعرف سبه . أأ قلب . بعث عربى ولم أقل : بعث إسلامى ، بعث إسلامى لا .. لا إسلام ، تولى الله عسى ، وتولى عباده البررة والفجرة عسى ، فمن لى ؟ ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِى هُوَ حَتَدٌ لَكُمْ يَصْرِكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ لَآ فِي عُرْوَةٍ ﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿^(٣) بعث عربى ، قومية عربية ، وطنية مصرية ، عبادة للتراث ، تقديس للحبس ، بهديس للدم ، أين الله ورسوله ؟ أين الكتاب والسنة ؟ أين اليسابيع التى تستقى منها ؟ أين المعارح التى صعدنا فيها كما يصعد البواب فى « أسنسر » فيصعد به إلى أعلى !!

هكذا فعل الإسلام بنا ، صعد بنا طفقات رفيعة ، فلم يركناه ؟ هذا شيء عجيب ، وبدأنا نشعر بأن العلم اردرانا ، أعداء يُعَيِّرُونَ علينا يَمُرُونَ

(١) رواه الترمذى عن أبي عباس فى كتاب فضائل الجهاد . باب ما جاء فى فصل الحرم فى سبيل الله . وقال الحديث حسن عريب لا يعرفه إلا من حديث شعيب بن رريق . تحفة الأحودى ٢٦٨/٥ ، ٢٦٩

(٢) الكيلو متر = مليون مليمتر . فتأمل امثال المذكور

(٣) اسك ٢٠ ، ٢١

بأحواء أربعة أقطار عربية ما يحس بهم أحد ، ويصرون المفاعل ويرجعون ما فقد أحد منهم بعله ^١ انتزع الله مهاشاً من قلوب أعدائنا فكان هذا الذي رأيناه ، قررنا أن نعود إلى ديسا ، الحقيقة التي أذكرها : أننا فعلاً قررنا أن نعود إلى ديسا بعد الضربات الموجعة والمطيمات المحزنة التي نالتنا من كل جهة ، بيدي لمست العودة من الأطلسي إلى الهدي إلى الهادي ، وإن كنت لم أذهب إلى المحيط الهادي ، لكن إحوتنا في هلبين في جهة مرور — يقاتلون قتال الخابرة ، ولكن هذه الهبة تحتاج إلى توجيه ، فإن الإسلام الهدي مهض بالعرب قديماً مهض بهم كما ذكرت لكم ، جعلهم طبيعه علمية ، وطلبة خلقية ، جعلهم أفقاً روحياً صافياً نقياً ، جعل قدرتهم المادية ونشاطهم العام موضع الاحترام في كل مكان ، إلا أن المسلمين الآن لما أرادوا العودة إلى ديسا ضل بهم الطريق ، ولم يحسوا بعودة لأهم أحبوا أن يأخذوا الدين قشوراً لا أن يأخذوه عقلاً نقياً وحقاً سياً وقلباً موصولاً بالله يستمد منه ويلجأ إليه ، ولألفت النظر إلى هذا المعنى ، لقد تأكدت أن المسلمين يجب أن يعيدوا لنظر في سياستهم التربوية وجماعية ، والأخلاقية والسيروكية ، والعلمية والثقافية ، حتى يمكن أن يقفوا بثبات أمام أعدائهم الذين تربصوا بهم الخطط التي رسمت لأكلنا بعيدة الهدي .

ف « هرتزل » قبل ستين من نهاية القرن التاسع عشر بدأ مع حكماء إسرائيل يخططون لأخذ القدس وفلسطين ، أي بدأوا من نحو ثلاث وثماني سنة .. ووضع أولئك الناس خطة خمسين سنة . ومعنى ذلك أنهم بذروا وتركوا لأولادهم ولأحفادهم أن يحرقوا البدر وأن يحققوا النتائج ^(١)

(١) لادريب في أن المؤسس الأول للصهيونية السياسية هو : « تيودور هرتزل » (١٨٦٠ — ١٩٠٤ م) سواء بكتابه « الصهيونية » (عام ١٨٩٥ م) أو بالمؤتمر الصهيوني لأول (عام ١٨٩٧) وقد صيغ برنامج (نال) لتنظيم الصهيوني العالمي على نحو التالي : « الصهيونية تستهدف أن تنشئ للشعب اليهودي وطناً في فلسطين مضموناً بواسطة القسوس العلم ، وللوصول إلى هذا الهدف يطالب المؤتمر بالوسائل الآتية

١ — تطوير استعمار فلسطين على أحسن وجه بالمرارعين والمهجرين ولتجارب اليهود
٢ — تنظيم اليهود وتوحيدهم في انعام أجمع في تشكيلات محمية أو قومية تبعاً لقوانين كل

بلد

٣ — نفوية الشعور القومي لليهودي =

لا توضع عدداً حصط من هذا النوع ، الخطط عدداً لحمسين يوماً
لا لحمسين سنة ، إن وُصِعت حطة ، الخطط سريعة مُرْتَحِلَة فيها قصور
الطموحة وقصور الفكر ، وجاء هؤلاء إلى فلسطين ، ودرسوا كل شر من
الأرض ، عرفوا المياه الخوفية هناك ، وعرفوا مهب الريح والقدرة على
استغلالها لطاقة هوائية ، بل الآن الطاقة الشمسية — تقريباً — مثلاً مدد
فلسطين ، ما السب ؟ هؤلاء درسوا الحياة ، الحكومة هناك غير
الحكومات في العالم الإسلامي ، الحكومات في العالم الإسلامي شيء آخر ،
حكومة هولندا مثلاً ، من ثلاث سنوات استقالت الملكة واحتفت عن
الأنظار ، لم ؟ لأن زوجها اتهم في قضية رشوة !! أتري ربك يزم هؤلاء
الذين يحسّون الحس ، ويقبّحون القبيح ، ويحقرون الرشوة ، ويحكمون
على المرتشين — ولو كانوا ملوكاً — أن يقتصوا ؟ أتري ربك يهرم هؤلاء
ويترك المسلمين أصحاب الفحمة تمتلئ خرائثهم بالمال
الحرام من كل ناحية ؟! وما يجرؤ أحد أن يقول لهم شيئاً !! أتري ربك
يهرم هؤلاء ويقول للمسلمين : احكموا بعالم بإباحة الرشوة أو بتيسيرها أو
بعدم اعتراضها ؟ أى كلام هذا ؟ أى فكر هذا ؟ الأمة الإسلامية لا بد أن
ترسم سياسة بعيدة المدى للحكم ، للمال ، المال الذي قال الله فيه :
﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾^(١) المال الإسلامي
هو الآن الطاقة التي تُحرك بؤك العرب في أمريكا وفي أوروبا ، مبادرات من
الدولارات يملكها العرب ماذا يفعل العرب هذه الأموال ، أب قرأت
لصديق مسلم يستعيث من أن الفقير المسلم في أندونيسيا يصيب ديه لأنه
محاح للطعام !! القرن الأفريقي جف ، الحفاف أكله ، ولا من يُعيث ،
والبعثات التبشيرية متخصصة في سرقة العقائد من أولئك العراة الخياع ،
من ثلاثين سنة جاءت امرأة بروتستنتية من أمريكا قرأت في العهد القديم
لتري (بَحْتَهَا) فوحدت كلمة (مصر) ، فقالت : أذهب إلى

٤ — المساعي التحضيرية للحصول على مواطنة الحكومات التي هي ضرورة لبوغ أهداف
الصهيوية انظر (فلسطين أرض الرسالات الإلهية) تأليف رجاء جبرودي ترجمة د عبد الصبور
شاهين ، ط مكتبة دار التراث

(١) النساء : ٥

مصر ، وجاءت إلى مصر ، وعرض عليها أحد الجنرالات أن يتزوجها
عأبت ، وفتحت « شقة » لها في « أسيوط » وأمام الشقة سرير
لفطاء ، أى لقيط تستقبه ، وآلآن — هى ماتت — لديها مستعمرة فيها
أكثر من ألفى شاب وشابة تنصروا على المذهب الإنجيلي — المذهب
البروتستنتي — أسأل : أين كان العلماء في معهد أسيوط ؟ أين
المسلمون ؟ أين الحكام ؟ لا شيء ، وكما قال القائل :

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

جاء الذئب فرعى الغنم لانه ليس لها حارس .. ليس لها
راع ، ما السبب ؟ أمة معفلة ، والقانون لا يحمي المعفل ،
مدا كما نصنع ؟ هذا ما سألت نفسي عنه ، ولذلك أجد لتوضيح الإجابة
أن ألفت أبطار المسلمين إلى أمرين ، وقبل توضيح الأمرين ، نلاحظ أن
القرآن دائماً يقول : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾^(١) نحو سبعين
آية : ﴿ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ما هي الصالحات ؟ الكلمة في اللغة
العربية كلمة عامة ، اسم موصول على صفة يفيد العموم ، كل شيء
صالح ، بالدراسة والفقه والتفكير وجدت أن الأشياء الصالحة نوعان لا
يغني أحدهما عن الآخر ، قسمان ، كما أن الكلمة اسم وفعل وحرف
فكذلك الأعمال الصالحة ، بعضها حدّد الشارع له وضعاً كالصلاة
ولركاة والصيام والحج ، فكل هذا له صورة خاصة ، له مواصفات
خاصة ، له أزمته وأمكنة محددة انفرد الشارع بها ، ولكن هناك أشياء
تركها الشارع لما دون تحديد ، لماذا ؟ لأن طبيعتها تفرض التغير والتطور
بين بيئة وبيئة وزمان وزمان ، هذا النوع الأخير نعطيه صورة سريعة ،
هناك أولاً الحقائق الدينية التي ذكرت ولم تذكر وسائلها ، مثل إقامة
العدل ، العدل حق ، والأثم التي يضيع فيها العدل لابد أن تهان ، وكما قل
ابن تيمية : إن الله يصير الدولة الكافرة بعدلها على الدولة المسلمة
بخورها !! وكما قال الله ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها

(١) البروج : ١١ .

مصلحون (١) وكما قال السيوطي رحمه الله : « إبه لا قدمست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير مُتَمَتِّع » (٢) كيف نقيم الحق ؟ هذه أمور نحتاج إلى وسائل تختلف باختلاف الزمان والمكان ، كيف أقيم محاكم لرؤساء والملوك والوزارات والكبراء والأعياء حتى أصص الحق ؟ ما هي المصالح التي أصعبها في المجتمع لتحجر المال الحرام وتستيفي لأصحابه المال الحلال ؟ هذا كله متروك للزمان والمكان واختلاف العصور ، الجهاد ، الجهاد حق ، لكن ما وسائله ؟ لم ترسم وسائله ، لكن إذا كانت الوسائل الآن مكشوكاً فصائياً فعلى المسمم الذي كتب عليه انقار أن يكون بارعاً في قيادة مكشوك فصائياً وإلا فهو حائر للإسلام ، لأن الشبوعية تقول : لا إله ، الكون ليس له صاحب ، العالم ليس له رب ، من لم يعحه هذا الكلام فعصانا في أيدينا نهُوى بها على أم دماغه !! فكيف تحمي التوحيد ؟ وكيف تحمي الإيمان ؟ إذا كانت الشبوعية مسحة بالأقمار الصناعية وأنت مسح بأحدل الفارع والكلام التافه فستهرم الإسلام وتصيب كلمة التوحيد من بين أصابعك ، لا وسائل لك لتحميها . فالصالحات نوعان : نوع حدد الإسلام مراسمه وصوره ، ونوع ترك الإسلام بلعقل العادي ، للفطرة السليمة ، للنية الخالصة ، للرغبة العميقة في حماية الكتاب والسنة ، ترك هذا لاجتهادنا الذي حدث أن الأمة الإسلامية بالنسبة لما وصيحت له مراسم وصور فرغت الصلاة من محتواها لروحي والأدبي والخلقي والخشوعي وجعلتها صورياً ، والتفتت للصور ، ولم تنتفت للروح ، وكانت النتيجة : صلوات لا تهى عن فحشاء ولا منكر .

أما ما لم يضع الإسلام له صورة فقد جهلناه تماماً ، لا يراى الطب يُستورد من الخارج ، الدواء لا يراى يستورد من الخارج والأسماء الأجنبية فوقه ، أين المسلمون ؟ العيب الخطير في دراسة الإسلام أن كلمة :

(١) هود : ١١٧

(٢) رواه ابن ماجه في الصدقات — باب لصاحب الحق سلطان ٨١٠٠٢ وفي الروايات . هذا سناد صحيح ، رجاله ثقات لأن إبراهيم بن عبد الله قال فيه أبو حاتم صدوق و (غير منقطع) أي من غير أن يصيبه أدى يفتله ويرعجه

مرض عين ، وفرض كفاية لم تُفهم على حقيقتها ، فهم الناس أن فرض الكفاية يعنى أنهم غير مسئولين عنه ، قد يقوم به الآخرون ويسقط من على أكتافهم ، لابد أن نعلم أن فرض العين وفرض الكفاية كلاهما مُطالب به لإسناد طلباً حازماً حاسماً ، وأن التفريط فيه حادة ، لكن يحتاج الأمر إلى شيء من الإيضاح ، هناك عبادة عامة ، لا يختلف الناس في أدائها يُحسبها الكل ، فالكيف بها قاسم مشترك ، لكن هناك عبادة أخرى تحتاج إلى موهبة معينة ، هي فرض على صاحب الموهبة يأتي من المجتمع أو يتقدم هو إذا كان يأس من نفسه التقدم .. أما رجل لا أستطيع بناء هذا المسجد لكسى أستطيع بناء مقالة أو بناء كتاب ، هذه موهبتي ، فتأليف الكتاب فرض على ، يُحرى الله يوم القيامة — وأعود بالله — إذا فرطت في هذا الفرض ، فهو فرض عين بالنسبة لي .. الذى يستطيع الإشراف على بناء هذا المسجد فرض عين عليه أن يقيم البناء وأن يشرف عنه ويحزيه الله يوم القيامة إذا فرط فيه .. هناك مجموعات من الأعمال لا يهضر الإسلام إلا بتشكيته ، المجتمع يبحث عن الشخص الذى يصح للطب ، الذى يصح لصيدلة ، الذى يصلح للمهندسة ، فإذا حثرت الإنسان ليكون طبيباً فمعنى ذلك أن مهارته في الطب وأداءه لنصلاة ركنان في حياته ، كلاهما كالأخر تماماً ، يُسأل عنه أمام الله ، لم ؟ لأن عقيدة لتوحيد لا تبقى في لأرض إلا إذا خدمتها هذه التشكيلة من المواهب . الذى حدث أن أعداداً كبيرة من المسلمين لم تفهم أن الإسلام يحذل في شؤون الدنيا كما يحذل في المحراب ، ولذلك وحدا أعداداً من المسلمين بموج بعضها في بعض ، لماذا ؟ الدجاج الذى تأكله لا يرى كيف دبح ؟ سبحان الله !! هل تربية الدجاج تحتاج إلى عقل درى ؟ هل إقامة مزارع للدجاج تحتاج إلى عقريات تُستورد من أمريكا أو من أيرلندا ؟ والله يوم يحتاج المسلمون في تربية الدجاج إلى خبراء من كل ناحية فإن بقاءهم في الحياة لا معنى له وفروغ الحياة مهم أفضل ، ما الذى يجعل المسلمين عجرة في كثير من الميادين ؟ شئت مع اليهود فبعسا اليهود ، شئت مع البصارى فبعسا البصارى ، شئت مع الشيوعيين فبعسا الشيوعيين ، أفغانستان هجموا عليها بين عشية وضحاها ، وبقي المسلمون يتسولون سلاحاً ، وإذا وجدوا

سلاحاً يتسولون من يدرّب عليه وإذا وجدوا السلاح والمدرّب يتسولون
الطبيب الذى يداوى الحرحى ، ما هذا كله ؟ إننى أطلب من المسلمين
بإحاح أن يبدأوا فبعثوا فكرهم عن الدين والدنيا فإنهم بهذا التفكير القاصر
سوف يهرون الهزائم على أنفسهم فى ميادين كثيرة ، وكما قلت ، والله
وجدت شباباً مخلصاً ، وحماساً لله رائعاً ، ورعة فى اعتداء الدين عميقة ،
لكن الأمر يحتاج إلى توجيه ، وإلى رسم الخطط السليمة ، وإلى العمل
البارع الرائع الذى يربطها بديس ويجعلنا نحس خدمته على نحو سليم شديد .
أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

★ ★ ★

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد﴾ (١)

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

الهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد .

أيها الإخوة .. الإسلام الآن في القرن الخامس عشر له ، لو مددت بصرى إلى تاريخنا القديم وتساءلت : هل ستراح الإسلام يوماً ؟
الجواب . لا ، إن الأعداء تربصوا به ، ووقفوا له بالمرصاد في كل ميدان ، إن رب العالمين لم يفترص علينا الجهاد إلا لأنه يعلم أن كل حادم للباطل يكره الحق ، وكل حادم للوثنية يكره التوحيد ، وكل حادم للشرك ينتصب معترضاً للقافلة لتى تكرر ربها ، وتذكر أمداده ، وتُحيى كماله وجماله وجلاله . لقد درست الإسلام ، وأقول : الحمد لله على نعمة الإسلام وتوفيق الإيمان ، إن الله لمَّا ورثكم هذا الدين تَوَجَّعكم شرف أرجو أن يكون جميعاً أهلاً له ، إن عبوديتنا لله الواحد شرف ، وإن تعيينا لى الحاتم — النبی العربی المحمد — شرف ، لكن أعداء الله ورسوله كثيرون ، وهم يضمنون علينا بهذا الشرف ، وقد تواصوا فيما بينهم أن

(١) الشورى : ٢٥ ، ٢٦

يصيغوا الإسلام ، وأن يمحووا كتابه ، وأن يسقطوا نوبته ، تواصلوا
 بينهم ، وعقدوا المؤتمرات على هذا ، أنا لا أستعرب عداوة عدو لأنى
 درست تاريخنا — أربعة عشر قرناً — ووجدت أن القبح يطارد الحمال ،
 والحسة تطارد الشرف ، ولكذب يطارد الصدق ، وأتباع الخرافة في كل
 ناحية يكرهون الكتاب الذى قرأ مره . ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق
 نزل ﴾ (١) فلا استعراب إذا وجدنا الأعداء كثيرين ، لكن العربة أن تمام
 من عبيك والأعداء يُستون بدحك إلى الألف مليون مسلم الذين
 يتسبون إلى هذا الدين — على ما بهم — يُراد لهم الشر ،
 والعلم يربص بهم ، ولكن قل أن ألوهم الآخرين بينهم ما ، أريد أن أقول
 للمسلمين ما دمتم لا تُرشدون بهضتكم ، ولا تحسون خطتكم فلا
 تلوموا أعداءكم ولوموا أنفسكم ، نحن بحاجة إلى أن نحسن أداء واجبنا وأن
 نتعرف بذكاء وألمعة كيف نخدم ديننا ، وكيف نرد الأعداء عنا ، لقد
 وجدت شاباً فيهم ضيعة فعلاً ولكن يتحدثون إلى من يضعهم على أوائل
 الطريق لكي يخدموا دينهم خدمة فيها صواب وهاتيجة ، أما الطريقة التى
 يعيش بها الكثيرون من حماس ينقصه العقل ، أو من معرفة يفتقصها
 الإخلاص فإن هذا لا يخدم الإسلام .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا
 التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة
 زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (٢)

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى
 قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٣) .

أيها الإخوة .. وقبل أن نقيم الصلاة ، المصروف أسأ بالأمس تكون قد
 أرسبنا الحجر الأساسى لمسجد ومعهد دينى وقاعة محاضرات بـ « الراوية
 الحمراء » لكن تأخر هذا إلى هذا الأسبوع ، وإن غداً لناظره قريب ،

(١) الإسراء : ١٠٥

(٢) مسلم والسنائى وأحمد

(٣) العنبر . ١٠ .

بحر كما أوصحب لكم بتوافق على أن افاهره نفى عاصمة للإسلام ، وأن
وجهها الإسلامي لا يقبل بته أي تغيير له أو أي تشويه فيه .
عناد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (١)
أقم الصلاة ...

★ ★ ★

(١) التحف - ٩٠ - .

نعم للتوحيد...

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه ١٩٧٣ م
لحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على
الظالمين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ،
وهو على كل شيء قدير .
وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ،
والسراج المنير .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين . أما بعد

فإن التوحيد حقيقة الإسلام الأولى وحاصته التى تمرد بها ، وعقيدة
التوحيد هى الشارة التى تمير المسلمون باعتناقها ، والراية التى عرفوا بالجهاد
دفاعاً عنها ، وتمكينا لها ، قال تعالى : ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو
الرحمن الرحيم ﴾ (١) وقال : ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ (٢)
وقال : ﴿ إن إلهكم لواحد . رب السماوات والأرض وما بينهما ورب
المشارك ﴾ (٣) والاتصال بالإله الواحد معروف فى أعصار كثيرة ، وفى
أقطار كثيرة إلا أنه اتصال مضطرب جداً فى بعض الأديان ، ومضطرب
اضطراباً حقيقياً فى بعض آخر ، فإن عبدة الأصنام ما يرفعون أنهم منكرون
للإله الواحد ، إن السين عبدوا اللات والعزى ومناة ... إن أبا سفيان
عندما قال فى عروة أحد : أغل هس ، إن الوثنيين الذين أشركوا مع الله آلهة
أخرى كانوا إذا سئلوا : ﴿ من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن
العزير العليم ﴾ (٤) كانوا مشركين ولكم يؤمنون بالله الواحد . فإذا
سألهم : ما هذه الآلهة التى اختلقتوها مع الله ؟ قالوا :

(١) البقرة ١٦٣

(٢) البقرة ٢٥٥

(٣) الصافات ٤٠ ، ٥٠

(٤) الزخرف : ٩

﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^(١) ويجادلهم القرآن جدلاً حساساً : ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾^(٢) مشركون ولكم يقولون في الإجابة على هذه الأسئلة كلها : « الله » !! ﴿قل أفلا تتقون﴾ ألا تدعون الشرك بعد هذه الإجابة . ﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون﴾ كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون^(٣) .

وفي الدنيا الآن نحل ومِلل ومذاهب كثيرة ، منها مذاهب تنكر الألوهية بآلة ، ويعيش أصحابها في الدنيا هملاً ، ليس لهم معتقد يربطهم بالله جل جلاله ، ومنهم من يؤمن بالله الواحد ولكنه يتسبب إلى الله أنه يجهل^(٤) ويدم^(٥) ، ويلاكم ويغلب ويهرم^(٦) إلى آخر ما وصفت إصحاحات العهد القديم أو ما يُسمى عند اليهود بالتوراة ، ومنهم من زعم أن الله الواحد هو مثلث^(٧) وللمثلث زوايا : أ ، ب ، ج . أب وأم وروح قدس !! ومنهم من زعم أشياء أخرى كثيرة ، ونقول نحن المسلمين : لكل امرئ ديه ، نحن الذين شرفنا الله بالحق وهدانا سواء السبيل ما بكل أحد رعباً عنه أن يعتقد ما نعتقد ، نحن مكلفون أن نشرح للناس إيماننا الصحيح ، فمن اقتنع به ودخل فيه فهو منا ومن لم يقتنع به ورفض لدخول فيه فله وجهته ومالنا عليه من سبيل ، يقول الله لنبيه ﷺ ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾^(٨)

(١) الزمر : ٢

(٢) يونس : ٣١

(٣) يونس : ٣٢ ، ٣٣

(٤) انظر سفر التكوين الإصحاح الثالث والرابع

(٥) انظر سفر التكوين الإصحاح السادس

(٦) انظر سفر التكوين الإصحاح الثاني والثلاثين

(٧) انظر إنجيل متى الإصحاح الثامن والعشرين

(٨) الشورى ١٥

نحن المسلمين نشعر بأن الله أكرمنا بنبيه محمد ﷺ وشعر بأن هذا
 الإنسان الخليل المهيب الكبير قد هدانا إلى الحق يوم عرفنا الوحدانية
 الصحيحة ، ويوم أرسل الله على قلبه هذا الكتاب الكريم بين لنا معالم
 التوحيد ويشرح حقائق الإيمان ويقصا على بصراط المستقيم ويخبرنا تحت
 راية الحمد في الدنيا والآخرة .

لكن الذي يرفضه ويدفع عن دها فيه ولا يستمه لغيرنا أن يجيء بعض
 الناس فيقول : إن المسيحية في الإسلام !! يقول له : إذا كنت تقصد بهذا
 أن عيسى بن مريم عليه السلام ، وأن الإنجيل الذي نزل عليه وحى من الله
 خلقه يقرر عقيدة التوحيد والخواء ، ويوجب على عيسى وغيره ، من الناس
 إقام الصلاة وإيتاء الزكاة فهذا كلام صحيح ما سكره ، فإن الله جل شأنه
 نأ أن عيسى أجاب عن نفسه وعن رسالته فقال : ﴿إني عبد الله آتاني
 الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة
 ما دمت حياً وبرأ بما دني ولم يجعلني جباراً شقياً . والسلام على يوم
 ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ (١) وكلمة السلام هنا على عيسى
 تشبه كلمة السلام على يحيى في أول السورة : ﴿وسلام عليه يوم ولد
 ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ (٢) فإذا كان المقصود بأن المسيحية في
 الإسلام هذا المعنى فهذا كلام صحيح ، فإن توراة موسى وإنجيل عيسى
 كتب مُمهدة للقرآن والقرآن مُصدق لها بقيا ، ونحن مكلفون أن نؤمن
 بهذه الكتب التي مضت وباحترام الرجال الكبار الذين جاءوا بها ، لكن
 بعض الرسائل انتشرت الآن تقول : إن المسيحية التي تعني التثني وتعدد
 الآلهة في إله واحد في الإسلام نفسه !! ولما كنت رجلاً من حدم القرآن
 الكريم وأعرف ديتي فقد تناولت هذه الرسائل وأب مطمئن ، لماذا ؟ قلت
 لكم إن المحامي عن قضية صحيحة لا يفتق.. خصوصاً إذا كانت القضية
 عامرة بالأدلة التي تدفع عنها ، مديعة بالبراهين التي تدمع بالطل وتتركه راهقاً

(١) مريم ٣٠ - ٣٣

(٢) مريم ٢٥

تناولت هذه الرسائل — وأنا أعرف مصدرها ، وأعرف الأقلام التي
 سطرتها — تناولت هذه الرسائل وقرأتها ولم أحدُ بدا من أن أصحح !!
 ماذا ؟ سأعرض على إخواني المسلمين — هنا — كيف أن هؤلاء الناس
 يتصيدون في القرآن الكريم كلاماً لا يشهد لهم أبداً ، بل يشهد عليهم ،
 وينبغي الأمر في ذلكُ حداً يثير الصحت .. يقول الله جل شأنه ﴿ يا أهل
 الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى
 ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله
 ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له
 ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ﴾ (١) لكن
 الرسالة التي تُشر الآن ، والتي أنفها أحد كهنة الكنائس يساً ، وقتدى فيها
 برئيس المسيحية في بلدنا ، يقول — وأرحو ألا يصيق أحد أو يعصب في
 الصيق أو العصب لا يخيئان بطائل — يقول — تحت عنوان بالثلث : شهادة
 للإسلام لثالث المسيحية : ربما تتعجب يا عزيزي القارئ إذ أقول : إن
 القرآن يذكر ثالث الله الواحد تماماً كما تؤمن به المسيحية ، فقد مرَّ بنا أن
 ثالث المسيحية هو ذات الله وكلمته وروحه وهذا هو عين ما ذكره القرآن
 في آية واحدة : ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها
 إلى مريم وروح منه ﴾ (٢) في هذه الآية يتصح أن الله له ذات ، في قوله :
 (رسول الله) فكلمة رسول الله ، معناها ذات الله ، وقوله :
 « وكلمته » معناها أن عيسى الأقوم الثاني أو الشريك في الثبوت ،
 وقوله : « وروح منه » تأكيد لعقيدة الثلث !!

أنا قرأت هذا الكلام واستعربت له ، أدركته في رأسي مراراً ، كيف
 يُعهم من قوله تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على
 الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم
 وروح منه ﴾ كيف أن « رسول الله » ذات الله ؟ كيف أن « كلمته »
 اعصر الثاني في الثالث ؟ كيف أن « وروح منه » تكون تأكيداً بلعصر
 لثالث ؟

(١) النساء : ١٧١

(٢) النساء : ١٧١

هذه الحممة — التي تحدث عنها الكاهن — جملة من آية طويلة تقول : ﴿ لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد ﴾ هل هذا الكلام معناه أن الله ثلاثة !!؟ هذا شيء عجب !! هذا شيء مدهش !! ولكن :

وليس يصح في الأفهام شيء * إذا احتاج النهار إلى دليل^(١)
 ماذا تقول لرجل يقول لك : ﴿ قل هو الله أحد ﴾^(٢) معاها أن الله ثلاثة !! هذا دماغ محرب ، وكاهن — مسكين — يؤلف ورقا لا أشك أن آمال الأمريكى من وراء هذه الطياعة ، ولكن أن لا أهم هذا ، إنما الذى يهمنى أن أرى كيف شهد الإسلام لتثييث ؟ القرآن شهد لتثييث !! أين هذه الشهادة ؟! هذه واحدة .

الشيء الثانى : بدأت أبحث — كطبيب نفسانى ، كعالم مسلم يعالج الصلاات بين الخلق ، وسر عروج بعض الناس — فوجدت أن الرجل يخطئ وأن غيره يقع في نفس الخطأ بسبب أنه يطر إلى الصفات ويحسمها فيجعلها دواتا !! كيف ؟ يقول : إن الله موجود بذاته ويطلق عليه الأب ، وباطق بكلمته ويطلق على ذلك الابن ، ونحى بروحه ويطلق على ذلك الروح القدس !! هذا الكلام أشرحه شرحا عاقلا هادئا لاغضب فيه ، الله جل شأنه الذات الأقدس ، له كلام ، هل سكر أن الله متكلم ؟ لا ننكر هذا ، ما كلامه ؟ الوحي الذى نزل به الأمين على المرسلين كنهم ، هذا نوع من الكلام ، هناك أيضا كلمات لا حصر لها ، فإن الكلام ترجمة الإرادة الإلهية وبيان ما تسجته القدرة العلي في عالم الأحياء والإماتة ، في عالم الإشقاء والإسعاد ، في عالم الإيجاد والإعدام ، وكلمات الله هنا لا تنتهى ، ويقول الله — في هذا ميسا أن كلماته الدالة على علمه ، وعلى قدرته ، وعلى سعة ملكوته ، وعلى بسطة نموده — يقول : ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾^(٣)

(١) من شعر المشي . ديوانه شرح البيهقي ١٤٢ / ٢

(٢) الإخلاص ١

(٣) الكهف ١٠٩٠

صفة الكلام صفة أثبتناها لله بيقين لكن كيف مُسح فكر إنسان فتصور
أن صفة الكلام تجسدت وأصبحت شخصا اسمه عيسى !!؟ كيف تتجسد
صفة ، أو كيف تتحول صفة من صفات الله إلى ذات ؟ هذا هو البله !!

الشيء الثالث : أن الله حي ، من قال : إن حياته هي الروح القدس
يعنى الإله الثالث ؟ هو حي بذاته ، ويوم يجعل الحياة صفة وتدل على إله ،
والكلام صفة ويدل على إله فمادا فعل بالصفات الأخرى ؟! الله علم
واسع إذاً يتحول الثالث إلى رابع ، الله قدرة إذاً يتحول الرابع إلى
خاموس ، الله رحمة إذاً يتحول الخامس إلى سادوس !! ويمكن أن تتحول
الصفات بهذا المطلق الأبله إلى أشياء كثيرة ، هذا نوع من العجز العقلي في
فهم الأمور ، الله الواحد له صفة الكلام ولا صلة هذا الكلام بشيء ، كون
عيسى كلمة الله ككلام آدم كلمة الله !! معناه أنه وُجد بكلمة « كن »
كن بشرا فكان بشرا هذا معنى « وكلمته » ﴿ إن مثل عيسى عند الله
كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (١) فإنسان خلق مثل
ومثل غيره كيف يكون إلها ؟ وكيف يتحول الواحد إلى ثلاثة أو الثلاثة
إلى واحد ؟! هذا شيء يضحك الإنسان له ، ويستغرب وحوذه ، القول
بأن الثالث في القرآن شيء مصحح بيقين !! ويعجب الإنسان لأن الفصل
الثاني في رسالة الكاهن بعنوان : شهادة الإسلام لتثبيت والتوحيد ثم أربعة
أبواب .. أولا : شهادته لتوحيد المسيحيين ، ثانيا : شهادته لثالث
المسيحيين ، ثالثا : شهادته أن المسيح كلمة الله ، رابعا : شهادته للروح
القدس !!

أتناول الباب الأول في هذا الفصل . يشهد القرآن للمسيحيين بأهم
مواهبهم لله وغير مشركين !! نحن يسريا أن يكون الناس موحدين ، ونحن
لا نلتمس للأبرياء العيوب ، ولكنا نستعرب عندما يحاول بعض الناس أن
يرمي التهمة عنه فيثبتها !! إن الله عز وجل يعتبر من يؤمن بثلاثة آهة كافرا ،
والقرآن في هذا حاسم ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما
من إله إلا إله واحد ﴾ (٢)

(١) آل عمران : ٥٩

(٢) المائدة : ٧٣

ويقول حل شأنه ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴿^(١)﴾ اعتبر هذا شركاً ، وفي سورة براءة يقول : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ ^(٢) اعتبر هذا شركاً ، لكن الرجل قال بساطة — : إن الإسلام يقول في المسيحيين إنهم مؤمنون !! ما دليلك ؟ قال : في سورة العنكبوت يقول لقرآن : ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ ثم حذف من الآية : ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ وذكر الكلام بعدها : ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد﴾ ^(٣) ثم قال : وهذا يشهد القرآن أننا نحن المسيحيين أهل الكتاب بعد الله الواحد !! هذا كلام عجيب !! فكوي أقول لعدة الأصنام : ربي وربكم واحد ، فليس معناها أن الذين يعدون الأصنام موحدون ، كوني أقول لأى إنسان : ربي وربك الله ، فليس معناها أنه مؤمن بالله ، ومع ذلك فمن هم أهل الكتاب ؟ أهل الكتاب : هم اليهود والنصارى على سواء ، فهذه الآية تشمل اليهود وتشمل النصارى متساوين ، فإذا كان النصارى مؤمنين بالله فاليهود مؤمنون بالله أيضاً ، وإذا كان اليهود يكفرون بعيسى وأمه ويتهمون بالربا ويتهمون عيسى بأنه لقيط فكيف تُطبق الآية عليهم ؟ وكيف يوصفون بالإيمان ؟

دليل آخر يقال : ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ ^(٤) هذا كلام حميل ، ونحن نصدق هذا الكلام ، لكن لماذا يُقطع هذا الكلام عما بعده ؟ لقرأ ما بعده لنعرف تمة القصة : ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم

(١) المائدة : ٧٢

(٢) التوبة : ٣١

(٣) العنكبوت : ٤٦

(٤) المائدة : ٨٢

لا يسكتون، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين . فأتاهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴿١﴾ هذه هي الآيات . فمن أحب أن يهيم بها ما يهيم الذي يقف عند قوله تعالى : ﴿ ويل للمصلين ﴾ (٢) ثم يسكت !! فهذا لون آخر من الفهم لا يمكن أن يعترف به عاقل ولا أن يحترمه مصنف .

آية أخرى جاء بها الكاهن : ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعتك إلی ومطهرک من الذین کفروا وجاعل الذین اتبعوک فوق الذین کفروا إلى يوم القيامة ﴾ (٣) هذا صحيح ، فمن الذي اتبع عيسى ؟ لسطر إلى الآيات ، قل هذه آية آية تقول على لسان عيسى : ﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الخواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ (٤) فالذين يتبعون عيسى على أنه عبد لله يُخْرِى الله على لسانه : ﴿ إن الله ربي وربكم فاعبدوه ﴾ هم المسلمون ، ونحن الذين سعلت إلى يوم القيامة مصداق قوله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (٥) .

إن الخذل يسرى ، ونحن مسلمين أبرع الناس في دعم الحق بأدلة ، وأبرع الناس في سحق الشبهات التي تعترض طريقه ، وقدما قيل لعالم : مالدتك ؟ قال : في حجة تتبحر اتصاحا وشبهة تتضاءل افتصاحا !!

(١) مائة ٨٢ — ٨٦

(٢) الماعون : ٤

(٣) آل عمران ٥٥

(٤) آل عمران ٥١ — ٥٤

(٥) النوبة : ٣٣

و نحن المشتعين بالعلم الدينى نعرف أن الاسلام فى مدان إعلاء الحق وإثبات التوحيد تمر أمامه شياطين الأرض ، وتهرم أمامه قوى الباطل لالشيء إلا لأنه على الحق قام وبالحق يضى : ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ (١) أما التلاعب بالألفاظ ، وبلاهة بعض الناس فى ذكر الأمور التى لا تفهم فلا يمكن أن يكون أساسا لقيام دين الحق .

شئ آخر يُصم إلى ما قلنا . يحاول بعض الناس القول بأن قضية التثليث فوق العقل ، ويسعى أن يؤمر بها على هذا النحو !! ونجيب بأن هناك أمرين محتملين تمام الاختلاف ، هناك أمور فوق العقل ، وهناك أمور يحزم العقل باستحالتها ، فإذا قال العقل : الجزء أقل من الكل ، أو الواحد نصف الاثنين فهذه قضية لا يمكن أن يُقبل بقيصها أبدا ، أما إذا قيل للعقل : إن لروح مبهمة فلا تستطيع أن تفهم سرها فإن العقل يُسلم لأنه لا يستطيع أن يفهم سر الدرة أو سر الكهرباء ، هناك أمور يحكم العقل بعجزه عن فهمها ، وهناك أمور يحكم باستحالة وقوعها ، مما يحكم العقل باستحالته أن الثلاثة واحد ، ومما يحكم العقل بأنه عاجز عن فهمه : ماهى الروح ؟ ماهى الدات العنيا ؟ هذا أمر فوق طاقة العقل البشرى لأن المحدود يعجز عن فهم المطلق ، أمور يسغى أن نعرف حدودها حتى لا نتيه أو نغرق فى محارها ، وبعد ذلك لنا تنمة إن شاء الله .

أقول قولى هذا وأستعفر الله لى ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

عباد الله

أريد أن تفتحوا قلوبكم لما أقول : إن أمتنا تمر بفترة عصيبة جداً ،
وإننا يجب أن نتوحد قواً وراء جيشنا الذي عُيِّن لاستقبال اليهود المعتدين
والرد عليهم رداً يقنعهم بأن الظلم مرتعه وحيم وأن عاقبة الظالمين مشئومة ،
لا نريد ثأناً أن تنقسم جهتنا في الداخل ، لا نريد ثأناً أن يُشعل المسلمون
بأمر قد يُسيء إلى وحدتهم أو يُوهن قواهم في مواجهة عدوهم ، وأنا
أدري — أدري جيداً — أن للاستعمار العالمي عملاء درهم وأمرهم في هذه
الأيام أن يُثيروا فتنة ، وأمرهم في هذه الأيام أن يشغروا بما يخص المسلمين
بمعلول ويفقدون صوابهم وتكون هناك مأسا تحسب علينا لآلنا ، ولذلك
فأنا أطلب من المسلمين بإخاح ، وأرجوهم من أعماق قلبي أن يُصوتوا
الفرصة على العملاء ، وأن يدركوا أن هناك نامسا مكلفين بإحداث فتنة ،
فلنطفيء الفتنة نحن ، إما سرود عن ديسا مهلوء ، بعقل ، بحكمة ، ولن
سمح لأحد أن يجرنا إلى معركة تُسيء إلى حكومتنا أو أمتنا أو حبهتنا أو
وحدتنا ، إيسى أليح من أعماق قلبي : قوتوا الفرصة على الفتانين .. العملاء
الذين يشتعلون لحساب دول أخرى تريد لنا البوار ، وتنمي لنا الانقسام ،
والعار ، أريد من المسلمين أن يضبطوا أعصابهم ، يستمعون أدى كثيراً ،
إما لن نسكت عن أي مساس بعقيدتنا ، لكن في حدود تفهيم المسلمين
الحق وحمايته مهدوء ، إن حطة عدونا استغفال المسلمين ، أن يطلق هو
والمسلمون في عجلة ، وحطتنا نحن أن لن ندع الصلال يطلق ولكن طريضا
أن يستيقظ المسلمون من عملتهم ، هذا ما نريده فقط : ﴿ وسيعلم الذين
ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ (١) إن الخونة سيدفعون ثمن حياتهم من

(١) الشعراء ٢٢٧

دمائهم ، كما لا يريد أن يحون بلدينا — هذا بلدنا نحن — لا يريد أن يحونه بالانزلاق إلى فتنة يصيب مستقبل هذا البلد ، إيسى ألح وألح على المسلمين أن يهتروا الفرصة . قرأت هذا الكتاب ، وقرئت عشرات بالمئات غيره ولم تهتر لي شعرة لأنني عرفت أن المقصود استثارتنا ، تثبيت بالإسلام ، عدم ولدك الإسلام ، قد ولدك إلى المسحد . صَحَّ المسمين النائمين وقل لهم اثبتوا عبي ديبكم — هذا ما يمكن أن يقال الآن ، لا يريد أن نعطي عدونا فرصة فإن القوى العالمية — وهي حصم لدود لنا ترقب أن نتصرف بحماقة لتسال منا ، فضيعوا الفرصة على الخوة وعلى المتربصين .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

وأقم الصلاة

★ ★ ★

(١) رواه مسلم والنسائي وحمد

(٢) الحشر : ١٠

تأملات في سورة الممتحنة

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه
يونيو ١٩٧٣ م

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراح المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

ففى القرآن الكريم سورة يمر أكثر الناس بها لا يُنقون إليها بالأ ، لعل عراة أسلوها ، وطرافة موضوعها جعلها لا تقفُ الناس بإزائها ولا تحملهم على تدبرها واستبانة ما فيها ، وأمرُ بهذه السورة فأتدبرها وأقف طويلاً بإرائها ، وأحياناً أسمىها سورة الحب فى الله والبعض فى الله ، أو سورة التعصب للحق ، أو سورة الوفاء للمبدأ أو العيش به ومن أجله .

هذه السورة اسمها فى المصحف سورة « الممتحنة » ، وكلمة امتحنة تعنى : المرأة التى هاجرت من مكة إلى المدينة تاركة زوجها وعشيرتها وأهلها مؤثرة عليهم جميعاً أن تذهب إلى المدينة المورة كى تُلحق بالمجتمع الإسلامى وتعيش فى كنفه ، هذه المرأة هى التى سُميت السورة باسمها ، ونزلت فيها آيات سوف نقرأها ، لكن السورة كما ذكرت لكم

تدور حول محور أعمق ، وتتجه إلى أهداف أبعد ، ومع أنها نزلت من أربعة عشر قرناً وأحاطت بنزولها مناسبات خاصة إلا أن هذه السورة لا تزال تُركى مشاعر بحر حاجة اليوم إلى إرکائها ، وتقرر أحكاماً نحن بحاجة اليوم إلى تقريرها .

والسورة عند النظر السريع تتكون من ثلاثة أقسام قسمها الأول نزل في السنة الثامنة من الهجرة — قبيل فتح مكة — في نفس الاستعداد للفتح والمير العام الذي عُيِّن فيه قوى المسلمين في المدينة كي يستعدوا لهذا الفتح ، أما وسط السورة المتعلق باسمها — وهو الممتحنة — فإنه نزل في السنة السادسة أوائل السابعة بعد معاهدة الحديبية . وأما آخر السورة فنزل بعد فتح مكة في السنة الثامنة وهذا ترتيب غريب في السورة أن يكون أولها في صدر الثامنة ، وآخرها بعد الثامنة ، ووسطها قبل السابعة !! ولكن السدى استيقنا منه أن المصحف الذي نقرأه الآن على الترتيب الموجود عليه هو المصحف بترتيبه في سجل اللوح المحفوظ عند رب العالمين ، ولكن ينزل منه أو ينزل منه أول ما نزل وفق المناسبات التي تتطلب توجيهاً خاصاً وهداية معينة ، فإذا نزلت هذه الهدايات تلبية للمناسبات التي طلبتها فإن صاحب الرسالة ﷺ يأمر بوضع الآيات في المكان الذي يلهمه الله أن يأمر بوضعها فيه وفق ترتيب المصحف عند رب العالمين (١) .

إن الواحد منكم قد يفتح المصحف يقرأ أول ما يقرأ فاتحة الكتاب وهو يعلم أنها نزلت بعد الميثر ، ويقرأ بعدها سورة البقرة وهو يعلم أنها نزلت بعد فاتحة الكتاب بأكثر من ثلاث عشرة سنة أي في العهد الأول للهجرة ، لكن هذا النزول المتأخر غير الترتيب عند الله في اللوح المحفوظ بدليل أن قارئ الفاتحة يدعو في ختامها : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (٢) وتجيء سورة البقرة بياناً لطريق الهدى فيقول جل شأنه :

(١) روى الترمذي والحاكم وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه أسور فوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : « ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا قال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقال الحاكم - صحيح على شرط الشيخين .
(٢) الفاتحة : ٦ .

﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾^(١) فالسورة الصغيرة التي فُتح بها المصحف جاءت سورة البقرة تلبية وإجابة لدعاء المؤمنين فيها . والترتيب عند الله قائم حسب مصحفنا الذي نقرأه ، فكل محاولة لتغيير هذا الترتيب أو الخروج عليه فهي محاولة لتفريق الوحي وإبعاد الناس عن الترتيب الطبيعي له

إن السورة كلها نزلت كي تجعل المسلم يحيا لمعتقدده ، ويعيش وفق منطق الإيمان ، فإذا أملى الإيمان حيا أحببنا ، وإذا أملى كرها كرها ، وإذا أملى رواجاً تروجنا ، وإذا أملى طلاقاً طلقنا ، وإذا أملى بيعه بايعنا ، وإذا أملى قطيعة قطعنا . أساس السورة أنها نزلت كي تجعل المؤمنين يَحْيَوْنَ الله ، ولذلك بدأت السورة تؤكد معنى ما أوحى المسلمين إليه في أيامهم هذه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾ أى أصدقاء : ﴿ تلقون إليهم بالمودة ﴾ ماذا صنعوا ؟ ﴿ وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ﴾ لأنكم آمنتم بالله أخرجوكم ﴿ إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيل وابتغاء مرضاتي ﴾ أى فلا تعملوا هذا ، وعلى من تُحبون بياتكم وتطوون أعمالاً غير لائقة في طواياكم ؟ ﴿ تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾^(٢) نزلت هذه الآيات كما قلت لكم الآن قبيل فتح مكة ، والسبب في نزولها^(٣) أن رجلاً من المسلمين اعترته ساعة ضعف ، فلما علم بذكائه أن العدة تُعد لفتح مكة أرسل كتاباً مع إحدى النساء إلى أصدقاء به في مكة يبلغهم بما يقع في المدينة ، وكأنما يحذرهم ما يُعد لهم هذا تصرف عريب ، هذا عمل لا يبيق ، وقد يوصف بالخيانة ، كيف يقع هذا العمل ؟ إن الرجل اعتذر عن نفسه لما كشف عمله وقُبض على خطابه الذي أرسله ، قال للنبى ﷺ : أبا رجل مؤمن ، ولكى في مكة لا عزوة لى ولا مكانة ،

(١) البقرة : ٢ .

(٢) الممتحنة : ١ .

(٣) كان سبب نزول صدر هذه السورة المباركة قصة حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه وقصته في الصحيحين .. أخرجهما البخارى في كتاب الجهاد . باب الجاسوس ٧٢/٤ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة . باب من فضائل أهل بدر رضى الله عنهم ١٦٧/٧ ، ١٦٨ .

وحشيت أن تدور بالمسلمين الدوائر فأردت أن تكون لى يد هناك ،
 إذا ما أصبأ لم يُكَلِّرا لى !! واللى عليه الصلاة والسلام كما
 وصفه رب العالمين . ﴿ بالمؤمنين رءوف لاجم ﴾ (١) ، إن عُمر رضى الله
 عنه قال : يقتل هذا المنافق !! لكن النبى ﷺ فى محاكمته لرجل نظر إلى
 ماصيه ، فوجدده صاحب ماص طيب ، فمس أمحاده أنه ممن حضروا
 «ندراً» فعدَّ الرجل ، أو بتعبير أدق رَقَّ له ، وقُدِّر أن ساعة ضعف ألُمَّت
 به فحعلته يرتكب مالا يديق ، وقرر أن يعصو عنه ، لكن العفو عنه ربما فهم
 الناس مه أن ذلك الموقف يُقل أو سهل أو يُتجاوز عنه ، وهذا لا يكرى
 أبداً ، ويستحيل أن تكون لهذا الموقف عند الله صفة القبول ، إنها دلة أن
 تُصرب فتستكين ، إنها وصاعة أن يعتدى عليك فتقبل العدوان فى ديك
 ودياك ، إنه لا يجوز إذا أهين الإنسان فى معتقده، وإذا أصيب فى كرامته
 اللببية والديوية ، لا يجوز بتاتاً أن يبقى ذلك بالتسليم والخضوع ، يجب
 أن يعضب لربه ونفسه ، يجب أن يمع أى شعور بالرضا أو بالطوادة يتسلل
 إلى قواده ، يجب أن يعصب لله وأن يحقد على من أهان الإسلام والمسلمين
 ومن استباح حرمانهم وتحاور حدودهم وبان منهم ، ولذلك نزلت الآية ها
 فى مطلع تلك السورة تكره للمسلمين هذا المرقف وتقول لهم :
 ﴿ لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما
 جاءكم من الحق ﴾ (٢) ثم بين حل شأنه أن هؤلاء الذين هادئاهم أو أرسلناههم
 أو أسرربا مودتهم ، بين أن هؤلاء يكرهون الإيمان ، ويحبون أن يحتشوه من
 جدوره ، وأن ياثوا عليه من قواعده ، وأن يروا المؤمنين كفاراً ليس فيهم
 موحد ، وليس فيهم من يبقى على الإسلام أو يعتر بالامتساب إليه ، فقال
 مبياً حالهم : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم
 وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ﴾ (٣) ثم بين حل شأنه أن الصلوات
 التى تربط بين الناس بالدم أو بالمال أو بأى نوع من الصدقات أو المهادنات
 لا قيمة ها عند الله . ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم ، يوم القيامة

(١) التوبة : ١٢٨

(٢) المتحة : ١ .

(٣) المتحة : ٢ .

يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ﴿١﴾ ما الموقف الواجب ؟ ما المسلك المفروض على المؤمنين في مثل هذه الأحوال ؟ المسلك ما صممه إبراهيم عليه الصلاة والسلام والمؤمنون معه صد أعدائهم الكافرين بالله : ﴿٢﴾ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا نبرأؤ منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ﴿٣﴾ إن قول إبراهيم لأبيه مستثنى من القدوة الحسنة ، لأن قول إبراهيم لأبيه إنما حدث لأن إبراهيم أُمِّلَ في إيمان أبيه وبذلك دعا له ، لكنه لما علم أن أباه عدو لله تبرأ منه : ﴿٤﴾ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴿٥﴾ هذا المعنى له تنمة نذكرها بعد قليل ، قبل أن نذكر هذه التهمة نريد أن نعرض لوسط السورة وآخرها . وسط السورة تحدث عن الممتحنة التي سميت السورة باسمها ، حدث في السنة السادسة للهجرة أن عاهد النبي عليه الصلاة والسلام قريشاً بمعاهدة تضمنت شروطاً مثيرة في ظاهرها مستعرة في بواطنها ، فإن هذه الشروط تضمنت : أن من ترك مكة مؤمناً لم يستقبله المسلمون في المدينة ولم يفتحوا أبوابهم له ، وأن من ترك المدينة مرتداً تركه المؤمنون ليبحقوا بأشركين في مكة دون عائق .. هذا الشرط معروف أن النبي ﷺ اتخذ وأبعض المسلمين حاك في نفسه شيء من الصبغ والتردد لولا أن النبي ﷺ حسم الأمر وأمضى العقد (٤) ورجع المؤمنون إلى التسليم لله ورسوله ومضت المعاهدة دون أن يعترضها بعد ذلك شيء ، لكن نزل القرآن الكريم باستثناء يقول إذا حرج مؤمن من مكة وفوا بالعهد فلا

(١) الممتحنة ٣

(٢) الممتحنة ٤

(٣) التوبة . ١١٤ .

(٤) هي الصحيحين أن عمر بن الخطاب قال : « يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على لباطل ؟ فقال : بلى ، فقال : أليس قتلنا في الحة وقتلناهم في النار ؟ قال : بلى ، قال : فعلى ما يعطى الدنيا في ديب ؟ أترجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال لا بن الخطاب « يا رسول الله ، بر يصيغني الله أبداً » أخرجه البخاري في كتاب الجيرة — باب إثم من عاهد ثم غدر ١٢٥/٤ ومسلم في كتاب الجهاد — باب صلح الحديبية في الحديبية ١٧٥/٥

تستقبلوه في المدينة ما دام ذاك ما تعاهدتم عليه ، لكن إذا خرجت امرأة مؤمنة من مكة تريد اللحاق بالمدينة فلتفتح لها الأبواب ولا يجوز أن تُرد إلى مكة .. إلى زوجها ، أو أهلها بعد أن تركتهم ابتغاء ما عند الله ، إنا قبلنا ألا تفتح الأبواب في المدينة للرجال (١) ، أرض الله واسعة يستطيعون أن يخدموا الإيمان في أي مكان ، يستطيعون بولائهم لعقيدتهم أن يستقروا في أية بقعة من الأرض وأن يجعلوا منها وطناً جديداً للإسلام ، أما المرأة إذا سمعت من أن تدخل المدينة فإنها تتعرض للاء ومتاعب هي دوسها ، ما تستطيع أن تتحملها ، فنزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ (٢) احتبروهن .. ترى هل خرجن فعلا بدوافع الإيمان للخالص والتقوى لرب العالمين .. ما خرجت امرأة منهن طالبة رية أو مبتغية شهوة جنسية ؟ فإذا استيقنا من أنها خرجت مؤمنة حقاً اتسعت لها المدينة واتسعت لها القلوب ، ووجب أن تستقر في المدينة المنورة استقراراً لا ريب فيه ، بل مضى الإسلام في طريقه يقول : — منها المسلمون إلى شيء يجعلهم — ما دامت هذه المرأة جاءت مؤمنة تاركة زوجها الكافر فيسبغى أن تتركوا أنتم معشر الرجال الزوجات المشركات ولا بأس أن تتزوجوا المؤمنات المهاجرات المقلات ما دام قد استبان أنهن خرجن لله كارهات للكفر والكافرين ، فتكن المكافأة لهن أن يجدن بيوت المؤمنين مفتحة لهن . ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ﴾ (٣) أي عوّضوا الكفار الذين تركتهم روحانهم .. أعطوهم تعويضاً ، أعطوهم ما دفعوا من مهر، ثم : ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ (٤) يمسح العقد بيسكم وبين الزوجات لكافرات (٥) ، وهنا يستطيعون معشر المؤمنين أن يستبدلوا

(١) ففي المعاهدة : « وعلى أنه لا يأتيك ما رجل وإن كان على دينك إلا رددته عبداً » البخاري ٣٨٠/١ فم تدخل النساء في العقد رأساً

(٢) (٤٠٣ ، ١٠) المصحف : ١٠ .

(٥) على صحيح البخاري عن المسورين بحرمه ومروء بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاء نساء من المؤمنات ، فأمر الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴾ إلى قوله ﴿ ولا تمسكوا بعصم الكوافر ﴾ فطلق عمر بن الخطاب يومئذ رأيي كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ونصاحة في الحرب ٢٥٧/٣ .

من أولئك النسوة المهاجرات هذا تصرف بُنى تشريعه على أساس عاطفة
 احب في الله والبعض في الله وتقدير ذلك .. كان ذلك في السنة السادسة
 والسابعة أيام عهد الحديبية ، ثم فتحت مكة في السنة الثامنة ، ودخل كثير
 من الرجال في الإسلام ، بايعهم النبي ﷺ غداة الفتح ، ثم انعقدت بيعة
 أخرى للنساء ، وبيعة النساء جاءت بعد بيعة الرجال ليعلم أن المجتمع لا بد
 أن يكون طرفاه أوجاحه أو جنساه معاً على درجة واحدة في الاتصال
 بالإسلام ، والفقه في تعاليمه ، والأداء لحقوق الله المقررة ، والاستقامة مع
 مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم .. وجاءت النسوة المبايعات ورئيستهن أو
 طبيعتن امرأة أنى سفيان — هددت عتبة — آكلة كبد حمرة بن
 عبد المطلب — سيد الشهداء وعم النبي ﷺ — لكس محال إلا ما
 ما صنعت ، افتتحت صفحة جديدة بإيمانها ، كما بكرها الله فأصبحنا بعد
 أن آمنت بقبلها ونرضى ببيعتها بل نطربها لتلك البيعة : ﴿ يا أيها النبي إذا
 جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنبن
 ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتاناً يفترينه بين أيديهن
 وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبائعتهن واستغفر لهن
 الله إن الله غفور رحيم ﴾ (١) أصع خطوطاً تحت كلمة ﴿ ولا يعصينك
 في معروف ﴾ كأن أحداً ولو كان رسول الله ﷺ لا يطاع إلا في
 معروف ، ويستحل أن يأمر رسول الله ﷺ إلا بالمعروف ، ولكن
 كلمة .. ﴿ ولا يعصينك في معروف ﴾ إشارة وتوكيد إلى العلاقات بين
 الناس جميعاً لا تحترم إلا إذا كانت وفق مراد الله وما يرضاه وما قرره في دينه
 وما رسمه في وحيه ، أى وفق قواعد المعروف ، أما الممكر فلا طاعة فيه
 لأحد أبداً (٢) وختمت السورة بعد ذلك بآية أكدت أولها ، وفي الوقت
 الذي أكدت فيه أولها تجعلنا نسأل عن التهمة التي وعدت بها .. يقول الله

(١) المنحة ١٢٠ .

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال . قال رسول الله ﷺ « السمع والطاعة حق على
 امرئ المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة » متفق عليه
 رواه البخاري في الأحكام — باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ٧٨/٩ ومسلم في الإمارة
 — باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٣/٦

آخر السورة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ (١) .

هل معنى الهى عن تولى الكافرين أو مصادقة الكافرين ، هل معنى ذلك أن مجرد الاختلاف في الدين يؤسس عداوة بين المسلمين وغيرهم من خلق الله ؟ لا . هذا غير صحيح ، مجرد الاختلاف في الدين لا يُنشئ عداوة بين المسلمين وغيرهم من الناس ، فإن الاختلاف في الدين قد تكون له أسباب فوق إرادات الخلق .. الإسلام دين عدل ، ودين إنصاف ، ودين منطوق شديد ، وكما قلت لكم : تميز الإسلام بأنه دين العقل واعدل . إنه يقول . الخلاف في الدين ليس سب العداوة ، إنما سب العداوة أن يجيء أحد الدين حالفون في ديني فيحور على ويتكرلى ويتعمى الريبة في محتسمى ، ويطلب السكال لى دون سبب .. هذا الذى ينال منى هو الذى ينمى أن أنظر إليه شرراً وأرمقه بعين فيها صيق وعضب ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) كأن الذى يلعب بى أو يستهزئ بى أو يتعرض لى أو يهاجمنى أو يفعل أفعالا سخيفة بإرائى هذا هو الذى لا يحور أن أصادقه ولا يجوز أن أتولاه .. فلنعد إلى السورة التى شرحنا صدرها ورأينا كيف هى الله فيها عن مصادقة أعداء الله وأعدائنا قل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ مجد أنه بعد عدة آيات يقول . ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةَ وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) إن ديننا يشترط إلى السلام وإلى إقراره وإلى الأمن والطمأنينة وعهودهما الرحية لطية ، ويسى على هذا حكماً محدداً فيقول : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

(١) المسححة ١٣

(٢) مائته ٥٧ ، ٥٨

(٣) المسححة ٧

وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴿١﴾ انبر والقسط صفتان أعامس بهما مُحالِفَيَّ في الدين ، نبر والقسط ﴿٢﴾ إنما يهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴿٣﴾ هذه سورة المسحة ، سورة الحب والبص في الله ، سورة التعصب للحق والبدأ ، ومعاملة الناس على أساس ذلك كله . ولما تعقب عمى على ذلك في الحظيرة الثانية إن شاء الله أقول فولى هذا وأستعصر الله لي ولكم .

★ ★ ★

(١) مسحة ٨

(٢) مسحة ٩

الخطبة الثانية

الحمد لله . ﴿ الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴾ (١) .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المين .

وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله إمام الأبياء وسيد المصلحين .
الهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد

أيها الإخوة : لم يحدث على طول التاريخ الإسلامى أن كان المسلمون أصحاب تعصب أحق أو أصحاب عُجْهة عسة في معاملة غيرهم من الناس الذين لا يؤمنون بدينهم ، بل مع أن التاريخ الإسلامى تـصـمـن أخطاء كثيرة بالحكام ولعـص الفقهاء إلا أن هذا التاريخ ليس فيه أن المسلمين عاملوا مخالفهم في الرأى بالغبـاوة والضغينة والتحدى الذى انطـوأت عليه قلوب غير المسلمين عندما يحكمون ويتولون الأمور ، وقد قال لى مسلم ساذج — وهو تعبير مُخَفَّف لـأى اعتبرته مسلماً مغفلاً — قال لى : إن قانون بـاء الكنائس مخالف لصـ الدستور الذى يبيح حرية العقيدة . فقلت له : إن هذا القانون لا بد منه ، وهو قانون محترم ، ولم يسنه الحكام لكى يصادروا به عبادة أو يُصيـقوا به على طائفة ، أو يفرضوا الإسلام على أحد من الناس ، ولكنك إسان لم تدرس ولم تدرك ثم اندفعت بسذاجة أو بغفلة تحكم حكماً رما دمرت به بلدك ودينك !! قال لى : كيف ؟ قلت له : لو أن إخواننا الأقباط أرادوا بـاء كنيسة لهم ليعبدوا الله فيها ومنعهم المسلمون فأنا معهم صد المسلمين حتى نُسـى كنيسـتهم التى يعبدون الله فيها !! عمر بن الخطاب

(١) الشورى : ٢٥ ، ٢٦

رضى الله عنه رفض أن يصلى في الكنيسة حتى لا يتحد المسلمون الكنيسة مسجداً ، وجعلها تبقى لهم كنيسة .. وهذا عهد الله عندنا وشرف الإسلام فيما علما ، لكن هناك شيء يفعل لا صلة له بحرية الاعتقاد ، يوم يطلب الأقباط بناء كنيسة للعبادة فلتس لهم كيستهم ، أما إذا كانت لديهم كنيسة يعبدون الله فيها وتسعهم ييقين ثم أرادوا بناء ثانية وثالثة ورابعة ها يقال : لِمَ ؟ لا معنى لهذا التزيد في البناء ، وهذا اتوسع فيما لا معنى له . إن الصليبية العالمية توغر إلى عملائها أن يصنعوا الطابع المسيحي على الأرض حتى يُبصار الإسلام ويُفهم أن هذه الأرض ليست أرض الإسلام !! هذا خطأ ، مادامت هناك كنيسة تكفى فلا معنى لبناء ثانية وثالثة ورابعة ، ولا معنى لتحدى الكثرة المسلمة ، إن « لبنان » أوعر لأوريون إلى الموارنة هناك أن يضعوا الصليب على الجبال حفراً ، وأن يقيموا معالم تحمى شارة الصليب !! لِمَ ؟ لأن المراد صبغ الأرض بالصيغة لمسيحية أو طبع الأرض بالطابع الصليبي ، لا معنى هذا إذا كانت كثرة لأمة مسلمة .. إذا كنت تريد عادة فأنا أبى لك ما تعبد الله فيه ، أما أن تريد بناء ما يعنى في قيامه أن الأرض ليست للإسلام وأن المسلمين الكثرة قلة فهذا هو التحدى الذى لا معنى له ، والحكومة مقدورة السوك .. مشكورة التصرف عندما استبقت هذا القانون .. لأنه قانون حكيم وعادل .. افرص أنى أصلى في الأزهر ، فحاء رجل أحقق فأراد أن يبى كنيسة أمام الأزهر !! لم تببها أمام الأزهر ؟ تريد إثارة فتنة ، ليست هذه عادة . إن لإسلام هدم مسجده الضرار ، وهو مسجد ، لأنه بُنى لعبادة ، فلا معنى لأن نبى كنيسة أمام الأزهر ، أببها لك في مكان آخر وتعبد الله وأنت مطمئن في هذا المكان ، إذاً هناك فرق بين بناء الكنيسة لعبادة الله وبين بناء الكنيسة لوضع الطابع الصليبي على الأرض ومكاثرة الأمة التى تسعة أعشارها مسلمون كى يقال : إن التراب ترابنا والبلد بلدا إلى غير ذلك من السحف المنكور والادعاء المعموس الذى لا وزن له في التاريخ ، ومع ذلك فإن مرة أخرى أقول للمسلمين : والله ما نطبع فيكم طامع إلا لأنكم أسأتم أصلة بربكم وأوهتم العمل بكتابكم واجترأتم على حدود الله فيما بينكم . ولو أنكم أدبتم حق الله عليكم كاملا ونهضتم

بالطلوب مكم وافراً ما فكر أحد في أن يبال مكم ولكن الأمر كما قال
القائل :

إذا أنت لم تعرف لمسك حقها هوانها كانت على الناس أهوانا

وألفت النظر إلى أن مستقل بلدنا محفوف بالأخطار ، وأن العد
القريب والبعيد يتطلب من المسلمين عقلاً ووعياً . -

« اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا
التي فيها معاشنا . وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة
زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقون بالإيمان ولا تجعل في
قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ (٢) .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (٣)

أقم الصلاة

(١) مسلم والنسائي وأحمد

(٢) الحشر : ١٠

(٣) النحل : ٩٠

منهج وطريق

خطبة عيد الأضحى المبارك ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م

بساحة مسجد مصطفى محمود بالهندسين

﴿ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير . يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ﴾ (١)

الحمد لله كما ينغى للحلال وجهه وعظيم سلطانه .

الحمد لله حمداً مُضَاعَف الشكر والثناء والتحميد .

﴿ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الدل وكبره تكبيراً ﴾ (٢) .

الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .

الله أكبر ما بقيت الأرض بادن ربها تُطعم وتُسقى ، وتُكْفَى (٣) وتؤوى .

﴿ ألم نجعل الأرض كفاتاً * أحياء وأمواتاً * وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماءً فراتاً * ويل يومئذ للمكذبين ﴾ (٤) .

(١) مائاً : ٢٠١

(٢) الإسراء : ١١١ .

(٣) تُكْفَى : تجمع وتضم .

(٤) المرسلات : ٢٥ — ٢٨

الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .

وها هي الأرض تستقبل أوائل المييار السادس على ثروتها المباركة .
خمسة مليارات من الخلق ، ماذا يلحظ أولو الأبواب في هذا العدد الصخم ؟
خمسة مييارات فَمَ تَطْعَمَ من رزق الله !! خمسة مليارات يَدَ تَطْطَشُ بقدرة
الله !! خمسة مليارات قَدَمَ تَسْعَى بِإِذْنِ الله !! والعجب أن الذي دفع قوفل
الأحياء تمشي على ظهر هذه الأرض لا يشعله شأن عن شأن !! فهو في
الوقت ابدى يأمر المَحَ فيصدر تعاليمه لجهاز الأعصاب في البدن كله ، في
الوقت الذي يُصدر تعاليمه لِكُلِّ كِي تَقَرَّرُ الأذى وتطرده من البدن ، في
الوقت نفسه تراه يُدير القمر حول الأرض ، ويدير الأرض حول الشمس ،
ويجعل الشمس تجري لمستقرها ، ويعثر في الفضاء الواسع والملوكوت
الصخم ألوقاً مؤلفة من المحرات التي تسبح بحمد ربها ، ما يزيغ قلبك من
مساره ، ولا يحرف كوكب عن مداره !! إن لدى يُدير الأمر عند سُدرة
المنتهى هو الذي يدبر الأمر في جهاز هَصْمِي أو عصبي لحشرة تزحف على
طهر الأرض !! ما أعظم ملكوت الله !! ولكن المكذبين لا يعلمون ﴿ ويَلِ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ إنا ننظر إلى عظمة الله ، وإلى جلال الله ، وإلى فصل
الله ، وإلى حكمة الله فنشعر بحسوع العبودية وإحلاص من يتوجهون
بسرائرهم وبصائرهم إلى ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه !! قد يقول
قائل : ذكرت أن الله يُطعم كل فمٍ ومنه سبحانه بصَّر كل ذى بَصَرٍ وَسَمِعَ
كل دى سَمْعٍ ، إنك ذكرت الخير وم تذكر أن هناك أفواهاً جائعة ،
وأمراساً شائعة ، ومتاعب كثيرة وآلام شتى ، فلم نَسِيتَ ولما ذكرت ؟
والجواب : أن الخير من الله سبحانه وإليه ، إن الله سبحانه أصبح هذه
الأرض وبارك فيها وقَدَّرَ فيها أقواتها وقال للناس ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ (١) قال للناس : سيروا وفق أوامري ، وامضوا حسب
تعليماتي تطفروا بما أودعت في الأرض من حيرات وما يسرت لكم من
رحمات ، ولكن ما تكون عليه الحال عندما يرى أمماً لديها قناطر مقنطرة من
الخير فتأني إلا أن تحتكر لنفسها ما تحب وأن تحرق المحاصيل الزائدة حتى

لا يَرَحُصُ السَّعْرُ ۱۱۹ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (١) ماذا نقول
لأَمْ تُجْنَدُ الْأَمْوَالُ فَبَدَلٍ أَنْ تُجْعَلَ تَذْهَبُ لِأَفْوَاهِ الْحِيَاكِ تَصْنَعُ بِهَا أَسْجِدَ
الدَّمَارِ الشَّامِلِ ۱۱۹ إِنَّهَا أُمُّ تَفْسُدَ فِي الْأَرْضِ ، وَهَذَا الْفَسَادُ هِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ
وَمَأْخُودَةٌ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢) .

فِي يَوْمٍ مَا كَانَ الْفَسَادُ يَمَلَأُ الدُّنْيَا ، وَكَانَتِ الْجُمَاهِيرُ قَدْ زَاغَتْ عَنْ
وَحْيِ اللَّهِ ، وَكَانَ مِنْ يَحْمِلُونَ الدِّينَ عَيْدًا لِلدُّنْيَا ، وَكَانَ السَّاسَةُ وَالْقَادَةُ
مَدْهُولِينَ عَنْ رَبِّهِمْ مَشْغُوبِينَ بِشَهَوَاتِهِمْ فَابْتَعَثَ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ الْإِنْسَانَ
الَّذِي قَرَّرَ أَنْ يُصْلِحَ الدُّنْيَا بِهِ ، فَقَدْ قُلْنَا وَمَا نَزَالَ نَقُولُ : إِنْ اللَّهُ رَبُّي مُحَمَّدًا
ﷺ لِيُرَى الْعَرَبُ بِهِ ، وَرَبُّي الْعَرَبُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ لِيُرَى بِهِمُ النَّاسُ
أَجْمَعِينَ !! ذَاكَ يَوْمٌ يَعْرِفُ الْعَرَبُ رِسَالَتَهُمْ ، وَيَوْمٌ يَحْسُونُ مَسْئُولِيَّتَهُمْ ، وَيَوْمٌ
يَلْزَكُونَ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ !!

إِنْ الْعَرَبُ اسْتَمَعُوا فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ — وَهُوَ الَّذِي
نُذِيرُ عَلَيْهِ حَطَبَتَنَا الْآنَ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣) هَذَا الْعِيدُ — عِيدُ الْأَصْحَى — هُوَ عِيدُ
اِكْتِمَالِ الدِّينِ ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ ، وَتَبْيِثَةِ أُمَّةٍ تَهْضُ بِرِسَالَةِ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ تُسَعِّدُ
نَفْسَهَا وَتُسَعِّدُ النَّاسَ أَجْمَعِينَ .

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ بَكْنَ اِكْتِمَالِ الدِّينِ لَمْ يَتِمَّ بَيْنَ عَشِيَةِ وَصَحَاهَا ، إِثْمًا اِكْتِمَالِ
الدِّينِ بَعْدَ أَنْ ظَلَّ الْقُرْآنُ يَنْهَمِرُ بِحَيْرَاتِهِ وَبِرَكَاتِهِ مَحْوَرِيعَ قُرُونٍ خِلَالَ رُبْعِ قُرُونٍ
كَانَ نَبِينَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُرَى الْأُمَّةَ الَّتِي تَهْضُ بِرِسَالَتِهَا ، وَتُؤَدِّي
الْحَقِيقَةَ الْكَامِلَةَ الَّتِي زَاغَتْ أُمُّ عَنْهَا ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ
فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ فَهُمْ وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤) وَإِنَّهُ مِنْ

(١) يونس : ٥٩ .

(٢) الروم : ٤١ .

(٣) المائدة : ٣ .

(٤) النحل : ٦٣ .

الممكن بقيادة محمد عليه الصلاة والسلام وبجمهور في بصارة السلف الأول واستحكام عقله وقدرته على الاتباع في شئون الدين والاندفاع في شئون الدنيا ، إنه لمن الممكن بهذه القيادة وهذه الجماهير أن تهض حصاره .

الحصار التي أقامها الإسلام بدأت فكراً حراً ، ونُحَقِّقُ قويمًا ، وصراطاً مستقيماً ، وتوحد الآن مذاهب وفلسفات قطعت من عمرها سبعين سنة ولكنها ما حُلَّتْ في الأرض إلا الأحقاد ، ولا استبقت بين الناس إلا الإلحاد ، وما عاشت — ولا تعيش — إلا في ظلمات الاستبداد !! أما الأمة الإسلامية فقد جار عليها الزمن دهرًا ، ومع ذلك أوى الإيمان إلى قلوب واثقة من ربه إن أضلهم عليها يومها أُمّت الشروق في غدها واستمسكت بعروة الحق حتى تنتصر به إلى آخر الدهر !!

أيها المسلمون يجب أن نعرف أن اكتمال الدين وتمام النعمة — كما يُرشد إليهما عيد الأضحى — يطلب ما أن ندرى بدقة ماذا علينا ، وما الذي نصنعه حتى نقوم بوظيفتنا ، الدين اكتمل ، والأمة ابعثت به فاضاءت المشارق والمغرب ، لكن مرة أخرى نستدرك ، كيف تم هذا الدين ؟ أو ما هي العناصر التي يمكن أن تؤدي باستكمالها واجباتنا ؟ يقول الله تعالى : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون . فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ (١) .

ثلاثة عناصر يريد أن نتدبرها تكررت في القرآن أربع مرات وهي تحدد طبيعة الرسالة التي يعتقها المسلمون ومكتوب عليهم أن يهضوا بها .

أول هذه العناصر : التلاوة : ﴿ يتلو عليكم آياتنا ﴾ ثاني هذه العناصر : التزكية ﴿ ويزكيكم ﴾ التزكية هي التربية ، ثالث هذه العناصر : التعليم ﴿ ويعلمكم الكتاب والحكمة ﴾ .

العصر الأول : وهو التلاوة ... يسعى أن يُعرف على حقيقته فليست التلاوة أن يحىء قراء حسو الصوت لكي يقرأوا الآيات منعومة ويستمتع

(١) البقرة : ١٥١ ، ١٥٢ .

الناس إليها وهم مسرورون بموسيقاها !! لا التلاوة هنا تعنى : عرض مهج ، تعنى : تقديم بروح ، تعنى : رسم الخط اليبانى للأمة — للأمة كلها — فالتلاوة تعطى صورة محممة للإسلام فى عقائده وعاداته وأحلانه وأعماله ، يقول الله تبارك وتعالى ﴿ كذلك أرسلناك فى أمة قد خلعت من قبلها أم لتتلوا عليهم الذى أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾^(١) التلاوة هنا : رسم منهج ، وبيان طريق ، وإعطاء صورة عامة للملاحم الإسلام ، وهذا حسن ، فإن عيب بعض المسممين أنهم يدركون جانباً من جوانب الحق ويذهبون عن بقية الجوانب ، والتلاوة عندما تفرع الآذان ، وتصل إلى القلوب إنما تعرض الإسلام متكاملًا ، ولا بد من هذا التكامل بجميع دقائقه وأسرارِهِ .

العنصر الثانى :

وهو التزكية .. وهو عصر أصاعه المسممون للأسف .. ﴿ يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ﴾ التزكية : هى التربية ، كل أمة لا تبنى لا خير فيها ولا تؤدى واحبها ، التربية هى تكميل النفس الإنسانية بقمع أهوائها ، وإطلاق خصائصها العيا وهو ما قاله الله تعالى فى مكان آخر ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد غاب من دساها ﴾^(٢) لا قيمة لإيمان يكون أوراقاً مُلصقة بالكيان الإنسانى ، قد تُدارى عورته أو تستر تشويهاً فى اُحذار ، الإصلاح الحقيقى : عمل داخل النفس الإنسانية ، وكل ما يولد وله شهوات قد تكون جامعة ، وله طباع قد تكون رديئة ، وكل ما فى بيئته قد تتسلل إلى أحواله عادات سيئة ومسالك رديئة ، لا يقوم دين ما بقيت هذه الشهوات تُحَمَح ، وما بقيت هذه العادات تُسيطر ، لاند من تركية ، والتزكية كانت العنصر الثانى فى أغلب آيات القرآن بعد التلاوة ، وإن كانت قد جاءت فى دعوة إبراهيم آخر بعاصر اشلاثة

(١) الرعد : ٣٠ .

(٢) الشمس : ٧ — ١٠ .

﴿ يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (١) التكملة التركيبية العصر الثاني أو العصر الثالث فالواو كما يقول علماءنا لا تفيد تعقيماً ولا ترتيباً ، وإنما المهم أن نُحسن الحس وأن نُقبح القبيح ، وأن نسير بطباع بعيدة عن أهوى ، وأخلاق بعيدة عن العوج . مرُّ بأمنا هذه — حتى في أيام انهيارها ، — مرُّ بها زمان كان التلميذ لو وُصف بالغش لآهر وجهه ، أو حاول استنكار ما نُسب إليه ، لا تزال بقية خير في النفوس ، أثر التركيب القديمة يوم كان للدين أثره ، ثم وجدنا يوماً أن هناك غشاً جماعياً تتواصى به فصول ويتواصى به مُربون وأولياء أمور ١١ كيف تنجح أمة يتحول فيها الضلال إلى أن يكون عنصراً سائداً يعيش الناس في ظله ١١٩ .

وما استيحة يوم أن يخرج طبيب وهو غاش مغشوش ، أو مهندس وهو غاش مغشوش ١١٩ كيف تُسلم الأمة زمامها إلى أناس هم خريجو العش ١١٩ .

إن العظمت قد أصاب النصر الإسلامية في صميمها ، وليس هناك أمل إلا فيمن يُربون داخل جماعة إسلامية . إن التربية لا تسمح ببث شيطاني ، التربية هي زرع أشرف عليه المشرفون ونُموه بعين الله ، وسقوه حتى نضج ، ومنعوا عنه الآفات حتى اكتمل وأعطى حصاده كاملاً موفوراً ، هذه هي التركية ، وما تتم إلا بتعهد ، وما أحوج المسلمين إلى صناعة التربية ، فإنهم بغير هذه الصناعة لن يصلح لهم لا حديد ولا نحاس ولا شيء من هذا كله ، النفس أولاً ، الإنسان هو عنصر انجاح أو الفشل ، هو عنصر النصر أو الهزيمة ، وهذا ما فعله سبي الإسلام عليه الصلاة والسلام فقد صاع من العرب شعباً هو بعقله المثقف وبقلبه المستنير وبما أودع الله في سرائره من خير هو الخير كله وكان النجاح كله .

العصر الثالث :

التعليم . ﴿ ويعلمكم الكتاب والحكمة ﴾ كثير من المفسرين طن

أن الحكمة هي السنة ، وهذا تفسير قد يصح في بعض المواضع التي ذكرت فيها الحكمة في القرآن الكريم ، كلمة « الحكمة » ذكرت في القرآن الكريم أكثر من عشر مرات ، وهي تُفيد أن العمل الصحيح المتقبل إنما يتم بصدق النظر وحسن الفقه ، وأنه مع الجهل لا تقوم حكمة ، إنما تقوم الحكمة مع الحكم الدقيق والنظر الصائب في الأمور ، وهذا ما نحب أن يعرفه الناس ، وقد ذكرت كلمة « الحكمة » في مواضع شتى .. منها قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ ﴾ (١) وذكرت في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۚ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۚ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۚ ﴾ ذلك لما أوحى إليك ربك من الحكمة (٢) نحن محتاجون إلى أن نتعرف كيف نقيم العناصر الثلاثة لرسالتنا .. ﴿ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُرَكِّمُ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (٣)

الحقيقة أن الأمة الإسلامية اكتملت تعاليمها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولكن ظهر من انحراف بهذه التعاليم أو ابتعد عنها أو أساء إليها فماذا كانت النتيجة ؟ بدأنا ننحدر عن المكانة التي بلغ إليها آباؤنا ، كان آباؤنا العالم الأول خلال ألف سنة تقريباً ، من علماء أضاءت الدنيا ، ومن أخلاقنا انقضت شهوات ، إن الأمة الإسلامية تُسقى وحده في تصحيح الأفكار ، وفي صيانة الأعراض ، وفي ضبط السلوك وفي ذكر الله وتحري رضاه والاستعداد للقاءه !! لكن أمتنا الآن بلغ بها حد الانحراف مكاناً طوح بها في مهاوى الذل ، وأصبحت أمة أخرى غير الأمة الأولى !! .

أمة تعرض الحق يجب أن تعلم ما يأتي .. يوم تكون يدنا السفلى تتسول من غورنا طعامنا فإن من يكون أسفل اليد لا ينتظر من الآخرين أن يتبعوه ، إنما يتبع الناس من يده العليا ، والجهد علم في البر والبحر والحو

(١) لقمان : ١٢ .

(٢) الاسراء : ٣٦ — ٣٩ .

(٣) البقرة : ١٥١ .

ويوم يفشل المسلمون في علوم البر والبحر والحو التي لا ينتصر الحق إلا بها ،
ويوم يمدون أيديهم لتلتقط الفئات من الآخرين فإيهم لن يعرفوا الإسلام بهذا
الضياع وبذلك الجهل !! أمّا ربما تريد أن تُسير سفينة فحاج إلى
(علم) آخر لكي تستطيع السفينة أن تسير ، سفينة عزلاء لا تستطيع
أن تمشي وحدها ، هي بحاجة لأن تدخل في جوار قوى ، وأن تسير تحت
« علم » قوى فإذا كان لقوى كافراً بالله أو ضعيف انعم به أو مثلاً —
يؤمن بالأب والابن والروح القدس — أفتظنون أن هذا الضياع العلمي
والحنيف الحضاري يُعر الإسلام ويدعم كلمة التوحيد ؟! إن أمّا محتاجة
إلى أن تعرف نفسها والمدى الواسع الذي تخلفت في مبادئ طريقه ، إنها
أمة لم تحس الاستماع إلى كتاب ربها ، أحياناً أقول وأسأل نفسي : إنه تعالى
ذكر لنا في كتابه الذي أمراً بثلاثه وتعلمه . ﴿ الله الذي سخر لكم
البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (١)
أقول : من الذي نُقِد هذه الآية ، ومن الذي استمع إليها ؟!! ليست
لنا سفينة مدنية أو عسكرية صنعها في بلدنا .

ليست لنا حاملة طائرات !! ليست لنا مدمرات ولا طرادات !!
ليست لنا أشياء نحكم بها الأمواج ونسير بها في البحار !! من الذي استمع
إلى هذه الآية : ﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه
بأمره ﴾ استمع إليها الروس ، استمع إليها الأمريكان ، استمع إليها
الأوروبيون ، أما نحن فستمع لا لنترى ولا لنمكث حضارة سحية غالية
منتجة ، لا . إنما استمعنا وقلوبنا بعيدة ، إن أمّا تخلفت
كثيراً ، وما تستطيع أن تعود إلى محدها الأول وعظمتها الغابرة إلا يوم تقيم
العناصر الثلاثة التي شرحناها ، وأمامنا بعد ذلك تعليق في الحظية الثانية
لا بد أن تستمعوا إليه إن شاء الله .

أقول قولي هذا وأستعفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿ الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ﴾ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويريدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿ (١) .

أشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام النبيين وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد

أيها الإخوة .. كان يوم الجمعة الذى مضى من أيام الإسلام الحزينة ، ووقعت فيه وقائع مؤسفة يندى لها الحيين ، ويُحس المؤمنون بإرائها أسهم عصوا ربهم وابتعلوا عن صراطه المستقيم . أحب أن يعرف — أيها الإخوة — بعض الطبائع للأمة والأزمة التى تقررب فى ديسا . عندما أقسم الله بأوطان الرسالات السابقة قال :

﴿ والتين والزيتون . وطور سين . وهذا البلد الأمين ﴾ (٢) فالخاصة الأولى والبارزة فى البلد الحرام — مكة — أنها بلد الأمان .. ﴿ أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويُتخطَّف الناس من حولهم ﴾ (٣) وعندما امتس الله سبحانه وتعالى على سكان الحرم من عليهم بئنه وعر لهم من الحريات الاقتصادية والسياسية ما جعل الناس لا يجوعون ولا يَقلَقون فقال جل شأنه : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت . الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ (٤) .

(١) الشورى : ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) التين : ١ — ٣ .

(٣) الصكوت : ٦٧ .

(٤) قريش : ٣ ، ٤ .

لا خوف هنالك ، البلد آمن ، لا في عهد الإسلام وحده بل
مبدأً إبراهيم في الناس بالحج ، كان الرجل يلقي قاتل أبيه في الشهر
الحرام أو في البلد الحرام فلا يستطيع أن يشر لنفسه أو أن يقتص ما أصابه
ويدع هواه تحت نعله لكي يبقى الأمان سائداً في هذا المكان !! .

النبي عليه الصلاة والسلام يبين أن الدماء والأعراض والأموال مصونة
ومكرمة ومحظور العدوان عليها كما حذر أي عدوان في الشهر الحرام أو في
البلد الحرام ، يقول النبي ﷺ في حجة الوداع : « يا أيها الناس أيُّ
يوم هذا قالوا : يوم حرام قال : فأى بلد هذا ؟ قالوا : بلد حرام ، قال
فأى شهر هذا ؟ قالوا شهر حرام قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم
عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا » (١) .

الإسلام حرّم الجدل في الحج وقال : ﴿ الحج أشهر معلومات فمن
فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ (٢) الإسلام
حرّم الجدل .. في هذا المكان يتهاون الناس به ولا تزال مشاعرهم تنحدر
بإزائه حتى يقتل بعضهم بعضاً فيه !! في يوم الجمعة الماضية قتل نحو
أربعمائة شخص — أكثر — أقل — لا يعيسى العدد — إنما الذي يعينى أن
الدم الحرام استبيح وأن البلد الحرام استبيح وأن الشهر الحرام استبيح وأن
الأمة الإسلامية كأنما عادت إلى جاهليتها الأولى !! لست أفتح محضر تحقيق
لأحد . إنما أحب أن أقول : إن الهتاف الوحيد الذي ارتصاه الله لما في
مواطن الحج هو : « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، إن
الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » (٣)

هذا هو الهتاف ، لا يحب أن يهتف بحياة أحد ولا بسقوط أحد ، هو
هتاف يبقى حتى يوم عرفة ثم يتغير ليكون : « لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، بيده الخير ، وهو على كل شيء

(١) رواه البخاري في الحج — باب الخطبة أيام منى ٢١٥/٢

(٢) البقرة : ١٩٢ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الحج — باب التلبية ١٧٠/٢ ومسلم في كتاب الحج — باب التلبية

وصفتها ووقتها ٧/٤

قديراً (١) شاء على الله واستجابة لندائه وأداء لحقوقه ، هذه هي مناسك الحج ، لا حرج أن تكون لي قضية أشرحها ، ولقد رأيت وشاركت في الموسم الجامع في قضايا تحدث فيها إخوان لنا من « الملين » وتحدث فيها إخوان لنا من المطلومين ، وأشرفت على هذه المحاليس وشرح هذه القضايا ورارة الشؤون الدينية هالك في المملكة العربية السعودية أنا لا أدري ما حدث وكثر هي ما حدث يجعلني أضيق به ، ولكنني أعمل البصر في طباع أمنا ثم نشعر بالحياء ، أنا أستنزل لعة الله على من استباح الحرم ، ومن سفك الدم ، أنا مشغول بالأمة الإسلامية وطبيعتها النفسية ، اعرفوا أنفسكم ، اعرفوا أنفسكم ، روايات كثيرة تقول : إن مئات ماتت تحت الأقدام ، ما معنى هذا ؟ أنا أحدثكم بالشرح العلمي لهذا الذي حدث . هالك أمة تعرف أدب السلوك وتعرف ما أسميه . بنظام الصف ، ما هو نظام اصف ؟ نظام الصف هو الذي قال فيه صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام : « أقيموا الصفوف فيما تُصعرون بصعوف الملائكة وحاذوا بين الماكب وسدوا الخلل وليوا في أيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات للشيطان ومن وصل صفاً وصله الله تبارك وتعالى ومن قطع صفاً قطعه الله (٢) »

نظام الصف هو الذي نبه القرآن إليه عندما قال : ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (٣) ﴾ هذا نظام اصف ، هناك نظام — هو لا يسمى نظاما — هو نظام القطيع ، وما نظام لقطيع ؟ يكون لعدد الضحى في مكان يبحىء فزع فإذا بالقوى يثب فوق الضعيف وإذا بالكبير يقفز فوق الصغير وإذا بالنساء والصغار يدهون تحت الأقدام !! احتفى نظام الصف وظهر نظام القطيع ، كل يجري لكي يحرص على حياته ، كل يجري لكي يصل إلى عرصه ، ربما داس الرجل امرأته !!

(١) رواه أحمد . الفتح الرباني ١٢/١٣٠ وقال في الجمع . رواه أحمد ورجاله موثقون ٣/٢٥٢ وقال في الجامع الصغير : رواه أحمد ، ورواه بالحسن فيص القدير ٥/١٦٧ ، ١٦٨
(٢) رواه أحمد ٢/٩٨ وأبو داود في الصلاة — باب تسوية الصفوف — عون المعبود ٢/٣٦٥ والطبراني وقال الألباني عنه في صحيح الجامع : صحيح ١/٢٦١
(٣) اصف : ٤

ما هذا ؟ هذا نظام القطيع وليس نظام الصف الذي أقامه الإسلام ، وأمتنا
 إلى الآن إذا صنعت سيارة فبظام القطيع لا بنظام الصف ، بينما نجد في
 العواصم الأخرى أن نظام الصف هو الذي يسود المجتمع في شئونه المدنية
 والعسكرية كلها ، ما الذي ذهى الأمة الإسلامية حتى تحولت إلى نظام
 القطيع ؟ ما الذي جعلها تفعل بنفسها هذه الأفاعيل ؟ إنها أحوج أهل
 الأرض لأن ندرس ديننا وأن نتعرف أسرارها ، إنها ألف مليون مسلم يزيدون
 مائتي مليون أيضا ، نحن المسلمين ربع سكان الأرض ، في كل أربعة
 أشخاص أو خمسة يوجد مسلم ، مسلم بالوراثة ، مسلم بالاسم ، لكن أهو
 مسلم بالتلاوة وبالتزكية وبتعلم الكتاب والحكمة ؟ أهو مسلم بالحضارة
 التي يقدمها للحلق ؟ أهو مسلم بالإنتاج الذي يستغنى به عن العدو ؟ أهو
 مسلم بالرفق العقلي والحنفي الذي يجعله طبيعة للناس وإماما في الدنيا ؟ لا ،
 ولذلك أنا أرى أن أمتنا الإسلامية أحوج ما تكون إلى أن تعود لنفسها كي
 ترتبط بديها ارتباطا حقيقيا ، أول الحدود التي تقام ، أول الشرائع التي تحيا
 أن تكون على درجة محترمة من التربية ، من الأخلاق ، من الدراسة العلمية
 الواعية ، من العقل الضخم الحميل الذي لا يستطيع أحد أن يبال منه .
 انهزمت اليابان أمام أمريكا ، هل استعمرت الولايات المتحدة اليابان ؟ لا ،
 العالم لا يستعمر عدلما ، انهزم الألمان في الحرب ، الألمان واضعوا آثار الذرة
 وهم من وراء كشوف علمية كبيرة ، العالم لا يستطيع أن يقول لعلم آخر :
 تعال يا ولد ، لأنه عالم مثله ، الإنتاج الياباني الآن هدد أمريكا في دحها مع
 أنها انهزمت عسكريا ، لفرص أن المسلمين انهزموا عسكريا في ميادين
 كثيرة فما السر في هزائمهم الأخلاقية والحضارية ؟ ما السر في أنهم في
 ميدان الانتاج ضعاف ؟ السلعة تخرج من أي مكان لها كائنها وها رواؤها
 وسلامتها وتخرج من بين أيدي العرب مشوهة ضعيفة !! ما هذا الصنيع ؟
 التربية لا بد منها ، العمل لأول للجماعات الإسلامية الآن أن توقف شعبا
 تُخدّرت مواهبه ، ونامت حصائمه الرفيعة ، إنها لا تريد أن تكون معرة
 للإسلام ، تريد أن ترتفع مع مستوى الإسلام ، فإن الإسلام يرفع ولا
 يخفض ، ويعز ولا يذل ، هذا واجبنا الذي تؤديه .

«اللهم أصلح لنا دينا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دينا الذى
فيه معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا
فى كل خير وجعل الموت راحة لنا من كل شر» (٢) ﴿ ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا
إنك رؤوفٌ رحيم ﴾ (٣) .

عباد الله : هذا عيد اكتمال الرسالة وتمام الوحي وبدء قيام الأمة برسالتها
فبهشكم هذا العيد ونطلب منكم أن تنصرفوا فى هدوء ، نطلب منكم أن
تعودوا إلى بيوتكم وأنتم أهل لمغفرة الله ورضوانه . الهدوء ... الهدوء ...
وعدم الاشتباك بأحد وكل عام وأنتم بخير ... وارجعوا مأجورين
مشكورين ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

(١) التوبة . ١١

(٢) مسلم والسنائي وأحمد

(٣) الحشر ١٠

« الشَّهَادَة »

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنه
في سنة ١٩٧٣ م

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على
الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله
الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ،
والسراج المير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فإن فكرة الناس عن الموت عامصة ، أو بتعبير دقيق : فكرة يكتنفها
خطأ كثير .

أغلب الناس يظن الموت فقدان الإحساس ، وانتهاء الحياة والدخول في
أودية العدم ، والتلاشي للذات الإنسانية .. وكما تَنَفَّقُ دابة من الدواب ثم
تُرْمَى تحت أكوام التراب لتتحول بعد قليل تراباً ، أو كما تُدَسَّح بقرة وتتوارى
في بطون الآكلين وتنتهى ، كذلك ينتهى الناس بالموت 11 .

هذا ظن عدد كبير من الناس في الموت ، وهو ظن يُردد ظنُّ الجاهلية
الأولى ، ويصور فهمها اإشارد للحياة والموت معاً ، وهو فهم شاع في
العصور الحديثة ، لأن هذه العصور عبست الحياة الدنيا ، وأنكرت
ما وراءها ، ولذلك فهي تُحَسِّبُ المادة هي الحياة ، وما وراء المادة
وهم 11 .

تفكير الناس في أن الموت نهاية لآلام هو الذي يجعل رجلاً مثلاً يتحرر ، لماذا ؟ يتصور الأحق أن الموت يحسم الوحد ، ويقطع الألم ، ولو أدرك أنه بالموت سوف يبقى حياً ، وأنه بالموت يستقل من مرحلة تمثل وجوداً محدوداً إلى مرحلة تمثل وجوداً غير محدود لتريث كثيراً قبل أن يزهق روحه ، وقل أن يقتل نفسه .

لكن هذا التفكير المادي الحث غلب كثيراً من الناس .. اقرآن صور لما الموت على أنه بدء الحياة ، وفي حديث القرآن الكريم عن المحرمين وعن المؤمنين سميع في كلا الموضعين أن الموت بدء الحياة وبدء الحساب والثواب والعقاب .

اقر قوله تعالى في سورة الأنعام . ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في عمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

اليوم لا غداً .

وفي قتلى اشركين يوم « بدر » يقول الله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ [الأنعام : ٥١ ، ٥٠] .

فهو يصور أن الملائكة وهي تتزع أرواحهم تصرهم ظهراً ليطر وتديرهم في سلسلة من العذاب ما يعرفها أو ما يحس بها إلا أولئك الناس ، لأن هذا الذي يقع يتصل بالروح .

وفي الحديث عن المؤمنين نقرأ قوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تحافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ [مصلح : ٣٠] .

يقول العلماء : إن الآية نزلت في المختصرين من المؤمنين ، فإن المختصر

وإن كان مؤمناً إلا أن الطبيعة الشريرة فيها ضعف ، فهو يتهيب العلم الذى وقف على بانه لا يدري ما هو ، وما كنهه ، ثم يتحوف على دريته أو أولاده أو أحبائه ، لا يدري ما حالهم بعده ، فتتزل الملائكة فى هذه اللحظات القلقة لتقول للمؤمن وهو على أول مدارج الآخرة وآخر مراحل الدنيا : لا تحف ولا تحزن ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلاً من غفور رحيم ﴾ [ص ٣٠ - ٣٢] .

وفى وصف المختصر فى أواخر سورة الواقعة آيات تشير إلى هذا : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا إن كنتم غير مدينين . ترحعونها وإن كنتم صادقين . فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم . وتصلية جحيم . إن هذا هو حق اليقين ﴾ [الواقعة ٨٣ - ٩٥] .

قد تقول : فإذا كانت الحياة بعد الموت مباشرة نصيب المؤمنين والكافرين فما معنى أن الشهداء أحياء عند ربهم ؟ .

إذا كانت الحياة ستكون نصيب الجميع — من أثيب ومن عوف — فما معنى أن الشهداء أحياء ؟ .

والجواب : أن حياة الشهداء لها طرار خاص من التكريم الإلهى ، وها أوضاع أثرها الله بها .

وفى سورة آل عمران عند الحديث على قتلى « أحد » نجد القرآن الكريم يقول : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ [آل عمران ١٦٩] .

العديّة : مكاهم عند الله ، هذا وصف خاص . يُرزقون : هذا رزق خاص : ﴿ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا

بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴿ [آل عمران : ١٧٠ ، ١٧١] .

لشهداء مكانة خاصة ، والفقهاء الإسلامى على أن الشهيد أرفع الناس درجة بعد الأنبياء والصدّيقين ، وأن الشهادة درجة يرفع الله إليها من ينحير من عباده ، فهي منحة وليست محبة ، إذا أراد الله أن يرفع درجة إنسان احتاره شهيداً

« جاء رجل إلى الصلاة والسبى ﷺ صلى فقال حين انتهى إلى الصف اللهم اتنى أفضل ما تؤتى عبادك الصالحين ، فلما قصى السبى ﷺ الصلاة قال : من المتكلم آنفاً ؟ فقال الرجل . أما يا رسول الله ، قال : «إدا يُعَقَّرُ جوادك وتستشهد» (١) .

هذا أفضل ما يؤتيه الله عبداً صالحاً ، أن يُقتل في سبيله .. فالشهادة إذن مكانة خاصة لناس يريد الله أن يرفع درجاتهم ، ولذلك يقول الله في شهداء أحد : ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ﴾ [آل عمران : ١٤٠] .

لكن مَنْ الشهيد الذى يستحق هذه الدرجة الرفيعة ، وهذه المكانة السنية عند الله ؟ من هو ؟ أهو كل قتيل في معركة ؟ لا . إن اليهودى الذى يقتل فوق الأرض العربية معتدياً عاصياً يريد أن يطوى الرسالة المحمدية ، وأن يُجهر على التاريخ الإسلامى هذا القتل كأتى لص يسطو على بيت فيُطبق عليه الرصاص فيذهب إلى الدار وبئس القرار . ليس كل قتيل في معركة يُعتبر شهيداً ، وقد وصحت السنة أن الشهداء لهم تعريف خاص ، تنبعا هذه التعريفات للشهداء فوجدناها .

أولاً : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (٢) .

(١) قال في الترغيب والترهيب : رواه أبو يعنى والبرار وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ١٩٩/٢ .

(٢) رواه البحري في الجهاد - باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٢٤٤٤ ومسلم في الإمارة - باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٤٦/٦

من اعتنق الحق ، وأخلص له ، وصَحَّى في سبيله ، وبذل دمه ليروى شجرة الحق به ، هذا شهيد .

شهيد آخر هو . الذي يأبى الدية ، ويرفض المدلة والهوان ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لعرة للمؤمنين ، فإذا حاول أحد أن يستدلك فدافع ، إذا حاول أحد أن يحتاج حقتك فقاوم .

« جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أحد مالي ؟ قال : « فلا تعطه ماله » قال : أرأيت إن قاتلني ؟ قال : « قاتله » قال : أرأيت إن قتلني ؟ قال : « فأنت شهيد » قال : أرأيت إن قتلته ؟ قال : هو في النار (١)

وحاء في السس أيضاً : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » (٢) .

فالمسلم يسعى أن يتشث بحقوقه وأن يدافع عنها ، وألا يجعل الدنية صفة له ، بل يسعى أن يحافظ على حقه الأدنى والمادي ، وليس معنى الحفاظ على الحق المادي والأدنى أن يكون الإنسان حريصاً على الحياة أو حريصاً على الوجاهة في الدنيا ، لا . ليس هذا هو المطلوب ، وإنما حدث أن النبي ﷺ قال للأبصار : « ستكون أثرة وأمور تنكرونها » قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : « تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم » (٣) .

ومعنى ستجدون أثرة بعدى أى ستعيشون في مجتمع لا يعطيكم حقكم ولا مكانتكم .

(١) رواه مسلم في الإيمان — باب الدين على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان الفاسد مهمل الدم في حقه وإن قتل كان في النار ٨٧/١

(٢) رواه أبو داود والسنن والترمذي وابن ماجه وأحمد وقال الترمذي حديث حسن صحيح (الترغيب والترهيب ٢٠٤/٢)

(٣) رواه البخاري في مناقب — باب علامات النبوة في الإسلام ٢٤١/٤ ومسلم في الإيمان باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ١٢/٦

ما معنى تؤدّون الحق الذي عليكم ؟ افرص أنى فى مجتمع جائر ، هل أحقر ؟ لا . أدّى ما عنيّ كاملاً وأطلب من الله الأجر ، وهو حسب كل مؤمن ووكيله .

يُلحق بالشهداء أيضاً من مات حرقاً ، من مات غرقاً ، من مات مطبوعاً ، من مات مطعوناً^(١) .

عدد من المصاير الفاجعة اتى تصيب الناس ، والأصل فى هذا ما جاء فى الحديث الشريف : « ما يُصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها »^(٢) .

فإذا مات مؤمن فى حادث من هذه الحوادث المحزنة المتعبة فهو يُلحق عند الله بالشهداء !! .

لكن هل الشهداء تستوى مارلهم عند الله ؟ .

لا . وإن كانت الشهادة — فعلاً — ختاماً حسناً لحياة الإنسان ، إلا

(١) من أنى مريره رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « فيما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له ففقر له » ثم قال الشهداء خمسة المطعون والبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد فى ميل الله »

رواه البخارى فى الآداب — باب فصل التهجيم إلى الصهر ١٦٧/١ ومسلم فى الإمامة — باب بيان الشهداء ٥١/٦

لشهداء ، جمع شهيد ، سمي بذلك لأن ملائكة يشهدون موته فهو مشهود
المطعون الذى يموت فى الطاعون أى الوباء . وصاحب الإسهال أو الاستسقاء أو
لدى يموت بداء بطنه . وصاحب الهدم أى الذى مات تحت الهدم . والشهيد فى سبيل الله . أى
لدى حكمه أن لا يغسل ولا يغسل عليه . وفى رواية : « . أو ما القتل إلا فى سبيل الله ؟ إن شهداء
أسمى إدّ نفيل ، إن الطعن شهاده و بطن شهاده و تطعون شهاده والنساء بجمع شهاده والحرق
شهاده و البرق شهاده و ذات الجنب شهاده » قال فى الترغيب والترهيب : رواه الطبرانى ورواه محتج
هم فى الصحيح ٢٠١/٢ والنساء بجمع إذا ماتت وودها فى بطنها وقيل إذا ماتت عذراء أيضاً .
(٢) رواه البخارى فى المرضى — باب ما جاء فى كفارة المرضى ١٤٨/٧ ومسلم فى البر والصلة
والآداب — باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حر أو نحو ذلك ١٦/٨ .

أن الناس الذين استشهدوا درجات : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾ [الإسراء ٢١]

وفي حديث عمر بن الخطاب — رضي الله تعالى عنه — قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الشهداء أربعة رجل : رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل ، فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته — يقول الراوي : فلا أدري فلسوة عمر أراد أم قلنسوة النبي ﷺ (١) قال : ورجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرث فقتله فهو في الدرجة الثانية (٢) ورجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ، ورجل مؤمن أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة » (٣) .

الناس درجات ، والحساب الإلهي دقيق ، والناقد بصير ، فيجب أن نقف في أنفسنا وأن نعلم من نعامل .

الشهداء الذين ذهبوا إلى الله — على اختلاف أماكهم ودرجاتهم — لهم محادح في التاريخ القديم والحديث ، وما أحوح الأمة الإسلامية إلى هذه المحادح ، ما أحوحها أن تعرف من رحلتها الكبار ، ومن أبطالها الذين تأخذ منهم الأسوة ، وذلك لأن أعداء الإسلام ما طمعوا فيه ولا نابوا منه ولا تحرؤوا عليه إلا لأن أمننا تشئت بالحياة على الأرض ، وأحدثت إلى الهوى والشهوة ، وقانلت على الحطام المعاني ، ودفست فيما لا وزن له عند الله .

يقول التاريخ : إن الدولة الفارسية برعم أنها هُرميت في « القادسية »

(١) يوضح شيخنا المعنى فيقول : يعنى أن مكانته من أرفعته حيث إذا نظر لإنسان إليه نظرة عناية جداً فإن عطاء رأسه يرفع !!

(٢) الطلح : نوع من الأشجار دى الشوك . الخيس : الخوف وعدم الإقدام . منهم عرب : هو الذي لا يلتزم راميهِ ولا من أين جاء . يوضح شيخنا المعنى فيقول : يعنى رجل في طبيعته الخوف ولكن الخوف لم يمنعه من أن يتحامل على نفسه ويعالِب طبيعته ويلبى النداء ويقف في الصف فجاءه سهم طائش فقتله !!

(٣) قال في الترهيب والترهيب . رواه الترمذي والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن غريب ١٩٦/٢ وضعه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته . (٣٤٤٥) .

وسقطت عاصمتها بقيت تقاوم مقاومة عبيدة حتى حُشِي على نفاء الإسلام هناك ، فدخل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه المسجد وتعرض في الصفوف ليحترق قائداً من المصلين يبعث به إلى « فارس » فمظرفاً « النعمان بن مقرن » رضى الله عنه يصي ، فذهب إليه وقال له : يا نعمان أريد أن أستعملك في عمل فقال له النعمان : إن كان جايئاً فلا — أى إن كنت تريد أن تبعثي لأحيى عمال فلا — فقال له : بل بعثك لتقود جهة المسلمين في فارس ، فقال : نعم .

وذهب النعمان ليقود المعركة الحاسمة في « فارس » المعركة التي أجهزت على النفود الفارسي تماماً ، وأخذت تُقاسم إلى الأبد ، وتسمى المعركة في التاريخ معركة « نهاوند »^(١) .

الرجل قبل أن يهجم قال للمسلمين : إني هائزٌ لوائى ثلاثاً ، وإني داع فأموا ، ودعا فقال : اللهم ارق المسلمين نصراً واررقى فيه الشهادة !!

الحقيقة أنى تأملت في المعركة وستغرب ، يقول المؤرخون : إن المعركة بلغ من ضراوتها وكثرة ما سفك من دم فيها أن الحيل كانت تترلق على الصخر من كثرة ما سفك من دم !! .

وقاد النعمان بن مقرن المعركة وأصيب بجرح قاتل وسقط ، ولكنه سقط حياً ، وقد المعركة رجل آخر من المسلمين ، وانتصر المسلمون ، وجاء الشير إلى النعمان وهو جريح يقول له : انتهت المعركة قال : على من الدائرة ؟ قال : على أعداء الله ، فحمد الله ومات^(٢) !! .

انظر إلى الرجل القائد — حريج المسجد — الراكع الساحد ، الرجل الذى أنى أن يذهب في منصب يُنتظر أن يغنم منه شيئاً ، أو يُفيد منه خيراً ، واشترط على الخليفة — عمر — أول ما حدثه ألا يذهب في منصب من هذه المناصب ، ثم لما دعا — ناس كثيرون قد يصكرون في أن يعودوا إلى بلدتهم ليجنوا ثمرة النصر الذى أحرروه ، تُلْتَف حولهم الجماهير ، يهتفون

(١) وكانت سنة إحدى وعشرين

(٢) انظر أسد الغابة ٥/٣٤٢ ، ٣٤٣

لهم ، يهتوهم ، يصعون الألقاب وراء أسمائهم ، العمان احتقر هذا كله — طلب النصر للمسلمين ، والشهادة للنعمان !! .

ولذلك لما جاء البشير إلى عمر بن الخطاب بالنصر سأل عمر : ما فعل النعمان ؟ قال : قُتل . فحرح إلى الناس فعاها إليهم على المبر ، ووضع يده على رأسه ويكى^(١) .

هذا شهيد من قادتنا ، شهيد آخر أحكى قصته ..

جاءنى إمام مسجد « العريش » — وأنا رجل مسئول فى المساجد — يُقسم ويبكى يقول : عندما حاول اليهود دخول « العريش » وقف رجل — أضه من « سوهاح » أو من أى بند هناك — وقفة جبروت أمام طابور من الدبابات الصهيونية ، وأنى أن يتركها تمر ، وطل يقاومها نحو ثمان وأربعين ساعة حتى فى كل ما معه من دحية ، وأصيب بطلق نارى فمات مكانه !! .

يقول الإمام — وهو يحلف ويبكى — إنهم جاءوا إليه بعد يومين أو ثلاثة يطلبون جثته فإذا هم يشمون منه رائحة العطر !! .

حقيقة عندما أنظر إلى هذه البطولة أقول فى نفسى . ضاعت هذه الرجولات .. هى لم تضع عند الله ، الرجل ذهب شهيداً ، ونال مجد الدنيا والآخرة — ولكن الذى غاضبى أن الخطط الغبية ، والقيادات التافهة والحقارات التى تولت أمرنا أضاعت هذه البطولات سدى وم تحسن الانتفاع بها !! .

فى سنة ١٩٤٢ كنت إماماً لمسجد (عزبان) فى (العنة الخضراء) ورأيت شباباً مسلماً خرج إلى فلسطين ليقاتل ، واستطاع هذا الشباب أن يهاجم مستعمرة .. وقتل ثمانية منهم أو قتلوا جميعاً ، وقال القائد الانكليزى — وهو يرى جثثهم ويستغرب : لو معى جيش من هؤلاء لفتحت به الدنيا !! .

إن « مصر » تنجب بطولات كثيرة ، لكن على أساس جدى مؤمن وقائد مؤمن .

(١) المرجع السابق .

يوجد كثيرون من الشهداء الذين يشرفون تاريخنا الماضى والمعاصر على سواء ، أولئك الشهداء يحب أن يوسع الدائرة التى تحيط بهم حتى يعرف .. أَعُدُّ من الشهداء المسلمين الذين يقاتلون الآن فى « إرتيريا » لتبقى « إرتيريا » مسلمة توحيد رسما ، وتؤمن بسببه محمد ﷺ — ونقرأ القرآن ، وهى تقاتل فى وجه من يريد محو هذا كله !! .

عددت من الشهداء ناساً قاوموا فى جريرة « زنجبار » قُتل منهم ألوف وهُزموا ، ولكن المعارك ليست بخواتيمها القريبة ، فإن الذين قُتلوا هناك استماتوا فى استبقاء الإسلام ، وما يزال الإسلام باقياً فى « زنجبار » وإن كانت لصربات التى تناوشه عنيفة تجعله يتربح ويكاد يسقط !! .

يوجد مسلمون — الآن — يحملون راية الإسلام فى وجه تيارات تريد ألا يبقى للإسلام كتاب ولا سنة ولا وحى يتلى ، ولا مسلك يُقتدى به ، الذين يتمسكون بدينهم على هذا النحو ويقاتلون من أجله إهم عندما يقتلون شهداء .

إن الشهادة شئ ينبغى أن يقدر فعلاً ، لماذا ؟ لأنها دلالة وفاء لمبدأ ، واحترام لعقيدة ، وافتداء لإيمان كما قال أحد الشعراء قديماً وهو يرثى شهيداً مات :

وقد كان فَوْثُ الموت سهلاً مرده * إليه الحِفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ

تَرَدَّى ثياب الموت حُمراً فما أتى * لها الليل إلا وهى سَنَدَسٌ خَضِرُ

إن الشهداء هم سادة الحياة وملوك الآخرة !! .

وينبغى لأمتنا أن تعرف من قتلوا ، ومن استشهدوا ، وأن يكون عرفانها لهم لا تقديراً لأشخاصهم — مع أن التقدير واجب وفرض — ولكن ليعلم الباقون أن طريق الحياة والحمد هو فى هذا المسلك !! .

قال أبو بكر رضى الله عنه — لخالد بن الوليد — رضى الله عنه — وهو يبعثه مقاتلاً : احرص على الموت توهب لك الحياة !! .

هناك شيء لا يد أن يذكر هنا وهو أن الآجال ليس لها سبب مادي واضح يُقَرَّبها أو يُبَعِّدها .

افرض أن الشيطان قال لك : لو لم يخرج فلان إلى المعركة ما قُتل ! .
ما الذي يصمم لك أنه لو كان ماشياً في شوارع « القاهرة » لم تُدسه سيارة أو لم يُصب بشيء ما يقصى عليه !!؟ .

وهذا معنى قوله تعالى . ﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرر الدين كتب عليكم القتل إلى مضاجعهم ﴾ [آل عمران . ١٥٤]

انظروا إلى حادث الطائرة المسكوبة لم يحواثان فقط ؟! لا شيء تستطيع أن تُحيب به إلا أن هذا قدر !! لأن الجميع تعرضوا لأسباب التلف ، الجميع خضعوا لمقدمات واحدة تحيى بسيحة واحدة ، فما ادى جعل هذين يسجوان وأولئك يموتون ؟.

والناس يلحون^(١) الطيب وإيما خطأ الطيب إصابة الأقدار
إن إيمان الإنسان بأن الشهادة قدر ، وأنها مبررة ، وأن الأجل لا يحين بالتعرض للقتل ، ولا يبعد بالفرار من الهلاك هو ادى جعل على بن أبى طالب — رضى الله عنه — يقول :

أى يومى من الموت أفتر يوم لا يقدر ؟ أو يوم قُبِرَ يوم لا يقدر لا أحلره
ومن المقلد لا يسجو الحذر

بهذه الروح .. الإيمان بالله الإيمان بالقدر .. الإيمان بالحرء الأحرى
الإيمان بالكتاب والسنة .. هذه الروح استطاع المسموم أن يسودوا الدنيا قديماً ، وأن يحقوا الحق ، ويبطلوا الباطل ، ولو كره المحرمون .

أحيراً ندأنا نشعر بأن الشهداء يحب أن يحتفل بهم ، إيسى أعلم أن الروس — مثلاً — لهم يوم يسمونه يوم الدم !! تسمية رهيبة ، لكنهم

(١) يلحون : يلومون واليت لابن الرومي انظر ديوانه : ١١١١/٣ .

يريدون بهذا أن يبشروا الباطل ، أو يساندوا ماديهم من عقائد محرقة بالتصحية ..

فإذا كان الناس يجعلون من أيامهم يوماً للدم فإن المسمين يسعى — فعلاً — أن يجعوا من أيامهم أو من ذكرياتهم يوماً للشهداء .

والشهداء هنا — كما أوضحنا — كل مؤمن بالله ، صادق الإيمان ، صحيح العقيدة ، وفى بره ، وأذى ما عيه ، وحمى مقدساته ، واستبقى الأرض بعده أرضاً إسلامية يصبح المؤذن فوقها بكلمات التوحيد وتكبير الله وتمجيده . يستبقى الأرض بعده أرضاً إسلامية كما أسماها إيليا عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص — رضى الله عنهما — وسلمها نحن لمن بعدنا أرضاً إسلامية ، وحه الإسلام فوقها بصير ، وتاريخه فوقها كبير .

أولئك هم الشهداء ، وأولئك الذين يجب أن يحتفل بذكراهم ، وأن نعلم أولادنا تاريخهم ، وأن تكون سيرهم أمام أعيننا .

قلت لنفسي يوماً : أما يمكن أن تمثل رواية تظهر فيها بطولات المسمين في رد الغزو الصليبي ، بطولات للمسمين في كسر رأس الشرك الباعى الطاعى ، بطولات للمسلمين في تطهير « فارس » من الحكم الوثنى المحوسى أذى أدها وقهرها ، بطولات للمسلمين في تحرير الأرض المصرية والشمال الإفريقي كله !! .

لكن يبدو أن المشتغلين بالهن لا يستطيعون هذا إهم عصر طرى من اناس ، يصلح للميوعة ، يصلح لرويات احسن ، يصلح للتأوهات المريضة ، ما يصلح للرجولة والبطولة !! .

إن تاريخنا لكى نسى على دعائمه رجالاً يجب أن يُعرض العرض الصحيح ، وأن يتصل الحاضر بالماضى تراثاً وأصالة وتوجيهاً ..

ثم مرة أخرى : من بين اركع السجود يختار القادة الدين يطلبون ما عند الله ، ويردرون ما عند الناس !! .

أقول قولى هذا وأستعفر الله لى ولكم ..

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد﴾ [الشورى ٢٥ - ٢٦] .
وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فإن بيّنا عليه الصلاة والسلام — كان إلى قيل أن يبقى رب العالمين ،
كان يزور شهداء « أحد » وكان يدعو للشهداء .

نحن سصل صلاة الغائب ، وقد سألى بعض الناس : ما صلاة الغائب ؟ .

الصلاة أربع تكبيرات ، بعد التكبيرة الأولى اقرأ الفاتحة ، بعد التكبيرة الثانية صل على سيدنا رسول الله ﷺ بعد التكبيرة الثالثة ادع للميت بأى دعاء تحفظه ، بعد التكبيرة الرابعة السلام .

صلاة الجسازة أو صلاة الغائب حفيفة لا شىء فيها .

أوجه النظر إلى شىء آخر : إن الحكومة مشكورة تحارب الشيوعية ، ولكسا نحن الدين ندرى أساليب الفكر الشيوعى ودسائسه وكيف ينتف عينا : « كالأحطبوط » من حيث لا ندرى ، ولذلك فإبى أوجه النظر إلى أن الحكومة مشكورة — ألغت حفلات الصباح فى السببا ، لماذا ؟ لأن الطلاب كانوا « يزوغون » ليحصروا الأحفال .

(١) الأخطبوط : حيوان بحرى من الرخويات له ثمانى أرجل رأسية ، يضرب به المثل فى شدة التثبث بما يمسكه .

الآن التفكير الشيوعي أن تعود الأحوال الصياحية ، فلوجه النظر إلى
خطورة هذا التفكير .

هناك عبارات مسمومة ، في « أهرام » اليوم قرأت لكاتب شيوعي أن
الطائفية في « سوريا » أحدثت هيجاناً ضد الدستور المقترح ، هذا تعبير
مسموم .

إن الدستور الذي اقترح على « سوريا » كان مستبعداً منه الصر على
أن الإسلام دين الدولة ١١ .

وعصب المسلمون ، ومن حقهم أن يعضبوا ، وبلعنى أن رئيس الدولة
يرل على رأى جمهرة المسلمين ، وقرر أن يكون الإسلام دين الدولة في
الدستور .

فأقول بأن هذا طائفية هذا تعبير شيوعي .

إن إرعام ٩٣٪ من العرب على ترك الإسلام ، فإذا قالوا : نبقى على
الإسلام ، قال مأفون أحمر: إن هذه طائفية ١٢ .

هذا كلام أبحث في جيوب قائله لأجد مالا إما من « أمريكا » أو
« روسيا » أو « الصين » ١١ .

هؤلاء أجراء ، عملاء ضد الإسلام وضد أمته .

أريد أن نصحو لهذه الدسائس ، فحس أغنياء عن الكفر ، نحن
زاهدون في الصلال ، نحن نريد أن نعود لربنا وكتابنا وديننا ، ولا نريد
نصوصاً مخنطة .

نريد نصوصاً حية عامة تمكن من أن تنتشر في المجتمع ، وأن تطبق
على الناس .

الشيء الأخير هو : أن الذين يؤمنون في الألوف من رواد مسجد
« عمرو بن العاص » — رضى الله عنه — جاءوا يذكروننا بأن مسجد
« النور » في « العباسية » يحتاج إلى عون .

المسجد جُمع له الكثير ، ولكن لا بد في هذه القعة من مسجد يمثل الحضارة الإسلامية .

« اللهم أصلح لنا دينا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دينانا الذى فيها معاشنا وأصلح لنا أحرثنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ [الحشر ١٠] .
عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمكر والبنى يعظكم لعظكم تذكرون ﴾ [سج ٩]

أقم الصلاة ...

★ ★ ★

(١) رواه مسلم فى الذكر — باب التهود من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٨١/٨

من نحن ؟

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ،
وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ،
والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فإن الناس يشيع بينهم مفهوم خاطيء عن معنى الدين ، وبعض الناس
يتصور أنه كما تنقسم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف يمكن أن ينقسم الدين
إلى يهودية ونصرانية وإسلام !! هذا في الأديان التي تنمى إلى السماء أو
تزعم أن لها نسباً سماوياً ، ذاك إلى جانب أديان أخرى — تسمى أدياناً
كالبوذية والشتوية في اليابان ، والبرهية في الهند ، والكنفشيوسية في
الصين ، هذا إلى جانب الإلحاد الذي جعل من نفسه محوراً لتجميع الأنصار
على عبادة المادة وعلى تكريس الوقت والجهد لاستغلال هذه الحياة الدنيا
كالشيوعية التي أحلت نفسها محل الدين !! .

الواقع أن هذا التفضيل في مفهوم الدين وجعل هذا المفهوم مائعاً يتناول
شتى المتناقضات لا أصل له لا تراثاً ولا تاريخاً ولا عقلاً

ولذلك أحييت أن أشرح الحقيقة ، وأن أحسن تصويرها الآن ، فإنه —
للأسف — مع انتصار الأوهام في عصرنا هذا أصبح لليهودية عصبية وظهير
قرى ، وكما قيل : إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارقه محاسن غيره ، وإذا
أدبرت عن أحد سلبته محاسن نفسه !! .

وقد أقيمت الدنيا على اليهودية فجعلت من « العهد القديم » ديناً !! وأقيمت الدنيا على الصراية فجعلت من « العهد الجديد » ديناً !! وأقيمت الدنيا على الشيوعية فجعلت من الإلحاد المسلح محوراً لعقائد مادية وتجمعات حيوانية !! وهكذا بالنسبة إلى الأديان الأخرى أو ما يسمى أدياناً .

وأريد أن يعلم الناس الحقيقة التي لا تتغير ولا يجوز أن تتغير وإن أساءت الأيام إليها أو أدبرت الدنيا عنها أو برل الهوان بأصحابها فإن الحقيقة لا تتغير مهما كانت الملابس التي تخطط لها .

يجب أن يعلم الناس أن الدين عند الله واحد من أرل الدنيا إلى أبدها ، لهذا الدين الواحد مفهوم يصدق العقل ويحرسه ويحميه ، أساس هذا الدين الواحد أن لنا رباً خلقنا وحده ، ومن حق الخالق أن يُعبد وأن يُعرف على نحو صحيح ، وأن من حق هذا الخالق إذا عُرف على نحو صحيح أن يكون سلوك الناس على أرضهم وفق ما يرسم ويخطط ويشرع ، ومن حقه بعد هذه وتلك أن يطلق المؤمنون به قافلة تحمي الحقائق التي نحمدتها ، وتعرضها على الناس عرصاً سليماً ، ويرج العوائق عن الصمائر بحيث لا يُكره أحد على باطل ، ولا يُحجز أحد عن حق يريد أن يبلغه .

هذا الدين الواحد عنوانه : « الإسلام » .

ومن باب الاستعمال الصحيح أقول : إن كلمة « إسلام وإيمان » كلمتان مترادفتان ، وأنه يُنظر إلى الحقيقة من أولها فيقال : « إيمان » لأن أساس الإيمان معرفة اليقين بالله الواحد ، ويُنظر إلى الحقيقة من نهايتها فيقال : « إسلام » لأن ما يعقب المعرفة الصحيحة هو التسليم لله ، والخضوع له ، والاستسلام لحكمه .

فيُنظر للأمر من البداية فيسمى إيماناً ويُنظر له من النهاية فيسمى إسلاماً ، والكلمتان حقيقتان مترادفتان لشيء واحد هو الدين عند الله .

كذلك كلمة « نبي ورسول » فالصحيح أن النبي والرسول يترادفان على حقيقة واحدة ، فإذا نظرنا للحقيقة من أولها قلنا : « نبي » من الباء وهو الخير لأنه يخبر عن الله ، وإذا نظرنا إلى الحقيقة من نهايتها سميناها رسولاً ، لأنه يحمل الحقيقة ليعلمها الناس ، فهو إليهم مرسل بخبر من عند

الله ، فيسمى نبياً بالسنة للوحي النازل عليه ، ويسمى رسولاً بالنسبة للسلاخ الذي يحمله إلى الخلق .

فدين الله هو الإسلام ، هذه الكلمة — إسلام — عرفت من أيام نوح عليه السلام ﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون . فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ [يونس : ٧١ ، ٧٢] .

توجد — الآن — دولة اسمها « إسرائيل » كلمة إسرائيل لقب تشريف ليعقوب عليه السلام ، كما أن المسيح لقب تشريف لعيسى عليه السلام ، ما دين يعقوب ؟ يقول الله في دين يعقوب : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٣] فيعقوب يدين بالإسلام وراثته عن أبيه وعن جدّه .

ما دين عيسى ؟ الإسلام ، وهو الذي دعا إليه الناس ، فلما شعر بأن اليهود يمحرون به ويحاولون اعتياله والتلديد عسلكه ، والافتراء عليه نادى في الناس : ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله أما بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران : ٥٢] .

قد يتساءل الناس : فهل الإسلام الذي جاء به نوح ويعقوب وموسى وعيسى هو الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ ؟ ممكن أن نقول : هو هو بالسنة إلى العقائد في حملتها ، فإن موسى أو عيسى أو نوحاً كانوا دعاة إلى الله الواحد ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

فيستوى نوح وعيسى ومحمد في هذا المعنى ، غاية ما هالك أنه إذا كانت العقائد قاسماً مشتركاً بين أديان الله على امتداد الزمان والمكان فإن

هناك ميزة في الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ !! ماهذه الميزة ؟ تقوم هذه الميزة على أمور . منها أنه كثر الأدلة على عقيدة التوحيد ، وفتح أمام البصر العقل أو المطلق المكرب أنواعاً من البراهين ، وفتح أمام السمع والبصر آفاقاً كثيرة وقال : ﴿ سرّهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ [صلت : ٥٣] .

فكثرت في رسالة محمد ﷺ الأدلة ، وهذا لا بد أن نشرح بعض الميزات التي يتميز بها الإسلام في عوالمه الأخير أو في رسالته المكتملة التي جاء بها نبينا محمد ﷺ .

بالنسبة إلى المعرفة هناك أوهام كثيرة تطرقت إلى العقيدة على امتداد الزمان والمكان ، فكان الدين الخاتم هو الدين الذي أحصى المثالب والمقايص والعيوب والآخذ التي تسلمت إلى الديانات السابقة وبالت منها وعكّرت صفوها ، ويؤمن النبي الخاتم ﷺ أن الحق هو ما جاء به وهو ما نزل على موسى وعيسى من قبله !! .

أحرص أن « العهد القديم » الآن يقول : إن الله استراح من العمل يوم السبت (١) !! فإن موسى لم يقل هذا ، ونبينا محمد ﷺ برأ الدين من أن الله يتعب ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ [في : ٣٨٠]

ولو أن موسى استيقظ من مسامه الآن وأراد أن يرجع إلى أتباع يؤازرونه على الحق ما ذهب إلى إسرائيل إنما يجيء إلى مسجده من مساجد المسلمين في القارات المعمورة ليقول : أنا مع هؤلاء لأن ما جاء به نبيهم محمد ﷺ هو الحق الذي قلته للناس وصل عنه من يتسبب إليّ أو من يدعى أتباعي ! .

قالوا عن الله : إنه يأكل (٢) ، وأنه يجهل (٣) ، وأنه يندم (٤) !! .

(١) انظر سفر التكوين — الإصحاح الثاني

(٢) سفر التكوين الإصحاح الثامن عشر

(٣) سفر التكوين الإصحاح الثالث .

(٤) سفر التكوين الإصحاح السادس والثمن عشر

وقالوا عن أنبياء الله : إنهم سُكَّارَى (١) ، وإنهم زُناة (٢) ، وإنهم ..
وإنهم ١١ .

كل هذا كذب ، وظلمة الخاتمة أو رسالة الإسلام — كما بلعها محمد
ﷺ بيان شاف للعقل الذى يرى على أسياء الله الأولين .

بالنسبة إلى الإسلام والمسيحية .

عيسى فى الحقيقة — عبد لله — جاء يدعو الناس بهذه الكلمة ﴿ إن
الله هو ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ [الزمر : ٦٤]

لكن هؤلاء غيَّروا الحقيقة ، وغيَّروا أيضاً شيئاً آخر .. أساس الصلة
بالله تكميل النفس ، وجعل الإنسان على مستوى الخير والعبودية عندما
ينتسب إلى الله ، ولذلك لا شعاعات بالمعنى الوثنى ، ولا أحد يحمل وِزر
أحد ، هذا ليس كلاماً جديداً أتى به محمد ﷺ ، إنما هو الكلام الذى بلَّغه
أنبياء الله من لدن إبراهيم إلى الذين جاءوا من بعده . ﴿ أم لم ينبأ بما فى
صحف موسى . وإبراهيم الذى وفى ألا تترى واردة وِزر أخرى . وأن
ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء
الأوفى ﴾ [النجم : ٣٦ — ٤١] .

إذن ليس هنا فداء ، ليس هناك أن شخصاً قُتل لكى يمتدنى بدمه ،
القصة احتلاق من الألف إلى الياء ولا أصل لها (٣) فإديانة الخاتمة وصحت
على لسان خاتم السبين ﷺ هذا المعنى بخلاء .

شيء آخر يتصل بطبيعة حامل الرسالة ، يقول بعض العلماء :

إن الله ورَّع الفصائل على أنبيائه ، فعُرف نوح بالجلد والعزم
والتصميم ، وعُرف إبراهيم بالكرم ، وعُرف موسى بالصرامة والحد ، وعُرف
عيسى بالرحمة .. كل نبي من أنبياء الله له منقبة — نوع من الجمال

(١) سمر التكوين الإصحاح التاسع عشر

(٢) سمر التكوين الإصحاح التاسع عشر وصمويل الثانى الإصحاح الحادى عشر

(٣) اقرأ القصة فى إنجيل يوحنا الإصحاح الثالث

الخلقى — ما أشيع في المرسلين من أنواع الأحلاق الفاضلة والشمائل
الرفيعة — فكما تحيى بعدسة تجمع الأشعة — فإن شخصية محمد ﷺ
تجمعت فيها الكمالات التي تورع على الأسياء السابقين ، فما من حور
يُعرف به أحدهم إلا وُجد له نور وشعاع في حياة النبي محمد ﷺ !! .

هذه واحدة ، ثم قبل له : مع تحارب الأيام انتفع بالتجارب التي
مصت ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ [لأحزاب
٣٥] التجارب التي مضت كثيرة ، التجارب التي مصت تظهر في نفس
طريقة انتشار الرسالة ومتعة الأحيال لها وحسن التلطف بها مع الناس .

فمثلاً إبراهيم — عدو الوثنية ومحارب لأصنام — كسر الأوثان المعبودة ،
لكن ماذا حدث بعد أن كسر الأصنام ؟ ﴿ قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا
يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا
إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ﴾ [آية ٦٢ - ٦٤]

عود ثقب اشتعل في أدهاسهم لحطة ﴿ فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا
إنكم أنتم الظالمون ﴾ لكن اطفأ العود : ﴿ ثم نكسوا على رؤوسهم لقد
علمت ما هؤلاء ينطقون ﴾ [لآسيا ٦٥] .

إذن رجعوا إلى عبادة الأصنام مع أنها كُسرت ؟ .

فما الحل ؟ الحل أن الدين الحديد لا يبدأ بتكسير الأصنام ، لأنه
ما قيمة أن تُكسر صنماً فيحيى العدد الأله ليصنع صنماً آخر ليعبد ؟
ما قيمة أن تدبح بقرة في الهد فيحيى هيدوسي أحرق بقرة بدل بقرة
ويعبدها ؟ .

إذن الأساس تعيير النفس الشرية !! .

فجاءت الرسالة الخاتمة تعين بدأب وقدرة عقلية على تعيير النفس
الإنسانية والارتفاع بمستوى الفكر شيئاً فشيئاً ومستوى الفصيلة شيئاً فشيئاً
حتى أصبحت الأمة الإسلامية — بعد أن استمعت للقرآن ثلاثاً وعشرين
سنة — على مستوى حصارى من حدة الذهن ، وتألق البصيرة ، وبقاء
الضمير ، وسعة الأفق ما جعلها لا تطير لها في العالمين !! .

هذا نوع من شخصية الرسول ﷺ ، ثم بعد ذلك نجد أن هذا النبي الكريم ﷺ فهم الخطاة ، ما الخطاة ؟ .

الله الذي خلق الناس يريد أن يحكم أمورهم وأن يصرف أقدارهم على الطريق المستقيم فوضع لهم الخطاة : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [سحر ٨٩] فهم النبي الخاتم ﷺ الخطاة ، وفهم أن الإسلام دين للنفس والمجتمع والدولة ، وأنه دين للسياسة والاقتصاد والتشريع والأخلاق والعبادات والمعاملات ، وأنه دين يستقي من المشرع الأعظم الفرد الصمد وحده : ﴿ أفغير الله أبغى حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتياهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين . وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ [الأعام ١٤] ، [١١٥] .

مضى في طريقه يفهم القرآن ، وكان خنقه القرآن (١) ، النيار العقلي للشخصية المحمدية هذا القرآن وكما جاء في الحديث : « وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقطان » (٢) عاش به ، وعاش له ، ثم أخذ يعبر العالم به !! .

وهما لا بد من أن تذكر الحقيقة ، كانت هناك استحالة واقعية أن تتغير الدنيا إلا بهذا الإنسان ، لن يملك الناس عن ضلالهم ، لن يترك الناس أسداً بجاهليتهم إلا بهذا الإنسان الذي فهم الكتاب اسزل عليه على أنه بصائر للناس ، ثم طبقة في نفسه وفي بيئته وأسرته ومجتمعه وحربه وسدمه وصداقته وعداوته وسفره وإقامته ، انطبق في كل مكان لكي يصنع أجيالاً ، لا جيلاً واحداً ، إن آثار السنة يرف عليها من شخصية النبي الخاتم ما يجعلها إلى آخر الدهر تصنع الروحانية الفواحة بالتقوى والعبادة العمرة بالإخلاص ، والجهاد الذي لا يبالي بعفة والذي يبتغي وجه الله وحده !! .

(١) جاء في حديث طويل عن سعد بن هشام قلت : « يا أم المؤمنين — أي عائشة — أنبئني عن خلق رسول الله ﷺ . قالت ألسنت تقرأ القرآن ؟ قلت بلى ، قالت فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن » رواه مسلم في صلاة المسافرين — باب جامع صلاة الليل ١٦٨/٢ .
(٢) جزء من حديث طويل رواه مسلم في الحجة — باب الصلوات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الحجة وأهل النار ١٥٩/٨ .

من هنا قام للإسلام دولة — أقامها النبي الخاتم — استطاعت الدولة أن تمضي ، الآن بدأت قرنها الخامس عشر ، وهي ماضية إلى قيام الساعة إن شاء الله !! .

لكن أوجه النظر إلى ما يجهله المسلمون من دينهم ، كنت أدرس — كعيرى من المسلمين — الشخصية النبوية وأستفيد من هذه الدراسة ما يفتح الله به ثم أقارن بين ما عرانا الإسلام في دولته وفي أساعه من تعبير وأطر إلى الأمم الأخرى وأعلم أن الإسلام خالد ، وأن يوم الإسلام قادم إن شاء الله فوجدت وأنا أقرأ كتاباً — لم يكن معي عندما أشرت إليه في الأيام السابقة لكنه في أسفاري وقع في يدي فبحث به ، الكتاب اسمه « المائة الأوائل » مكتوبة بالعدد الأفرنجي المائة ، المؤلف أمريكي^(١) ، وهو مؤلف مسيحي يتأثر بمسيحيته ويقول ربما بدأ عربياً أن يكون محمد في رأس هذه القائمة رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين !! .

أولاً : هذا الكلام غير صحيح ، ويؤسفني أن أقول إنه من استفعال المسلمين أن يقال هم عددكم كذا وكذا ، وحرب الإحصاءات حرب عربية ، والصحيح أن العالم ربعة مسلمون ، وربعة مسيحيون ، وربعة شيوعيون ، وربعة وثيون ، هذا هو التعداد — إجمالاً — في العالم كله ، ومن لا يعجبه هذا محتكم إلى إحصاء محايد تشرف عليه هيئة الأمم .

وإن كنت لا أهتم بالكثرة لأنه تبيّن من استيعاب الأحداث التاريخية أن الثقة العامة أنجح من الكثرة العاطلة وأقدر على الإمساك بالزمام .

يقول الرجل — معللاً القرار الذي اتخذه لجعل محمد ﷺ أول العظماء المائة :

« ولكن لذلك أسباب : من يسها أن محمداً قد كان دوره أخطر . وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى في الديانة المسيحية ، وعلى الرغم من أن عيسى هو المسؤول عن مبادئ الأخلاق في المسيحية غير أن القديس بولس هو الذي أرسى أصول الشريعة

(١) هو مايكل هارت وهو عالم فلكي رياضي يعمل في هيئة الفضاء الأمريكية .

المسيحية وهو أيضاً المسؤول عن كتابة كثير مما جاء في كتب « العهد الجديد » !! .

ثانياً : أن محمداً هو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدينية كما أن القرآن قد برز عليه وحده ، وفي القرآن وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم !! والقرآن الكريم برز على محمد كاملاً ، وسُخِّلَتْ آياته وهو ما يراى حياً ، وكان تسجيلاً في منتهى الدقة ، فلم يتغير منه حرف واحد ، وليس في المسيحية شيء مثل ذلك فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن !! .

وكان أثر القرآن على الناس بالغ العمق ، وبذلك كان أثر محمد على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى على الديانة المسيحية !! . فعلى المستوى الديني كان أثر محمد قوياً في تاريخ البشرية وكذلك كان عيسى ! .

وكان محمد على خلاف عيسى رجلاً دنيوياً .

[ومعنى هذا التعبير أن الإسلام عقيدة وشريعة وعبادة ومعامة ، وإيمان ونظام ، أو بتعبير العصر الحديث دين ودولة] (١) .

فكان روحاً وأنا وكان يعمل في التجارة ويرعى العم وكان يحارب وبصاف في الحروب ويمرّص . ثم مات !! .

ولما كان محمد قوة حبارة فيمكن أن يقال أيضاً : إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ » (٢) .

هذا كلام رجل أمركي الذي يشعله أو يعنيه هو ذكر الحقائق ، وقد تحدث الرجل عن القديس « بولس » والذي يهمني هنا ما يأتي :

(١) ما بين معقودين من كلام سيح

(٢) خمسون مائة ص ١٦ ١٨ مكتب مطبوع في لندن

أولاً : معروفٌ عندنا نحن المسلمين أن عيسى بنى من أسياء بنى إسرائيل ، يعنى يهودى الحبسية .

ثانياً : أن رسالته محدودة بسى إسرائيل لا يتجاوزها .

ثالثاً : أنه مُمهد للرسالة الحاتمة ، يقول للناس : انتظروا السى الذى يحىء بعدى لأنه هو الذى سيقود العالم كله وهذا هو معنى الآية : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف ٦]

إذن ما الذى حوّل المسيحية من دين محى لسى إسرائيل إلى دين عالمى للناس ؟ ما الذى حوّل ديناً يقوم على التوحيد — ولو فى نطاق صيق — إلى دين يقوم على التثليث ؟ ما الذى حوّل المسيحية من أصلها الذى عُرفت به أول تاريخها إلى الوجهة الجديدة التى تعرف بها الآن ؟

يقول المؤلف الأمريكى — مايكل هارت — يتلخص تأثير « بولس » على تطور الديانة المسيحية فى ثلاث نقاط :

أولاً : نحاحه العظيم كمبشر ولم يستطع أحد أن يقوم بمثل هذا الدور من قبله أو من بعده .

ثانياً : كتاباته التى تؤلف قسماً كبيراً من « العهد الجديد » فمن بين السبعة والعشرين سراً من كتاب « العهد الجديد » نجد أن القديس « بولس » قد أُلّف أربعة عشر سراً !! .

ثالثاً : من أهم أفكاره : أن يسوع المسيح لم يكن فقط نبياً بشراً بل كان إلهاً حقاً !! وأنه مات من أجل التكفير عن خطايا البشر ، وأن الإنسان لا يستطيع أن يحقق هذا الخلاص من خطايا بالإيمان بالمكتب المقدسة فقط وإنما بالإيمان بيسوع المسيح فسوف تُعفى خطايه ، وهو أيضاً الذى أوضح فكرة الخطيئة الأولى !! .

إلى أن قال : وبولس هو المسئول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من

مجرد طائفة يهودية إلى ديانة كبرى ، وهو المسؤول الأول عن تأليه المسيح^(١) !! .

إذن الديانة التي جاء بها عيسى — كما يقول الرجل — ليست هي الديانة التي تنتشر الآن !!

وبعود مرة أخرى لنقول : ما الدين ؟ والجواب :

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران : ١٩٠] .

الدين : معرفة الله معرفة صحيحة ، ومعنى المعرفة الصحيحة أن الواحد ليس معه ثان ولا ثالث ، ومعنى المعرفة الصحيحة أن الواحد القادر لا يعجزه شيء ، وأن الواحد العام لا يجهل شيئاً ، وأن الواحد المتعبد في مكنونه لا رادّ لأمره ولا معقب لحكمه وهو يحير ولا يحار عليه !! .

الدين : هو الإسلام كما حمل هذا العلم وبُيِّنَ هذا العنوان الإنسان الأوحد في حمله للحقيقة ومحفظته عليها وحسن ثلاثه في بشرها محمد عليه الصلاة والسلام في كتابه وفي سته !! .

إن سته ﷺ تسع من شخصيته ، وشخصيته قائمة على أساس الكتاب الذي يسح الأعصاب والملاع لمكرية والعاطفية في هذا الكيان الوراثي العظيم الذي يسمى محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام !! . لهذا المعنى أردت أن يعرف الناس من نحن ؟ .

نحن لسنا أمة تنتمي إلى أرض معينة ولا إلى جنس معين ولا إلى لغة معينة إنما — نحن المسلمين — ننتهي إلى حقائق تنزلت من لدن رب العالمين وصاعها ربنا تبارك اسمه في كتاب ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [صفت : ٤٢] ومثلها علمياً وعملياً نظرياً وتطبيقياً مربي هذه الأمة وأبوها الروحاني والثقافي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام إليه ننتهي وبه نصحر وبديه نستمسك ولا نقبل إلا هذا !! .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ..

(١) المرجع السابق — ترجمه المديس بولس ص ٣٦ ، ٣٧

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويريدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿ [لشورى ٢٥ ، ٢٦]

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المين .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، واعلموا أيها الإخوة أن القوى المعادية للإسلام ما فقدت حراً ولو صئلاً من حقدتها على القرآن والسنة ، ما فقدت حراً ولو قليلاً من كراهيتها لله ولرسوله ، ما فقدت حراً ولو قليلاً من أضغاثها الموروثة على الإسلام وأمتة !! . وهذا لا يحيفني ! .

إن كراهية الأشرار للرجل الفاضل تريد من استمساكه بفضله ومن اعتزازه بنفسه ، وقدماً قال الشاعر العربي (١) :

لقد زادني حماً لنفسى أنسى

بعض إلى كل امرئ غير طائر

وأنى شقى باللعام ولا ترى

شقياً هم إلا كريم الشمائل (٢)

ما فقد أعدائنا ذرة من حصومتهم الخسيسة لنا ، لكنى أحاف من شيء ، أحاف أن تظاهر القوى المصادرة للإسلام يوم عراجم المؤمنين ، ويضعف

(١) الطرماح

(٢) تحريد الأعالي ١٣٣٧ وسهية الأرب ٧١/٢

من تمسكهم بالحق ومن ولائهم له ومن حفاظهم عليه 1

ولذلك فإن ألفت النظر إلى أن دعاة الإسلام يحب أن يقولوا على العهد ، وأن يمسوا في الطريق . قد تكون اجتماعات التي تعيش فيها الأمة إسلامية الآن ليست على ما ينبغي وليست على ما يريد الله لها من سمو واستمسك به والتفاف على ديه .. لكن ذلك لا يسعى أن يبال من عزم لدعاة ولا من عملهم لله ..

أقول هذا لأن نبأ بلغني تأملت له ، وأنا لم أخطب من شهرين تقريباً ها ، وعندما جئت ما كنت أدري جيداً بالأوضاع حتى قبل لي : إن الشيخ أحمد المحلاوي^(١) الآن في سجن طره !! .

أنا أعرف الشيخ أحمد المحلاوي — يوم كان إماماً لسيدى جابر ويوم كان يؤسس فرقاً من الأساتذة المتخصصين في اسواد العلمية والأدبية ليقوى لطلاب المسلمين ويظم لهم فصولاً تجمعهم على العادة وعلى العلم ، كان نعم العون لأمته ونعم الرجل في ديه وخدمة عقيدته ..

ثم سألت صديقاً محامياً لي — له بالقضية صبة — فقلت له : ماذا هناك ؟ فقال : أنا سأدرس القصيه وسأتيك بحرها ولكن إجمالاً هو متهم بأنه يعمل ضد « الوحدة الوطنية » .

الوحدة الوطنية أصبحت التهمة التي تختار للدعاة المسلمين كي يُبال بهم !! إننا أحنى الناس على وطنا وأحرص الناس على وحدته الوطنية ، والله ما يُتهم بلعمل ضد الوحدة الوطنية إلا أناس أعرفهم ، ربما ارتدوا ملاس الرهانية وأردية الكهوت ولكنهم يحملون قلوب قطّاع الطريق وسير معتادى الإحرام !! وهم الذين أشعلوا الصعائن في نفوس الناس ، وداحلاً وحارجاً ألّوا ضد المسلمين وصد من يعمل معهم أو يعمل بينهم !! فسبحان الله !! ما الذي جعل هؤلاء يُفلتون ليهم رجل فيه خير وفيه مهصة للإسلام !!؟ .

هذا شيء عجيب ، لكن تذكرت المعري ، كان رجلاً نباتياً ، ضعف

(١) أحد الدعاة المشهورين بمصر وخطيب مسجد الفائد إبراهيم بالإسكندرية

جسمه فجاء الطبيب وأوصى بأن يُدبح له كتكوت صغير ، وجاءوا
لمعري بالفرخ المدبوح فوضع يده عليه ثم قال :

استضعفوك فوصفوك هلا وصفوا شيل الأسد ؟
نعم .. استضعفوك فوصفوك ، يعنى ليس هناك غير لابس العمامة
البيضاء يتهم بأنه ضد الوحدة الوطنية ؟ .

الوحدة الوطنية لأبد من حمايتها ، ونحن أولى الناس بحمايتها ، لكن
الأصابع كلها تشير إلى من حارب الوحدة الوطنية وإلى من أساء إلى هذه
الأمة وأجج العداوة الحسية ضد الكثرة الطيبة التى تعيش فى تراب هذا
الوادي 11 .

لذلك كما أمس فى المؤتمر العام للدعوة الإسلامية — وهو المؤتمر العام
الذى يجمع الجماعات الإسلامية العاملة فى القاهرة وغيرها — وقررا أن سطر
فى القضية ، وأن تعقد مؤتمرات عامة من بينها مؤتمر عام يعقد فى هذا المسجد
فى الجمعة القادمة ليرى أن العلماء الذين يعتمدون للدعوة الإسلامية ما يسعى
أن يُصادوا بهذه الطريقة ، لأن الوحدة الوطنية عزيزة علينا ونحن حمايتها وبرفص
أن يقال فى الدعاة المسلمين إنهم ضد الوحدة الوطنية .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنائنا التى
فينا معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا
فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا
غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ [اعشر ١٠] .

عبد الله

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء دى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ [الحج ٩٠] .

أقم الصلاة

(١) رواه مسلم فى الذكر — باب التهود من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٨١/٨

قضية الذكر والنسيان

كما شرحتها سورة طه ..

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عنوان إلا على الظالمين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ،
وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ،
والسراج المير .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فقضية الذكر والنسيان قضية عقلية مهمة ، وقضية نفسية أهم ، فإن معرفة
الحق ، وحسن رؤيته ، وصدق الاتجاه إليه ، والاستقامة على طريقه ، إن
ذلك كله هو الأداء الصحيح لرسالة الإنسان في هذه الحياة .. ذلك أن رب
العالمين يُس أنهُ إنما خلق الرمان والمكان ليستطيع كل إنسان أن يذكر فلا
يسى ، وأن يشكر فلا يجحد : ﴿ وهو الذى جعل الليل والنهر خلفة لمن
أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾ [الفرقان ٢٦٢] .

ولليثبات التى يعيش الإنسان فيها أثر عميق في قضية الذكر والنسيان ،
فهناك وسط يعين على حدة الدهن ويقطع القلب ، وهناك أوساط تعين على
العملة والحمول وبلادة لسلوك والاتجاه !! ومن أعانه الله على أن يكون في
بيئة تُسند خطاه ، وتُقوى عزمته ، فقد يسّر له حيراً كثيراً ، وإما يتم ذلك
بالدعاء ، وقد جاء في الحديث الشريف : « اللهم أعنى على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك » (١) .

(١) رواه أبو داود في الوتر — باب في الاستعداد (عون المعبود ٤ / ٣٨٤) والنسائي في السهو
٥٣ / ٢ وأحمد ٢٤٥ / ٥ وابن حبان والحاكم وصححه الألبانى في صحيح الجامع الصغير وزيادته
(٧٩٦٩ — ٣٠٦٣) .

وجاء في الحديث أيضاً أن هناك أحوالاً عارضة قد تعرض للعقل
تعرض العيون للشمس فتكفُ صوءها وتكسِفُ شعاعها ، هناك فقر يُذهل
ويجعل صاحبه وراء حصار من الهموم التي تُبدد قواه وطاقته وراء مطالب
الحياة الدنيا ، وهو ما وَجَّه سبيلنا عليه السلام النطر إليه عندما قال : « بادروا
بالأعمال سبعا ، هل تنتظرون إلا فقراً فُنسيا أو غنى مُطغيا ... » (١) .

العنى المُطغى والمقر لُنسى من اللئ الذى يصيب الناس ، وتتبعته
في أدبنا العربى قصة الذكر والنسيان فوجدت شعراء العربية عرضوا لهذا
الأمر في مواضع من أدبهم ، « فالبُحترى » عندما وقف على إيوان
« كسرى » أو البيت الأبيض أو القصر الأبيض الذى كان يسكنه
الأكاسرة ، وقف أمامه بعد ما أوحش من سكانه ، وبعدما انتقلوا إلى الله
ليحاسبهم على ما قدموا في دنياهم فقال في قصيدته السببية المشهورة (٢) :

دَكَرْتُهُمُ الْخُطُوبُ التَّوَالِي * وَلَقَدْ تُذَكِّرُ الْخُطُوبُ وَتُنْسِي (٣)

وَهُمْ حَافِصُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ * مُشْرِفٌ يُخَسِّرُ الْعَيُونَ وَيُخْسِي (٤)

وعندما عارض « شوقي » هذه القصيدة عارضها بقصيدته التى يقول
في مطلعها (٥) :

* احتلاف النهار والليل يُنسى *

(١) تمام الحديث « بادروا بالأعمال سبعا هل تنتظرون إلا فقراً فُنسيا ، أو غنى مُطغيا ، أو
مرضا مُفسدا ، أو هرما مُفئدا ، أو موتاً مُجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة
أدهى وأمر » رواه الترمذى في ارهد باب ما جاء في ابادة بالعمل وقال حديث حسن عريب
٤٧٨/٤ ، ٤٧٩ وعزاه في الجامع الصغرى إلى الترمذى وإحكام وأشار إلى صحته (فى القدير .
١٩٥/٣) وضعه الألبانى في صحيح الجامع وريادته (٢٣١٤)

(٢) انظر ديوانه : ١١٥٤/٢ ط دار المعارف .

(٣) التوالى : المتتالية . ولعمري يريد الخطوب التى ألت بالنولة العباسية في خلعاتها وفي تحكم
العاصر الأجنبية والسيطرة على الخلفاء والتكامل بهم

(٤) هَمْ ، أى آل ساسان حافصون : أى رعيون العيش . في ظل عال : في قصر مرتفع
« القصر الأبيض » ، يحس العيون يضعفها إذا بطرت تتبين ارتفاعه . ينسى : يؤلم .

(٥) الشوقيات ٤٥/٢ .

نعم ، اختلاف النهار والليل يُسى ، لكن عندما يُسى فما الذى يُنسيه ؟

والله إن أنسَ الحقائق التى لا بد منها صاع الإنسان ، وإن أنسَ شيئا لا قيمة له فليذهب إلى مطاوى العفلة غير مأسوف عليه .

لكن يجب أن يعرف أن فصية الذكر والنسيان خطيرة ، فإن نحاح الطالب إنما يكون بمقدار ما يذكر من حقائق لعلوم التى حصلها وبقدر ما تُشرق في قلبه أنواع المعرفة التى درسها ، فإذا طوى النسيان هذه العلوم كلها فلا نهاية إلا السقوط ولا ختام إلا الفشل !!

التاجر الذى لا يدرى من تحارب الماضى ولا من العبر التى مرت به ما هى مواطن الربح والخسارة في أحواله وأعماله فإنه يتعرض للوار في عده القريب أو في مستقبله البعيد .

وقد بين القرآن الكريم أن هالك ناسا يستقبحون الحياة ولا وعى لهم ولا ذكر ، وهؤلاء مافقون أو أشباه مافقين ، يقول الله فيهم : ﴿ أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴾ [التوبة : ١٢٦] .

قصة الذكر والنسيان قصة تحتاج إلى شيء من المعالجة ، وقد رأيت أن سورة من سور القرآن تعرضت لقضية الذكر والنسيان في سبعة أو ثمانية مواضع منها فأردت — معكم — أن أمضى في عرض هذه المواضع حتى نستفيع بها ونقتبس من كتاب الله ما يبرر قلوبنا وما لا يجوز أن نساه من أمر ديننا .

ذلك ولنعلم أن القرآن الكريم له أسماء رسمية أو أسماء إلهية ، ليست أسماء شهرة أُطلقت عليه من الناس بل هى أسماء إلهية أُطلقت عليه ممن أنزله تبارك اسمه ...

فمن أسماء القرآن : « القرآن » ومن أسمائه : « الكتاب » ومن أسمائه : « الذكر » قال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر : ٩٠] .

سُمي ذكرا لأنه يُصحى القرائح الميتة ، ويودع فيها حياة جديدة ،
ويذهب بالخمور الذي يَرِيحُ على بعض القلوب ، ويجعل منها أوعية لها بالله
علاقة حسنة !!

وليس حفظ الذكر بطع ألف مليون مصحف جيدة الطبع ، فهي
أوراق ليست أكثر من حجر على ورق ، وليس حفظ القرآن بألف مليون
شريط مسجل عليها القرآن بأصوات حسنة أو بأصوات عادية ، فهي
أشرطة تثبت أو تُسحى ..

حفظ القرآن بحفظ ناس أثار الله أفئدتهم بمعرفته ، وأوضح سلوكهم
بالطَّيَّة إذا أحلَّ قههم خُلوة ، وإذا سلَّوهم راشد ، وإذا أثرهم في الحياة
عميق !!

حفظ الذكر حفظ أمة تعمل به ، وتعمل به ، وتدافع عنه ، وتمثله على
ظهر الأرض ، وتعرضه على العالمين — لأنه رسالة خاتمة !!

وإذا م توحد هذه الأمة فسَيُطوى سُرادق الحياة ، ويرتد الناس جميعاً
إلى ربهم مع انتهاء الدنيا وما عليها ومن فيها !!

ما السورة التي أشرت إليها وقلت : إنها عرست لقضية الذكر
والسيان في ثمانية مواضع ؟

هي سورة طه ، أول سطر فيها ﴿ طه . ما أنزلنا عليك القرآن
لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ [طه : ١ - ٣]

ومعنى الآية — كما أثَّره — أنك يا محمد مكلف بالبلاغ وتذكير
العالمين وإعادة العلم إلى من جهَّوه ، وإعادة المطر إلى سلامتها التي وُلدت
مها ، إليك ستجد من يصرف عنك ، ومن يصد عن طريقك ، لا تحزن ،
وقد كان الناس كذلك ، وكان أسى ﷺ حريصاً على الدعوة ، وكان
المشركون يرونه من بعيد فيقول أحدهم للآخر : إذا لقينا فسيعرض علينا
الإسلام فعالوا نختص من طريقه ، فعالوا تشاغل عنه حتى لا يحدثنا عن دينه
هذا : ﴿ ألا إنهم يشنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم
يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور ﴾ [هود : ٥]

مع كرههم له ولدعوته ورسالته ، وصيهم بما يسمعون منه فقد قيل
له : امص في طريق الدعوة ولا تأسف إذا كفر بها من كفر ، وجحد بها
من جحد ، لا تشق بهذا فأنت مكلف باللاع والتذكير : ﴿ ما أنزلنا
عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى ﴾ !!

هذا أول ما عرضت له السورة من قصايا الذكر والنسيان ، وكل
ما تعطيه الآية أن صاحب الدعوة الحقيقي يتحدث كواحد يبصيح بيه ، أو
كمدرس شفيق حنون يعلم تلامذته وهو عميق الرغبة في أن يرفع مستواهم
وأن ينقذهم مما هم فيه من جاهلية وضياع !!

الموضع الثاني في السورة قوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾
[طه : ١٤] .

والواقع أن الصلوات ساعات يعود الناس بها إلى ربهم ، أو تعود
بالناس إلى ربهم إذا شدتهم مطالب الدنيا وضرورات الحياة بعيداً عن ذكره
ومراقبته واستلهاهم الرشد واستمداد العون منه جل جلاله .

علما تفسد الأديان تفسد بتحويلها من طاقة تُوقظ العقل وتُحيي
الضمير وتوجه الناس إلى شكل فرّج من محتواه ، وأصبح صورة لا حقيقة
لها أو جسداً لا روح فيه !!

والصلوات عند كثير من الناس حركات بديّة ، وليست قلماً حاشعاً ،
ولا فكراً ساجداً ، مع أن الله جل جلاله يبيّن للمسلمين يوم كانت الحمر في
مراحل التدرج — فلم يرل بر صر قاطع بتحريمها — حرمة أن يقف الناس
بين يديه سكارى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون ﴾ [النساء : ٤٣] .

هناك ناس سكارى بخمرة الدنيا يقفون بين يدي الله فلا يعلمون
ما يقولون !!

وهذا — بداهة — ليس من رسالة الصلاة . لا في تأديب النفس ،
ولا في قيادة المجتمع إلى الله .

الموضع الثالث في السورة يحكي طلب موسى من ربه أن يمسحه عوناً له على أداء رسالته : ﴿ واحعل لي وزيراً من أهلي هارون أخى . اشدد به أزرى وأشركه في أمرى كي نسبك كثيراً . ونذكرك كثيراً ﴾ [طه . ٢٩ - ٣٤]

فالوظائف القيادية في ميدان الرسائل الروحية والاجتماعية أساسها التسبيح والتحميد والذكر الدائم ، وهو ما وعد موسى أن يكون عليه عندما يعينه الله بأخيه الذى يشد به أزره !!

ولذلك جاء في الموضع الرابع من السورة عندما أجاب الله سؤال موسى وحقق له أمسه قال له : ﴿ اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى اذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولاً ليا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه . ٤٢ - ٤٤] .

﴿ لا تنيا في ذكرى ﴾ أى لا تنوأسا ، لا تتكاسلا ، لا تتراخيا في ذكرى .

﴿ لعله يتذكر أو يخشى ﴾ إن التذكير هما من أجل إنقاذ الرجل من العملة التى رأت على قلبه ولله جعلته يستعلى كثيراً على أمثاله من الخلق ويرعم أنه إله وما هو إلا عبد ..

والذكر هما شعور بعظمة الله يؤنس من يتعرض لجبايرة الأرض ، ولذلك لما قالوا : ﴿ ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى . قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى ﴾ [طه : ٤٥ ، ٤٦] .

فذكر المعية الإلهية يعينه على أداء واجبه ، ويدلل له الصعب ، ويهون عليه العسير !!

الموضع الخامس نجده في قصة بى إسرائيل مع موسى ، فهناك موعدان طفر بهما موسى للقاء الله ، وذهب موسى للقاء الله بعد أن تمهد هذا اللقاء بأربعين يوماً ، وذهب وهما نجد أن بى إسرائيل ارتدوا عن دينهم !!
في دراستي لتاريخ اليهود في هذه الفترة وفيما أعقبها من فترات وجدت

أن تعصب هؤلاء الناس لدمهم يعلب في كثير من الأحيان تعصبهم لمبادئ الإيمان وأصول العقيدة !! فكأن معرفتهم لله لم تُستكمل ، وكأن حلاوة الحق في مذاقهم لم تتم ، ولذلك بعد قليل جدا من نجاتهم وعرق أعدائهم سبوا هذا الخارق العريب ثم عبدوا عحلا صغوه وعدوه عن محبة عالية ، وشهوة عارمة ، قال تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة : ٩٣] .

كانوا محتالين ، لما خرجوا قالوا لمصريين : أعطونا خُلَيْكُم ستع بها عارية ثم نردها ، وأخذوها وخرجوا ليلا مع موسى ، ثم شعروا أنهم لصوص فجمعوها في حفرة وإذا واحد منهم يديها ويصنع بها عجلا له ثقب تصنع صوت البقر فقال لهم . هذا إله موسى !! حَيٌّ تُدَوِّبُ وتُصنع تمثالا لعجل تُعبد على أنها إله !! أي شيء هذا !!

ولذلك قال الله لموسى : ﴿ وما أعجلك عن قومك يا موسى . قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى . قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم إلم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يخل عليكم غضب من ربكم فأحلقتُم موعدي قالوا ما أحلفنا موعداك فملكنا ولكنا حملنا أوزارا من رية القوم ففقدناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى ﴾ [ص ٨٣ - ٨٨]

نسى السامري ونسى الشعب الصال معه كل ما كان ، وهذه طبيعتهم ﴿ أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ﴾ [البقرة : ١٠٠] .

والأمم التي تسي تحتاح إلى قوارع تذكرها ، وربما كانت هذه القوارع سنوات عُضُوضاً^(١) ، أو أرمان ما حقة ، وبحسب فسوة الطمع وشدة الحجاب وكثافة العفنة تكون الأيام التي تذكر ، تكون جراحاتها عميقة وصرباتها موجعة ...

(١) المصُوضُ : الزمن الشديد الكَلْب والجمع عُضُوضٌ وعَصَصٌ

وشاء الله أن يحرق العجل الذهبي . ﴿ لنحرقنه ثم لنسفنه في اليم
نسفا . إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما ﴾
[طه : ٩٧ ، ٩٨] .

الموضع السادس — بعد هذه القصة مباشرة — يقول الله فيه لنبه محمد
ﷺ : ﴿ كذلك نقص عليك من أباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا
ذكرا من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا . خالدين فيه وساء
لهم يوم القيامة حملا ﴾ [طه : ٩٩ — ١٠١] .

الذاكر هنا القرآن ، وقد تحدثنا في صدر الخطبة عن معنى كون القرآن
ذكر .

هناك موضع سابع وثامن ، فسوحر السابع قليلا لذكر الموضع الثامن
وهو قوله حل شأنه : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا
وعشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت
بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾
[طه : ١٢٤ — ١٢٦] .

أيها الأخوة : كون من يُعرض عن ذكر الله يعاقب فهذا قانون إلهي ،
وتحت هذا القانون تفاصيل ، فبمعاملة الله لسان تختلف بقدر ما يُسرَّ
لهم من علم ، وما ينأخ لهم من معرفة ، وقد جاء في الحديث : « الزبانية
إلى فسقة حملة القرآن أسرع منهم إلى عبدة الأوثان فيقولون : يبدأ بنا
قل عبدة الأوثان ١١٢ فيقال لهم : ليس من يعلم كمن لا يعلم » (١) .

وجاء في حديث آخر : « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب
يصيبه » (٢) وفي حديث آخر « إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة

١ . عراه السيوطي في الجامع الصغير ، وخطري وأبي نعم عن أس وأشار إلى ضعفه (فيص
لقدير ٦٠ : ٤) ، ضعفه الألباني في ضعف الجامع الصغير وزيادته (١٣٨٩) وقال المنذري ولهذا
الحديث مع عرته شواهد (الترغيب والترهيب ١/ ٧٦) .

(٢) نص الحديث « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه » ، ولا يرد القدر إلا الدهاء ،
ولا يريد في العمر إلا البر » عراه السيوطي في الجامع الصغير إلى أحمد والنسائي وابن ماجه وابن
حبان والحاكم وأشار إلى حسنه (فيص لقدير ٢/ ٢٣٢) (ضعفه الألباني في ضعف الجامع الصغير
وزيادته (١٤٥٢))

ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة ، يكفرها الهموم في طلب المعيشة» (١) .

قال العلماء في حديث : « إن الرجل ليحرم الرزق بالدنب يصيبه » كيف هذا مع أن الله يقول في بعض الناس ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون ﴾ [التوبة : ٥٥]

والآية صريحة في أن فساداً وكُفُوراً ترداد أموالهم ، وتتسع ثرواتهم ، فكيف يُحرم إنسان الرزق بالدنب يصيبه !!؟

وكان جواب العلماء على هذا : أن رب العالمين يعامل من يحب معاملة خاصة فهو يؤدهم في الدنيا ليرجعوا إليه ، فربما حرم رسالاً فيه خير حتى يرجع إليه لأن الحرمان حرقه معروف أن له ربا يعطى ويمنع فليحأ إليه فوسّع عليه !!

أما إذا غضب رب العالمين على أحد فإنه يُوسع له ، قال تعالى : ﴿ أيعسبون أنما نعدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴾ [المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦] .

وقال : ﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين ﴾ [آ عمران : ١٧٨] .

بدأ «كارل ماركس» وغيره يصنع فلسفة لتقسيم الأوراق على الخلق فكانت النتيجة أن الأرض مبعث خيرها ، وأن الروس يحتاجون إلى البساتين وإلى الثمار وإلى الحبوب من كل مكان !!
طبيعة الحصادات المادية عموماً حتى لو اردهرت عمال كثير أنها تعمر

(١) عزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى أبي نعيم وابن عساكر وأشار إلى صعبه (فيص القدير ٥٢٦/٢) وحكم الألباني بوضعه في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٩٩٢) وقال الهيتمي في المصنف ٦٤/٤ رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن سلام المصري قال الذهبي حدث عن يحيى بن بكير بغير موضوع قلت : وهذا فيما رواه عن يحيى بن بكير

لتدمر وتبني لتهدم وتصعد لتهبط ولا بركة فيها . ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [طه : ١٢٤ - ١٢٦] .

هذا هو الموضع الثامن فليعد إلى الموضع السابع — وقد أخرجه لأكثر الكلام فيه لأنه يتصل بنا كلنا .

يقول الله في هذا الموضع يصف أبانا آدم . ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ﴾ [طه : ١١٥] .

أصيب آدم بمرضين : ضعف الذاكرة ، وضعف الإرادة ، وكلا المرضين قاتل ، فإذا اجتمعا معاً أخرج الإنسان من الجنة !!

ضعف الذاكرة . قال الله له . لا تأكل من هذه الشجرة ، في غيرها ما يُشبع وما يعسى ، ليس هناك ما يلحىء إليها ، فيما أباح الله ما يجعل الإنسان أغنى العباد عما حرم الله ، ليس في محرم ضرورة أبدا ...

لكن آدم نسي ، صغمت ذاكرته مع عبية أشياء أخرى عليه ، وحتى ما بقي من معومات باهتة عن هذا الأمر الإلهي فقد طواه ضعف الإرادة ، فإن الشيطان جاء يسحر منه : مُعَتَّ من الشجرة ؟ الخلد أمامك !! الملك أمامك !! ﴿ هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ [طه : ١٢٠] .

بضعف الذاكرة وضعف الإرادة سقط آدم ثم تاب الله عليه . عندما سطر — نحن أبناء آدم — إلى أنفسنا نحد المرض هو هو ، ضعف الذاكرة ، وضعف الإرادة ، نعلم أن هذا يصربنا ويقع فيه ، ولذلك نحتاج دائماً إلى أن يبقى أقوىاء الإرادة ، وأقوىاء الذاكرة ، فليعالب السيان في حياتنا ، ولنعالب حَوَر العزيمة في حياتنا ...

يقول الله جل شأنه ليحيى : ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ [مريم : ١٢] .

الأنفس الباردة لا يُتبع شيئاً ، نريد حماساً ، نريد إنساناً في قلبه حُرقة

ورغبة في أن يُرضى ربه ، وأن يؤدي ما عليه مع وصوح الرؤية — كما يقال في العصر الحديث — ومعنى وصوح الرؤية أن نعرف الأمر الذي نعمل به ونحيا من أجله .

ومصت السورة تنبيه النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن يؤدي واجبه مع الناس ، مع أن الناس يسون ، يسون ماذا ؟ يسون التاريخ ، يسون ما مضى من حياتهم ، ولذلك جاء في آخر السورة : ﴿ أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولى النبي ﴾ [طه : ١٢٨] .

أعجبهم مساكنهم ، وألتفتوا بما وفروا فيها من منع ، وسوا الرب الذي يسر وأعطى ، وأعنى وأقنى ...
كما قادري على أن نطشهم ، وبأحدهم أخذ قادر مسرع ، لكن أخرناهم إلى حين : ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى ﴾ [طه : ١٢٩] .

﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بتأخير الناس إلى أجل مسمى ﴿ لكان لزاماً ﴾ أي لكان العقاب لازماً ، ولكن أخرنا الناس إلى أجل مسمى لعلهم يثوبون إلى رشدهم ، لعلهم يهتدون إلى الصراط المستقيم قبل أن تفارق الأرواح الأجساد ، هذا هو ما تعطيه الآية ...

ثم قال لصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام : يعينك على معالجة الناس ، وعلى سوء مقابلتهم لك ، وعلى رداءة مواقفهم منك أن تذكر ربك ، ونلجأ إليه : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ [طه : ١٣٠] .

« اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »^(١)

(١) نقدم تخریجه في صدر هذه الخطبة .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقلل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا و عملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون هم عذاب شديد ﴿ [اشورى . ٢٥ ، ٢٦] .
وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .
وأشهد أن محمدا رسول الله ، إمام النبيين وسيد المصلحين .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل .
عباد الله ، أشعر بأن الأمة الإسلامية لا تراه على أوب الطريق — طريق الخير — لم تمش فيه كثيرا ، هل هي أمة كسول ؟ ربما ، هل هي أمة جهول ؟ ربما ، لكن احدى أعرفه أنها حقا رسالة الإسلام في الوقت الذي يحرص فيه بعضا على أمور ناهية لا تقدم ولا تؤخر في معالم الإسلام شيئا !!

من عشر سنين — تقريبا — أرسلني الأستاذ الدكتور / عبد الحليم محمود شيخ الأزهر — رحمه الله — إلى « أوغندا »^(١) مع رميل آحر ، وذهبا إلى « أوغندا » ولقينا فيها « عيدي أمين »^(٢) وأسسنا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية هناك ، وفي سياحتنا هذا القطر لقيت رجلا مسلما وقال لي كلمة — شعرت بعدها بالحجل الذي نكس رأسي وأدلى — قال لي : يا أستاذ لماذا جاء آباؤكم بالإسلام إذا كنتم أنتم قد نسيتمونا !!؟

فقلت له : على أية حال يعيب الله ولا سساكم .

قال نحن محتاجون إليكم .

(١) تقع في وسط أمريب شملي مصطفه بحيرت وتحددها سودا شمالا ، ورائير عربا ، وروند وغيره فكنو ي ونيرت جنوب ، ما من مرق لتحددها كيب وبيع من المساحة ٩٣٩٨١ ميلا مربعا

(٢) رئيس جمهوريه ، بعد من سنة ١٩٧١ م حتى سنة ١٩٧٩ م وخلال فترة حكمه عمل على انتشار الإسلام في أوغندا

المسلمون في «أوعدا» كانوا نحو عشرين في المائة ، والمسيحيون كانوا نحو عشرين في المائة ، والوثنيون نحو ستين في المائة ، ولكن كان المسيحيون يمثلون العدد الأكبر من المثقفين والعدد الأكبر ممن بأيديهم أزمة الأمور ...

ووصعا حطة للهضة هذا البلد ، على كل حال الذي حدث أن الأمور بلغت في أيام «عیدی أمين» أ ب الإسلام — تقريباً — وصل إلى أربعين في مائة من تعداد السكان... الآن — في صمت عريب — يُصنّف الإسلام في «أوعدا» وآخر ما سمعت — في إداعة لندن أن نحو اثني عشر ألفاً قتلوا في الشمال العربي لأوعدا ، أي في المواطن التي يعيش المسلمون فيها — مواطن عیدی أمين — لأن شمال أوعدا تقريباً كله إسلامي .

والأمة الإسلامية في القارات الخمس لا تعي شيئاً عن هذا البلاء ، الأمة غافلة ، وأصرخ في أي ميدان أقول : المسلمون يُقتلون في «أوعدا» ما يسمعي أحد !!

وقد رار أوعدا بانا الفاتيكان ويسر الطريق لهذه المذابح !! وقد رار — كما قلت لكم — «العيين»^(١) والمسلمون يُستأصلون في الفلبين في صمت !

ما الذي يشعل الأمة الإسلامية ؟ ثم ماذا ؟

يذهب عملاء «حافظ أسد» في «سوريا» إلى رئيس المركز الإسلامي في «ألمانيا» ليقتلوه فلا يجدوا الرجل في بيته فيقتلوا امرأته !! وامراته بت الشيخ «علي الطنطاوي» من أعظم المذيعين في المملكة العربية السعودية لتعاليم الإسلام !! .

نكات تنزل بالدعاة وبالأمة الإسلامية على نحو غريب !!

فيا إخواني أرجو أن تصحوا ، الإسلام يقول لنا . التاريخ الماضي . اعرفوه ، لكن أنا أقول أيضاً : التاريخ الحاضر اعرفوه ، أمتنا تائهة ، ويجب

(١) أرخبيل من الجزر الكثيرة والتي تقع في جنوب الصين وشمال شرق أندونيسيا ، وحدودها البحرية بحر الصين الجنوبي وبحر سولو غربا وبحر سيبير جنوبا والمحيط الهندي (بحر الفلبين) شرقا ومضيق بانكو شمالا ، ولها حدود إقليمية مع تايلاند والصين وماليزيا وأندونيسيا وتبلغ مساحتها ١١٥٦٠٠ ميلا مربعا .

أن نعرف أحوالها وشئونها .

« اللهم أصلح لنا دينا الذى هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دينا الذى
فيه معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا
فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا
غلا للذين آمنوا ربنا إملك رؤوف رحيم ﴾ [الحشر . ١٠] .

عباد الله

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ [البقره . ١٧٠] .

أقيم الصلاة

(١) رواه مسلم فى الذكر باب التعمد من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل : ٨١/٨ .

علاقة المسلم بالدنيا

خطبة الجمعة بجامع عمرو بن العاص
رضي الله عنه

١٩٧٤/٣/٨ م

أحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ،
وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والتعمة المسداة ،
والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
والتابعين .

أما بعد :

فما هي علاقة المسلم بالدنيا التي يعيش فيها ؟ .

إن بعض الملحدين — من شرق الأرض وعربها — يقولون : إن الدين
يُعلّق أتباعه بالدار الآخرة ، ويصرف أفكارهم إلى نواح غيبية مهمة ،
ويبدد قواهم وراء العمل للدار التي يتوهمون أنهم يحشرون فيها أو يعودون
إلى ربهم فيها ، وذلك كله على حساب علاقتهم بهذه الأرض وما فيها ومن
فيها ، فترى المتدينين يضيّقون بالحياة ، ويستوحشون منها ، ولا يأسون لما
يحدثهم من التقدم فيها والاستكثار من خيرها ، ويظنون أنهم إنما يُحررون
أنصبتهم من الكمال النفسي ومن التقدم الأخروي على أنقاض هذه الحياة
التي يتجهمون لها ويجهلون أساليب العيش بها !! .

هذا كلام بقوله الملحدين — من أصحاب الفلسفات الشرقية أو
الغربية عموماً — وهم ينتقلون الدين ونظرته إلى الحياة .

ونحن من باب الأمانة — نقول : إن هذا التمكير إذا قيس بحقائق الإسلام المقررة ، وقيمه المعتمدة ، وتعاليمه التي توطدت واستقرت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تبين أنه كلام تامه لا وزن له !! .

لكن لا شك أن بعض المتدينين أعال على توجيه هذه التهم للإسلام ، وأن مسلكه في الدنيا هو الذي جعل أسنة أعداء الله تطول في قيمة الدين وأثره !! .

ولو أن المسلمين أنصفوا أنفسهم وكتائبهم وبيتهم ، وأحسوا الأسوة بسلفهم الصالح ، وتمشوا في الطريق التي أقام عليها الآباء الكبار أعرق حصارة عرفها الدنيا لكان الملحدون من شرق الأرض وعرها قد تقاصروا عن هذا الكلام ، وعجزوا عن توجيه التهم للإسلام !! ولكن أسأنا الفهم ، وأسأنا العمل ، فكان من سوء الفهم وسوء العمل ما حرّص أعداء الله ورسوله ﷺ إلى أن يصفوا دينه بهذا الوصف الذي لا أصل له .

ما علاقة المسلم بهذه الدنيا ؟ .

قال بعض العلماء إن الإنسان له ناحيتان متقابلتان : هو أمام الله عد يحصع له ويتلقى منه ، وهو في هذا الكون — الذي يعيش فيه — سيد يصدر أوامره !! هو أمام الله تابع يتلقى الأوامر ، وليس له بالنسبة هذه الأوامر إلا السمع والطاعة ، ولكنه بالنسبة إلى الدنيا — التي يعيش فيها — مَلِكٌ ، يتقل في فحاجها ، ويُسحر كل شيء له ، وله الحق أن يقترح وأن يجتهد وأن يتدع لأنه أعلم بشؤون دينه ، أما في شؤون الدين فلا حق له في اقتراح ولا ابتداع لأنه يتلقى عن الله فقط (١) !! .

الناحيتان المتقابلتان في كيان الإنسان هما الطاق الذي يعمل داحيه ، هو أمام الله عبيد ، يعترف بحقه ، ويسبح بحمده ، ويشعر بحمليه ، ويستعد

(١) عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ « مر بعوم يتفحون فقال لهم يا معشر صحاب قال : فخرج شيخا عمر مهم فقال ما نحبكم ؟ قالوا قلت كذا وكذا قال : أنتم أعلم بأمركم » رواه مسلم في الفضائل — باب وجوب أمثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معاش الدنيا على سبيل الرأي ٩٥/٧

للقائه ، ويأبى أن يشعر بأن الحول كله به أو الطول كله له ، ويعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله .

أما الباحية الثانية في الإنسان — وهي أنه سيد في الكون — فهي تحيىء من أن الله جعله كذلك ، ملكه وملّكه وسخر له ، قل تعالى : ﴿ الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [الحاثه ١٢ ، ١٣]

هذا التسخير — للإنسان — هو الذى يحدد لنا ما مكانة الإنسان في الأرض ، ما علاقته بهذه الدنيا التى يعيش فيها

هل خلق الإنسان ليكون مُرلزل القدم على طهر الأرض ؟ هل حق ليكون عريباً بين حيرات الله التى أحاطت به ؟ كلا ، يقول الله حل شأنه ﴿ ولقد مكناكم فى الأرض وجعنا لكم فيها معاش قليلاً ما تشكرون ﴾ [الأعراف ١٠] .

التمكين في الأرض وظيفه ها مؤهلات ، وما يستطيع أن يكون مكيماً في الأرض إلا من استجمع الخصائص الأدبية ، والمواهب العقلية ، والإمكانات المادية التى تجعل له هذا التمكين المطلوب .

ولعله مما يسعى توجيه النظر إليه أن الله سبحانه وتعالى كما أعم على إنسان جعل التمكين في الأرض مرادفاً لهذه النعمة . فيوسف عليه الصلاة والسلام — عندما تولى شؤون المال في « مصر » قال للملك : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ [يوسف ٥٥] فهو يطلب منصفاً ترشحه له مؤهلات خاصة — الحفظ والعلم — ولو كان لا يستجمع هذه الصفات ما أُهل ولا طلب وما يسعى له أن يصيب وهو لا يحفظ ولا يعلم ، يقول الله حل شأنه — بعد أن نال يوسف هذه الوظيفة ﴿ وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوا منها حيث يشاء ﴾ هل هذا التمكين في الأرض نعمة أو لمة ؟ لا هو نعمة من الله ، يقول جل شأنه : ﴿ نصيب برحمتنا من نشاء ولا نصيب أجر المحسنين ﴾ [يوسف ٥٦] وهذا كله في الدنيا أما في الآخرة فقد تولت الآية التى بعدها شرح المكانة الأخروية : ﴿ ولأجر

الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿ [يوسف . ٥٧] .

تحدث القرآن لكريم عن دى لقريين . ﴿ ويسألونك عن ذى القرنين
قل سأتلو عليكم منه ذكراً . إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء
صيباً ﴾ [الكهف ٨٣ ، ٨٤] التمكين فى الأرض كان الصفة البارزة فى قصة
الرجل الذى أراد الله أن يسوق لما حبره ، وأن يحكى لما تاريخه ، وهما يرى
أن التمكين فى الأرض يبدأ نعمة من الله على من أراد من خلقه ، فهو يجهد له
ويعيه ، ولكن على من يحظى بهذه النعمة أن يبدل قواه ، وأن يبدل أسانه
فإنه إن انكمشت يده وانقبضت ، ولم يؤت السب المطلوب منه صاغت
النعمة ولم تنو له . ولذلك يقول جل شأنه ﴿ إنا مكنا له فى الأرض
وآتيناه من كل شىء صيباً فأتبع سبباً ﴾ [الكهف ٨٤ ، ٨٥] أدى ما عليه
واشتغل وبدل الجهد ، وبرى جهده برراً فى عمل — يؤسفاً كل الأسف
بل يكس رؤوساً أن العمل الذى يبر فيه هذا الرجل الصالح — قديماً —
لا يحسه الآن من يتسبون إلى الصلاح والتقوى ! بل يحسه من أتقوا
الإلحاد والريغ فى الأرض !! لماذا ؟ لأن الدين يرعمون الصلاح والتقوى
ظنوا الجهل هذه الأمور عادة ، وحسبوا أن عيش المرء على طهر الأرض
وهو جاهل بقوانينها ، عاجز عن تسخيرها وتطويعها يؤهله للدار
الآخرة !! .

هذا كذب ، هذا عباء ، شاع أيام العباء فى تاريخنا ، وتاريخنا كالموحي
يرتفع ويهبط ، وقد شاعت الآن — ولا تزال — أفكار من أيام الهبوط فى
حضارتنا !! .

هذا الرجل — ذو القرنين — جاء إلى قوم من الهمل — يشبهون الأمة
الإسلامية الآن — لما جاءهم قالوا له شاكين باكين : ﴿ يا ذا القرنين إن
يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً ﴾ جائزة
ومكافأة ﴿ على أن تجعل بيننا وبينهم سداً ﴾ لم لا يحسبون بناء سد لهم ؟
لأنهم عجرة !! فكان الرجل ذكياً نصياً قال : أنا مستعن عن جوائزكم
ومكافآتكم وخرجكم : ﴿ قال ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة
أجعل بينكم وبينهم ردماً . أتولى زبر الحديد ﴾ نطعه ﴿ حتى إذا ساءى

بين الصدفين ﴿ بين جاسي الوادي ﴿ قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال
أتوني أفرغ عليه قطراً ﴿ أي نحاساً دائماً ﴿ فما استطاعوا أن يظهره
وما استطاعوا له نقباً ﴿ [الكهف . ٩٢ - ٩٧]

سَطَّرَ في القرآن الكريم وَصَفَ استحكامات حربية قامت على أساس من
سود أديب فيها الحاس والحديد والصح والتراب فكان سدا ضخما !!
مَنْ المهندس الذي أشرف على هذا العمل ؟ رجل صالح من عباد الله
الصالحين !! .

وهذا العمل فيما يتصور الناس ليس عمل عباد الله الصالحين الآن !!
ماذا ؟ لأن عمل عباد الله الصالحين في تصور الأعياء أ يضعوا مسيحة (١)
بين أيديهم ثم يبدأون العث بحثائها ويحسبون ذلك ذكراً لله ، وهو سيال
لله !! ليس هذا تديماً ..

ثم رجع إلى الإسلام — نفسه — في نصوصه القرآنية والنبوية لرى
الموضوع مفصلاً ..

من أهم ما تقوم به الأمم الزراعة ، يرى الإسلام أن الزراعة عبادة ،
يقول النبي ﷺ : « ما من مسلم يغرّس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه
طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » (٢) .

وروى أحمد بن حنبل في مسنده : « إن قامت الساعة ويد أحدكم
فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل » (٣) .

ومعنى هذا أنك تعمل إلى قيام الساعة ، فلو قامت الساعة وأنت تزرع
فلا ترم ما بيدك بل تمم الزراعة فإنك في عمل صالح يحسب لك .

ومن عجائب الإسلام أنه اعتبر أن الاقتصاد الإسلامي لا يجوز أن يقوم

(١) المسبحة : خمرات منظومة للنسيح

(٢) رواه البخاري في المزارعة — باب فصل العرس والزرع إذا أكل منه ١٣٥/٣ ومسلم في

المساقاة — باب فصل العرس والزرع ٢٨/٥ .

(٣) رواه أحمد ١٨٤/٣ ، ١٩١ والبخاري في الأدب المفرد — باب اصطناع المال ص ٦٩

و قال في مجمع رواه الترمذي ورجاه أثبات ثقات ٦٣/٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير
وريلاته (١٤٢٤) .

والفسيلة : النخلة الصغيرة تُقْلَع من الأم أو تُقْلَع من الأرض فخرس .

على مصدر واحد من مصادر الثروة بل لابد أن يعتمد على مصادر شتى ، وأن الاكتفاء بالمصدر الواحد علط ، ولهذا جاء في صحيح البخاري أن أبا أمامة الباهلي رأى سيكة وشيئاً من آلة لحرث فقال سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله » (١) .

وفي حديث آخر « إذا تابعتهم بالعين وأخذتم أذنان البقر ورصيتهم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » (٢) .

قال ابن حزم (٣) : « إن الررع المدموم الذي يدخل الله تعالى على أهله الدل هو ما يشوغل به عن الجهاد » .

هذا كلام ابن حزم ، وهو كلام يجمع بين النصوص المختلفة ، ولكن الحقيقة أن ما يؤكد النبي ﷺ هو أن الأمة لا يجوز أن تكتفى بالزرع ، فلا بد — مع الزراعة — من تجارة ومن صناعة !! .

فيم يتصل بالصناعة بجد أموراً يسعى أن تعرف : أحد أنبياء الله الكرام اشتغل في الصناعة : ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير ﴾ [سبا : ١٠ ، ١١] .

(١) رواه البخاري في المزارعة — باب ما يُحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع أو مجاورة الحد الذي أمر به ١٣٥/٣

(٢) رواه أبو داود في الإجارة — باب في النبي عن النبي (عون المعبود ٣٣٦/٩) وأحمد ٨٤/٢ وأبو نعيم في الحية ٢٠٩/٥ وعزاه السيوطي في الجامع الصغير إلى أبي داود وروى عنه (٥١٥) وقال المنذري وفيه أبو عبد الرحمن الخراساني واسمه اسحاق عد في الميراث من مساكينه خير أبي داود هذا ، ورواه عن ابن عمر بالنظر المذكور أحمد وابن جرير وأبو يعلى ، قال ابن حجر وسنده ضعيف ، وله عبد أحمد إسناد آخر أمثل من هذا (فيض القدير ٣١٤/١) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٤٢٣) والنبيه بكسر النون هي أن يبيع سبعة بثمر معلوم لأجل ثم بشرتها بأقل ليفي الكثير في دمه ، وهي مكروهة عند الشافعية والبيع صحيح وحرمتها غيرهم تمسكاً بظاهر الخبر . سميت عينه لحصول العين أي النقد فيها وأخذتم أذنان البقر : كناية عن الاشتغال عن الجهاد بالحرث ورصيتهم بالزرع : أي بكونه ممتكماً وهنتكم أي (فيض القدير ٣١٣/١ ، ٣١٤)

(٣) انظر : النجلى في كتاب مزارعة ومعارضة ٢١١/٨

وتفسير : ﴿ أن اعمل سابغات ﴾ أى دروعاً سبعة . ﴿ وقدر في السرد ﴾ أى أحكم السح ، أو كما يقول بعض المفسرين : اجعل مسامير الدروع دقيقة بحيث تضبط على درع وفتحها ، فلا تكون الحروق واسعة فتخرج الأرزار أو صيقة فلا تدحل^(١)

المهم إحكام الصاعة ، من التفسيرات التي تضمنت بلامه قول أحد المفسرين : كان الحديد كالعين في يده !! هذا كلام مضحك !! .

إن كلمة ﴿ وألما له الحديد ﴾ أى جعلناه ماهراً في صاعات الحديد ، فيقال — لعة وأدياً : لست بصعة في يده إذا كان قد مهر فيها وأصبحت طيعة له .

وليس معنى ذلك أن الحديد أصبح عجباً يقطعه كيف يشاء .

وكان سليمان — الله — كذلك يقول الله جل شأنه : ﴿ ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يرغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور ﴾ [سبأ : ١٢ ، ١٣] .

المحاريب : المساجد . التماثيل : كانت مباحة في دينهم . الجفان : جمع جفة : وهي القصعة . الجواب : جمع جابية أى : أحواض كبيرة يُحصى إليها الماء .

القدور : جمع قدر . آية ، ليس كآية الحاس التي يحملها الواحد ما على عجل بل كانت القدور كبيرة تدل على صاعة كبيرة .

وقد تحدث نبينا عليه الصلاة والسلام عن داود فقال : « ما أكل أحد طعاماً قط حيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده »^(٢) .

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير — تفسير الآيات المذكورة ٤٨٦/٦

(٢) رواه البخاري في البيوع — باب كسب الرجل وعمله بيده ٧٤/٣

وعمل يده هو صناعة الحديد . وعندما سفه العرب أنفسهم اعتبروا
الجدادة من الحرف الوضيعة !! سبحانه الله !! إذا كانت الجدادة من
الحرف الوضيعة فمادا تصنع الأمم لنفسها كي تدفع عن عقائدها ومثلها
وقيمها ؟ !! .

إن الحديد باسمه سورة في القرآن الكريم ، والسورة تحدثت عن أن هذا
المعدن من خصائصه الكبرى أنه ذو بأس شديد وأن الله يختبر الأمم — على
امتداد الزمان — بمدى دفاعها عن دينها وبصرتها لرهبها هذا الحديد ﴿ لقد
أرسلنا رسنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
وأرسلنا الحديد فيه بأس شديد ومافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله
بالبين إن الله قوى عزيز ﴾ [الحديد : ٢٥] .

وهل يدافع الناس عن أوطانهم وعن شرفهم وعرضهم وعن الحقائق
الكيرة في دينهم وتراثهم إلا بالحديد ؟ ويوم يكون فيه عالة على غيرنا أو يوم
نعتبر أن صاعاته وضيعة فكيف نعيش في دنيا الناس ؟ !! .

إن رب العالمين بين لنا أن الأرض خلقت لنا ﴿ هو الذي جعل لكم
الأرض ذلولاً فامشوا في مأكبا وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [المائدة : ١٥] .

مادا صنع أسلافنا ؟ معروف أن النسي الأمي عليه لصلاة والسلام
بُعث في صحراء الحريرة ، والناس في صحراء الحزيرة يعيشون عيشة
بدائية ، وسائل النقل عندهم : الحمال والبغال والجمال ، وما يعرفون
غير هذا ، لكنهم لما اعتنقوا الإسلام رفع حسيستهم ، وأعلى مستواهم ،
وشعروا أنهم قد أصبحوا جبلا جديدا يحمل حصارا أركى وأرقى ،
وواجهوا موقفهم من العالم مواجهة واضحة ، فمادا صنعوا ؟ يقول ابن
خلدون .

لما استقر المديت للعرب ، وشمخ سبطاهم ، وصارت أمم العجم حولاً
هم وتحت أيديهم ، وجدوا أنفسهم مضطرين إلى أن يتعلموا فنون البحر
فأخذوا يصنعون السفن وشحوا الأساطيل بالرجال والسلاح .. إلى أن

قال : وكان المسلمون لعهد الدولة الإسلامية قد علموا على هذا البحر من جميع جوانبه ، وعصمت صولتهم وسلطانهم فيه . فلم يكن لدرومان قبل بأساطيلهم . لأن أساطيل المسلمين قد صرت عليهم صرء الأسد على فريسته ، وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعدداً واختلفت في طرقه سداً وحرباً فلم يظهر للصراية فيه ألواح^(١) .

إن هذا النوع البحري لأمة صحراوية لا مرجع له إلا تعاليم الإسلام كان العرب يعيشون في أرضهم فلما جاء الإسلام سمي المحيط الهندي من ناحيتهم بحر العرب ، وأخذوا يجوبون الأرض بالتحارة لأنهم — فعلاً تجاوزوا مع الإسلام
الإسلام يستعرب أن تكون الأمة المتسعة له أمة تسكن جانياً خرباً من الأرض بينما يسكن غيرها في الحجاب المعمور من دنيا الناس .

الإسنان يعجب : ما الذي أحر أولئك المسلمين ؟ .

ما الذي جعلهم في ميدان الحرف والتجارات والصناعات متحفين ؟ .

الحقيقة التي لا شك فيها أن هناك أفكاراً دحلة على ديسا احتلقها ناس من أصحاب الجهالات ثم أشاعوها فأشاعوا الفقر والهرمة في أمنا ، ونحن نكره أن نحمل الاستعمار « المسدس » الذي تمسح فيه أغلاطنا فإن الاستعمار هجم علينا ونحن نيام في بلادنا !! .

كان « البترول » عندما لم لم نفكر في استخراجة ؟ .

كانت « قناة السويس » بأيدينا يمكن أن نفتتحها نحن ولكن بعض الأعياء — الذين فرضوا أنفسهم على دين الله — أفهموا الأمة أن العيش في صومعة وأن الانحسار وراء بعض العبادات الصيقة هو الدين كله !! فجاء رجل فرنسي وفتح « القناة » لحسانه الخاص !! وهكذا الدنيا !! .

إن الرجل البلجيكي الذي جاء وبني « مصر الحديثة » بني فيها ستاً

(١) انظر مقدمة ابن خلدون — فصل في مراتب الملك والسلطان والقائما — قيادة الأساطيل ص ٢١٠ طبعة المطبعة الأزهرية « وكلام شيخنا مفلول عن المؤلف بتصرف » .

وثلاثين كنيسة !! لماذا ؟ رجل جاء إلى أرض حربة فيها فوضع طابعه عليها .

وأين أمتنا ؟ سارحة وراء أوهام !! .

وأين دين الله في هذه الأوهام ؟ لا يُعرف .

نريد أن يدرك الحقيقة في ديننا ، إن الله عز وجل — كما قلت لكم — مكنا في هذه الأرض ، وهذا أوجه النظر إلى أن القرآن الكريم في وصفه للدين وتحديد طريق الحياة قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف . ١٠٧] .

العمل الصالح قسمان قسم ضئيل قليل وهو ما حدده الإسلام من صلات وركوات وصيام وحج وما إلى ذلك . وهو قسم قليل لأنه لا يستغرق من وقت الإنسان شيئاً يذكر .

ولكن القسم الأكبر من العمل الصالح هو الفقه في الدنيا وتطوير هذه الدنيا أو تسخيرها لخدمة التوحيد وإرساء تعاليمه والدفاع عنه !! .

فإذا كانت الصلوات تستغرق من الإنسان ثلث ساعة أو نصف ساعة في أربع وعشرين ساعة فأين ثلاث وعشرون ساعة ونصف ؟ .

إن هذا الوقت الطويل هو الذي يفقه الناس في دنياهم كي يجيدوا فهمها ثم لا يعيشون هذه الدنيا عبيد بل يسحرون هذه الدنيا كي تحمي الصلاة والركاة ، كي تحمي التوحيد واليقين في الدار الآخرة !! .

إن علوم الحرب شيء طويل سواء كانت الحرب في البر أو في البحر أو في الجو ، علوم الدنيا شيء طويل يحتاج إلى كليات ومهارات ، وعلى المسلمين أن يدركوا أن « الصالحات » هي إتقان الدنيا وتسخيرها لله ، وعندما يكون أي عمل في لصوات أو الركوات مسياً في تصحيح هذه الدنيا — التي لا يد منها فإنه يُدعى فوراً !! كيف ؟ قال الله تعالى لمستمير — لما أحدوا يقومون الليل ناسياً سيهم صلى الله عليه الذي فرض عليه قيام الليل قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَحْكُمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِّ اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ

وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه
كتاب عليكم فاقراءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى
وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في
سبيل الله فاقراءوا ما تيسر منه ﴿ [الممل - ٢٠٠] .

قليل من القرآن تقوم به ليلاً مع كثير من الجهاد يستمد وقتك بهراً
هذا هو الدين ..

ومعنى ذلك أن إنساناً لو سهر الليل في قراءة القرآن ثم أصبح يفتح
دكانه متكاسلاً ويعرض بضاعته متواكلاً ولا يحس أن يحمي أو يثمر السلع
التي بين يديه فهذا رجل يحون الإسلام لأن ضياع التجارة الإسلامية ضياع
لإسلام نفسه ، ثم إنه — أيضاً — يحون نفسه وأهله وأسرته لأنه يوم يكون
فقيراً فس يحس تربيتهم ولا اندفاع عنهم ولا حفظ مروءتهم ومكانتهم !! .

لو أن المسلمين الذين هاجروا إلى « المدينة » كانوا أقل كفاية
اقتصادية من اليهود لهمهم اليهود ، لو كانوا صعاليك ما استطاعوا أن
يكونوا جيشاً يرحف إلى دولة الروم وأن يحدوا رجالاً كعثمان بن عفان
يفتحون حرائقهم للإيقاع على هذا الجيش .

إن الإسلام دين حركة وحياة وعمل وقدرة ، ولا بد من هذا كله ..
بداهة ما تتم هذه الأمور إلا في نطاق معرفة الله ومعرفة دينه ، ونحن في
« حطة التسمية — كما سمع — لنعلم أن لابد يحتاج قبل كل شيء وبعده
إلى أن يفهم الإسلام فهمًا واضحًا ، وإن أن تكون هذه الحطة في إطار
صُنع الإنسان المؤمن ، فيه لن نحج حطة تباشرها أيد لم تتوصاً قط !!
الأيدى الموصلة هي التي يصنع الله فيها البركة ، الصمائر النقية التي تتصل
بالسماء وتعرف ربها هي التي تحمل ما يسمى بمشكاة « الروتين » وعادة
« الطغام لمكتنى » وما إلى ذلك

نحن بحاجة إلى أن نعرف ديناً بدقة ، وأن يصنع الرجال الذين يحسون
البهمة على أساس هذا الفهم الذي ذكرته .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الدين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿ [الشورى . ٢٥ ، ٢٦] .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين

وأشهد أن محمداً رسول الله ، إمام الأنبياء وسيد المرسلين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل . ولنعلم أن هناك أموراً لابد منها لكفاية ههنا ، من هذه الأمور قول النبي ﷺ : « من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرحم الله به فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » (١) .

والمعنى أنك يوم تعلم أن فلاناً يصلح لعمل فائق عن لا يصلح وتضعه مكانه فإنك تخون الله وارسول وتخون جماعة المسلمين !! .

إن أصحاب الكفريات لابد أن تسد لهم الأعمال الكيرة ، وأمام هذا عائق ، فهي التجمعات المسحقة — وهي تكثر في التجمعات العربية والشرقية — تؤخر الأمانة أو الكفاية ويقدم الولاء أو الملق !! بمعنى أن العمل يسد إلى من يحسن التنويه بالحكم والنشاء عليه ونسبة العقوبة كلها إليه وجعله مدركاً لشؤون البر والبحر والدينا والآخرة !! .

والمق أو الكذب لا يمكن للأئم أن تنجح به ، الكفاية يجب أن تقدم

(١) عره السيوطي في الجامع الصغير إلى الحاكم وأشار إلى صحته (فيص لقدير ٥٦/٦) وضعه الأبنى في صيف الجامع الصغير وزيادته (٥٤٠٩)

على كل شيء ، وما تححت الأمم الأخرى إلا لأن الكفء يقدم لعمله ويقدم العمل إليه فريضة !! .

أما أن يطر حاكم ما إلى أن فلاناً لا يمدحه أو فلاناً لا يذكره بخير فيحرمه من العمل فهذه حياة عظمى !! ما يعرف هذا تاريخاً ، كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه — قد نظر إلى رجل قتل أخاه في الحاهية ، وأسلم الرجل ، فليس لعمر لديه شيء ، لكن عمر يكره من قتل أخاه ، فقال للرجل : والله لا أحبك حتى تحب الأرض ادم !! فطر إليه الرجل وقال له : يا أمير المؤمنين أيمعنى هذا حقى ؟ قال : لا !! فقال إنما يأسى على الحب النساء !! .

هذا شيء يجب أن يفهم ، فلفرض أن الأمور ليست على هذا النحو من تعاليم الإسلام ، وأن الأمة تلبت عن يعدون أنفسهم من دون الله فمما يصنع ؟ .

يقول النبي ﷺ : « ستكون أثرة وأمور تنكرونها قالوا . يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم » (١) .

أى إذا كنت صاحب كفاية وطُمت حَقك فلا تحن البلد من أجل حاكم سافل ، إنما أدَّ حق الله عليك واحدم ديتك وبندك بكل ما لديك من طاقة .

في بلدنا منطق عجيب تحد أن أوصاعاً تمر بالأمم فتذهب حرمة الدماء والأعراص والأموال فإذا جنب الأمة من وراء هذا الاستهتر الشائن الخسيس بالدماء والأعراص والأموال — إذا جنب من وراء هذا — الهريمة والتحلف والضعف والدل بدأت تؤم ، فقد صدرت تعليمات مشكورة بأن أموال العرب والأجانب لا تصادر ولا تؤم ، ثم قل بعد ذلك : إنه بن تصادر أو تؤم أموال المصريين قياساً على أموال العرب والأجانب !! أى قياس هذا !! ؟ .

(١) رواه البخارى في المواقب — باب علامات اليهود في الإسلام ٤ ٢٤١ ومستمى في لإمره — باب الأمر بانوفاء بيعة الخفاء الأول فالأول ١٧٦٦

المعروض أننا أصحاب البلد الأصلاء ومعرض أن الدماء والأموال والأعراس مصونة مقدسة ، وأن ما يجيء من الخارج ليست له قداسة رائدة ، إنما هو يأخذ بالحكم الطبيعي قداسة الحق المقرر في البلد ..

لكن هذا يذكرنا بأيام عجاف كان يقال فيها : لا يريد الحفاء في بلدنا لأن السياح يخيئون بلدنا ولا يجوز أن يروا الحفاء !! .

كأنه إذا لم يجيء السياح بقي الحفاء ، وإذا لم تجيء أموال الأجانب بقيت المصادرات وبقي التأمين الأعشى !! .

أى ضلال هذا في فهم الأمور !!؟ .

إن أننا محتاجة إلى أن تتلقى أحمديات الإسلام ، إننا أمة تجهل دينها جهلاً شائناً من سير طالت ، ويريد أن نعرف حقائق هذا الدين كاملة وأن نرد أوضاعنا إليها رداً حاسماً .

« اللهم أصح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا ديننا الذي فيه معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ [الحشر ١٠] .

عباد الله

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ [النحل ٩٠] .

أقم الصلاة

(١) رواء مسلم في الذكر — باب التورود من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٨١/٨ .

القرآن مُعْجَزَةٌ خَالِدَةٌ

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراج المبر .

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فقد شرحنا — في الجمعة الماضية — أن حلول الإسلام وعمومه يفرضان أن تكون معجزته خالدة تصنع الإيمان على امتداد الزمان والمكان ، وأن القرآن الكريم هو المعجزة الباقية التي لا تزال تركي الإنسانية وتصلق معدنها وترفع مستواها وتقودها — على بصيرة — إلى الله رب العالمين !!

ومع ذلك فإن ناساً تطلعون إلى معجزات حسية ، وطلبوا خوارق عادات من النوع الذي جرى مثله على أيدي الأنبياء السابقين : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ [أنعام ١٠٩] .

ولكن رب العالمين لم يُجب هؤلاء إلى ما يطلبون ، لأن مهمة الدين ليس تجميد الطفولة العقلية لعصر الناس ولا السير مع جماعة من المكركبين والمعاندين لا يُجدي شيء في إقناعهم ، بل وظيفة الدين أن يرى الناس بتفتيق عقولهم ، وتهذيب طباعهم ، والاستعلاء بعرائزهم ، حتى يكونوا ربانيين حقاً ...

وقد أحاب القرآن هؤلاء المقترحين أو طلاب الحوار الحسية قائلا :
﴿ أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة
ودكرى لقوم يؤمنون ﴾ [السجود : ٥١] .

ومع ذلك فإن بعض الناس يتساءل — ومن حقه أن يتساءل — وما
المسح أن تساق هذه الحوار التي تترجوها والمعجرات المادية التي طربوها ؟
والجواب أن أسلافهم طلبوا هذه الحوار فيما أجيئوا إليها كفروا
بها ، فكان كفرهم بها سبباً في عذاب الاستئصال الذي نزل بهم فلم يُبق
مهم شيئاً !!

والله عز وجل يعلم من صيغة المشركين في مكة أن حوار العادات هو
تزلزلت عليهم ما آمنوا بها لأن عاداتهم بلع حداً غريباً ، أليس من المعجب أن
يبيع العباد — بأصحابه — الخدا أن يقولوا : ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق
من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾
[الأمل ٣٢٠] .

هل يدعو عاقل بهذا الدعاء ؟

العاقل يقول : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه ووفنا
إلى اتباع صاحبه والسير معه ...

أما أن يبلغ الحقد على صاحب الرسالة وعلى الحق الذي جاء به أن
يقول انقائل . ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا
حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ [الأمل ٣٢] . هؤلاء قوم
أفقدتهم العباد عقولهم ، وكما قل حل شأنه . ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من
السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم
مسخورون ﴾ [الحجر ١٤ ، ١٥] .

وقد حدث — قديماً — أن طلبت ثمود معجزة تجعلها تؤمن ببيها
صالح ، وحُقت مع ناقة من العدم وقيل لهم : الناقة عندكم تشهد لصاحبها
بالنبوة ، ولكن هيهات : ﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ﴾
[الإسراء ٥٩] ، كيف ؟ قال تعالى : ﴿ إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم

واضطرب . ونبتهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر . فنادوا صاحبهم
تعاطى فعقر فكيف كان عدائى ونذر . إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة
فكأبوا كهشيم المحتظر ﴿ [القم ٢٧ - ٣١]

أصبحوا كاهشيم امدى يكون فى حظيرة دهستها الأقدام فلم تُنق لها
معلما !! هذا هو السب فى أن رب العالمين لم يعط هؤلاء طلباتهم ، لكن
حتى تقطع الألسنة المعاندة ، وحتى لا يقال : إن محمدا لم يُسلَّح بما سلَّح به
لأسياء اسابقون من حوارق حسية أجرى الله حوارق حسية على يد نبيه
محمد ﷺ من النوع الذى يقهر أهل بعدد على الإيمان ، ولكنه لم يرتب
على هذه الحوارق الحسية ما ترتب على الحوارق الأولى عندما كذب بها
أصحابها ...

معنى أنه أرى الناس أن محمدا موصول بالسما ، وأن سر الله
الكونية يمكن أن تلى له ، وأن حوارق العادات يمكن أن تقع على يده ،
ولكن معمرته الكبرى ليست هذه ، معمرته الأولى هذا الكتاب الذى جاء
يفتح العقول ، ويصقل المعادن ، ويرفع المستويات !!

لكن مع هذا حدث جفاف كاد الناس يهلكون معه ، والجفاف يقع فى
الإنسانية باستمرار ، من عشر سنين هلك نحو مليون شخص فى شرق إفريقيا
من الجفاف ، والآن يوجد جفاف فى ظل الحكومات الشيوعية فى
« الصومال » وهى حكومة عربية كافرة — للأسف — قتلت نحو عشرة
من العلماء حرقا لأهم ظلوا الحكم بما أنزل الله ، ولا تزال الحكومة التى
فعلت ذلك قائمة !! ليكن ، أصيبت بالجفاف ، والجفاف مصيبة ، لما وقع
على عهد رسول الله ﷺ ذهب الناس إلى صاحب الرسالة يطلبون منه
الإنقاذ ، وفعلوا طلب صاحب الرسالة — وهو على مبره — من ربه أن
يرل الغيث ، فمرل الغيث أسبوعاً متكاملاً ، حتى جاء الطالبون يقولون
له : الماء زاد ، كاد يأتى علينا ، فإذا هو — على مبره — يطلب من الله :
« اللهم حوالينا ولا علينا » وكلما أرسل دراعه يمينا أو شمالا كانت
الأشعة كأنها طوع أصابعه تُبدد السحب ، وتكشف الآفاق ، ويذهب
المطر (١) ||

(١) انظر بعض القصة فى البحارى كتاب الجمعة — باب الاستسقاء فى الخطبة يوم الجمعة ١٥/٢

وسلم كتاب صلاة الاستسقاء — باب الدعاء فى الاستسقاء ٢٥/٣

أليست هذه معجزة ؟ هي معجزة يافين ، وعرفها الناس أنها خارقة
من حوارق العادات ...

من حوارق العادات أن إنباءً محدوداً فيه قليل من الحبوب واللحوم
لا يكفى إلا أسرة من أشخاص تُعَدُّ على الأصابع أكل منه جيش وشعب
ولا تزال البرمة تقور والحبوب تزيد واللحوم تتصل (١) !!

ممكناً جداً أن تكثر هذه المعجزات ، ولكن كما قيل : هذه حوارق أيدي
الله بها سيه عليه السلام ولكن لم يعطها المكنة الأولى في الشهادة له بالنبوة ، لأن
الشهادة له بالنبوة وتصديق الرسالة جاءت على النحو الذي يبيح برسالة
عامة حادثة ...

وإذا كانت المعجزة تورث أصحابها — الذين رأوها — يقيناً فإن هذا
القرآن لا يرال — كما قلنا — يصنع اليقين ، ويؤكد أن الإسلام هو الحق
المذ إلى يوم الدين !!

ووسيلة القرآن في هذا أنه — كما قلنا — يقول للإنسان : لست إنساناً
إلا بعقلك ، ولست إنساناً إلا بخلقك ، ومهمة هذا القرآن أن يفتح عقلك
فلا يُظلم ، وأن يفتح قلبك فلا يُسِف ويَهْط !!

ونختار الآن عدة عمادح نشهد لما نقول ، وتبين أن كتابنا جاء ليفسر
الصدقة الإنسانية في الناس ، وليصحح طرغهم إلى الأمور ، وليجعل لهم
مسطقاً سديداً يعرفون به الحق ، ويتعدون به عن الظنون والأوهام ، ثم هو
دين يقوم على تصحيح القلب الإنساني ، وإبعاد الشهوات عنه ، وما يتم
ذلك إلا بأنواع من الرعبة والرغبة ، والخوف والرجاء ، والوعد
والوعيد ...

يقول الله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَالْهَكَمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة ١٦٣] .

(١) انظر بعض القصة في البخاري كتاب المعاري — باب عزوة الخندق وهي الأحزاب ١٣٩/٥
ومسم كتاب الأشربة — باب جواز امتناعه غيره إلى دار من يثن برصاه بذلك ١١٧/٦ .

هذا كلام تصمى قضية من القضايا أن الله واحد ، ليس ثلاثة كما يقول بعض المنحرفين ، وليس أكثر أو أقل ، لا ، هو واحد ، وما عده عد له ، خاضع لحكمه ، طوع إرادته ، لا يمكن إلا أن يدل في ساحته وأن يخضع لأمره ونهيه 11

ما الدليل على هذا ؟

الآية التى تليها : ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

فإذا عرفت بعقلك أن الأرض والسماء وما بينهما من خلق الله ، وأن هذا الملكوت المبدع يدل على بديع السموات والأرض ، وأن هذه القوايين المحكمة تدل على إرادة شاملة وحكمة دقيقة ، وأن انكون فعلا له حانقه الذى ينهى أن يسبح بحمده ، وأن يعترف بمجده ، وأن يشكر له عطاءه ورفقه ، إذا عرفت هذا فما تكون علاقتك به ؟

إن لمشركين أحبوا أصنامهم ، وإن الصائين استراحوا إلى صلاتهم ، فماذا تكون علاقة المسلم بربه ؟

يبغى أن يكون أقوى عاطفة ، وأعظم حبا ، وأكثر تصحية ، وأشد ولاءً لربه من كل ولاء أو عاصمة أو حب أو علاقة تربط الآخرين بما يعبدون ، وهذا قال الله - مباشرة بعد هذه الآية - ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

على هذا اسحو يقيم الإسلام قلباً مفعما بحبة رب العالمين بعد أن شرح العقل معرفة الله وأسمائه الحسنى وصفاته العلاء ! فالقصايا تُساق ومعها أدلتها وآثارها ...

خذ مثلاً آخر من أول سورة الحج ..

البعث حق ، وهذا الكون لابد أن ينتهى إلى أجله ، وكما يتحلل جسد الإنسان عند ممته الأهل فإن لهذا العالم أجلاً ينتهى عنده كذلك ، وينتأ الانتهاء بصيحة البعث ، و تشتت الرلزل وهذا الدمار الذى يغزو كل شىء فى الأرض والسماء . ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرصعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ [الحج : ٢٠١] . لكن هذا الكلام حير ، فما دليله ؟ ما الذى يجعلنا نصدق ؟

يقول الله تعالى بعد هذا مباشرة . ﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مصعة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرحل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ [الحج . ٥]

ما دخل البشر فى هذه الأطوار كلها ؟
البشر لا يصنعون شيئاً ، لا قطرات المى ولا العلقة ولا المصعة ولا النطمل وهو كيان هلامى ولا بعد تصوير أجهرته من مجمع وبصر ، ولا بعد كسوة العظام لحماً ، ليس لشىء مدخل فى هذا ..

وقد استمعنا يوماً إلى بعض الصحفيين المحولين الدين قالوا : إن الإنسان يُصنع فى الأنابيب !!

الرواية على هذا النحو نوع من الخيل أو التصايل أو جيل الحواة ، فإن النطفة التى أحدثت من الرحل صنعها الله ، والبويضة التى أحدثت من مرأة صنعها الله ...

ماذا صنع الطبيب ؟

قرب الالتقاء — فى الأسوبة — بين الاثنين مدة أربع وعشرين ساعة أو ثمان وأربعين ساعة ، ثم يعود هذا الكائن إلى الرحم مرة أخرى ليتكون فيه ويأخذ أطوار التحلق السبعة التى حكها القرآن ، كل ما صنع الطبيب أنه

قرب التقاء الحيوان الموى بالبريضة لأن الرجل ضعيف أو لأن بويضة المرأة ضعيفة ، هذا هو الذى صنعه ، وإلهام الله له صنعه ، وما خلق شيئاً قط ...

وإذا كان تكثير العجول أو تكثير الدجاج — لأن — يقع فى بعض مزارع الدجاج أو مزارع العجول فهل هذا صُنع بشر ؟ أم أن أصل التحقق والإشراف على الخلق من واهب الخلق جل شأنه !!؟

بعد ذلك يحىء دليل آخر . ﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾ [الحج : ٥] .

التيحة ماذا ؟ ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحى الموتى وأنه على كل شئ قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ [الحج ٧٠٦] .

أنرى هذا المطلق العقلى ؟

معجزة تصع الإيمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !!

وأنا أقرأ السيرة رأيت ما جعلنى أتوقف وأتأمل ، فقد كان لقريش — بعد عروة بدر — سبعون أسيراً فى المدينة ، أرسلوا معاوضاً عنهم اسمه « جُثَيْر بن مُطْعِم » لكى يدفع المدينة ويرد الأسرى ، قال الرجل « سمعت رسول الله ﷺ يقرأ فى صلاة المغرب بالطور — وذلك قبل إسلامه حين جاء إلى المدينة ليحكم السى ﷺ فى أسارى بدر — قال . فما بلغ هذه الآية ﴿ أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون ﴾ كاد قلبى أن يطير^(١) .

الرجل تأثر بهذه التلاوة ، وقد بدا لى أن أتدبر السورة ، وجمت عند الآيات التى قال إنها كادت تطير قلبه ، وبدأت أدرس هو حدث — فعلاً — أن هذه الآيات تضمنت خمسة عشر استفهاماً أو كلمة « أم » وهى

(١) رواه البخارى فى تفسير القرآن — سورة بطور ١٧٥/٦ والآيات من سورة الطور

تعنى تحريك المعنى بحيث يُصرب الإنسان عما قبله ويستفهم عما بعده ، هذا وضع الكلمة البلاغى فى اللغة العربية .. وبدأت أقرأ : ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ [الطور : ٢٩٠] .

التدين فى الإسلام ليس كهانة ، ممكن لبعض ذوى الأعيب والشهوات أن يشتعلوا كهّان ويصحكوا على شعوب وعلى رؤساء دول ، ممكن جداً لذكهات — وما أكثرهم فى تاريخ الدنيا — أن يحدعوا الحماهير ، لكن نبي الإسلام ﷺ ليس كاهناً ، نبي الإسلام صاحب مطلق رشد ، وصاحب سياسة حكيمة ، نبي الإسلام — كما قلت — فُجّر الطاقة الإنسانية للبشر وقال : إنما يتبعنى أولو الألباب ، إنما يتبعنى من يحترمون عقوهم ، لا كهانة هنا ، ليس هنا إلا المطرة الإنسانية السليمة ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون . قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين . أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون . أم يقولون نقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين . أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون . أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون . أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أم له البنات ولكم البنون . أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون . أم عندهم الغيب فهم يكتبون . أم يريدون كيداً فالدين كفروا هم المكيدون . أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون ﴿ [الطور : ٢٩ — ٤٣] .

خمس عشرة مرة تتكرر الكلمة ، ويشعر الإنسان بأنه أمام كل جملة يمكن أن يتوقف ليشرح ، ونكتفى — الآن فقط — بشرح ثلاث كلمات ...

قال تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء ﴾ ؟ هل العدم يخلق شيئاً ؟ هل الصفر يوجد شيئاً ؟ أبداً ...
﴿ أم هم الخالقون ﴾ ؟ هل خلق الإنسان نفسه ؟ هل خلقه أبوه ؟ هل خلقته أمه ؟ هل شرف الأيوان على تكوين الحنين خلال المراحل السبع التى يمر بها ؟ لا .

﴿ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾ الفطرة البشرية التي أيقظها الإسلام في هذا الحال تجعل الإنسان يذكر — من باب صرب الأمثال والتذكير بالوقائع — حادثتين حدثتا في العالم الشيوعي ..

عندما كان « بريجنيف » — الرئيس السوفيتي — يفاوض « كارتر » — الرئيس الأمريكي — كان هناك إلحاح من الروس على إمضاء المعاهدة ، وإذا الرجل يقول لكارتير : إن الله لن يعمر لنا تأخيرنا في إمضاء هذه المعاهدة !!

الفطرة بطلت على لسان ملحد كفور ، وعصب الحرب الشيوعي في روسيا شدد العصب لهذا الكلام ثم عدل العبارة لتشر في الصحف بعد ذلك على هذا النحو : إن الأجيال القادمة لن تعمر لنا تأخيرنا في إمضاء المعاهدة !!

وتواصلوا مرة أخرى على الكفر بالله وإسكار صوت الفطرة .

الحادثة الثانية : في أول غزو للمصاء أحس الرجل في مركبته المصائية أن الأرض تسبح في الخو وحدها فأبطلته المطرة قائلا : من يحمدها في هذا المكان !!؟

والجواب الذي قاله القرآن هو : ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا ﴾ [طه : ٤١] .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿ الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الدين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴾ [لشورى ٢٥ ، ٢٦] .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام السنين وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل .

أيها الإخوة أنا رجل ممن يشتعلون بالكلام في الإسلام ، ويعلم الله أن الكلام عندي ليس هواية ولكنه واجب أقوم به ، لكننى ألحظ أن المسلمين جعوا من الكلام في الإسلام عملاً هم ، وهذا شيء لا يصلح به أمر دينا ...

اتأخر لا يخدم الإسلام بالكلام ، الطبيب لا يخدم الإسلام بالكلام ، المهندس لا يخدم الإسلام بالكلام ، قد يكون عمل هؤلاء في ميادينهم أكثر مشوبة عند الله وأرجح في موازين الصالحات من نعطية بليغة يلقيها مثلى !! العمل أهم في خدمة الإسلام — الآن — من كلام كثير يتسلى المسلمون بسماعه ...

أنا لاحظت أن أعداءنا يقل كلامهم ويكثر عملهم في السر والعلن ، ونحن أمة مطالبة أن نخدم ديننا — الآن — بالعمل السديد والخطط المدروسة ...

« اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا ديانا

التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة
ريادة لنا في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر» (١) .

﴿ ربنا اعمر لنا وإلّاخواسا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا
غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ [الحشر ١٠٠] .

عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ [النحل ٩٠] .

أقم الصلاة

(١) رواه مسلم في الذكر — باب التعمد من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٨/٨١ .

الخطبة الجديدة لضرب الإسلام

خطبة الجمعة بمسجد الفتح بالمعادي (١)

١٥ / ٨ / ١٩٧٥ م

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسرّج المنير .

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فإن أعداء الإسلام لحأوا إلى خطة جديدة في النيل منه ، خطة تنطوي على شيء — غير قليل — من المكر السيء والكيد الخبيث ...

كانت الخطط القديمة تقوم على تقوية التعليم المدني وإضعاف التعليم الديني حتى تُثبِّت الأجيال الإسلامية الناشئة وهي ضعيفة البصر بحقائق الإسلام ، ضعيفة البصر بمزالق الشيطان ...

كانت الخطط القديمة تقوم على تكثير ميادين اللهو والدعور جعل مصائد الشهوات تنطبق على أقدام السائرين فُشِغِل الناس باللهو واللعب عن الحق والخير ...

وكانت الخطط القديمة تقوم على أنواع كثيرة مما يُرْهَد الناس في ديارهم ويغريهم بأمر آخر غير الحديث عن الدين والعمل به والسهر على مستقبله والخوف من المهالك التي تراد له ...

(١) أحد مساجد الجمعة الشرعية .

لكن بدا كأن الخطط القديمة لم تؤت ثمارها كما يعنى أولئك الذين وضعوها ، فوضعوا خطة جديدة بحسب أن سميت النظر إليها ، قد تكون هذه الخطة هي الخطة التي ستعمر بالسوق أو تنصم إلى ما قبلها من خطط ليزداد الطين بلة أمام المتدينين والحراس على إيمانهم .

لا ندرى بالضبط ما سوف يقع ، إنما الذى نحب أن نكشفه هو أبعاد الخطة الجديدة

تقوم هذه الخطة على اتهام المسلمين وعلمائهم بأنهم لا يفهمون الإسلام ، وأن فهم الإسلام — على حقيقته — احتاج إلى عنقرية اختصاصهم بها ، وعرفوا هم الأسلوب الوحيد لشرح الوحي الإلهي !! .

١ — فهم يقولون : أنتم تدرسون أن لذكر مثل حظ الأنثيين ، لكن لا تدرون أن هذا كان قديماً لظروف اقتصادية وثقافية ، فإن المرأة كانت تُجهل ولا تعلم ، وكانت تكسل ولا تعمل ، أما الآن فهي كالرجل علماً ، وهي كالرجل عملاً ، ومن هنا فدعوا الحديث عن أن للمرأة نصف حظ الرجل من الميراث ، فهذا كلام قديم ، أنتم لا تفهمون القرآن !! .

٢ — وهم يقولون : أنتم تحرمون الخنزير ، وهذا قصور في الفهم ، لقد كان تحريم الخنزير يوم كانت المراعى رديئة ولم يكن هناك أطباء يصفون ويكشفون على اللحوم ويفحصون ما قد يكون بها من ديدان مهلكة ، لكن الآن ذهب هذا القصور الصحى ، وبالتالي لا يجوز أن تقولوا : إن لحم الخنزير نجس أو لا يجوز أكله .

على هذا النحو من تحريف الكلم عن مواضعه وتشويه الحقائق اللغوية والعلمية للنصوص وجد فكر جديد ، مهمة هذا الفكر أن يقول لك :

٣ — لقد كانت رسالة الإسلام إصلاحاً اجتماعياً واقتصادياً مسكراً و تقدمه وفي خطواته نحو الرقى العالمى !! .

٤ — يقول لك : لقد كان محمد رعيماً اقتصادياً جاء يرجع جاب الفقراء الذين ظلموا وليجعل كفهم تميل نحو مصدحتهم لا نحو القبة المستأثرة باللمعة والتي احتكرت المصلحة لحانها !! ويتبع هذا الكلام بأن

رسالة الإسلام رسالة مادية اقتصادية دخلت في معركة « الحُر » لأنها تريد أن تصف الجوع وأن تكسو العراة !! .

أما أن الإسلام دين يأمر الناس أن يؤموا بالعيب ، وأن يوحلوا ربهم وأن يعبدوه على ما يسدى إليهم من نعم ، وأن يحيوا وفق أمره ونهيه ووصاياه وحدوده فهذا كلام لا يقال ، وباءً على هذا اعتبر صاحب الرسالة مصلحاً اقتصادياً أو محرراً اجتماعياً !! .

٥ — ثم ذكر تاريخ الصحابة قليل فيهم : كان فيهم يمين ويسار !! .

وما اليمين واليسار ؟ هذه كلمات اخترعت أيام الثورة الفرنسية ، لكن هذه الكلمات طُبِّقَتْ كما يريد هؤلاء على عصر الصحابة ، فاعتبر أن عمَّاراً وأنا درَّهم قادة الإصلاح الإسلامي ، أما أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وغيرهم من قادة هذا الدين فهم يمين جبار على الأمة وأكل حقوقها !! .

وبدأ عرض الإسلام على هذا النحو ، أي أن الدين يحاربون الإسلام دخنوا في حطة جديدة أساسها أن يُفسر الإسلام وفق المادية الحدية أو وفق التفسير المادى للتاريخ ، وبالتالي فلا يؤحد منه إلا هذا الجانب الاقتصادى ويُطرح ما عناه من جواب !!

الحطة الجديدة حطورتها أنها كذب على الإسلام، وجاهل بمصومه ومعانيه وقيمه ومبادئه إلى جانب هذا فإن أركان الدين مصوفاً في حطتهم الجديدة لتشويه الإسلام وبشر الجاهل بحقائقه ضموا إلى هذا جهداً آخر ، هذا الجهد هو رحرقة المادى، المعادية للإسلام وبشر عوراتها المادية ورفض جواب هائنه من حقائقها امر به الكريهه ، رفض إطلاق الحماسير على هذه الجواب حتى تقع فيها وهي لا تدري كنهها !! .

إن سكان القارات الخمس — من مثقفين وعامة — يدركون أن الماركسية — كما قدمها طاعتها ومفكر الشيوعية الكبير « كارل ماركس » — تعتبر أن الدين مصدر للشعوب ، وأن الحياة هي المادة ، وأن الروح خرافة ، وأن الدنيا هي الأمل الأول والأخير لكل من في يده حس ،

فليس بعد الدنيا آخرة ولا بعد الحياة على الأرض عيشة أخرى !! يعلم الناس أن هذا هو الفكر المادى ، هكذا يدرس هناك ، وأن الشيوعية لما أخذت مرحلتها التطبيقية في « روسيا » أو في « الصين » اعتبرت الأديان مخلفات يجب الإحهار عليها وإخماد أنفسها ، واحتير رجال الحزب الرسمى من بدا في سلوكهم وفكرهم الكفر بالله والمرسلين جميعاً ، وغيب علم اليقين أن من بدت عليه أعراض التدين من أعضاء الحزب طرد شر طردة ولم يمكن من مصب قيادى هناك ، وعُرف أن موقف الشيوعية من الدين إما أن تلجأ إلى حمامات الدم لتصمية الجماهير الكثيفة التى تعنقه ، أو أن تترك بعض الليثات يتعير المناخ فيها كما تعير الطقس على بعض الحيوانات القديمة فبادت تلقائياً !! .

هذا المعنى مؤكد ومعروف حتى حياء العشاشون الدسّاسون — ممن يفسرون الإسلام على أنه مادية حدلية وحطوة اقتصادية ، ومن يفسرون حياة الصحابة على أنها قد تقسمها اليمن واليسار إلى آخر هذا اللغو — حتى حياء هؤلاء فرعموا أن الحياة الاجتماعية في روسيا والصين حياة اضطلحت مع الدين واحترمت القرآن ، وأقيمت في جوانها الصلوات ، وسُيّرت مواكب الحجيج !! .

وهذا كله من أفضح الكذب وأجرئه على الله وعلى الناس ، نريد أن نُعرف الحقائق في هذه المحالات لأن كل شيء في حياتنا الاجتماعية يجعلنا نستشير بوارق الشر، ونُدبر الصلال من ها ومن ها لنحرس ديننا ممن يهاجمونه سيّما وأن الفكر الشيوعى كان مطاردًا في « مصر » ثم بعد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م أحد هذا الفكر يذر بذوره ، ويستعيد نشاطه ، ويكابر العوائق التى كانت موضوعة قديماً أمامه ، وأمكن في يوم ما أن يوحد معهد في « حيوان » يدرس الشيوعية باسم الاشتراكية ، وتُخلَّل أحهرة الإعلام في الإداعة المرئية والمسموعة وفي الصحافة اليومية والأسبوعية كثير من الحُر الدين يكفرون بالله والمرسلين ويختالون على سرقة العقائد بأساليب كثيرة !! .

فإذا عيّر هؤلاء حططهم وانصم إليهم من أعداء الإسلام قوم آخرون

فلا بد أن يكشف الحطة الحديدية ، وأن سير الحقائق التي يحتاج الناس إلى معرفتها .. الذي يعرفه أن حالة المسلمين في « روسيا » وفي « الصين » تمضي بهم إن قريباً وإن بعيداً إلى أودية انتف وأماكن الصاء والتلاشي !! .

كان المسلمون أيام القيصريّة في روسيا نحو ثلاثين مليوناً ، وكان سكان روسيا نحو مائة وعشرين مليوناً ، أي كان المسلمون ربع السكان ، فإذا بلغ الروس الآن مائتي مليون فكان يجب أن يكون المسلمون خمسين مليوناً على الأقل ، بل كان يجب أن يكونوا ستين أو سبعين مليوناً ، لأن المسلمين في العالم كله معروفون بالعدة ، والعدة أساس في تكاثر النسل !! فإن الذين يبعثون نطفهم هـ وهناك لم يكون هم شيء ، وربما وجد بعض اللقطاء ولكنها بقية تضي ، أما حو الأسرة فهو الذي يكثر فيه الأولاد وتنمو فيه باسم الله ..

فكان المروض أن يكون المسلمون ستين أو سبعين مليوناً ، أي ثلث السكان فيما يسمى « الاتحاد السوفيتي » ، لكن الذي حدث أن آخر تعداد وصف المسلمين هناك بأهم نحو سبعة عشر مليوناً !! .

أي أن حمامات الدم ومؤامرات الاصطهاد وحطط التصفية تعمل في صمت لإبادة هؤلاء المسلمين المكودين !! .

لعل أحيث وأحقق استعمار عالمي هو الاستعمار الروسي ، ولكن تجهيل المسلمين في هذه الحقيقة مقصودة ، لماذا ؟ .

روسيا تشمل — الآن — جانباً من أوربا وجوانب كثيرة من آسيا^(١) ، وما تملكه من آسيا يساوي تقريباً أفريقيا الإسلامية ، وهذه كلها أرض إسلامية مائة في المائة !! .

كانت « سيبيريا »^(٢) أرضاً إسلامية ولها ملك مسلم ظل يقاتل حتى فقت عينه ، وهُرم جيشه ، وأرغم على أن يُعصى معاهدة استسلام فأنى ومات وهو يأنى !! .

(١) يقع الجزء الأكبر منها في شمال قارة آسيا فيما يقع الجزء الأصغر منها في شرق القارة الأوربية .

(٢) شمال القسم الآسيوي .

ولكن المثقفين في بلدنا يدرسون « روما » ويدرسون « فرنسا »
ولا يدرسون « سيبيريا » !! .

هكذا وُضع التخطيط للعقلية الإسلامية حتى تُثبتَّ جاهلة ، وقد
بشرت هذه الصفحات في كتاب لي^(١) — مُنع دحوله « مصر » عدة
سِرٍ وطُبِع ثلاث طبعات في الخارج — ووصحت فيه هذه الحقائق ،
وصحت فيه أن روسيا الأوربية كانت تساوى — تقريباً — في مساحتها
مساحة « مصر » نحو أربعمئة ألف ميل ، وكبها دحت الأرض الإسلامية
في « تركستان » وتركستان في مساحة مصر والسودان وجزيرة
العرب !! .

لأرض إسلامية مائة في المائة ، والمسلمون لا يعرفون هذا ، لا يعرفون
أن « البحاري » من « أوربكستان »^(٢) لأن الاستعمار الروسي محاً الاسم
القديم ، محاً عنوان الوطنية القديمة والقومية الأولى والديانة الأولى ،
الاستعمار مسح كل صلة للأرض بأصحابها وديهم ويومهم وعدهم وقيل
الاتحاد السوفيتي !! ولو قيل شعوب الاتحاد لسوفيي تذهب كل أمة إلى
دينها وجنسها لأصبحت روسيا بلداً صغيراً في شرق أوربا !! .

لكن هذا الاستعمار يعطيه بعض مثقفين هاهنا فلا يجعلون الناس يتصور
قصائحه ومظالمه !! .

لمسلمون في روسيا يملكون أحصب الصاع وأعماها ، ولو أن روسيا
حردت من الأرض الإسلامية التي استوت عليها لعاش شعبها فقيراً ، لكنه
من أرض الإسلام يأكل ، ومن بيه يعتنى ويستصح !! .

ثم يحىء بعض حملة الأقلام وكتاب الصحف وسفاسة العرو والثقاف في
بلدنا ليقولوا : إن روسيا تؤمن بالله واليوم الآخر ، وإن بها مساجد يصلي
فيها المصلون، وإن.. وإن إلى آخر سلسلة الأكاذيب التي برع فيها من برع .
نحن نريد أن يعرف الناس الحقائق ، إن الأمة العربية حانت الإسلام

(١) لإسلام في وجه الرجف الأحمر

(٢) تقع في آسيا وتعرف لدى المسلمين الذين اقتنوها في العهد الأموي باسم « بخاري »

حياة فاجرة ، ونشع عن هذه الحيانة أن الله أهانها وجعل المستعمرين يضربونها على أم رأسها ، ويستسحون أرضها لأنها حانت الإسلام !! .
نحن — ببساطة — نعتبر « فلسطين » أرضاً إسلامية يجب أن تستعاد ، ولكن لم لا تستعاد « تركستان » ؟ لم لا تستعاد « الأورال » ؟
م لا تستعاد « القمر » ؟ لم لا تستعاد الأرض الإسلامية التي أكلها الاستعمار الروسي ؟ .

مكن كلمة « استعمار روسي » احتفت من القواميس ، احتفت من الصحافة !! لأن العملاء الذين يأكلون من موائد العرب والشرق معاً يريدون هذا ، حتى يقال : لا استعمار هناك ، مع أن الاستعمار الانكليزي — على شراسته وحجائه وسوء ما حلف في أرضه — كان أقل شراً وأضعف أثراً من الاستعمار الروسي في البلاد الإسلامية التي نُكبت به !! .

نحن لا نفاضل بين شر وشر ونكسا نريد أن يعرف الناس الحقائق ..

معروف من مكر الفلسفة الحمراء أنها تركب قمة الموجة وتختفي وراء مواكب النصر التي تقع بعد الانتكاسات أو الانقلابات الكبيرة ، وهذا هو الذي حدث في « البرتغال » فإن الأمة هناك بينت أنها لا تريد النظام الشيوعي ، ولكن النظام العسكري هناك يريد فرض الشيوعية قسراً !! .

إن انتشار الشيوعية لن يتم إلا بعد تدمير معقل إسلامية كبيرة ، فلم يتمكن ادين اعتنقوا الشيوعية أو حدموها من إلعاء « الأرهري » ، ولكن أمكنهم أن يظرووه حتى يتوصلوا إلى إلعائه ! وهذا هو الذي حدث من حُدام الاستعمار في « تونس » فإنهم لم يستطيعوا إلعاء جامع « الزيتونة » وهو يؤدي في المجتمع التونسي ما يؤديه الأرهري في المجتمع المصري ، فاحتالوا على الأمر بتطوير الدراسة هناك حتى يتحرج متديون عجاف أو علماء قاصرون أو ناس لا يحسون داء الرسالة الإسلامية ، وبذلك يمكن أن يهار الإسلام وأن تتلاشي معالم كتابه وسنة نبيه ﷺ !! وابدى حدث في العالم العربي أنه لما شتبت مع الاستعمار العالمي العربي انتهرت الشيوعية الموقف وعرضت على الحكام — هنا — السلاح لكن بشروط أحصيناها :

الشرط الأول : أن تبقى إسرائيل داخل حدودها فلا تهاجم ولا تمس ولا يجرؤ أحد على النيل منها .

الشرط الثاني : أن السلاح الذي يأخذه العرب سلاح دفاعي .

الشرط الثالث : أن هذا السلاح يباع بأعلى الأثمان .

هو جاء — الآن — من يعيد النظر في ديون روسيا لدى مصر لوجد أن ألوف الملايين التي بدان بها ليست في حقيقتها إلا بضع مئات فقط ، ولكن الشيء الذي يباع بقرش منجل عيباً في الدهر بعشرة قروش ، والمغفلون يشترون ، وهؤلاء يسحلون ، ونحن مكلفون بالدفع — الآن — من قوتنا ، من ثمرات أرضنا ، من حصيلة تعنا .

الشرط الرابع : أنه لكي نأخذ هذا السلاح الدفاعي الباهظ الثمن يجب أن يمكن للدعاة الشيوعيين أن يطلقوا . وكما يمكن هؤلاء من لانطلاق في المعاهد الاشتراكية أو في الصحافة اليومية والأسبوعية يجب أن تُصرب الحجة الإسلامية في صميمها ، فإذا ارتفع رأس فيها قُطع ، وإذا تحرك لسان أخرس ، وإذا وُجدت تجمعات قوية بُدّدت !! .

هذا كله حتى ينطلق الناطل دون أن يكون أمامه ما يعرفه .

والشيء الأخير في هذا « قطع العيار » فإنه يكفي أن تفسد « لمة » في جهاز حتى يقول الخير الروسي : لجهاز كله لا يصلح !! .

كان يمكن أن تصح بخمسة قروش ، لا ، الجهاز كله يشتري ، لأن الجهاز الموحد أصبح معطوياً لا قيمة له ، ويضاف هذا إلى قائمة الديون !! .

هذه هي المساعدات الروسية للعالم العربي ، يجب أن ندرك أن القوى الكافرة بالله سواء كانت ملحدة أو غير ملحدة — بأن اتصلت بدين ما — قد تضافرت جميعاً على ضرب الإسلام !! .

يبقى أن نذكر شيئاً لا بد أن نذكره : إن الإسلام رسالة عامة خالدة صمها الحق جل شأنه ما يكفل للناس معاشهم ومعادهم ، وما يضمن لهم

ماديتهم ومعوياتهم وما يعيهم عن حول غلط يقعون فيها في عيبة
الوحي .

إن الإسلام دين يقوم على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ،
وكما يهتم بتقديم العداء الواجب للمعدة بهم — قبل ذلك وبعده — بتقديم
الهدى الواجب للقلب الإنساني ، ويستحيل أن يُشعر بعمل عن عمل ، فهو
كما يهتم بأن يُبسك لباس التقوى بهم بأن يوارى سرأتك وأن يجعلك تزدان
في ملابس بل في ربة تكفل بها ضروراتك ومرفهاتك على سواء !! .
الإسلام دين شامل يسعى أن يستبشر المتعبون به وأن يستريحوا إليه :
﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى
للمسلمين ﴾ [اسحر ٨٩]

ربما تضحى هذا الدين مجموعة من التعاليم التي يُصطلح — الآن
علمياً — بوصفها اقتصادية ، أو يصطلح — علمياً بوصفها اجتماعية ، أو
يصطلح — علمياً — بوصفها إيمانية أو غيبية ، هذه الاصطلاحات لا مهم
سها ، بما الذي بهم به أن مجموعة التعاليم تُعنى وتسد الحاجات لبدنية والروحية
للناس .

خذ مثلاً حديثاً يعطيك فكرة عن الإسلام كله وهو :

« الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله
إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من
الإيمان » (١) .

أعلى ما في الدين أن تعرف من حقيقتك وأن توقره ، وأن تشكره ، وأن
تستعد لبقائه ، وأن ترتبط به .

من تعاليم هذا الدين — لأنها بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة —
مجموعة اقتصادية تتصل بإيتاء الزكاة وإفراق المال في وجوه شتى يحتاج إليها
المجتمع ، وإذا كان من شعب هذا الدين منع الأذى عن الطريق فهل يُمنع
الأذى من الطريق ليسر فيه الكادحون ماكسي رؤوسهم لأنهم
مظلومون !!؟ .

(١) رواه مسلم في الإيمان — باب شعب الإيمان ٤٦/١

إن الإسلام في تعاليمه الاقتصادية اعترف برأس المال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ [الباء ٢٩] وقال : ﴿ ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ﴾ [الباء ٥]

والإسلام إنما اعترف برأس المال لأن الإنسان أحسن مستغل لماله ، فهو يشد ردد النشاط الإنساني إلى آخر مدى عندما يعترف بالملكية الخاصة ، ولهذا كان الإنتاج في جو الملكية الخاصة إنتاجاً ضخماً كثيفاً ، أما في جو انقطاع العام أو في جو الشيوعية السائدة فإن الإنتاج يصعب يقين !! ومهما قيل في المعريات ، وأنواع الإرهاب والسياسات التي تُمسك بها الأنظمة الاستبدادية فإن الإنتاج فيها أصعب — يقيماً — من الإنتاج في البلاد التي تحرر فيها رأس المال من القيود المصطنعة .

لكن الإسلام الذي اعترف بحق التملك واحترم رأس المال أثقله بالحقوق الاجتماعية ، وبين أن لكل عامل حقاً في أن يأخذ أجراً وأن لكل عاطل حقاً في أن يأخذ عوزاً ، وبين الإسلام أن المجتمع متماسك يأخذ قويه بضعيفه وغنيه بفقره وعامله بحاهله ، بل إن الركب يسير وفق خطا الضعيف لأن الضعيف أمير الركب .

فلسفة الإسلام الاقتصادية تحتاج إلى محاصرة خاصة ، لكسا بلغت النظر إلى شيء خطير ، هناك من يحارب الشيوعية لحساب رأس المال المستغل الخائر في الشرق أو في العرب في العرب أو في المعجم ، وهناك من يحارب رأس المال لحساب الجهة المقابلة ، نحن لا نحارب الشيوعية لحساب رأس المال المتسلط ولا نحارب رأس المال المتسلط لحساب الشيوعية ، ولكننا — من ثلاثين سنة — نعرض الإسلام على أنه يرفض الرأسمالية الخائرة ، كما يرفض الشيوعية الكافرة ، وأن ناساً يتسبون إلى الإسلام ربما جاروا عبه وأساعوا إليه بعباوتهم أو بسوء كسهم أو باستحلالهم السُّحت ، وما أكثر هؤلاء في الأنظمة كلها حتى ما يدعى أنه اشتراكي ، فكم من لصوص كبار تعلعنوا في الصم الاشتراكية واستطاعوا أن يحتاحوا من أموال الأمة ما تترنح الأمم الآن بسببه !! .

إسنا نرفض أن نحارب مذهباً اجتماعياً لحساب مذهب آخر فإننا

مدافع عن وحى الله وعن تراث محمد ﷺ وعن تطبيقات الخلافة الراشدة
وعن هذا الدين الذى صان الله لما أصوله وعرفها ما ينبغى أن يؤديه .

وبذلك فإننا نطرح نظرة عربية إلى الملحوم ، لدى شرٍّ أخيراً على شيخ
الأرهر () ، لا لأنا نهتم بشخص شيخ الأرهر ولكنا نرى أن التحرك
الشيوعى له ما وراءه ، وأن موشة شيخ الأرهر تعنى تصدياً لهذا الدين
ولمثليه تتم به حقيقة أخرى إلى جانب حلقات سبقت لصرب المتحدثين
باسم الإسلام والنيل منهم وشل حركاتهم !!

إن هذا كله يجعلنا نذكر الأمة بأن انطلاق الشيوعية على هذا النحو
يجب أن تتصدى له الجماهير الإسلامية بالاستنكار والصيق .

قول قول هذا وأستعصر الله لى ولكم

★ ★ ★

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿ [شورى ٢٥ ، ٢٦] .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، إمام السنيين وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل ، واعلموا أيها المسلمون أن هناك ناساً يتأخرون بكلمات طائفة هاربيين كما قيل يشبه رنين قطعة القند المريرة ، كلمات طائفة عن العدم ، عن النظريات العلمية ، فإذا تمشيت مع هؤلاء وجدت أن الحل تصحهم ثم تمحس عن فار !!
قصة تحديد اسسل قصة انكشمت ، لم ؟ .

سألني البعض وأجبت ولم يُشر ما أجبت به ، قلت له : لقد رأيت اليهود قد صدرت إليهم الأوامر بتكثير النسل ، ورأيت الكاثوليك صدرت إليهم الأوامر بتكثير النسل ، ورأيت الهدوك صدرت إليهم الأوامر بتكثير النسل ، ورأيت الروس صدرت إليهم الأوامر بتكثير النسل وهم يعطون نحو مليوني جائزة سنوياً — تسمى جائزة الدولة للاتحاد السوفيتي أو شيئاً من هذا القبيل — لكل أم أحبت أكثر من غيرها !! .

وجدت — الآن وفي يوم الناس هذا — أن كل ذي دين صدر إليه الأمر بتكثير النسل ، وقرأنا في الصحف — هذا الأسوع — أن فرنسا رادت في الإحصاء الأخير بصعة ملايين !! .

فقلت : هل مشكلة زيادة السكان لا تُحل إلا بصاء الأمة الإسلامية وقلة عندها !! ؟ .

ما هذا أيها الناس !! ؟ .

كل دى دين يهد أوامر مشددة بتكثير السبل إلا المسعير فإن الأوامر مشددة بتقليل السبل !! ويحيى اليوم من يكتب فى إحدى الصحف عن نظرية النسبية ، نظرية الكم ، نظرية التكاثر ، نظرية العدد !! .

هذا المراء الذى يكتبه بعض المتعاقبين — وما أكثر المتعاقبين فى مجتمعنا الذى تضخم فيه التافهون — ذكرنى بكلمة المتننى^(١) :

وما التيه طئى فيهم غير أسى بغيص إلى الجاهل المتعاقل^(٢)

ما أكثر الجهال المتعاقلين فى صحافتنا وفى إداعتنا وفى وسائل الإعلام عدنا ، ماذا يريد الكاتب ؟ .

يريد تحديد السبل آخر الأمر ، وقيم الدنيا ويقعدها ، وقيم النظريات العلمية ويقعدها لكى يقل أسل الإسلامى وحده !! وهو يعلم أن السبل راد فى فرنسا وفى إيطاليا وفى روسيا وفى الهند وفى كل مكان !! .
ما المقصود ؟ المقصود أن يقل المسلمون وحدهم !! .

هؤلاء الأوغاد السماسرة الدين يعملون ضد الإسلام هل يعلمون أن هذا الكلام ليس إلا تعصية لفشل الاقتصاد الذى وضعته مراكر القوة فى بلدنا ؟ لو كان الاقتصاد المصرى بين أيدي علماء الاقتصاد من عشرين سنة لكانت مصر قادرة على أن تطعم ثمانين مليوناً !! .

مى يسكت الجهلة ؟ متى يتاح للعلماء فى كل مضمار أن يفقدوا هذه الأمة ؟ متى تؤدى حق الله عليها بأدب ؟ متى يحترس السفهاء فلا يطلقون ؟ .

يبدو أن هذه التساؤلات لن نجد الإجابة عليها كما ينبغي !! .

إننى أطلب من المسلمين أن يتشبهوا بديهم أمام الاستعمار وأمام الشيوعيين وأمام القوى التى وضعت حطة جديدة لتفسير القرآن وتفسير

(١) ديوانه بشرح الأبارجى ١٩١/٢ .

(٢) التيه : الكبير طئى ، أى شأى ، إلى . معنى عدى

السنة وتفسير التاريخ الإسلامى على نحو لم يعرفه عالم مسلم ولا حتى مستشرق بحيث من أربعة عشر قرناً إلى يوم الناس هذا !!؟ .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دياننا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر » (١) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ [الحشر ١٠] .
عباد الله :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعطكم لعلكم تذكرون ﴾ [الحل ٩٠] .

أقم الصلاة ...

(١) رواه مسلم فى الذكر — باب التوحد من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٨١/٨ .

الخط البياني للتاريخ الإسلامى

خطبة الجمعة بمسجد النور بالعباسية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والسراج المنير .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

فيحطىء من يظن أن هرثم لإسلام في القرن الأخير كانت ندعاً في تاريخه الطويل . لا . إن لخط البياني للتاريخ الإسلامى متغرض ، يحفص الحماضاً شديداً ، ويرتفع ارتفاعاً شديداً ، ويعنو ويهبط وفق القانون الإلهى الذى يقول : ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ [١٤٠] .

نعم قد يعلو أمر المسلمين ، وقد يهبط ، هبط في قرون عصت حتى اغتصب « المحجر الأسود » ، أحده « القرامطة »^(١) قسراً ، وظل عندهم نحو ربع قرن ، فما عاد إلا بعد لأى !! .

(١) قال بن كثير : القرامطة هم فرقة من الزنادقة ملاحدة أتباع الفلاسفة من العرس الذين يعتقدون بعودة زرادشت ومردك وكانا يبيحان المحرمات ثم هم بعد ذلك أتباع كل باطل إلى باطل وأكثر ما يمسنون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم لأهم أقل الناس عقولاً ، ويقال لهم الإسماعيلية لأنسابهم إلى إسماعيل الأعرح بن جعفر الصادق . البداية والنهاية ٦١/١١ ونظر في نفس المرجع ١٦٠/١١ قصة اختطافهم الحجر الأسود

وهبط مستوى التاريخ الإسلامى إلى الحضيض يوم دخل « التتر »
بغداد وقتلوا الخليفة وأذلوا الأمة الإسلامية أشد الذل .

ولكن هذا التاريخ الذى هبط سرعان ما علا ، فمضى قرن حتى
كان المسلمون يلقون أسوار « فيا » — عاصمة النمسا — ثم قبل ذلك
وصلوا محترقين « الأندلس » إلى « جنوب فرنسا » إلى أواسط
« سويسرة » ..

هذا التاريخ الذى يتأرجح بين « مدّ وجَرر »^(١) حقيقة لا بد من
الاعتراف بها .

وحن المسلمون نواحه — بإيمانها — هذا النافع ، فقد يقع أن يعيش أو
نولد في عصر الإسلام فيه عريب ، وأمه ماهرة ، وأحواله مضطربة ،
وأعداؤه يتربصون به .. على الغرباء — من هذا القليل — أن يتماسكوا ،
وأن يعلموا أن الله تعالى احتبرهم بهذه العربة حتى يؤدوا ما عليهم في إعرار
دينه ، ورفع كلمته ، وتعمير مساحده ، وإحياء حدوده ، وحفظ شرائعه ،
وما إلى ذلك كله مما لا بد منه لحماية الإسلام .

وهو معنى العربة الذى ورد في بعض الأحاديث . « بدأ الإسلام
غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء »^(٢) وفي رواية أخرى : « بدأ
الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قالوا يا رسول الله
ومن الغرباء » قال الذين يصلحون عند فساد الناس »^(٣)

والحديث يفيد أن هناك عربة متكررة تعترى الإسلام في مدّه وجَرره ،
فهو يبدأ حركته غريباً — وبدأها عريباً فعلاً — ثم آس الله وحشته ، وكثر
أنصاره ، وامتدت مساحته ، وعمّرت عواصمه ، وانتشرت حضارته ، ثم
جاءت عربة فكسا الطلام مساحات كثيرة من أرضه ، ثم آس الله وحشته

(١) المدّ : ارتفاع ماء البحر على الشاطئ عند الجزر

(٢) رواه مسلم في الإيمان — باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ٩٠/١ .

(٣) قال في المجمع : رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سميع وهو ثقة

مرة أخرى فاستعاد أمجاده التي خسرها ، وراد عليها وأرى ، ثم جاء العروب
 مرة أخرى ، وبدأ المؤمنون الأيقاظ يواجهون ما واجهه المؤمنون أمثالهم في
 كل عربه مرت بالإسلام ، وتطبع فيها الإسلام إلى أهل السجده من أسائه
 يؤدون حق الله عليهم ، ويحملون الراية حتى لا تقع . وأنا لا أعرف —
 ونحن سنقبل القرن الخامس عشر — هل ستستقبل الدنيا قرناً سادس عشر
 وسابع عشر أم لا ؟ .

أنا لا أدري ، ولكن الذي أدريه جيداً أنه ما بقيت الحياة فسيبقى
 الإسلام ، وأنه ما بقيت الشمس تطلع وتعرب فإن الإسلام يتحدد
 ولا يتبدل ، وقد نمرض أمته ولكنها لا تموت ، وعندما يطن أعداؤها أن
 جثتها أوشكت أن تدفن بدأ فجر جديد لها يُحير الأعداء ، ويحجبهم
 ينسحبون من حيث أقدموا ، ويتفقهرون من حيث تقدموا !! .

إن هذا الدير باق إلى قيام الساعة مصداق قول الله — سبحانه وتعالى
 على السنة أهل العلم والإيمان — : ﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد
 لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم
 لا تعلمون ﴾ [الروم : ٥٦] .

ويعجني في كل غريب بإيمانه مستوحش بيقينه وإحلاصه أن يأوى إلى
 ربه ، وأن يستند إليه ، وأن يطمئن إلى حمايته ، كما قال «أبو ثواس» وهو
 يصف كل غريب بمعتقدده : (١)

توايت من دهرى بطل حياحه * * * فعيني ترى دهرى وليس يرانى

فلو تسألوا الأيام عنى لَمَا درت * * * وأين مكاني ما عرفن مكاني
 إن الغريب الذي يحيا بديه ، ويحيا لربه ، ويحيا من أحل عقيدته قد يكون
 عامضاً في الناس أو غير معروف أو غير مشهور ، ما يعنى هذا أحداً ، إنما
 الذي يعنى كل مؤمن أن يحيا لله ، وأن يعيش في كماله ، وأن يستمد منه
 الصبر ، وأن يواجه الأحداث كلها بهذا اليقين .

(١) ديوانه : ٤٦٩ مع اختلاف يسر

أريد من المسممين في هذا القرن الحديد أن يستقلوه أفصل من استقبال آيائهم الأقربين للقرن الرابع عشر .

القرن الرابع عشر كان نصه الأول نصف هزائم شائنة ، وآلام ساحبة ، فمن خمس وثمانين سنة تقريباً يعقد مؤتمر « بال » في « سويسرة »^(١) وقرر المؤتمرون أن يُشثوا دولة على أنقاض العروبة والإسلام في فلسطين ، وقرروا لإقامة خمسين سنة .

وتساءلت : ماذا صنع أبؤنا عندما تم هذا المؤتمر ؟ .

ألم تكن لهم حاسة يشمون بها ما وقع في الدنيا ؟ .

ألم يعرفوا أنهم هدف لأعداء لا يامون ؟ .

ما الذي عراهم حتى سكتوا ؟ .

وسكتوا ، وكانت النتيجة الحزى ، وأقيمت دولة لليهود على أنقاض العرب والمسلمين

في القرن الرابع عشر وقعت الحرب العالمية الأولى ، وحان العرب « الترك » وانهرم الأتراك ، وقُسمت تركة « الرجل المريض »^(٢) على المستعمرين الأقرباء ، ودرسنا في التاريخ — ونحن طلاب — أن ليس في إفريقيا دولة إسلامية ، ولا دولة مستقنة !! .

العرب بقصّهم وقصيصهم^(٣) ، والمسلمون باختلاف أجناسهم وألوانهم تحولوا جميعاً إلى مستعمرات !! .

(١) انعقد هذا المؤتمر في أغسطس ١٨٩٧ م وهو الحدث المؤسس للصهيونية السياسية ، وراجع ما قرره المؤتمر في كتاب « فلسطين أرض الرسالات الإلهية » للامساح رحاء حارونجى ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين

(٢) « الرجل المريض » تعبير ساحر أطلقته الدبلوماسية الأوربية على الدولة العثمانية المحتصرة في ذلك العصر

(٣) يقال جاء القوم بقصّهم وقصيصهم . لم يتخلف منهم أحد ، لأن القصّ . الحصى الكبير ، والقصيص . الحصى الصغير

في النصف الأول من هذا القرن سقطت الخلافة الإسلامية الشيع^(١) ،
والخلافة تمثل في تاريخ المسلمين أروة روحية وثقافية واجتماعية لا بد من
حياتها ولا بد من إدراكها حتى لا يكون أمة يتيمة في هذا العالم ، خصوصاً
أن عيرنا صنع لنفسه كياناً روحياً أو اجتماعياً عاش به وتماسك بفصله ،
فكيف ينقسم المسلمون على هذا النحو الشائن ؟

ولكن الآباء الأقربين — غفر الله لهم — ما أحسوا التصرف أمام
هذه الأزمات ، ومضى النصف الأول من القرن اربع عشر فإذا هو حافل
بالهزائم والأحزان .

لكن أمتنا المرحومة التي أنى الله إلا أن يجدد أمرها كلما يلي^(٢) ، وأن
يقوى ضعفها كلما زاد ، هذه الأمة — سرعان ما تحركت ، ومشيت في
طريق النهضة ..

ويمكن أن نقول : إنها في نهاية القرن الرابع عشر استطاعت أن تكون
شيئاً في دنيا الناس ، وهي حقيقة لا يمكن إنكارها ، هذه الحقيقة : أن
المسلمين الذين تبددوا في النصف لأول من القرن الرابع عشر أمكن أن
يكونوا في نهاية القرن الرابع عشر أربعين دولة إسلامية !!

لكن أعداء الإسلام ما يسكتون ، ولا عن هدفهم ينامون ، إنهم
يتحركون وفق حط واضح أمام أعينهم ، ووفق خطة رسموها لليل ما
وهذه الخطة يجب أن تعرف ، وكشفها يحتاج إلى محاضرة مستعلة ..

(١) في سنة ١٩٢٤ م على يد العميل مصطفى كمال أتاتورك

(٢) يشير الإمام — حفظه الله — إلى حديث رسول الله ﷺ . « إن الله تعالى يعث لهذه
الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود في الملاحم ، والحاكم في الفس
وصحيحه ، والبيهقي في كتاب « المعرفة » كلهم عن أبي هريرة ، وقال الحافظ العراقي وغيره : سنده
صحيح ، ومن ثم رمز المؤلف — السيوطي — لمصحته (فيص القدير شرح الجامع الصغير ٢٨١/٢ ،
٢٨٢) وقد ذهب فريق من العلماء إلى أن « من » في الحديث قد تكون للجمع وليس بسمره فقط
، وعلى هذا قد يكون المجدد فرداً واحداً وقد يكون عدداً من الناس وقد يكونون في مكان
واحد ، وقد يكونون معتزقين ،

لكن أريد أن يُعرف ما أكدته أولاً : أن الإسلام قد يحرص ولكن لا يموت ، وأن أمته قد تتجدد ولكنها تتجدد وتناست .

وأذكر أني قرأت لمستشرق أمريكي — كان لسانياً وتأمرك — اسمه « فيليب جتني » ذكر في كتابه « العرب » أن الأمة الإسلامية واجهت — في أوائل القرن الثاني عشر للميلاد — وصعاً عريباً ، فقد اندحرت في كل جهه ، واهزمت في كل ميدان ، واطلقت بين الناس كلمة واحدة هي . أن كل شيء يؤذن بزوال دين محمد !! كيف !!؟ قال : استطاع الصليبيون لزاحفون من عرب العالم الإسلامي أن يأخذوا بيت المقدس ، وأن يتحسسوا الطريق إلى شمال الحريرة العربية كي يصلوا إلى القبر السوي في المدينة المنورة !! .

وفي الوقت نفسه استطاع « التتار » شرق العالم الإسلامي أن يهدموا لمدن العظام ، وبلغت الخسائر في السكان نحو ٩٠٪ أي تسعة أعشار لسكان كانوا يبيدون ، ولما دحوا « بغداد » ورموا بالمكاتب الإسلامية في « الفرات » اسودت المياه من كثرة « الخير » الذي باد !! .

كان كل شيء يؤذن بزوال دين محمد ، ما بقي إلا أن تنطق « الكماشة » وتقرب أدرعتها على قلب العالم الإسلامي في « مصر » وغيرها ويتلاشى الإسلام من العالم كله !! .

هكذا وصف « فيليب جتني » فصلاً من فصول التاريخ الإسلامي ، ولكنه في نهاية الفصل قال : وعندما انتهى هذا القرن كان هناك سؤال آخر : هل سيقف شيء أمام دين محمد !! .

كيف !!؟ ماذا حدث !!؟ .

الذي حدث أن المسلمين استطاعوا أن يسردوا بيت المقدس بعد تسعين سنة من قيام دولة « لاتينية » فيه ، كانت « فرنسا » و « الفاتيكان » هم الدين يعيرون « الولاة » في بيت المقدس !! .

سقطت الدولة ، أسقطها « صلاح الدين الأيوبي » وأعاد الأذان إلى « المنارة » الحرساء ، وأعاد التوحيد وكنمته إلى « المنبر » الساكت !! . واستطاع المسلمون « شرق العالم الإسلامي » أن يدحوا « التتار » في الإسلام !! .

فإذا العالم الإسلامي في القرن الثامن الهجري يستأنف صفحة جديدة ،
وإذا به يتجاوز هراثم القرن السابع الهجري لتطيق دولة لأتراك العثمانيين
خلال القرن الثامن ثم تبدأ تطوى الطرق إلى « القسطنطينية » حتى يصل
أخيراً إليها الرجل الصائم القائم العبد السجّاد المنهجد الشجاع « محمد
الفاتح » الذي أسقط دولة « لروم الشرقية » ورفع علم التوحيد
هناك !! .

هذا دين يجب أن يُعرف أنه لا يموت ، إنه باق إلى قيام الساعة ،
وعندما ينتظر أعداؤه أن تُشيع جنازته يبدأ شروق شمس من جديد !! .
أريد أن يستقبل القرن الخامس عشر هذا الروح ، روح أن الأمة
الإسلامية التي يتعرج حصنها البياني طولاً وعرضاً ، فيرتفع ويخفض ،
وينحسر ويتصير ، هذه الأمة يجب أن تبدأ القرن الخامس عشر بروح
جديد ، وفكر جديد ، وعزم جديد .

إنا نعلم أن انتصارنا وانكسارنا لا يرجع إلى قوة أعدائنا أو ضعفهم ،
إن انتصار المسلمين وانكسارهم يعودان إلى الأمة الإسلامية نفسها ، فإذا
وحدت كمتها ، ومن قل ذلك وحدت رسماً ، ولزمت أمره ، وأقامت
حقه نصرها : ﴿ إِن تَنصِرُوا اللَّهَ يَنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] .
القلة والكثرة ليست من أسباب النصر ، انتصر المسلمون في « بدر »
وهم قلة ، واهرموا في « حنين » وهم كثرة ، إنما ينتصر المسلمون إذا
أحسنوا علاقتهم بالله ، وأدوا ما عليهم له .

ويوجب علينا هذا أن نعرف الخطأ الجديدة التي سلكها أعداء الإسلام
صدنا في العصر الأخير ، وهذه الخطأ سبق أن شرحتها ولكن ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ
الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات ٥٥] .

إن الاستعمار الصليبي الغربي عندما اهرم بعد مائتي سنة من قتال
متصل قدر أن يستعيد من الهزيمة ، واجتمع رجاله كي يتعرفوا السر فيما
نزل بهم ، وكان سؤالهم : لقد جمعنا لقتال المسلمين فما بخلنا بمال
ولا تأخرنا عن جُسر ، ومصى القتال مائتي سنة فلم يكن القتال مباراة ساعة
أو ساعتين للحظ دخل فيها ، لافما الذي جعلنا ننهزم آخر الأمر !!؟ .

وكان الجواب الذي أكدته مؤتمراتهم ، وقرره علماءهم ، وسار عليه
ساستهم : أننا أخطأنا في أمور :

أولها : أنا كنا صرحاء في محاربة الإسلام ، وكان يجب أن نكون حبياء
في محاربة الإسلام !! .

أفهمنا المسمين أننا إذا احتلنا بلادهم فسنمحق دينهم ، وكان يجب
أن نمحق هذا الدين ببياتنا وأعمالنا دون أن نطق بكلمة تدل على هذه الية
أو تشرح هذا الاتجاه ، فإن المسمين إذا علموا أن دينهم سوف يمحق تحرك
القاعد واستيقظ النائم ، وتجرأ الحماة ، ودافع الكل عن الدين !! .

قالوا . فلنقرر دبح الإسلام في قلوبنا ولكن بسب « قفارات » من
الحرير ، ونقول كلمات من العسل ، ونحذع العافلين ، ونقول لهم كلمات
أخرى : كعلمانية ، تقدمية ، قومية ، كلمات كثيرة يمكن أن تحذع
هؤلاء عن النية التي يتنناها في قلوبنا لصرب الإسلام ، وبذلك لا يتحركون
ضدنا صفاً واحداً !! .

هذا أول درس قالوه ، ثم قالوا : لقد هجمنا على بلاد لم نحسن
دراستها ، ولم نعرف شئونها ، ولم نخبر أحوالها ، فكما لا ندرى أين نضع
أقدامنا ، وكانت النتيجة أن زلّت أقدامنا في مواطن كثيرة ..

إذن لابد من دراسة العالم الإسلامي ، فكان علم الاستشراق وكان
المستشرقون وتطور الاستشراق إلى ما نسميه الآن « العرو الوثقائي » فوجد
كتاب لو نشاء ذكرنا أسماءهم ، ذهب واحد منهم إلى « باريس » ونشر
مقالاً في الجريدة الأولى من حرائد « القاهرة » يقول ودهت فوحدت
الرواح الجماعى يُعرض في المسرح !!

ويقول : الأعمال الحسنية تعرض في المسارح !! .

هذا ما لفت نظرك في « باريس » !!؟ .

كل « وعد^(١) » ينطلق من هذه البلاد ليعيش في حي « الغاء »
هناك يحىء إلى بلادنا ليقول : هذا هو تقدم المصريين ؟ .

لماذا لم تعرض على المصريين وعلى غيرهم من العرب كيف أن جنرال
« دييجول » عندما وجد أمته محرومة من أسرار الدرّة ، ولا تستطيع أن

(١) الوعد : الأجر الذى الرّد

تفجر « قصة درية » — ص على الأمريكيون والانكليز هذه الأسرار —
قال في كبر :

سدخل النادي الدرى بالعم الفرنسي !!

ودخل الفرنسيون النادي الدرى !!

لمادا لم تذكر هذا ؟ لماذا لم تذكر أن الفواكه والخلوى الفرنسية تصدر
للشرق الأوسط كله ؟ .
لمادا لم تذكر هذا التقدم وهذا الإنتاج الرائع ؟ .

كل ما عاك وأنت هناك أن تحيى إلى بيدك لتقول : وجدت الزنا
الجماعى يعرض دون حساسيات !!

هذا عزو الثقافى امتداد لعمل استشرقىين ، وكم من كتاب عاشوا بيننا
لا عمل لهم إلا أن يسمموا الفكر الدينى عندنا ، والفكر الثقافى عندنا ،
حتى تَشِبَّ أمتنا على نحو سىء ، ماذا تنقل من أوروبا وأمريكا ؟ تنقل
« عُلب الليل » تنقل « العمر » نقل الوساخات التى تتسلل إلى المدييات
كى تال مها .

ومعروف أن رجلاً مثل : « توينسى » حذر قومه من هذا المصير ، قال
هم : إننى درست إحدى وعشرين مدينة ، فسدت وامهارت لأن المرأة
تركت البيت وشغنت فى المذات وأبدية الليل !! .

هكذا يقول « توينسى » ليحذر قومه ، أما سماسرة العزو الثقافى فى
بلدنا فإنهم يريدون أن يفلتوا من يدنا ، أما نقل العلم والتقدم فهو
لا يخطر لهم ببال !! هذا درس ثان فانه أعدوا لأنهم وشعوسهم وأنفسهم

ودرس ثالث : قالوا : لم نحسن الاستفادة من الأقليات الدينية فى العالم
العربى ، وتوجد فى العالم العربى أقليات دينية يجب أن نشجعها على
الاسلاخ من أوطانها ، وعلى أن يكون لها كيان مستقل !! .

وقد فُتح فى « لسان » حيث أمكن « للموارة » الآن أن يُكوّنوا لهم
قوة هائلة ، ويريدون — فعلاً — أن يهدموا « لسان » الكبير ، ويقيموا
وصاً لهم يكون امتداداً لوطن الصهيونى الذى أقامه الاستعمار ..

وهذا حط جديد عُرف ، ويجب أن يُحترَ ، وأن يتم بين جماهير المسلمين عرفانه والتيقظ له .

إذا كان أعداؤنا قد استفادوا من رمز الرمس أن يغيروا حُطط الهجوم ، وأن يعرفوا أدواءنا ، وأن يعرفوا كيف يصنعون أقدامهم على ترابنا ، وأن يعرفوا كيف يمزقون صفوفنا وينالون ما .
مهل مستقبل القرن الخامس عشر يفكر بالي ، وفهم غيبى ، وعدم إدراك لما يراد بنا ؟ لا .

إن على المسلمين أن يستيقظوا ، وأن يعرفوا أن صلحهم مع الله هو أساس نجاحهم ، وأن انتصارهم رهس باستقامة أمورهم .

يقول النبي ﷺ « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزى الأحمر ، والأبيض ، وإنى سألت رى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة ، وأن لا يُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ليستريح يعضتهم ، وإن رى قال : يا محمد إنى إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد ، وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة ، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستريح يعضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسى بعضهم بعضاً » (١) .

لو انتهت العلل التى تفسد ما يبسا فإن النصر حق لنا ، وهو رحمة الله التى تحىء عَدَقاً يوم تمتد أيدينا إليه نطلبها .

إننى متفائل وأشعر بأن الأمة إلى خير ، وأن على علماء المسلمين فى كل مكان أن يجندوا الجماهير لتقى على وفائها للإسلام وتحمل البلاء فى سبيله .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ..

(١) رواه مسلم فى الفتن — باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ١٧١/٨ ومعنى زوى : جمع والمراد بالكثيرين : الذهب والفضة . يستريح يعضتهم . أى جماعتهم وأصنهم ، واليصة أيضاً الر والملك أن لا أهلكهم بسنة بعامة أى لا أهلكهم بقحط يعصهم بل إن وقع قحط فيكون فى ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقى بلاد الإسلام .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويريدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ﴿ [الشورى ٢٥، ٢٦] .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام الأنبياء وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد :

عباد الله : أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، واعلموا أيها المسلمون أن الذى استبقى أمتنا إلى الآن هم المربون المحضون والعلماء الموقنون .

من الذى أغرى « الحزائر » بأن تقدم مليوناً ونصفاً من الشهداء حتى تستعيد استقلالها وتخلص من الاستعمار النازل بها ؟ .

إنه الإسلام ورجال الإسلام وعلماء الإسلام !! .

من الذى أغرى المسلمين فى « الهند » أن يقيموا « باكستان » وأن يقدّموا مليون قتيل حتى تبقى للإسلام راية مرفوعة !! ؟ .

إنه الإسلام وعلماء الإسلام والمربون المحضون !! .

ولذلك يجب أن لا نسأم من التردد على المساجد والتجمع فيها موقنين بأن الخير سيكون فى ساحتها .

أيها الإخوة : إن هذا المسجد — كما قلت فيما مضى — أمل المسلمين فى أقطار كثيرة ، وإن حماه يجب أن يصبأ ، وإن الرسالة الموكولة إليه يجب أن تتم ، وإن الوظيفة الثقافية والروحية لهذا المسجد يجب أن تؤدى على نحو كامل شامل ..

لكن هناك مؤامرات تُدير للمسجد، وقد اتصلنا واتصل بنا رجال طيوس
من دوى السلطة ، فيهم ورراء ، بل جاءنا هنا ورير مسئول ووعدنا وعداً
حسناً ، واستبشرنا خيراً باليقين الذي بدأ في عييه ، والأمل الذي تركه في
نفوسنا .

«اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دياننا التي
فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا
في كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر» (١) .

﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في
قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ [الحشر ١٠] .
عاد الله :

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفسحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ [سج ١٠]

أقم الصلاة ..

(١) رواه مسلم في الذكر باب التعود من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٨١/٨

القرآن ينظم قوافل الأحياء

خطبة عيد الفطر المبارك ١٤٠٨ هـ

بمساحة مسجد مصطفى محمود بالجيزة

الحمد لله حمداً مضاعف الشكر والثناء والتمجيد .

الحمد لله الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى .

الحمد لله الذى أصحك وأبكى ، وأمات وأحيا ، ومع وأعطى .

الحمد لله ، له الملكوت الذى لا يبلى ، وله الخرائص التى لا تنسى .

﴿ و قل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا كنه تكبراً ﴾ [إسراء : ١١] .

الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .
الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر .
نحمده الأرض والسماء .

الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ،
وهو على كل شىء قدير .

خير الخالقين ، وخير الرارقين ، وخير الراحمين ، وخير العافرين

﴿ كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ [قصص : ٢٨]

وأشهد أن محمداً رسول الله ، خير من عبد ومسجد ، خير من وعى
ودعا ، خير من بنى رسالة وأدى أمانة ، خير من جاهد فما أبطره نصر
عندما انتصر ، ولا أبأسه غلب عندما انهزم .

صلوات الله عليه ، أدى رسالة جمعت بين العقل والعاطفة ، وبين
المادة والروح ، وبين الدنيا والآخرة ، أساسها هذا القرآن الذى طلما تلونه

في رمضان ، ولن نزال نتلوه ما بقى في صدورنا نفْسُ يتردد ، سقل للناس
وحى الله الخاتم وهداياته الأحيرة إلى سكان المشارق والمغرب .

أما بعد :

أيها الإحوة : قرآنا هذا يجب أن نعرف قدره ، إن الله سبحانه وتعالى
عندما أحب أن يذكر مركته النامية ، ونعماءه الهامية على الناس أجمعين
اختار لذلك طريقين .

قال تعالى ﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء
قدير ﴾ [الملك : ١٠] .

وقر ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيراً ﴾ [الفرقان : ١] .

فكان الملكوت الرحب — وهو بيد الله — مصارعاً أو مساوياً
للكتاب الخاتم المعجز الذى أمره الله ، كلاهما في الدلالة على بركات الله
ونعمائه !! .

ومثل ذلك في الحمد ، وربنا المحمود آناء الليل وأطراف النهار ، وبعد
ماء الزمان والمكان .

عندما حمد نفسه قال : ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض
وجعل الظلمات والنور ﴾ [الأنعام : ١] ثم قال مرة أخرى : ﴿ الحمد لله
الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ﴾ [النجم : ١]

إن هذا القرآن عالم آخر من المعاني والمشاعر والهدايات والتوجيهات ،
يصارع أو يسوى العالم الكبير الذى تدور أفلاكه ولا يعرف آماده
ولا نهاياته

هذا هو القرآن الذى اعتمد عليه نبي الله ﷺ وهو يهdy الإنسانية .

إن الله رباه ليرى به العرب ، ويرى العرب به لكى يرى بهم الناس
جميعاً !!

هل عرفتم رسالتكم ؟ وهل وعيتم مكانتكم ؟ وهل أدركتم خطورة
تفريطكم في الكتاب الذى أمر عبيكم وكُفُهم تلاوته وتبليغ رسالته ؟

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويشرح للمؤمنين الذين يعملون
الصالحات أن لهم أجراً كبيراً . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم
عذاباً أليماً ﴾ [الإسراء . ٩ ، ١٠] .

وصناعة القرآن للإنسان المسلم هي صناعته لمجتمع المسلم ، وقد
كنت — أنا شخصياً — متجاولاً مع القرآن الكريم التحاوب كله .

عندما حثت من « الحزائر » إلى أن نتهيت هنا ، كنت في طائرة
تحملي فوق السحاب بمسافة ، وبطرت إلى السحب المتراكمة ، ولفت
بطري ثنوء في جبل أشم من هذه السحب المتراكمة ، ثم أخذت — كما
علمني القرآن — أفكر في السحاب لمسحر بين السماء والأرض ، فكرت
وأحدث أسأل : هذا الثنوء من السحب من أين جاء ؟ أم من لبحر المتوسط
الذي أطير فوقه ؟ أم من المحيط ، لأطلسي الذي أقترب منه ؟ قلت : الله
أعلم .. ثم مضى في التفكير وأنا أقول : وهذا السحاب عندما يهيم
ويتحول إلى مطر غرير ترى هل سشربه من آبار ، أو من ينابيع ، أو من
أنهار جارية ، أو من صنابير مفتوحة ؟ قلت : الله يلري ؟ قلت مره
أخرى : أم يتحول هذا الماء في كيان الحبوب والنباتات والرياحين والأزهار
التي يطلق الماء حلاها مكوناً أجسامها أو الجزء الأكبر منها ؟ قلت : الله
يلري ، ثم قلت : هل هذه أول مرة يتحول فيها الماء إلى ما ذكرت من
مهايات أم أنه ذهب إلى البحار والأنهار والحدائق والسخيل وحوب
الخصيد ، ثم عاد مرة أخرى من بطون الآكلين ومن أمواه الشارين
ليتحول إلى البحر ثم إلى سحب ثم إلى مطر وهكذا ؟!

إن الله سبحانه وتعالى يعلم ، وهو بعلمه وقدرته وإبداعه وصنيعه
العجب يتابع هذا كله ذرة ذرة ومرحلة مرحلة ؟!

هكذا علمنا الإسلام أن يعرف ربنا معرفة صحيحة ، نحن لسنا كذبة
على الله نقول : إن لله أولاداً ، أو إن له أسرة ، أو إن له شركاء ، أو إنه غير
موجود ، أو إنه موجود مفقود !! .

لا . نحن نؤمن بالله الواحد ، هكذا تعلمنا من نبينا ﷺ كما تعلمنا منه
أن يتبع هذا الإله الواحد في كل ما أمر به ونهى عنه ، وأقام بينا وبين

طهراً يا هذا النبي ﷺ يقول . ﴿ قل إنني هداى ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . قل أعير الله أبغى رباً وهو رب كل شئ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تتردوا زرة وزر أخسرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ [الأنعام ١٦١ - ١٦٤] .

أيها الإحوة : إن الدين الذى تبعناه وفرّ علينا تجارب كثيرة ، مثلاً : صبح حق الملكية ، وأثقله بواجبات دينية كثيرة ، ألم ؟ لأن ضمان حق الملكية هو أساس الإنتاج الغرير والعطاء الواسع .

ولم يعرف « الروس » هذا إلا بعد سبعين سنة من تفهّنهم الاقتصادى وتحلمهم فى الإنتاج العام !! .

لكن ديسأ أباح التملك . وأثقله بالحقوق التى لا يصعب معها فقير ولا بائس ولا محروم ..

هل يكون الفرد صائعاً فى كيان دولة مستعدة يتفرعن فيها من تفرعن ؟ أو يكون إنساناً حراً تمتد حريته حتى تُشع عرائره كلها وأهواءه كلها ؟ .

لا هذا ولا ذاك ، إن الإنسان فى الإسلام حر ولكنه محكوم بدين الله ، إنه سبى مع الله الذى أوحده ، وإيحائى مع الكون الذى يعيش فيه .. هكذا علمنا لإسلام ، إن ديسأ عظيم ، ولكن يبقى التساؤل : إن الدين العظيم كَوْن أمة عظيمة ، كانت العالم الأول نحو : ألف سنة !! أما الآن فهى العالم الثالث أو العالم الرابع إن كان هناك رابع !! .

ما السبب ؟ السبب لا يتحاورنا نحن ، نحن المسئولون عما لحق بنا وعما أصابنا .

أذكر أن النبى ﷺ قال « إن الله زَوَى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زَوَى لى منها ، وأعطيْتُ الكثرين

الأحمر والأبيض^(١) ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة .
وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي
قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإياه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن
لا أهلكهم بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم
يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك
بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً^(٢) .

وصدقت الأيام الحديث ، ما حدثنا إلا من داخلنا ، وما صنعنا إلا من
تفريطنا ، ولو أن المسلمين وعوا لرسالتهم ما استطاع أحد في الشرق أو في
الغرب أن يسأل ما قليلاً ولا كثيراً ، ولكنا فرطنا ، حتى إنني أسأل نفسي
كثيراً : هل نحن تخصصصا في أن نُحْرَبَ سوتنا بأيدينا وأيدي أعدائنا معاً ؟
إن اليهود يقتلوننا ، ولكهم لم يقتلوا ما مثل ما قتل بعضنا من
بعض !! .

ما هذا الذي يقع في الأمة الإسلامية ؟ دماؤنا تسيل ، ونحن الدين
نُسيلها ، حقوقنا تُهمل ، ونحن الذين نُهملها !! .

والعريب أن التاريخ يعاود نفسه ، يقول التاريخ : إن بيت المقدس
سقط أواخر القرن الرابع الهجري ، لم ؟ لم يكن هناك مسلمون يُكوّنون
وحدة إسلامية متماسكة !! .

لم تتحرك بغداد ولا دمشق ولا القاهرة ولا مكة ، ما تحرك أحد ،
تركوا بيت المقدس يلقى مصيره ، كما قال أحد المؤرخين الأجانب
« غوستاف بوبون » يقول : كان قوماً كالنُوءة التي قُتل ولدها فهي تتحرك
في كل مكان تبطش وتقتل ..

سبعون ألف مسلم بين عشية وضحاها هلكوا !! والسبب فرقة الأمة
العربية .

(١) قال العلماء : المراد بالكنز الذهب والفضة والمراد كنزاً كسرى وقصر

(٢) رواه مسلم في الفتن — باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ١٧١/٨ .

نفس السبب قائم الآن ، الأمة متفرقة ، ما الذى فُرقها ؟ يجب أن نعرف .

أيها الإخوة : طبيعة الأمة العربية التفرق والتفرق ما لم يجمعها دين ، أمتنا العربية لم يُعرف لها حكم مركزي أبدأً في جريدة العرب ، كانت قبائل قبائل ، وستبقى إلى قيام الساعة قبائل قبائل ما لم يجمعها الإسلام ، وما لم يوحدنا الدين ، وما لم يعسل أدرانها معتقد حق ، وما لم تجتمع كلمة التوحيد في ربوعها لتتوحد الكلمة على أساسها .

هذه حقيقة يجب أن نعرفها ، وكما ابتعدنا عن الإسلام لم نزد إلا دُلاً ، ولم نزد إلا صياعاً ، ولم يزد أعداؤنا علينا إلا جراءة ، وهذا ما يعرفه أعداء الإسلام ، ولذلك يراهم يحاربون الانتماء الإسلامى في كل ميدان ، الانتماء الإسلامى جريمة عند المستعمرين من شرق وعرب ، وقد رأينا جهود الحبايرة تبدل حتى نحصل الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة انتفاضة عادية قومية ، مع أن الشباب كان يسميها انتفاضة المساجد ، ومع أن الذين صنعوها — وأنا أتصل بعضهم — ما يعرفون إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهم إلى الآن يُقدّمون الشهداء ..

هؤلاء سميت ثورتهم ثورة الحجارة ، لأن كلمة المساجد بعبضة إلى نفوس وسائل الإعلام في كل بلد ، كانت ثورة المساجد ، فسميت ثورة الحجارة ، ثم ماذا تحتهد أقلام شتى وعقليات شتى كي تلقى طابعاً قومياً على هذه الانتفاضة ، وهي انتفاضة إسلامية خمدت ودماً .

قلت : يا عجباً ، اليهودية وهي تُهجم تعلن عن توراتها ، وعن تاريخها ، وعن شعائرها ، أما نحن فمحرم على الإسلام أن يكون دفاعاً وأن يكون سلاحاً للدفاع !! .

أيها الإخوة : بقى أن تعرفوا شيئاً من سنن الله في الكون وفي الحصار ، هذا شيء لا يسعى أن يموتنا ؟ لماذا ؟ لأنها حقيقة يسبغى أن نعرف ، هذه الحقيقة التى يسبغى أن نعرف هي أن فلسفة الألم في الإسلام يراد منها تذكير الناس بالله ، إن الله إذا أوجع لأمة ، أو أوجع الشعوب إنما

يريد بذلك أن يقول الناس : يارب اصرف عنا الأذى ، يارب اصرف عنا
البلاء ..

هكذا علمنا الله ، يقول لنا : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك
فأخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون ﴾ قلولا إذ جاءهم بأسنا
تضرعوا ﴿ [الأنعام : ٤٢ ، ٤٣] .

هلا تصرع الناس عندما تألموا ، هلا عزموا أن هم رباً يعصى ويمنع ،
ويحصر ويرفع ، ويجمع ويشبع ، هل علموا هذا ؟ لا : ﴿ ولكن قست
قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ﴾ [الأنعام : ٤٣] .

إن الآلام تنزل بالأمّة الإسلامية الآن سيلاً مهنراً ، جئت من
« المغرب » والمغرب مهدد بأقطاره كلها بـ « الخرد » وبـ « الخفاف »
ومع ذلك أتساءل : أين أصوات الصارخين ؟ أين أصوات المستغيثين برب
العالمين ؟ لا تحد !! وادى النيل مهد بأن النيل لا يجيء ، ومع ذلك تحد
هذا يصحك ، وهذا ينطق في طريقه يرح ، وهذا لا يبالي ، أهله آلام
تنزل يبشر أم تنزل بحماد ؟!! ألا تعرف ربنا حتى نضرع له ، ونستغيث
به ، ونقول له : ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ﴾ [الناح ١٢]
هلا فهم قوله تعالى . ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل
السماء عليكم مدراراً . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل
لكم أنهاراً ﴾ [نوح : ١٠ - ١٢] .

ما الذى قطع علاقات الناس بالله ؟ أنا أعلم أسى أعيش وعيرى يعيش
في ظل حضارة كافرة مخنونة تعد المادة وحدها ، شرق أورب وعيرها سواء
في أخرى وراء الدات ، والانطلاق وراء الشهوات ، إلههم لا يفكرون
لا في إله ولا في يوم آخر !! .

فإذا كانت هذه الحصار الحسة تريد أن تفرص نفسها على المسلمين
فمعتقدنا بنينا إذا كما سيطوينا العمار ونمشی وراء القوم دون وعى ؟ .

يومئذ نتساءل : ما الذى يرل بنا ؟ وما الآلام التى تحيط بنا ؟
والجواب : ﴿ ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم
يعمهون . ولقد أخذناهم بالعذاب لما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾
[المؤمن : ٧٥ : ٧٦] .

وليس الاستعمار لحظة ضعف كالتى تعترى أو تعترى غيرى ، ولكن الاستعمار الحق أن يعرف أخطاءنا وتوب منها ، هذا كتاب يطق علينا بالحق .

القرآن الذى صمغ أمة شرقت حصارها وعربت ما الذى صرفها عنه ؟ إنه ليس كتاب الموتى ، إنه كتاب الأحياء ، إن آياته لا تتلى التماس عمراً لذنب عند ميت ذهب إلى ربه ، ويعلم الله ما يثقل ظهره من أورار ، أو ما يبيض وجهه من استعمار ، إن القرآن حاء ليطم قوافل الأحياء ، وكما تنظم الإشارات الحمراء والخصراء قوافل المرور عبر الشوارع والميادين فإن هذا القرآن ينظم للإنسانية طريقها ، وبصط عرائرها ، وكما قلنا : إنه يجمع الدنيا والآخرة ، الجسم والروح ، العقل والعاطفة ، إنه كما قال مرثى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل : ٨٩٠] .

ما أحوجنا إلى هذا الهدى ، وما أحوجنا إلى تلك الرحمة .

أيها الإحوة : إنكم تقتربون من الإسلام ، ولست يائساً ، ولست ممن يوهون الأمل الكبير ، والجهد الكبير الذى يبذل ، ولا أقول هذا من باب فتح الآفاق أمام من يعمل وليس لى سداد إلا الأوهام ، لا ..

من سبعين سنة دخل الروس تركستان ، وكانت قد تحررت ، واستمات أهل تركستان كما تحدث بذلك طاعية الشيوعية « ليسين » كان « ليسين » يقول للجيش الأحمر . تعمد من التركستانيين الحماس والتضحية والعداء !! .

ولكن تركستان — وهى جزء من أرض الإسلام — سقطت ، وضاعت بلاد « البخارى » فى أيدي الاتحاد السوفيتى ، وحاول الروس مرة أخرى من عشر سنين أن يكرروا الدور نفسه فى « أفغانستان » ولكن والله الذى لا إله إلا هو لقد تركت فى « الجزائر » روحين كلاهما حاء يطلب مى فتوى بأن يتركوا الجزائر للجهاد فى أفغانستان !! .

إن الذى حدث أن الوحدة الإسلامية استيقظت ، وأن الجماعة الإسلامية امتدت ، وأن مشاعرها أحييت ما كان هامداً ، ورأيت البطاطين

والثياب والأموال والأسلحة تذهب إلى المحاهدين في أفغانستان فشلت
أررهم ، وقوت حابهم ، واستطاعوا وهم جند قليل من العمال والفلاحين
أن يهرموا حيازة الأرض ، وأن يرعموهم على الخروج من أفغانستان ،
وبقى بعض الخونة لا يزال يتعلق بهم ويتمسك بآثارهم .

أنا لا أستطيع أن أنكر أن صيحات رجال عظام مثل : جمال الدين
لأفعاني ومحمد عده ، مثل حسن البنا وحسن الهسيبي ، صيحات كثيرة
لناس من أهل الخير والتقوى والمجاهدة والمخالدة التقف حولها الشعوب التي
استيقظت من نومها ، ورددت الصدى المسعث من قاداتها الكبار !! .

والأمة الإسلامية الآن تواجه مستقبلاً أنصر ، ولكن العوائق أمامها
أكبر ، لأن أعداءها لا يسمون !! ولذلك فأنا أوجه انظر إلى مالنا
وما عينا ، أوجه النظر إلى أن الحجة الإسلامية — وهي حجة تصم جماعات
لا حصر لها — يجب أن يسودها الفقه .. يجب أن يسودها العقل .. يجب أن
يسودها الإدراك السديد ، يجب أن يسودها الوعي الراشد ..

إنه لأمر يبكي أن تتحول معركة الإسلام التي يشتغل لها دهاقين
الغرب والشرق في عرف خفية ، ووراء أسوار من الدراسة الواعية ،
والصمت الماكر يبدون جهودهم كي يمتنوا عقيدة التوحيد ، كما قال الله
تعالى : ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره
ولو كره الكافرون ﴾ [التوبة : ٣٢] .

فإذا الحدون من أصحاب اليقظة الراشدة ، وابعى السليم يحدون من
حوهم من يقاتل في معركة عناء ، في معركة حانات ، معارك « الحواري »
لا يصلح بها دين !!

ما كان هذا هو الفقه ، إن صاحب الرسالة ﷺ هاجم الأصنام يوم
بدأ يدعو إلى الله ، وسبها ودمها وأهها وحقرها ، لكنه اكتفى بهذا ،
ما فكر أن يكسر صمماً ، ما فكر أن يجعل جهاد الفم جهاد يد ، حتى بعد
عشرين سنة من بدء الدعوة الإسلامية ، ففي « عمرة القضاء » بعد
« عروة الحديبية » بسنة ، وقبل « فتح مكة » بسنة صلى النبي ﷺ
بالمسلمين وصافوا حول الكعبة ، وحول الكعبة أكثر من ثلاثمائة وستين

مصباً ، ما فُكِّروا في كسر صم واحد !! .

إن الذين يهتمون « الصياحية » تقود أمة ، وأن « قلة الفقه » تنصر رسالة هؤلاء بُله !! .

الإسلام يحتاج إلى الفقه ، وإلى العقل ، وإلى الإدراك السديد ، أما أن يدخل مريض مصاب بـ « حُمَّى شوكية » أو مصاب بـ « سرطان » فيكون كل ما يشد انتباه الطبيب أن المريض يلبس « جُورَباً » مثقوباً !! قَبَّحك الله من طبيب ، أهذا كل ما يعينك من معالجة المريض !!؟ .

الأمة الإسلامية يجب أن تعقل ماها وما عليها ، هذه واحدة ، وشيء آخر أوجه النظر إليه ، ولكن في الخطبة الثانية إن شاء الله

إني بفكر المذهب ، وأمل النائب أدعو الله لي ولكم بالمعفرة ، وأن يجعلنا وإياكم جنداً للإسلام .

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تعملون . ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد﴾ [النورى ٢٥ ، ٢٦] .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المين .

وأشهد أن محمداً رسول الله إمام السنين ، وسيد المصلحين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد .

فأمتكم — معشر المسلمين — ليست متعصبة لجنس ولا للون ، ليست متعصبة إلا للحق ، والحقيقة الأولى في الوجود أن الله واحد ، وأنه أكبر . ولذلك فإن صيحاتنا في جهادنا — عندما كانت جيوشنا تقاتل حماة الضلال وأعداء الحق — كانت الله أكبر .

أيها الإحوة : إن الانتماء إلى الإسلام هو ما نريده ، والعمل للإسلام هو ما نبتغيه .

و نحن لا ندعى العصمة ، أنا أخطئ وغيرى يخطئ ، ولكن عندما نصح خطأ فيجب أن يكون لنا منهج ، هو كما قال ربنا : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ [الحل ١٢٥] .

إسئ أستشر بالوصح الذى أدافع عن نفسى فيه ، وأكره التحدى والحقوم ، وإن ظنى بعض الناس كذلك ، إننى أصلب من أمتنا أن تعرف القدر البئ ، ونترك القدر الهدام ، تسألنى : ما انقد البناء ؟ وما القدر الهدام ؟ .

القدر ابناء شرحه واحد من شعراء « المهجر » قال :

لا تقل عن عمل دا ناقص • جىء بأوفى ثم قل . ذا أكمل
إذا رأيت محطاً فلا تصر به على يده وعلى فمه ، بل صوّر له الحق
تصويراً حسناً ، وقُدّه إليه قيادة رفيقة .

هذا هو نقد السوء ، لا تقل للمبطل: دع باطلك دون أن تكون قد
صوّرت نموذجاً حسناً للحق الذى تدعو إليه .

لكننى رأيت من ينقد لفصد الهدم ، رأيت ذلك — للأسف — فى
أحوالنا وفى شئوننا .

وأضرب مثلاً قد يكون نافهاً : إسى فرحت جداً لما علمت أن هناك
صاعات عسكرية بدنا براولها ، لأن وجهى اسودّ من أن الفتية المؤمن
يقابلون الدبابات بالحجارة ، لماذا ؟ .

دبابة تقابلها دبابة ، دبابة عديها التوراة تقابلها دبابة عليها المصحف ،
هذا هو الذى يجب ، أما أن يكون سلاح نحن هو الحجارة فى وجه
الدبابات فلا يجوز ..

فرحت عندما كنت أسمع أن هناك صاعات عسكرية تحمل لأمتنا
وجوداً عسكرياً ، وفرحت كذلك عندما بدأت أشعر بأن أمتنا فيها وجود
اقتصادي ، وأن لها شركات تعمل بالمبادئ الإسلامية .

لكننى استعربت عندما رأيت حرب حراقات ، وحرب أحقاد ،
اللعنة الإسلامية ظهرت فى ميدان المال ، يجب حرقها !! لماذا ؟!! دعوا
هذه اللعنة تشتعل للإسلام ..

أنا لا أدامع عن أحد ، لها أخطاء ؟ قل : الصواب كذا فتمسكوا به ،
لكم ما وجدت صواباً عُرض ، ولا وجدت عيباً أخذ ، وإنا وجدت بلاء
ينزل بهؤلاء الذين يخدمون الإسلام فى الميدان الاقتصادى !! .

وفكرت وأدركت من قراءات لبعض الصحف الانكسرية وبعض
المراجع الأمريكية أن اسم الإسلام يجب أن يخفى فى عالم الاقتصاد !! .

وطبعاً : يجب أن يخفى فى عالم الأدب ، وفى عالم السياسة ، وفى عالم

الجهاد ، وفي كل عالم !! ها ستميت للاتباء الإسلامى ، ونبقى على الإسلام بمجهودنا وقدراتنا ..

للحكومة أن تضع القوانين التى تضبط تداول المال ، وحماية أصحاب الودائع ورؤوس المال ، ونكس لس لأحد فى المشرق أو المغرب أن يجمع الإسلاميين أن يؤسسوا جماعات وبنوكاً وشركات ..

وجودنا فى عالم الاقتصاد لا بد منه ، وما ينبغى أن يهاجم أصحاب الدعى هذه الضراوة .

إننى أعلم علم اليقين أن كلمة قايى « محمد محمود باشا » — وهو رجل صعيدى ، وكان رئيس وزراء — قال : هاك رجال « قباقيب »^(١) يُبسون عند الخوص فى المعارك القليرة !! رأيت بعض أصحاب الأقلام ، وبعض أصحاب الألسنة « قباقيب » يحاص بهم معركة قدره يراد بها الإحهار على الاقتصاد الإسلامى .

ئى شئ هذا الذى يُصع بأمنا ؟!!

ننا نريد أن تعرف الأمم كلها أننا رحما للإسلام ، وأنا نتعامل بالإسلام ، ونعيش فى حدود الإسلام ، وهذا المطلق نريد أن نبقى .

« اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا ديانا التى فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر »^(٢) .

﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ [بقره ١٠] .

أقم الصلاة

(١) القباقيب : النمل تتخذ من خشب ، وشراكها من جلد أو نحوه ، والجمع : قباقيب .

(٢) رواه مسلم فى الذكر — باب التورود من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٨/٨١ .

فهرس الكتاب

٣	تصدير
٩	قصة هذا الكتاب
١٣	الشيخ الغزالي بقلمه
١٩	الخطبة الناجحة
٢٤	إلى المسجد
٣٩	سياحة تاريخية
٥٢	شمس محمد ﷺ تسطع على العالم
٦٧	فلسطين الدرة المختصة
٨٣	قادة الخير وقادة الشر
٩٥	هذا هو الذكر
١٠٨	إسلام بلا نصوص
١٢٢	نظرة الإسلام إلى المال
١٣٤	الشباب في موكب الإسلام
١٤٢	اليهود في ميزان القرآن
١٤٨	خصائص المجتمع الإسلامي قبل الهجرة
١٦١	تأملات في سورة الواقعة
١٧٤	نعم للحقائق لا للصور
١٨٧	شهر له فلسفة
٢٠١	اللعب بدين الله
٢١٦	لماذا التسوّل
٢٢٩	في موكب الحج
٢٥٥	القمة الأولى في تاريخ البشرية
٢٦٨	هجرة وهجرة

٢٨٢	الزحف اليهودي لا يوقفه إلا الإسلام
٢٩٥	تأملات في سورة التوبة
٣٠٩	الضغائن السود
٣٢٤	الباقيات الصالحات
٣٣٦	تأملات في سورة النور
٣٤٨	معاصي القلوب ومعاصي الجوارح
٣٦٣	اليهود في المدينة المنورة
٣٧٧	التصوف ما له وما عليه
٣٩٠	تأملات في سورة محمد
٤٠٧	أسباب النصر وأسباب الهزيمة
٤٢٢	أمهاتم شتى ودينهم واحد
٤٣٥	تأملات في سورة الفتح
٤٤٨	بهذا كانت الكرامة وبهذا كانت المهانة
٤٦٢	نعم للتوحيد
٤٧٣	تأملات في سورة الممتحنة
٤٨٥	منهج وطريق
٤٩٨	الشهداء
٥١٣	من نحن !!؟
٥٢٧	قضية الذكر والنسيان
٥٤١	علاقة المسلم بالدنيا
٥٥٥	القرآن معجزة خالدة
٥٦٦	الخطة الجديدة لضرب الإسلام
٥٨٠	الخط البياني للتاريخ الإسلامي
٥٩٢	القرآن ينظم قوافل الأحياء